د. عبد الرازق عبد الرازق عيسى

التنصير الأمريكى في بلاد الشام



مكتبة مدبولى

التنصير الأمريكي في بلاد الشام

١٨٣٤ ـ ١٩١٤

مكتبة مدبولى

العنوان : ٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة
تليفون : ٥٧٥٦٤٢١ ـ ٥٧٥٦٤٢١ فاكس : ٥٧٥٢٨٥٤
الكتاب : التنصير الأمريكى فى بلاد الشام
١٨٣٤ ـ ١٩١٤
الكاتب : د. / عبد الرازق عبد الرازق عيسى
رقم الإيداع : ١٣٤٨٠ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولى : 0 - 488 - 208 - 977

الطبعة الأولى : ٢٠٠٥

عربية للطباعة والنشر

العنوان : ٧& ١٠ شارع السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين
تليفون : ٣٢٥٦٠٩٨ ـ ٣٢٥١٠٤٣ ـ فاكس : ٣٢٩١٤٩٧

التنصير الأمريكى فى بلاد الشام
١٨٣٤ ـ ١٩١٤

تأليف
دكتور / عبد الرازق عبد الرازق عيسى

مكتبة مدبولى
2005



المقـــدمـة

- اهتمت الدراسات التاريخية بالدور السياسى والاقتصادى للولايات المتحدة الأمريكــية فــى العـــالم العربى ولكن نفس هذه الدراسات أهملت دورها الدينى، وهو الأساس الذى بنيت عليه نفوذها فيما بعد .

فامـــريكا التى طبقت مبدأ مونرو فى سياستها الخارجية وظلت حريصة على ألا تزج بنفسها فى مشاكل الصراعات خارج أراضيها ، خرج من بين بنـــيها من أسس الإرساليات فى الدولة العثمانية والبلاد العربية جزء منها . وبذلك فقد بدأ النفوذ الأمريكى فى المشرق العربى نفوذاً دينياً قام على النشاط الأهلى. واحتمى بالدبلوماسية البريطانية الراعى والحليف لهم .

وعـــندما قـــررت أمـــريكا الخـــروج من عزلتها بحثت حولها فوجدت الإرســـاليات الأمريكـــية منتشرة فى أنحاء العالم العربى فمدت لها حمايتها ورعايتها واستفادت من وجودها ومعرفتها بل وأنشطتها المختلفة وهنا كشف الـــدور الديـــنى والثقافى للإرساليات الأمريكية عن دور سياسى مدعوم من جانـــب أمـــريكا ، وأصـــبحت الإرســـاليات الأمريكـــية هى المقدمة للغزو الاستعمارى الأمريكى، وأصبح المبشر الأمريكى الذى جاء فى زى قسيس، وكان يبغى نشر مذهبه الدينى- هو نفسه الرجل الاستعمارى الذى يبغى نشر النفوذ السياسى لدولته فى المنطقة .

- وبذلك فقد بدأ النفوذ الأمريكى فى المشرق العربى بداية ذات واجهة دينية حيـــث كان البروتستانت الأمريكيون يؤمنون بالعقيدة الألفية ، التى تدعوا اتباعها لانتظار عودة المسيح قبل نهاية الألفية ولأجل ذلك لابد من عودة اليهود " شـــعب الله المختار" - فى نظرهم- لفلسطين الوطن القومى لهم،

ولابد من نشر البروتستانتية بينهم ، وذلك لتقليل عدد أعـداء المسيح بعد عودته ، من هنا كان السبب الأساسى لاختيار هذه الإرساليات لبلاد الشام كبداية لنشـاطها فى العالم العـربى ، ومن الشام انطلقت فيما بعد لبقيـة البلدان العربية .

جديـر بالذكر أن أول إرسالية أمريكية وصلت للعالم العربى كله كانت لفلسطين عام ١٨١٩ ، ثم تبعتها إرسالية أخرى لبلاد الشام عام ١٨٢٠ وإن كانت البداية الفعلية لهم كانت عام ١٨٣٤م أثناء حكم محمد على للشام بوجهه العلمـانى ، فى الوقت ذاته أدى النزاع بينه وبين السلطان العثمانى لمحاولة جذب الدول الأجنبية إليه عن طريق تقديم الامتيازات المختلفة لرعاياها ، لذا بدأت الإرساليات تعمل فى أمان وراحة .

ومارست الإرسالية فى الشام العديد من الأنشطة ، التى نتج عنها نهضة ثقافـية وتعليمية شاملة ، فى الوقت ذاته أصبح هناك ولأول مرة فى البلدان العربية قاطبة طائفة بروتستانتية ، وأسست الكنيسة البروتستانتية الأولى فى بيروت ١٨٤٨ ، ونتج عن هذا النشاط اعتراف الدولة العثمانية بالبروتستانت كإحدى الطوائف الدينية الموجودة داخل الدولة .

المؤلف

التمهيد



أولاً: الشـــام فى العهـــد العـــثمانى (١٥١٦-١٩١٤) :

بعـــد أن ســـيطرت الدولة العثمانية السنية على أجزاء كبيرة من أوربا وأصبحت دولـــة الإسلام الكبرى ؛ اعتبر العثمانيون أن واجبهم الأول يتمثل فى الدفاع عن الأقاليم الإسلامية ضد الأخطار والهجمات الخارجية التى كان أهمها الخطر البرتغالى ، فقد رأى العثمانيون انهم أجدر وأقدر من المماليك فى الدفاع عن هذه المنطقة وتوحيدها فى صف[*] واحد ضد أي اعتداء أجنبى[١].

وبعـــد الفـــتح العـــثمانى لـــبلاد الشام على أثر موقعة مرج دابق ١٥١٦م ؛ أبقى العثمانيون كثيرا من مظاهر الإدارة المملوكية بها لضمان استقرارها ، وعينوا ولاة تابعين لهـــم لحكـــم الشام ، كما أبقوا فى بعض الأماكن على الأمراء المحليين الذين خضعوا لهم مـــثل الأمـــراء المعنيين فى جبل لبنان[٢] ، وبذلك فلم تخضع بلاد الشام لحكومة مركزية واحـــدة كما حدث فى مصر بل قسمت إلى عدد من الولايات ، وكان يطلق على حاكم كل منها أول الأمر: أمير الأمراء ، ثم أطلق عليه فيما بعد لقب باشا[٣].وهذه الولايات هى:

١- ولاية دمشق : وشملت عشرة ألوية أو صناجق هى : دمشق مركز الولاية ، والقدس ، وغزة ، وصفد ، ونابلس ، وعجلون ، واللجون ، وتدمر ، وصيدا مع بيروت ، والكرك مع الشوبك .

٢- ولايـــة حـــلب : وشـــملت تسعة ألوية وهى : حلب مركز الولاية ، وأدنة ، وكـــلس، وبيـــرة جـــك ، وبالس ، ومنج ، ومعرة نعمان ، وتركمان حلب ، وإعزاز .

٣- ولايـــة طرابـــلس : وشـــملت طرابلس مركز الولاية ، وحماة ، وحمص ، وسلمية ، وجبلة ، واللاذقية ، والحصن[٤] .

وظـــل هذا التقسيم الإدارى للشام قائما حتى سنة ١٦٦٥م حين زيدت عليه ولاية جديدة هى ولاية صيدا ، والتى جُعل مقرها أولا فى صيدا ، ثم انتقل إلى عكا[٥] .

وشهدت بلاد الشام تحت الحكم العثمانى استقرارا سياسيا ، كما ازدهرت اقتصاديا واتســـع نطاق عمليات التصدير والاستيراد بين الشام وأوربا ، فكانت الشام تصدر لأوربا

---

* ساعدت السيطرة العثمانية على العالم العربى على وحدة البلاد العربية فى إطار سياسى واحد بعد أن كانت كيانات متنافرة ، وتكـــاد تكـــون متـــباعدة بين بعضها البعض منذ أن سقطت الوحدة الإسلامية نتيجة ضعف الخلافة العباسية وظهور زعامـــات طامعة فى الحكم فى أنحاء العالم العربى ، وبصفة خاصة بعد أن تعرضت بغداد للتدمير المغولى الشامل فى منتصـــف القـــرن الثالث عشر الميلادى . لمزيد من المعلومات راجع رافت غنيمى الشيخ (دكتور) : فى تاريخ العرب الحديث ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص٣٢ .

١ - جـــلال يـــحيى (دكتور) : العالم العربى الحديث والمعاصر ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية ، ١٩٩٨ ، جـــ١ ، ص٣١

٢ - عبد الكريم رافق (دكتور) : بحوث فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى لبلاد الشام فى العصر الحديث ، دمشق ، ١٩٨٥ ، ص

٣ - عبد العزيز الشناوى (دكتور) : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، جـــ٢ ، ص ٧٣٦

٤ - فيليب حتى (دكتور) : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمه كمال اليازجي ، بيروت ، ١٩٥٩ ، جـــ٢ ، ص٣٠٧.

٥ - احمد عزت عبد الكريم (دكتور) : التقسيم الادارى لسورية فى العهد العثمانى ، حوليات كلية الاداب جامعة عين شمس ، المجلد الأول ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ١٤٢

وشهدت بلاد الشام تحت الحكم العثماني استقرارا سياسيا ، كما ازدهرت اقتصاديـ واتسع نطاق عمليات التصدير والاستيراد بين الشام واوربا ، فكانت الشام تصدر لاوربـ فائض إنتاجها من القطن والحرير والحبوب والمنسوجات الحريريـة والقطنيـة والتبـغ . وقامت بولايات الشام المختلفة قنصليات لدول أوربية ، وأصبحت حلب منذ منتصف القرن السابع عشر السوق الرئيسة للشرق الأدنى ، فى الوقت الذى ظلت فيه دمشق حتى اوائـل القرن الثامن عشر مركزا فكريا ، حيث شهدت الحياة الثقافية فى بلاد الشام تحت الحكم العثمانى إنتاج العديد من المؤلفات فى التاريخ والجغرافية وعلوم اللغة والأدب ، والعلـوم والرياضيات[٢] .

واتسمت بلاد الشام بوجود حشد كبير من مختلف الطوائـف والمذاهـب : فمـن المسلمين يوجد بها : السنة والدروز والنصيرية والمتاولة الإسماعيلية [٣]، ويوجد بها مـن الطوائف المسيحية : الموارنة والسريان واللاتين والكاثوليك ، هذا بالإضافة إلى اليـهود[٤]. وكان رعايا الدولة العثمانية من غير المسلمين يخضعون لنظام خاص أطلق عليـه اسـم "نظام الملل" وهو نظام يرعى شئونهم الدينية ، ويفصل فى قضاياهم الشخصية ، ولم تكـن الدولة بموجب هذا النظام تتدخل فى أى شأن من شئونهم ، وكانت تعتبر الرؤساء الدينييـن لكل طائفة غير مسلمة مسئولين عن شئون تلك الطائفة [٥]. وبذلك فقـد سـاوت الدولـة العثمانية فى المعاملة بين رجال الدين من المسـيحيين والمسـلمين ، وضمنـت لرؤسـاء الطوائف المسيحية فى بلاد الشام قدرا كبيرا من الاحـترام وأنعمـت عليـهم بالأوسـمة والألقاب ، كما سمحت لهم بإعادة بناء وتجديد كنائسـهم علـى أن تكـون الأرض ملكـا للطائفة، وأن لا يكون للطوائف الأخرى علاقة بها [٦].

وقد استمرت علاقة الدولة العثمانية بالطوائف فى بلاد الشام مستقرة حتى القـرن التاسع عشر ، فبدأت أمور هذه الطوائف وعلاقاتها بالدولة العثمانية فـى التغـير نتيجـة للتدخل الأوربى وبداية ظهور الأطماع الاستعمارية فى بلاد الشام ، فعملت كل دولة علـى أن تتخذ طائفة ترتكز عليها مصالحها ، وتطلعت هذه الطوائف هى الأخرى لأوربا رغبـة فى تدخلها لنيل المزيد من الامتيازات ، كما تدخل القناصل الأجانب فـى شـئون الشـام تدعيما لنفوذ بلادهم [٧] ، كما ساعد حكم محمد على للشام ١٨٣١-١٨٤٠م ، على ازديـاد

---

١ - أحمد عزت عبد الكريم (دكتور) : التقسيم الإدارى لسورية فى العهد العثمانى ، حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس ، المجلد الأول ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ١٤٢ .

٢ - عبد العزيز الشناوى : مرجع سابق ، جـ٢ ، ص ٧٤٨-٧٤٩.

٣ - عبد العزيز عوض : الإدارة العثمانية فى ولاية سورية ١٨٦٤-١٩١٤م ، دار المعارف ، القاهرة ، ص٢٨٨.

٤ - عبد الكريم غرايبة : سورية فى القرن التاسع عشر ١٨٤٠-١٨٧٦ ، معهد الدراسـات العربيـة ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص . ص ١١٥ ، ١١٨ .

٥ - زياد أبو غنيمة : جوانب مضيئة فى تاريخ العثمانيين الأتراك ، دار الفرقـان ، عمـان ، ١٩٨٣ ، ص٨٥ .

٦ - عبد العزيز عوض : مرجع سابق ، ص٣١٣.

٧ - عمر عبد العزيز عمر : تاريخ المشرق العربى ١٥١٦-١٩٢٢ ، دار النهضة العربية ، بـيروت ، ١٩٨٥ ، ص ٣٥٧-٣٥٨.

حـــدة الصراعات الطائفية داخل بلاد الشام ، هذا في الوقت الذى عملت إرساليات التبشير الاجنـــبية[١] في بلاد الشام على ضرب علاقة هذه الطوائف بالدولة العثمانية[٢] . وقد أدت هذه العوامل إلى اشتعال الصراع بين الطوائف خصوصا الدروز والموارنة ، وحدثت عدة مذابح كان أخطرها مذبحة ١٨٦٠م[٣] . وبعدما اصبح هناك نظام جديد لجبل لبنان ، حيث أصـــبح متصـــرفية يـــتولاها متصرف مسيحيى تعينه الدولة العثمانية بعد موافقة الدول الأوربيـــة الكـــبرى لمـــدة خمس سنوات قابلة للتجديد ، ويتصل بالباب العالى رأسا دون وســـاطة أو تدخـــل الباشوات العثمانيين الآخرين[٤]. ونتج عن هذه المذبحة أيضا تشكيل إدارى جديد للولايات فى الشام فأصبح هناك ولاية الشام أو دمشق وولاية حلب، واختفت ولاية صيدا[٥] .

وبذلك نجم عن مذبحة ١٨٦٠م وعن النظام الإدارى الذى تبعها مزيد من التدخل الأوربى فى بـــلاد الشـــام ، وأصـــبح هذا التدخل بمثابة صك دولى متفق عليه بين أوربا والـــباب العالى ، وموضوع تحت ضمانة أوربا الجماعية ، وبذلك يكون التدخل الاوربى سابقة بالغة الأهمية فى تاريخ الشام لأنه انتقل من حيز النصح والترغيب إلى حيز الفعل والتطبيق العملى[٦] .

ونـــتيجة لانتشار الفكر القومى والعلمانى داخل الدولة العثمانية بعد ازدهار حركة الترجمة خاصة من الفكر الفرنسى إلى اللغة التركية خلال القرن التاسع عشر ؛ ازدهرت بعـــض الجمعيـــات الـــتى تناهض السلطان العثمانى مثل جمعية "تركيا الفتاة" ، وجمعية

---

١ – كانت إرساليات التنصير الأوربية قد بدأت تعمل فى بلاد الشام منذ أوائل القرن السابع عشر ، ولكن عمـــلها ظـــل مقصـــورا على النشاط بين الأوساط المسيحية ، وكانت كاثوليكية فى غالبيتها ، كما حـــاولت خدمة العرب الذين يرتبطون بالكنيسة الرومانية . وقد اقتصرت مجهوداتها على نشر عدد مـــن كـــتب العـــبادات ، وحصـــرت مجهودها على الطوائف المسيحية ، كما نشرت كتبها باللغات الأوربية ، ولم تكن تجسر على العمل بين أوساط المسلمين ؛ نظرا لقوة الدولة العثمانية التى وقفت بقوة ضد ذلك . راجع جلال يحيى : مرجع سابق ، جـــ١ ، ص١٨١.

٢ – عبد الكريم رافق : العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦ ، دار أطلس ، دمشق ، ١٩٧٤ ، ص٤١١ .

٣ – مذابـــح ١٨٦٠م : بـــدأت هـــذه الحركة فى الأساس فى شكل تمرد قام به الفلاحون ضد الزعماء الإقطـــاعيين ، فبدأت فى منطقة كسروان ضد الإقطاعيين الموارنة من آل الخازن ، وقد أثار نجاح الفلاحين فى كسروان آمال الفلاحين فى المناطق الدرزية فى الجنوب ، ولكن الفلاحين فى الجنوب كـــانوا بكثرتهم من الدروز ، فترددوا فى الثورة على زعمائهم من الدروز ، فى حين أن الفلاحين الموارنـــة لـــم يـــترددوا فى الثورة على أولئك الزعماء الإقطاعيين الدروز ، وهكذا تحول النزاع الفلاحى إلى حرب طائفية نتيجة لدعم الفلاحين الدروز للإقطاعيين الدروز فى حربهم ضد الفلاحين الموارنـــة الـــثائرين . ومما تجدر ملاحظته أن الزعماء الإقطاعيين فى الجنوب استغلوا الخلافات المذهبية وأثاروا الطائفية فى محاولة منهم لتدعيم مركزهم الإقطاعى وزعامتهم الفردية ، ونتج عن هذه النزاعات عدة مذابح أدت إلى تدخل الدول الأوربية . راجع عبد الكريم رافق : مرجع سابق ، ص ٤٢٢-٤٢٣.

٤ – أحمد عزت عبد الكريم : مرجع سابق ، ص١٨١ .

٥ – عبد العزيز عوض : مرجع سابق ، ص٦٩ .

٦ – عمر عبد العزيز : مرجع سابق ، ص٣٨١.

"الاتحاد والترقى" (*) التى نجحت فى خلع السلطان عبد الحميد الثانى عام ١٩٠٨م وتعيين أخيه السلطان محمد رشاد ، بينما كان الاتحاديون مسيطرين على الحكم فى تركيا بزعامة أنور باشا [١] . وقد مارس الاتحاديون سياسة استبدادية ، كان من أولى ثمارها إعلان سياسة التتريك ، فقد تبنوا الدعوة الطورانية ، وهى على نقيض الفكرة العثمانية التى تهدف إلى توحيد القوميات المختلفة فى الدولة العثمانية فى دولة واحدة على أساس المساواة ، كما أن الاتحاديون تراجعوا عن وعودهم التى سبق وقدموها للعرب مثل جعل اللغة العربية لغة التعليم ، كما مارسوا ضغوطا شديدة على العرب فى بلاد الشام[٢] . ومن هنا فقد ارتبطت سياسة البطش والتتريك التى مارسها الاتحاديون بأذهان الشوام .

حكم محمد على للشام ١٨٣١-١٨٤٠م :

للشام وضعه الخاص وإغراؤه الملح الذى مضى يراود محمد على بين الحين والآخر ، فمنذ عام ١٨١٠ وهو يصوب نظره إلى تلك المنطقة ويخطط للاستيلاء عليها ، وفى أثناء حربه فى الجزيرة العربية أوضح محمد على أنه فى حاجة إلى استراتجيتها لتعينه على الانتصار ، كما أنه بعد الانتهاء من حرب المورة طلب من السلطان ولاية صيدا كمكافأة له ولكن السلطان اكتفى بأن أسند له حكم كريت ، ومضت نزعة الحصول على الشام تلاحقه ، والسلطان يصر على عدم تحقيق هذه الأمنية لمحمد على[٣] .

عقد محمد على النية على الاستيلاء على الشام بالقوة ، مستغلا خلافا وقع بينه وبين عبد الله باشا حاكم عكا ، وأعدت لذلك حملة عسكرية وفقا للنظام الحديث فى نوفمبر ١٨٣١م ، وكانت بقيادة إبراهيم باشا ومعه عدد من كبار القادة العسكريين ، ونجح الجيش

---

* الاتحاد والترقى : كانت جمعية الاتحاد والترقى منظمة سرية أنشاها بعض أعضاء جمعية "تركيا الفتاة" واستقر بها الحال فى مدينة سالونيك ، وضمت الجمعية أخلاطا من شتى العناصر ذات جنسيات مختلفة وديانات متعددة ، وكانت تضم أعدادا كبيرة من اليهود ، وعملت على عزل السلطان عبد الحميد الثانى عام ١٩٠٨ وتولية أخيه محمد رشاد ، وبذلك خلا الجو لأعضاء الاتحاد والترقى الذين حولوا جمعيتهم إلى حزب سياسى علنى فى أبريل ١٩٠٩ ، وانفردوا بالسلطة فى الدولة العثمانية . ومنذ ذلك الوقت أصبحت الدولة العثمانية قومية تركية بعد أن كانت عثمانية إسلامية ، وأصبح الحكم قوميا ، وأصبح هناك صراع بين القوميات داخل الدولة العثمانية ، وخصوصا القوميتين العربية والطورانية ، وكانت هذه الجمعية مسئولة عن إفساد العلاقة بين الشام والدولة العثمانية بسبب ما فعله رجالها فى الشام من مآس ، وإعدام كثير من القادة العرب ، حيث كانت جماعة الاتحاد والترقى تمثل اتجاها مناهضا لفكرة الجامعة الإسلامية . لمزيد من المعلومات راجع : اسماعيل أحمد ياغى (دكتور) ، ومحمود شاكر : العالم الإسلامى الحديث والمعاصر ، مكتبة العكبيات ، الرياض ، ١٩٨٠ ، جـ١ ، ص٢٠٣ . وانظر أيضا : ماجدة مخلوف (دكتور) : الخلافة فى خطاب اتاتورك ، مركز بحوث أسيا ، الزقازيق ، ٢٠٠١ ، ص٢٠ . وعبد العزيز الشناوى : مرجع سابق ، جـ٢ ، ص١٠٠٦.

١ - نفسه ، ص ٤٤٧.

٢ - عبد الكريم رافق : مرجع سابق ، ص٥٣٦-٥٤٣.

٣ - لطيفة محمد سالم (دكتور) : الحكم المصرى فى الشام ١٨٣١-١٨٤١م ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ط٢ ، ص١٨ .

لمصـــرى فى تحقيق سلسلة من الانتصارات التى انتهت بفرض سيطرته على كامل بلاد لشام[١] .

بدأ "إبراهيم باشا" توجيه الإدارة فى الشام وجهة علمانية ، فبدأ فى إعلان المساواة ين كافة الطوائف فى بلاد الشام ، وشارك النصارى فى الحكم ، حيث ألف فى كل مدينة ـزيد عـدد سكانها على عشرين ألف نسمة مجلسا يسمى "ديوان المشورة" يتراوح عدد عضـائه مـا بين ١٢ إلى ٢١ عضوا للنظر فى مصالح كل بلدة ، ومطلوبات الميرى ، الفصل فى الدعاوى ، وكان ديوان بيروت يتألف من ١٢ عضوا منهم ستة من المسلمين ستة من المسيحيين[٢].

وقـد عمـلت "الإدارة المصرية" فى الشام على التقرب من النصارى واليهود ، ألغت كافة العوائد والمرتبات التى كانت مفروضة على الأديرة والمعابد ، ودفع تعويض مسـتحقيها مـن الخزانة ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل سمح إبراهيم باشا بإعادة بناء كـنائس والمعابد وتقديم التسهيلات لهم[٣] . وأعلن مبدأ المواطنة كبديل للدولة الدينية ، قـال : "إن النصـارى واليهـود رعيـة سـعادة أفندينا وواجب لهم الصيانة والحماية الـرعاية"[٤]. وبذلـك شهدت الشام ميلاد المساواة بين كافة الطوائف الدينية فى البلاد ، هو كسب جديد لصالح الدولة المدنية التى عملت إدارة محمد على على قيامها .

وأدى إعلان المساواة بالمفهوم الغربى إلى غضب المسلمين ، لأنهم لم يقبلوا هذا وضـع فذهب عدد من علمائهم إلى إبراهيم باشا يشكون له هذا الوضع ، وأن ما يفعله نصارى خروج على عهد الذمة ، ولكن إبراهيم باشا سخر منهم ، بل وحضر احتفالات نصارى[٥].

وقد نتج عن هذه المساواة اشتداد النزاع الطائفى فى الشام بسبب استخدام إبراهيم اشا لجنود مسيحيين ضد الدروز ، وعندما عاد الملتزمون الدروز الذين ثاروا على إدارة حمـد على وجدوا الموارنة قد سيطروا على كثير من مناطقهم ، وازدادوا تنظيما تحت ارة رجال الكنيسة المارونية ، وبذلك سادت الفوضى والاضطرابات بلاد الشام[٦] .

فى تلك الأثناء عمل "محمد على" على كسب ود الدول الأوربية للوقوف إلى جانبه ى تمـرده ضد السلطان العثمانى وسعيه لبسط نفوذه على الشام ، ومن هنا فقد منح لهذه ـدول كثيرا من التسهيلات . واعتمادا على الترحيب والتسهيلات التى قدمتها الإدارة المصرية

- مؤلف مجهول : تاريخ حوادث الشام ولبنان أو تاريخ ميخائيل الدمشقى ، تحقيق أحمد غسان سبانو ، دار قتيبة ، دمشق ، ١٨٨٢م ، ط٢ ، ص ١٤٨-١٥٢.
- عمر عبد العزيز : مرجع سابق ، ص٣٤٩ .
- دار الوثائق : محافظ الأبحاث ، محفظة رقم ٧٤ ، وثيقة رقم ١٣٩. وانظر أيضا محفظة رقم ٨١ ، وثيقة رقم ٢٧١ .
- نفـس المصـدر : محفظة رقم ٧٠ ، جرنال ديوان محروسة دمشق ، جلسة يوم الاثنين ٢٢ ربيع الثانى ١٢٤٨ هـ /٢٠ سبتمبر ١٨٣٢م .
- حسين مؤنس (دكتور) : الشرق الإسلامى فى العصر الحديث ، مطبعة حجازى ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ط٢ ، ص٢٧٥ .
- عبد الكريم رافق : مرجع سابق ، ص ٤١١ .

في الشام للقناصل ، نجد أن هؤلاء قد استغلوا الموقف لمصلحتهم ، وكان القناصل عموما بمـا فيهـم قنصل أمريكا أداة فعالة لحماية الإرساليات التبشيرية التابعة لدولهم فى الوقت الذى تدخلوا فيه لحماية من نجحت هذه الإرساليات فى جذبه لمذهبهم الدينى(١) .

وبذلـك فقد بدأ النشاط التبشيرى الأمريكى الفعلى فى أثناء الحكم المصري الذى أعـلن عـلمانية الحكـم ، وذلك بالاستفادة من الامتيازات التى منحتها إدارة محمد على للأجـانب كسـبا لود دولهم . وهنا يمكننا أن نؤرخ بدايات الوجود الأجنبى والتغلغل فى المجالات الاقتصادية والثقافية فى بلاد الشام (٢) . فقد ظهر الحكم المصري على أنه يحمل عوامـل تسـاعد الارساليات التبشيرية ، فأخذ الكاثوليك فى فتح كليتهم الخاصة فى عين طورة ، وبدأ الأمريكيون فى نقل مطبعتهم من مالطة إلى بيروت ، وأنشأوا المدارس لنشر التعليم التبشيرى(٣) .

ونجحـت الدولة العثمانية متحالفة مع الدول الأوربية فى إخراج الجيش المصري من الشام ، بعد حصار للسواحل ، وبصفة خاصة بيروت ، مما اضطر قوات إبراهيم باشا إلى الانسحاب من الشام ، وبذلك عاد الحكم العثمانى إلى الشام مرة أخرى(٤) .

ورغـم انسـحاب القوات المصرية من الشام ؛ إلا أن التدخل الأوربى قد ازداد ؛ بسـبب ازدياد المنافسة بين هذه الدول التى وجدت فى النزاعات الطائفية - التى تأججت نارها تحت حكم محمد على - مجالا للتدخل فدعمت كل دولة طائفة معينة (٥) .

يتضـح ممـا سبق أن حكم محمد على هو المسئول عن زيادة النزاعات الطائفية وبالـتالى زيادة التدخل الأجنبى ومن ثم التبشير ، بسبب ما أعلنه من علمانية الحكم لأول مرة فى بلاد الشام .

الشام فى فترة التنظيمات العثمانية :

عانت الدولة العثمانية منذ النصف الثانى من القرن الثامن عشر من الضعف ، فقد كـانت أوربـا بدولها المختلفة تقف فى وجه الدولة العثمانية وتحرص على إخراجها من أوربـا الشـرقية واقـتطاع أجزائها ، وقد اتحدت كلمة دول أوربا على هذا الهدف رغم التنافس الشديد والاختلافات القوية فيما بينها.

وبـدأ سلاطين الدولة العثمانية فى الإصلاح ، فى محاولة للنهوض والوقوف فى وجه هذا التيار الأوربى الجارف ، وقد مر الاصلاح بمرحلتين خلال القرن التاسع عشر :

---

١ - دار الوثائق : محافظ الأبحاث ، محفظة رقم ٧٥ ، وثيقة رقم ٧٧ . وانظر أيضا محفظة رقم ٧٦ ، وثيقة رقم ٢٢٣ .

٢ - جلال يحيى (دكتور) : مرجع سابق ، جـ١ ص١٨١ .

٣ - نفسه ص ١٨٣ .

٤ - لطيفة محمد سالم : مرجع سابق ، ص ٣٠٨-٣٠٩ . وانظر أيضا : مؤلف مجهول : مصدر سابق، ص ١٥٠ .

٥ - عبد الكريم رافق : مرجع سابق ، ص ٤٢٠ . وعمر عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٣٥٧ .

المرحلة الأولى : وقد بدأت على يد السلطان سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧م) ، والذى قام بمحاولات للاصلاح اهمها انشاء وحدات عسكرية جديدة فيما عرف بالنظام الجديد ، ولكنه فشل نتيجة نوقوف الانكشارية والعلماء فى وجهه ، وتمكنوا من الإطاحة به فى عام ١٨٠٧م.

المرحلة الثانية : وقد بدأت على يد السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦١م) فيما عرف بالتنظيمات الخيرية ، حيث أصدر "خط شريف كلخانة" عام ١٨٣٩م ، وخط شريف همايون فى عام ١٨٥٦م . وقد اقترنت هذه التنظيمات بأسماء الوزراء الذين تعلموا فى الغرب وعادوا محملين بثقافة غربية لاسيما الأفكار المادية والعلمانية والقومية ، ومن هؤلاء رشيد باشا ، وعالى باشا ، وفؤاد باشا ، ومدحت باشا.

جدير بالذكر أن هذين المرسومين - كلخانة وهمايون - أعلنا تحت ضغط الدول الأوربية ، ورغبة من الدولة العثمانية فى كسب مساندة هذه الدول لها فى حربها ضد محمد على لإخراجه من الشام ، وهو ما حدث عام ١٨٤٠م ، وكذلك كسب مساندة هذه الدول لها فى حربها ضد روسيا فى حرب القرم ١٨٥٤م . كما مثل الوزراء الذين تعلموا فى الغرب وآمنوا بالأفكار الجديدة قوة ضغط على السلطان لإعلان المرسومين .

وأهم ما نص عليه مرسوم كلخانة ١٨٣٩م احترام الحريات العامة ، ومساواة الجميع أمام القانون بغض النظر عن الدين ، ونص على أحقية غير المسلمين فى ترميم كنائسهم ومعابدهم ومقابرهم حسب هيئتها الأصلية ، وإجراء الحريات الدينية كاملة ، وحذف كل الألفاظ والتمييزات التى كانت تستخدم فى الكتابات الرسمية وتميز صنف على صنف آخر من الناس لاختلاف دينهم [١] .

أما خط شريف همايون والذى أعلن فى عام ١٨٥٦م - قبل مؤتمر باريس الذى عقد فى ٢٥ فبراير ١٨٥٦م - فقد جاءت مواده لتؤكد على المساواة التى أعلنها خط كلخانة ١٨٣٩م ، بالإضافة إلى تأكيد حق الدولة فى تجنيد المسيحيين للخدمة العسكرية ، مع تخويلهم الحق فى دفع البدل النقدى للإعفاء من هذه الخدمة إذا أرادوا ، كذلك - بمقتضى مواد هذا المرسوم - لم يعد ممكنا إجبار المسلمين الذين يعتنقون النصرانية على الارتداد عنها [٢] . وبذلك بدأت علمانية القوانين فى الدولة العثمانية وهو ما هيأ جوا مثاليا لعمل الإرساليات التبشيرية فى بلاد الشام .

كان من نتائج هذين الخطين فى بلاد الشام - حيث التعدد الطائفى والدينى - أن ازداد ترابط الطوائف المسيحية ، فبالرغم من أن الدولة قد كفلت لنفسها ولاء البطاركة ، وذلك بإسقاط أسماء المرشحين الذين يشك الباب العالى فى ولائهم من قائمة الانتخاب ، إلا أنها تركت جميع القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية لأبناء الطائفة فى أيدى رؤسائهم

١- محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية . دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص٢٥٤-٢٥٦ . حيث أورد نصوص المرسوم كاملة

٢-نفسه ، ص ٢٥٨ . وانظر أيضا عبد العزيز الشناوى : مرجع سابق ، جـ١ ، ص٩٦ .

الـــروحانيين ومجالســـهم الملية ، وكذلك جميع الأمور المتعلقة بأملاك الأديرة والكنائس وشئون المدارس والمؤسسات الخيرية الخاصة بالطائفة [١].

أما المسلمون فقد قابلوا المرسومين بعدم الرضى لأنهما عملا على مساواتهم بأهل الذمـــة ، وكـــانوا ينظرون إلى ذلك بامتعاض شديد [*] خصوصا بعد أن ركب أهل الذمة الخيل وتركوا ما كان يفرضه عليهم عهد الذمة[٢] . ورصد القناصل فى بلاد الشام – فى خطاباتهم إلى حكوماتهم – هذا الموقف ، حيث ذكروا أن المسلمين أحزنتهم تلك المساواة وأنهـا كانت سببا فى حالة الهياج التى أصابت بلاد الشام ، واعتقد المسلمون أن الحكومة العـثمانية جارت عليهم بتلك الامتيازات التى أسبغتها على غير المسلمين ، ونظر بعض المسلمين إلى هذه الامتيازات بأنها ضد الشرع ولذلك فعليهم القيام ضد المسيحيين.

واعـــتقد المســـلمون أن خـــط شـــريف همايون ١٨٥٦م صدر بضغط من الدول الأوربية لذلك أخرجوا فى دمشق خمسة "كلاب" ، وعلى كل كلب منها اسم ملك من ملوك أوربـــا الموقعيـــن على اتفاقية باريس [٣] . أما المسيحيون فقد زاد نفوذهم ، وتطلعوا إلى الـــدول الأوربيـــة لتحميهم ، ولتتدخل لدى السلطان ليحصلوا على مزيد من الامتيازات ، ونـــتيجة لهذا التدخل الاوربى فقد هدفت كثير من الطوائف المسيحية فى الشام إلى إعلان الاستقلال عن الحكم العثمانى ؛ وهو ما أدى إلى مزيد من التوتر داخل بلاد الشام[٤] .

وخلاصـــة القـــول أن هذه التنظيمات قد مثلت بداية الإعلان عن علمانية قوانين الدولة العثمانية ، وخروجها عن قوانين وعهود أهل الذمة التى جرى العمل بها منذ نشأتها وحتى إعلان المساواة بين كافة الطوائف بغض النظر عن المذهب الدينى .

كما مثلت هذه التنظيمات وما جاء فيها من نصوص بيئة مثالية لعمل المبشرين فى الإرساليات المختلفة داخل بلاد الشام ، حيث وفرت لهم الحماية اللازمة .

كمـــا زادت الامتيازات الجديدة من حالة الغليان بين الطوائف فى بلاد الشام ، فقد رأى المســـلمون أنهـــا تنقص من حقوقهم ، وأنها خروج على عهد أهل الذمة ، فى حين تطـــلع المســـيحيون إلى نيـــل المزيد ، وأصبحت أنظارهم متجهة صوب أوربا اكثر من اتجاهم صوب الدولة العثمانية .

---

١ – عمر عبد العزيز : مرجع سابق ، ص٢٧٩ .

* حـــذر مترنيخ Metternich المستشار النمساوى العثمانيين من الخطر الكامن وراء استعارة أساليب الحضارة الغربية لأنها تتعارض مع الحضارة الإسلامية العثمانية ، وطالب العثمانيين بأن يتمسكوا بطابعهم الإسلامى فى الشرق ، هذا فى الوقت الذى أيدت فيه إنجلترا وفرنسا هذه التنظيمات ؛ لأن إدخال النظم الأوربية إلى الإدارات العثمانية سيفتح أمامهم مجالا اقتصاديا وسياسيا وتبشيريا واسعا داخل أرجاء الدولة العثمانية . راجع عمر عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٢٧٦ .

٢ – عبد الكريم غرايبة : مرجع سابق ، ص ٢٨–٢٩ .

٣ – رسالة من شارل أوبانل ، وردت فى فيليب وفريد الخازن : مجموعة المحررات السياسية، جنوبة، لبنان، ١٩١٠، جـ٢ ، ص ٢٠٧ .

٤ – عبد الكريم غرايبة : مرجع سابق ، ص٣١ .

ثانيًا: التبشير : المعنى ، الدافع ، الهدف

أ ـ المعنى :

كـلمة التبشـير فى اللغة من البشرى، والبشارة مصدر لفعل:بشر، أبشـر، بشراى، بشر أى أخبر خبراً يؤثر فى البشرة، وهو يكون بالفرح كما يكون بالحزن[١] إلا أن استعماله الأكثر فى الفرح كما فى قوله تعالى{**وبشر الذيـن آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذى رزقنا من قبل**} [٢] وقد يستعمل فى الحزن كما فى قوله تعالى:{**ويل لكل أفاك أثيم * يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم**} [٣].

أمـا المعنى الاصطلاحى للكلمة، فيقصد به الإشارة لمحاولات الدول الغربية نشر المسيحية بين الأمم الأخرى، سواء مسلمين أو يهود أو أصحاب الديانـات الأخـرى، وحـتى بين المخالفين لهم فى المذهب من أتباع الديانة المسيحية نفسها[*].

ويرى المسلمون أن كلمة التبشير التى يطلقها المبشرون على نشاطهم تجافى الحقيقة تماما، ذلك لأنه نشاط يستهدف تحويل الفرد عن عقيدته الدينية للنصرانية، ودعوة من لا عقيدة له لكى يصبح نصرانيا، فضلاً عن أن جزءًا من هذا النشاط موجه للمسيحيين،أضف لذلك فإن كلمة التبشير استخدمت إبان

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت،١٩٧٩،مادة بشر .

(٢) سورة البقرة، آية ٢٥ .

(٣) سورة الجاثية، آية ٧/٨ .

(*) يـرفض بعض الباحثين المسلمين استخدام كلمة التبشير بين المسلمين، اعتمادا على قولهم إن النصوص القرآنية هى الفيصل فى هذه المسألة، ويورد بعض الآيات مثل قولـه تعـالى ﴿**يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعياً إلى الله بإذنه وسـراجاً منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً**﴾ الأحزاب ٤٥ : ٤٧، وغيـرها مـن الآيـات – راجع خالد نعيم (دكتور): الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية فى مصر، مكتبة المختار الإسلامى، القاهرة، ١٩٨٨،ص١٣ .

عهد المسيح حين قدموا الإنجيل للأمم الوثنية قبل الإسلام[١]، لـــذا لا يجــوز استخدامها بعد ظهور الإسلام [*].

ظهــور التبشيـــــر :

كان للإخفاق الذى منيت به الحملات الصليبية فى الوصـــول لغايتـــها، أثره فى انعدام الدوافع التى يمكن أن تحرك المسيحيين الأوربيين للالتحاق بمثل هذه الحروب، مما أدى إلى نمو الفكرة التى نبتت إبان الحـــروب الصليبيـــة، وهى استمالة المسلمين واجتذابهم إلى المســيحية بطــرق سـلمية ووُدّيـــة[٢] واستفاد التبشير فى نشأته من الاستشراق الذى نشأ لمقاومة الامتداد والتوســع الإسلامى الذى سيطر على إسبانيا[٣] وكان لتولى الراهب الفرنسى "جربــرت" Gerbert منصب البابوية باسم "سلفستر الثانى عـــام ٩٩٩م عـــاملا قويـــا لدراسة اللغة العربية وترجمة القرآن[٤] لذا فعندما بدأت الإرساليات التبشـيرية فى ممارسة عملها بين المسلمين، أقبل المبشرون على الاستشراق لينهلوا مــن علومه حتى يتسنى لهم فهم الإسلام والمسلمين[٥]. وكـــان المشـــرق العربـــى هدف الإرساليات التبشيرية لأنه؛ مهد المسيح من جهة، وللثأر مـــن الإســـلام

---

(١) كرم شلبى (دكتور): الاذاعات التنصيرية الموجهة إلى المســـلمين العـــرب، مكتبـــة التراث الإسلامى، القاهرة، د/ت،ص١٨ . انظر أيضا: على أبو جريشة: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٨٦،ص٢٧ .

(*) ويمكن الرد على الرأى السابق بأن أصحاب هذه الإرساليات يتعـــاملون مـــع كـــل الخارجين عن المسيحية كصنف واحد، يستوى فيه الجميع، وهم يختارون من الألفاظ ما يناسبهم هم لا ما يناسب الأخر، وعلى هذا فلا داعى لمثل هذه المناقشات حول اللفـــظ، لأنه لن يفيد كثيرا حتى لو استبدل بلفظ "التنصير" طالما أن الهدف فى النهاية واحد.

(٢) ليلى الصباغ (دكتورة): الجاليات الأوربية فى بلاد الشام فى العـــهد العثمـــانى فـــى القرنين ١٦،١٧، مؤسسة الرســـالة، بـــيروت، ١٩٨٩، ص٧٧١ .انظــر أيضـــا: عبدالودود شلبى(دكتور): أفيقوا أيها المسلمون،الدار السعودية، جدة، ١٩٨١، ص١٧

(٣) أنور الجندى: الفكر العربى المعاصر فى معركة التغريب والتبعية الثقافيـــة، مطبعـــة الرسالة، القاهرة، د/ ت، ص٢٧٢ .

(٤) محمد بديع شريف (دكتور): اليقظة الفكرية السياسية فى القرن التاسع عشر، منشـــور ضمن كتاب "دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة، جامعة الدول العربيـــة، القاهرة، ١٩٥٨،ص٦٧ وما بعدها.

(٥) محمد البهى (دكتور): الفكر الإسلامى وصلته بالاستعمار الغربـــى، مكتبـــة وهبـــة، القاهرة، ١٩٨١، جـــ١،ص٤٣٠ .

الــذى أمكــنه أن يبسط جناحيه على أراض شاسعة فى العالم، وخاصة بيت المقدس منذ زمن الفتوحات الأولى[١].

ب – دوافع التبشير :

هــناك عوامــل متعددة كانت وراء ازدياد حركة التبشير فى العالم العربى، خصوصاً فى القرن التاسع عشر لعل أهمها.

١- الدافـــع الدينـــى :

وردت الإشــارة واضحة فى الأناجيل لمعتنقيها للانطلاق لكل أنحاء العالم لأجل نشر العقيدة المسيحية مثل "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس. وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وهــا أنــا معكــم كل الأيام إلى انقضاء الدهر"[٢] وكذلك "اذهبوا إلى العالم وأكــرزوا[*] بــالإنجيل للخليقة كلها، فمن آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يــدن"[٣] وعــلى أساس هذه الدعوة الواضحة خرجت الجماعات التنصيرية للتبشير بالديانة المسيحية، وهم يرون أن مهمة التبشير مهمة مسيحية أصلاً، غايــتها عــرض الإيمــان المســيحى على من لم يعرفه بقصد اجتذابه إلى المســيحية بفعل الروح القدس[٤]، ويرى هؤلاء أن المسيح عليه السلام أسس الكنيســة لغايــة التبشير، على أساس أنه كان مرسل من السماء، وأرسل هو الرسل للعالم لنشر رسالته وإقامة الكنائس.

أمــا القــس صــموئيل زويمر- وهو من أعمدة التبشير فى العصر الحديــث- فقد أوضح المقاصد الحقيقية لتبشير المسلمين فى "أن الله لم يقصد أن يقاســم المســيح أحد فى ملكوته، بل قصد أن تكون مملكة المسيح بدون حدود، وأن تكون حروبه خالية من شروط الحياد عند أية أمة، وهناك مواعيد كــتابية بــنجاح هذه المشروعات التبشيرية، كذلك فالله يحب العالم الإسلامى لأنــه لا يزال بعيداً عنه، فتحن أحشاؤه الأبوية على حالتهم المستحقة لرأفته

---

(١) محمد الهادى: أحمد فارس الشدياق ١٨٠١ : ١٨٨٧م دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٨٩، جـ١،ص٣١.

(٢) إنجيل متى إصحاح٢٠،١٩،١٨.

(*) أكرزوا: انصحوا.

(٣) إنجيل مرقس – الإصحاح، ١٦.

(٤) القس بورتر: الصلاة من أجل المرسلين فى الوطن وفى الخارج، النشرة الأسبوعية، بيروت، الاثنين ٩ شباط ١٨٨٥، العدد ٦،ص٤١.

وشفقته"[١] أما عن أسباب عودة العمل التبشيرى فى القرن التاسع عشر بعد ما أصابه الركود، فبسبب تلك اليقظة الدينية التى عمت إنجلترا منذ أواخر القرن الثامن عشر، وما قابلها من يقظة دينية مقابلة لها فى الولايات المتحدة التى تمثلت فيما يسمى بـ "روح إنجلترا الجديدة" لذا فقد ظهرت العديد من الجمعيات التى كرست نفسها لحمل الإنجيل لجميع البشر[٢]. وعلى هذا كانت الروح الدينية بمثابة عامل الشحن الذى دفعهم لتكوين الإرساليات للتبشير بها، إيمانا بما جاء فى الكتاب المقدس، إلى أن انضمت العديد من العوامل الأخرى، وربما يفسر لنا هذا السبب أن موجة الإرساليات الأولى بدأت أهلية وبعيدا عن الحكومات.

٢- الدافع السياسى والاقتصادى :

استغل التبشير استغلالا حرّفه عن وجهته الأساسية، حتى أصبح وسيلة للاستعمار يستغله لفرض سيطرته إن كانت معدومة، ودوامها إن كانت موجودة، واستقرارها إن كانت مهتزة[٣] من هذا المنطلق أصبح التعاون وثيقا بين التبشير والاستعمار، ولم يكن ذلك وليد القرن التاسع عشر فقط، بل منذ قبل ذلك بقرون، عندما قام المبشرون بأعمال سياسية تخدم مصالح المسيحية الأوربية وأطماعها فى الشرق، فهم بذلك أصابع لبلادهم وعيون لحكوماتهم[٤] وعلى هذا فقد التقت مصلحة المبشرين مع أهداف الاستعمار، فاعتمد عليهم بعد أن أقنع المبشرون زعماء الاستعمار بأن المسيحية ستكون قاعدة للاستعمار الغربى فى الشرق وبذلك أسبغ عليهم حمايته[٥]. وعلى هذا الأساس ففى القرن التاسع عشر ازدادت المطامع السياسية والاقتصادية فى

---

(١) صموئيل زويمر (دكتور): طريق المحبين إلى قلوب المسلمين، طبع على نفقة اللجنة التبشيرية للإرسالية الأمريكية، القاهرة، د/ت،ص٩ وما بعدها.

(٢) نبيه أمين فارس: أميركا والنهضة العربية الحديثة، مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية، بيروت، سبتمبر ١٩٥٨،ص ٣٨١ .

(٣) أحمد شوكت الشطبى (دكتور): زبدة ماقيل فى المئة سنة الأخيرة عن التراث العربى، ضمن كتاب نشاط العرب العلمى فى مائة سنة، إشراف هيئة الدراسات العربية، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٦٣، ص٣٠١ .

(٤) مصطفى الخالدى (دكتور): وعمر فروخ (دكتور): التبشير والاستعمار فى البلاد العربية، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٥٣،ص١٥ . انظر أيضا: ليلى الصباغ: مرجع سابق، ص٧٧٤ .

(٥) إبراهيم خليل أحمد: المستشرقون والمبشرون فى العالم العربى والاسلامى، مكتبة الوعى العربى، القاهرة، ١٩٦٤، ص٤٢ .

ممتلكات "الدولة العثمانية" ومن المحتمل جدا أن يكون لهذا العامل علاقة باختيار هذه المنطقة للتبشير فيها[١]، وهو ما أدى بعد ذلك للتفكير في نوع من الدمج والتوحيد بين الأنشطة السياسية والاقتصادية والدينية، بحيث يصبح التنصير في خدمة الاقتصاد والسياسة في آن واحد[٢].

وبذلك فقد كان التبشير هو المقدمة للغزو الاستعماري للعالم العربي، وبعد أن كانت الإرساليات التبشيرية في مرحلتها الأولى أهلية وبعيدة تماما عن الحكومة، التقت المصلحة بينهما في المرحلة الثانية، فقد اعتمد الاستعمار على المبشرين الذين أمدوه بالمعلومات والطرق التي يستطيع أن يفرض من خلالها سيطرته على البلاد العربية، وبالتالي قدم لهم الاستعمار المقابل لهذه الخدمة وهو أن أسبغ عليهم حمايته فأصبحوا يعملون في أمان.

٣- الدافع الحضاري :

الصراع الحضاري بين الشرق والغرب مستمر ولم يهدأ، وإن اتخذ أشكال مختلفة، فتارة يأخذ شكل الحروب والحملات المسلحة مثل الحروب الصليبية، وتارة يبعد عن الشكل العسكري متخذا وسائل أخرى مثل الاستشراق والتبشير ثم الاستعمار.

والعامل الحضاري وأن كان أضعف العوامل جميعا في توجيه حركة التبشير إلا أنه لا يمكن تجاهله، فقد هدف التبشير لإظهار أصحابه في ثوب الأبرار حماة الحضارة والعلم، وذلك حتى يتمكنوا من الوصول لقلوب العرب والمسلمين[٣] وهذا ما دعاه الاستعمار بمهمة الرجل الأبيض في تحضير غير البيض، وهو تبرير ضعيف لم يقم عليه دليل.

ووجدت الإرسالية اليسوعية للعمل في بلاد الشام منذ القرن السابع عشر ولكن نشاطها كان ضعيفا، وتوقف في نهايات القرن الثامن عشر حتى استأنف مرة أخرى في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، وهو نفس الوقت الذي مارست فيه الإرسالية الأمريكية نشاطها الواسع في الشام، فوجدت نظرية تضع حركة التبشير الأمريكي في الإطار التاريخي المتعلق بالصراع الديني والحضاري بين الشرق والغرب، على اعتبار أن الولايات المتحدة قد ورثت من بين ما ورثت من مقومات ثقافتها الفكر الديني الأوربي، ومن ثم

---

(١) نبيه أمين فارس: مرجع سابق، ص٣٨٢ .

(٢) محمد البهي: مرجع سابق، ص٤٢٥ .انظر أيضا: كرم شلبي: مرجع سابق، ص١٩

(٣) أنور الجندي: مرجع سابق، ص٢٩٠ .

فقـد جـاءت حـركة التبشير الأمريكي في العالم الإسلامي محاولة أمريكية لوراثـة الدور الأوربي التقليدي في المنطقة[١] وعمل التبشير الأمريكي في الشـرق على التمهيد للنفوذ السياسي والاقتصادي الأمريكي في هذه الجهات في مقـابل حصـول الكنيسـة الأمـريكـية عـلى مركز ديني في العالم الإسـلامي، حـتى تـتمكن – من خلاله – من منافسة الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية[٢].

جـ – أهـداف التبشيـر :

كـانت هذه هي الدوافع وراء القيام بعمليات التبشير الأمريكي في بلاد الشـام، وهي في الحقيقة وراء عمل الإرساليات الأخرى في العالم الإسلامي خصوصـاً وبقية أنحاء العالم عموماً،أما عن الأهداف فيمكن استخلاصها في الآتي:

١- تحويـل المسلمين إلى المسيحية البروتستانتية، وكذلك كل المخالفين لهم في المذهب، وعندما أدركت الإرسالية الأمريكية صعوبة تحويل المسلم للمسيحية عملت على التركيز على الطوائف المسيحية المختلفة معهم في المذهب.
٢-العمـل على نشر التعليم الغربي والأفكار الغربية بين المسلمين بعيداً عن صبغتها الدينية، لربط المسلمين بالفكر الغربي وجعلهم يدورون في الفلك الغربي.
٣-حاولت الإرسالية الأمريكية الحصول على مكان مناسب للكنيسة الأمريكية في الشـرق، وخاصة أنه لا يوجد لها أي قواعد من قبل، وهذه المكانة هي الـتي ستكسـب الأمـريكيين أنصـاراً وأتباعاً فهي مقدمة للغزو الاسـتعماري الأمـريكي في العالم العربي كله. وبذلك يصدق القول أن المبشر هو كتيبة الغزو الأولى التي تسبق الاستعمار.

---

(١) محمد فؤاد محمد خليل: التبشير الأمريكي في منطقة الخليج العربي ١٨٩٠: ١٩٦٢. رسالة دكتوراة غير منشورة، آداب عين شمس. ١٩٩٦،ص١١ .

(٢)George Lenczowski: United States interests in the Middle East. American Enterprises Mstitute For public policy research, Washington, 1968, p83.

٤-كانت الإرسالية تعمل على عودة اليهود "شعب الله المختار" إلى(*) أرضه الموعودة "فلسطين" وذلك تمهيدا لعودة المسيح للأرض فى نهاية الألفية وذلك تبعا لعقائدهم الدينية، وبالفعل بدأت الإرسالية الأمريكية فى إقناع اليهود بذلك، وبدأوا فى محاولة تنفيذ ذلك الهدف، وبالفعل كان البروتستانت الأمريكيون أسبق من اليهود أنفسهم، فى الإيمان بهذا الهدف ومحاولة تنفيذه.

(*) أن الدعم الاستشراقى لليهود قد بدأ مبكرا من خلال تلك المساهمات التلقائية التى خدمت التوجهات اليهودية الصهيونية نتيجة الاهتمام الأوربى بالدراسات اليهودية فقد أتاحت حركة الإصلاح الدينى البروتستانتى فى القرن السادس عشر الفرصة لنهوض اليهودية القومية من خلال التغيرات اللاهوتية التى جاءت بها وأبرزها الترويج لفكرة التفضيل الخاصة بالشعب اليهودى، والتأكيد على ضرورة العودة اليهودية إلى فلسطين، وكذلك توجيه الاهتمام إلى اللغة العبرية باعتبارها لغة مقدسة، وساعد ذلك على إيجاد تربة ملائمة لفهم الصهيونية الدينية، وساهم أدب الرحلات الأوربية فى تقديم صورة كاملة عن فلسطين، ويمكن القول بأن ازدهار الحياة الدينية والثقافية فى المجال اليهودى- العبرى بالإضافة لازدهار النشاط الاستشراقى المرتبط بها يشكلان معا إرهاصة من إرهاصات استفادة المشروع الصهيونى من الاستشراق الأوربى عموما، وبعد ذلك ورثت أمريكا هذا الدور.

- ريجينا الشريف: الصهيونية غير اليهودية جذورها فى التاريخ الغربى، ترجمة أحمد عبدالله عبدالعزيز، عالم المعرفة، الكويت، رقم ٩٦، ديسمبر ١٩٨٥،ص٣٠٠



الفصل الأول

أوضاع الطوائف الدينية فى بلاد الشام

فى القرن التاسع عشر



تتسم مجتمعات العصور الوسطى الأوربية والشرقية على حد سواء بالطائفية سواء فى ذلك طوائف الحرف والتى كانت تجمع فى داخلها الحرفيين من أبناء الطائفة الواحدة مهما اختلفت أديانهم، وأيضاً وجدت الطائفية الدينية التى تجمع أبناء المذهب الواحد مهما اختلفت أعراقهم الجنسية، وبظهور الدول الحديثة فى أوربا القرن الخامس عشر اختفت الطوائف الحرفية، وهو ما تأخر فى العالم العربى للقرن التاسع عشر، ولكن بقيت الطوائف الدينية لأنه من العسير ذوبانها، واتسم مجتمع الشام فى القرن التاسع عشر بالطائفية الدينية.

تنفرد بلاد الشام بسمة لا تشاركها فيها بقية بلاد العالم قاطبة إلا وهى وجود طوائف دينية لا يوجد لها شبيها فى العالم إلا إذا كانت خارجة من بلاد الشام فى الأساس، وهذا التركيب الطائفى المعقد ساعد على وجود العديد من المشكلات التى لا تزال أصداؤها مستمرة حتى الوقت الحاضر، كما كانت الطائفية مغنما للعديد من الدول التى تدخلت بصور وأشكال مختلفة إما لمساندة طائفة ضد أخرى أو بحجة حل الأزمة بين الطوائف، وأدى هذا بدوره لتعقيد المشكلة الطائفية، حتى أنها أصبحت المحرك الأساسى للمشكلات فى هذه المنطقة.

وينبغى الإشارة إلى أن معظم الطوائف الموجودة فى بلاد الشام دخل عليها العديد من الأفكار التى ربما تكون مستمدة من ديانات أخرى أو من عقائد أسطورية مرتبطة بالبيئة الموجودة فيها، مما جعل عوامل تحللها الفكرى مجتمعة داخلها، وساعد هذا بدوره الإرساليات التبشيرية فى القيام بما جاءت من أجله حيث استغلت هذه الإرساليات المتناقضات الموجودة بين الطوائف لمصلحتها ولبذر بذور التعصب بينها فى نفس الوقت الذى استغلت فيه هذه الإرساليات نقاط الضعف الموجودة داخل الفكر السائد لدى هذه الطوائف لتوجيهها للوجهة التى تريدها وكانت المحصلة النهائية تكريس الفكر الطائفى فى الشام، لذا اصطبغ تاريخه بالصبغة الطائفية.

من هنا ينبغى أن نشير فى شئ من الإيجاز لهذه الطوائف حتى نرى البيئة التى عملت فيها الإرسالية الأمريكية موضوع البحث وللدلالة على مدى ملاءمة الظروف المختلفة لها.

أولاً : المسلمـــون :

أ-السنـــــة :

كان طبيعيا فى أعقاب الحروب الصليبية أن يرتفع شأن المسلمين من أهل السنة لأنهم كانوا الأداة الرئيسية فى الجهاد ضد الحملات الصليبية، وقد عمد الحكام المماليك لنقل أسر سنية لسواحل الشام حتى تتولى حمايتها من أى

عـدوان جديد، ولتكون قوة رادعة لأى تحرك مسيحى من الداخل لذا ما زال معظم السنيين مقيمين فى المدن الساحلية[١].

وفى العصـر العـثمانى شكل المسلمون السنيون من عرب وأكراد وأتـراك وتـركمان أكـثرية بسيطة فى الشام، وانتمى أكثر العرب السنيين لمذهـب الإمام "الشافعى" بينما اتبع الأتراك والأكراد والتركمان مذهب "أبى حـنيفة الـذى أتبعه أيضاً بعض الأعيان العرب تقرباً من السلطات العثمانية التى جعلته المذهب الرسمى للبلاد[٢].

وتوزع المسلمون السنيون فى مختلف الأماكن فى الشام، فكان منهم عدداً يتركز فى أطراف البلاد الشرقية على حدود فلسطين من ناحية الشمال، وكـان عددهم قليلاً فى جبل عامل[٣] أما لواء دمشق فقد توزع السنيون فى جميع مدنه وقراه وشكلوا نحو ثلاثة أرباع المجموع الكلى للسكان[٤] وتركز المسلمون السنة فى لبنان فى مدن بيروت وطرابلس وصيدا وبعلبك، أما فى الريف فانتشروا فى عكار والبقاع[٥].
ولم تكن طائفة أهل السنة بعيدة عن مظالم الولاة العثمانيين فقد كان يقع عليها نفس ما يقع على غيرها من الطوائف من مظالم، فعلى سبيل المثال فى عهد يوسف باشا الكردى ١٨١٨م أمر أهل السنة بإطلاق لحاهم ومن خالف هـذا الأمـر جزاؤه الإعدام كما حتم عليهم أن يكحلوا عيونهم بكحل أسود[٦] وهو أمر غير مفهوم أن كان للتمييز أو تشدداً فى التمسك بالسنة النبوية.

---

(١) عـبدالعزيز نـوار (دكتور): الحرب الأهلية وأبعادها الطائفية، مجلة السياسة الدولية، العدد (٤٣)، القاهرة، يناير ١٩٧٦، ص٨ .
(٢) عـبدالكريم غرايبة (دكتور): سوريا فى القرن التاسع عشر، ١٨٤٠ :١٨٧٦، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٢، ص١١٠ .
(٣) تيسير خليل الزواهرة (دكتور): تاريخ الحياة الاجتماعية فى لواء دمشق ١٨٤٠ -١٨٦٤-، جامعة مؤتة، الأردن، ١٩٩٥، ص١٦ .
(٤) سوسن سليم (دكتورة): الجذور التاريخية للأزمة اللبنانية، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٥، ص١٠٢ .
(٥) أحمـد سـيد أحمد عمر: الطائفية وعدم الاستقرار السياسى فى لبنان، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التجارة أسيوط، ١٩٩٣، ص٨٩ .
(٦) ميخائيل مشاقة (دكتور): منتخبات من الجواب على اقتراح الأحباب، تحقيق أسـد رسـتم، (دكـتور) وصبحى أبو شقرا، وزارة التربية الوطنية اللبنانية، بيروت، ١٩٥٥، ص٤١ .

وبالرغم من أن أهل السنة مثلوا العمود الفقرى للنظـــام العثمـــانى إلا أنهم كانوا أكثر الطوائف الشامية تعرضاً للظلم، وذلك لأن السلطات العثمانيـــة كانت ترضخ لضغوط الدول الأوربية المختلفة فى الدفاع عن الطوائف التابعة لها، مثلما حدث فى عام ١٨٦١م عندما أصبح المتصرف العثمانى فى لبنـــان مسيحيا وله نائبان أحدهما من الـــدروز والآخــر مــن الموارنـــة لرعايـــة الطائفتين[١] هذا بينما لم يكن لأهل السنة نائب عنهم بالرغم مــن أن نســبتهم العددية تفوق الدروز، ويبدو أن الأمر هنا راجع للعلاقات بـــالقوى الأجنبيـــة المتحكمة أكثر من نسبتهم.

وقدر عدد المسلمون السنيون فى عام ١٨٧٤م بـــ ٨٠٠,٠٠ نســـمة، بينما قدروا فى أخر القرن بمليون نسمة عشرهم مـــن العشـــائر البدويـــة[٢] وللأسف فإننا لا نمتلك نسب حقيقية لتعداد السكان حتى يمكننا معرفـــة نســـبة المسلمين السنيين ونسبة بقية الطوائف.

أما عن العشائر البدوية فيمكننا القول أن تطبيق الدين عندهم ليس لـــه اهتمام كبير، ولكن يسهل إقناعهم بالدين لأن تدينـــهم فطـــرى ولـــهم إيمـــان بالمعتقدات الأسطورية والأولياء، وإذا ما صلى البدوى فقد يقول كلاماً ليـــس من القرآن ولا من السنة مثل "يا رب فرشت عباتي أقبل صلاتى" والبدو إمـــا حنابلة أو مالكية لاختلاطهم بعشائر نجد والحجاز[٣].

ومن خلال استقراء المصادر المختلفة لتلك الفترة[٤] نلاحظ أن أهـــل "السنة" مثلوا عنصر الاعتدال الوحيد بين الطوائف الشامية[*]، وكـــانوا هـــم الطائفة الوحيدة التى ظلت على ولائها للدولة العثمانية باعتبارها دولة إســـلامية

---

(١)سوسن سليم: مرجع سابق، ص١٠٣ .
(٢)عبدالكريم غرايبة: مرجع سابق، ص١١٠ .
(٣)تيسير خليل الزواهرة: مرجع سابق، ص١٦ .
(٤) أحمد عزت عبدالكريم : (دكتور): مرجع سابق، ص ١٦٧ .
- عبدالكريم غرايبة: مرجع سابق، ص١١٢ وما بعدها.
- سوسن سليم إسماعيل: مرجع سابق، ص١٠٣ وما بعدها.
(*) وجد فى بلاد الشام بعض الطوائف الانعزالية مثل النصيرية كما سنرى فيمـــا بعد. ووجد بعض الطوائف التى طالبت بالتدخل الأجنبى مثل الموارنة، هذا فى الوقت الذى ربط الدروز والروم الأرثوذكس مصالحهم بمصالح دول أجنبيـــة هى إنجلترا وروسيا.

سنية، وكان ظاهر العمر(**) هو الوحيد من بين الطائفة السنية الذى قام بحركة مناوئة للدولة العثمانية فى القرون الثلاثة الأولى [١٦، ١٧، ١٨] للحكم العثمانى فى الشام.

ويعيب السنيون أنهم كانوا أقل الطوائف الشامية حتى من الشيعة والدروز قدرة على الاتصال بالمدنية الغربية، فقد سيطرت عليهم روح الشك فى الغرب وربما كان ذلك من أن الاتجاهات السياسية والثقافية داخل طائفة أهل السنة كانت تختلف من منطقة لأخرى، وذلك تبعاً لتشعب الثقافة وروافدها من منطقة لأخرى، مما صعب إيجاد اتجاه سياسى واحد للرابطة بينهم بعكس الطوائف الأخرى.

ب- المتاولــة :

ينتمى المسلمون الشيعة فى الشام للمذهب الاثنى عشرى، وهم من حيث العدد بين الطوائف الإسلامية يلون السنة، ويلاحظ أنهم عاشوا منعزلين عما حولهم من الطوائف فى أغلب الأحايين، وأطلق على هذه الطائفة لقب المتاولة(*).

(**) ظاهر العمر: بنى ظاهر العمر مجده وقوته المرهوبة الجانب فى فلسطين، وبفضل مساعدة أولاد السبعة حصل على السلطة والسيادة على أغلب أجزاء فلسطين وفى عام ١٧٦٨م كان قد حصل من استانبول على لقب "شيخ عكا "وأمير الأمراء" وسيطر على ميناء عكا، كما تحالف مع العديد من أعداء الدولة العثمانية مثل على بك مما عرضه لنقمتها، ذلك أن طرد على بك من مصر عرضه لنقمة السلطان وقاد مباشرة إلى هزيمته وموته عام ١٧٧٥م بعد عامين من موت على بك. راجع دانيال كريسليوس: (دكتور) جذور مصر الحديثة، ترجمة وتعليق عبدالوهاب بكر، (دكتور) مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٥، ص١٨٢،ص١٨٣ .

(*) المتاولة : أول مرة أطلق لفظ المتاولة على الشيعة فى الشام كان فى أواخر القرن السابع عشر، حيث كانت الفوضى ضاربة فى بلاد الشام، وكان كل فريق يعتمد على قوته. بحيث انتشرت الحماسة الوطنية فكان أبناء هذه البلاد يلقبون أنفسهم بنى متوال، وهذا اللقب" متاولة جمع متوال" قد يكون مشتقا من توالى أى من تابعهم واسترسالهم خلفا عن سلف فى موالاة آل البيت، ويلاحظ أن هذا اللقب لم ينتشر إلا بين الذين خاضوا غمار الحروب فى ذلك العصر مثل سكان بلاد بشارة وبعلبك وكسروان، أما الذين لم يندمجوا فى هذا السلك مثل سكان دمشق وحلب فلم يطلق عليهم لفظ متاولة. راجع أحمد رضا: المتاولة أو الشيعة فى جبل عامل، مجلة المقتطف، القاهرة، مايو ١٩١٠م، مجلد ٣٦، ص٤٢٥، ص٤٢٩ .

وبدأت أهمية المتاولة خلال القرن السابع عشر، وسكنوا فى جنوبى لبنان فيما يعرف بجبل عامل(*) وكان لهذا الموقع أثره فى حياة هذا الشعب السياسية والاقتصادية والاجتماعية فموقع جبل عامل كحلقة وصل بين جبل الدروز وفلسطين وسوريا جعله يتأثر لحد كبير بتقلبات موازين القوى المجاورة له(١) أما عن أعدادهم فقد قدرهم "الياس مطر" بـ١٢٥ ألف عام ١٨٧٢م بينما قدرهم همسلى فى عام ١٩١٤م بما يتراوح بين ٨٠,٠٠٠ : ١٠٠,٠٠٠ نسمة(٢) ولا يتوافر لنا إحصائيات عن العدد الكلى للسكان حتى يمكننا قياس نسبة المتاولة للعدد الإجمالى للسكان.

وعاش المتاولة(**) فى بلاد الشام متأخرين ولا يملكون إلا القليل من الأرض، وكانت علاقاتهم مع جيرانهم تتراوح بين الخوف والكبت والتحالف

(*)جبل عامل: هو اسم لمقاطعة من الأرض جنوبى الشام، ويسمى جبل الجليل، ويعرف بالبشارتين، ولا تزال القطعة الجنوبية منه تعرف ببلاد بشارة، ويطلق على ما كان منه بين النهرين (الليطانى والزهرانى) بلاد الشقيف، وعلى ما وراءهما من جهة الشمال إقليم التفاح والشومر، والريحان، والخروب، وهو الموطن الأصلى لطائفة المتاولة لمزيد من المعلومات راجع:

- محمد تقى الفقيه: جبل عامل فى التاريخ، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٦، ط٢، ص٣٤ .

(١)حسين سليمان: لبنان فى فترة الصراع الداخلى ١٧٣٥ : ١٧٩٠، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب القاهرة، ١٩٧٨، ص١٥٥ .

(٢)إلياس ديب مطر: العقود الدرية فى تاريخ المملكة السورية، مطبعة المعارف، بيروت، ١٨٧٤،ص٢٠ انظر أيضا: ستفين هامسلى لونغريغ: سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى، ترجمة بيار عقل، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧٨، ص١٦ .

(**)يذكر المتاولة عن أنفسهم أنهم أقدم فرقة شيعية ظهرت فى العالم الإسلامى بعد الحجاز وذلك منذ خلافة "عثمان بن عفان" حيث يزعمون أن أبى ذر خلال إقامته فى الشام عمل على الدعوة لآل البيت، وهم هذه الفرقة التى استجابت له، ولكن إذا جاز لنا أن نعتبر النظريات السبئية أصلاً للمذهب الشيعى فإنه لا يجوز القول بأن الشيعة نشئوا منذ ذلك الوقت بوصفهم فرقة مستقلة ذات وجود وكيان، لأن نظريات ابن سبأ لم تمثل فى أول الأمر اتجاهاً جماعياً معلناً بل اعتنقها قلة من الأفراد لاذوا بالتستر والتخفى، ومن هنا نرى خطأ ما يذكر من أن التشيع فى الشام بدأ بدعوة أبى ذر الغفارى - لمزيد من المعلومات راجع محمد الأنور السنهوتى: (دكتور) مذاهب الفرق الكلامية، دار الثقافة العربية، القاهرة، د/ت،ص٤٦ .

القصـــير الأجـــل ولكن حس العصبية عندهم كان قوياً للغاية[١] فقد عاشو فى تشـــكيل أقرب للشكل العشائرى العربى التقليدى، وأن استطاعت أسرة حمادة فى القرن السابع عشر أن تمد سيطرتها من البقاع لمنطقة الموارنة الجبلية[٢].

وأدرك المـــتاولة مـــنذ النصف الثانى من القرن الثامن عشر ضعف الدولة العثمانية وضعف ولاتها لذا فقد عملوا على الاستفادة من ذلك الضعف بالـــتحالف مـــع أعـــداء الدولة والثائرين عليها مثل الشيخ ظاهر العمر فى فلسطين، والذى استفاد من التحالف معهم فى كافة الميادين[٣] فى نفس الوقت تقريـــباً ضغط ولاة دمشق على أمراء بعلبك من "آل حرفوش" المتاولة الذين غـــدوا فى حالة ثورة مستمرة، ورغم كل هذه الضغوط فقد نجح المتاولة فى الصمود أمام منافسيهم بزعامة "آل على الصغير" فى الجنوب، و"آل حرفوش" فى بعلـــبك طـــوال هـــذه الفترة[٤] واعتبرت الدولة العثمانية المتاولة رديفاً للصـــفويين لـــذا فقد عاملتهم كأعداء لها، ومع ذلك فقد تركت سطحية الحكم العـــثمانى للشـــيعة عموماً أمورهم فى أيديهم مما أدى لظهور زعامات قوية نســـبياً، مثل "آل حرفوش" فى بعلبك، أو آل نصار فى جبل عامل، ولكن هذه الـــزعامات كانت فى صراع فيما بينها، فى الوقت نفسه فقد تعرضوا لضغط الأسرة الشهابية التى كانت تسعى لفرض سيطرتها عليهم[٥].

وبذلـــك فقـــد كـــانت علاقتهم بالسلطة العثمانية مضطربة، وبالتالى أصبحت علاقتهم بوالى دمشق على نفس المستوى. مما مثل عامل شد وجذب بيـــن الطـــرفين، فقـــد حـــاول المتاولة فى فترات الضعف استغلال ذلك فى الحصـــول على أكبر قدر من المكاسب، أما عندما يتولى أحد الولاة الأقوياء فيحـــاول بســـط ســـلطة الحكومة عليهم بكافة الوسائل. وهم فى كل الأحوال محرومين من كافة الخدمات الحكومية.

---

(١) ستفين هامسلى: مرجع سابق، ص١٦ .

(٢) عبدالعزيز نوار: مرجع سابق، ص٩ .

(٣) حسين سليمان: مرجع سابق، ص١٦٠ .

(٤) سوسن سليم: مرجع سابق، ص١٠٣ .

(٥) عبدالعزيز نوار (دكتور): تطور لبنان السياسى والاجتماعى منذ أواخر القرن الثامن عشر حتى أواخر الحكم المصرى ١٨٤٠م، منشور ضمن كتاب الأزمة اللبنانية، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٨، ص١٠،ص١١ .

ومما يؤمن به المتاولة الرجوع لعلمائهم فى القضاء والافتاء، ويعتبرون ذلك جزءا من أحكام مذهبهم، سواء رضى الحكام بذلك أم لا، وهم يبتعدون عن علماء الدين الذين تختارهم السلطة للقيام بهذه الصلاحيات(١).

ولقد انتعشت الحالة الاقتصادية للمتاولة فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر وذلك لانتشار زراعة التبغ فى بلادهم، وأيضاً عمروا ميناء صور وجعلوه ميناء للتصدير لمصر، فى الوقت نفسه تميزت بلاد عاملة بأهميتها بالنسبة لتجارة فرنسا نظراً لمرور القوافل القادمة من بلاد الجليل وصفد وصيدا عبرا أراضيها(٢).

ومن خلال استقراء مصادر تلك الفترة(٣) يمكننا القول أن التعليم بين المتاولة كان متخلفا وقاصراً على بعض علومهم الدينية فقط، وهو ما أدى بالتالى لتخلفهم الفكرى ولانتشار الأساطير والجهل، مما مثل بيئة مناسبة لعمل الإرساليات بينهم، وخاصة الإرسالية الأمريكية التى استغلت هذا الوضع السئ لصالحها، فعملت على نشر التعليم عن طريق بناء المدارس والمستشفيات والمكتبات وغرف القراءة، ولعبت الإرسالية على وتر الخلاف المذهبى بين الشيعة وغيرهم من المذاهب الأخرى، لإشاعة العداء فيما بينهم واجتذا بهم بجانبها.

جـ- الإسماعيلية(*) :

إحدى الفرق التى انشقت عن الشيعة الاثنى عشرية، وهم وأن اتفقوا مع الشيعة على التسلسل التاريخى للأئمة الستة الأوائل(**) إلا أنهم اختلفوا حول

---

(١) محمد تقى الفقيه: مرجع سابق، ص٣٤ .

(٢) ميخائيل مشاقة: مرجع سابق، ص٢ .

-انظر أيضاً: حسين سليمان مرجع سابق، ص١٥٦ .

(٣) أحمد رضا: مرجع سابق، ص٤٢٧ : ٤٣٠ .

- ستيفن هامسلى لونغريغ : مرجع سابق، ص١٦ .

(*) عرفت الإسماعيلية بألقاب كثيرة فهم بالعراق يسمون القرامطة المزدكية، والباطنية، وهو أشهر ألقابهم، وذلك لقولهم بأن لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل، وفى خراسان يسمون "التعليمية" والملحدة ولكنهم يحبون لقب "الإسماعيلية" لأنه يميزهم عن بقية فرق الشيعة. راجع محمد الأنور السنهوتى، مرجع سابق، ص٨٦ .

(**) التاريخ يجهل تماما متى بدأت الدعوة لإمامة إسماعيل بن جعفر، و لم يعرف التاريخ شيئا اسمه فرقة الإسماعيلية حتى أواخر القرن الثالث الهجرى حين ظهرت حركة القرامطة فى البحرين والشام، فكان ظهورها ايذانا بظهور=

إمامه إسماعيل بن جعفر الصادق، وأبطلوا إمامه أخيه الأصغر موسى الذى اعترف به جزء كبير من الشيعة كإمام سابع[1].

والإسماعيلية من أقدم الطوائف الشيعية فى بلاد الشام ومركزهم الرئيسى هو "السلمية" فى شمال شرقى حمص[2] وشكلوا طائفة متوسطة العدد حيث بلغ عددهم ما بين ١٢,٠٠٠ و ١٥,٠٠٠ نسمة فى القرن التاسع عشر[3].

بدأ الإسماعيلية بداية عقائدية لا تختلف عن سائر فرق الشيعة الأخرى، ولكن المتأخرين منهم تأثروا بالفلسفات اليونانية والهندية، والفارسية والروحية والأخيرة تجعل للكواكب والحروف والأعداد تأثيرات على العالم الأرضى، وكتبهم مليئة بهذه الأشياء الدخيلة التى يمزجونها بالعقائد مزجا غريبا[4] وبعد تأسيس الدولة الفاطمية حدث أول نزاع داخلى كبير داخل المعتقدات الإسماعيلية ذلك أن احتياجات الفاطميين شملت بعض التعديلات فى العقيدة الإسماعيلية نفسها[5] من هذه الأمور "فكرتهم عن الإمام" فهم يغيرون ويبدلون

-الإسماعيلية على مسرح السياسة راجع محمد كامل حسين (دكتور): طائفة الإسماعيلية، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩،ص١٣ .

(1)B. Lewis; Ahistory Of the Trusads, Vol.1, Philadelphia. 1958. P. 101.

- انظر أيضا: نيفين عبدالمنعم مسعد (دكتور): الإقليات والاستقرار السياسى فى الوطن العربى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٨،ص٩٥ .

(2)Hourani Albert, Minorities in The A rab World. Oxford, University press, 1947, p8.

(٣) ستيفن هامسلى لونفريغ: مرجع سابق، ص١٧ .

(٤) أبو الوفا الغنيمي التفتازانى (دكتور): علم الكلام وبعض مشكلاته، القاهرة الحديثة، القاهرة، مايو ١٩٦٦،ص٩٠ .

(5)P. Lew is. Op. Cit, p 105.

فى المبادئ حسب أهوائهم(*) وأتباعهم يعتقدون أن لهم حرية التصرف فى أمور الدنيا والآخرة(١) فمن معتقداتهم أن الإمام هو الواحد الأحد الفرد الصمد(٢).

ولعل أكثر الآراء أثرا فى الإسماعيلية هذه الآراء التى فى كتب الآباء المسيحيين، ففى كتب الإسماعيلية التى ألفت فى الدور المغربى آراء هى من صميم العقيدة المسيحية، واعتراف دعاة الإسماعيلية بصلب المسيح هو تأثير قوى من تعاليم المسيحية، كما أنهم أولوا الكتب المقدسة بما فيها القرآن مثلما فعل القديس "أوجستين" عند تأويله الكتاب المقدس، وهم يتبعون نفس الترتيب الكنسى عند ترتيب دعاتهم(٣).

ولقد شابت الأسطورة هذه المعتقدات فعلى سبيل المثال نتيجة لإيمانهم بالرقم سبعة يرفضون ما أصبح من بديهيات العلوم الحديثة مثل الكواكب فهم يعتبروها سبعة فقط، كما أن هذه الفرقة يوجد فى داخلها العديد من الفرق التى تختلف حول تأويل الآيات القرآنية، كما يختلفون حول تفسيرهم لزعماؤهم وهل هم رسل أم ملائكة. وأدت هذه المعتقدات لوقوف أهل السنة منهم موقف العداء، وشاركهم فى ذلك بعض طوائف من الشيعة أنفسهم(٤).

فى الوقت نفسه عانى الإسماعيلية من عدم انتشار التعليم بينهم بالتالى مثلت هذه الأمور ثغرات نفذت منها الإرساليات، التى عملت على محاولة الربط بين المعتقدات الإسماعيلية وما يناسبهما من عناصر الديانة المسيحية،

(*) يعتقد الإسماعيلية أن الإلة هو العقل الكلى فى العالم العلوى ويقابله الإمام فى العالم الجسمانى، ومعنى ذلك أن الصفات والأسماء التى خلعت على العقل الكلى هى أيضا صفات وأسماء للإمام لأن الإمام مثل العقل الكلى، إذن فالإمام هو الواحد الأحد الفرد الصمد.

(١) سوسن سليم: مرجع سابق، ص١١٣ .
-انظر أيضا: رفيق التميمى ومحمد بهجت : ولاية بيروت القسم الشمالى، دار لحد خاطر، بيروت، ١٩٧٩،ص٥٨ .

(٢) سليم حسن هثى: (دكتور) : الإسماعيليون عبر التاريخ، بيروت/١٩٦٩، ص٤٤، والمؤلف كما هو واضح من كتابه إسماعيلى المذهب.
- محمد كامل حسين: مرجع سابق، ص١٥٧ .

(٣) محمد كامل حسين: نفسه، ص١٥٧ .

(٤) نيفين عبدالمنعم: مرجع سابق، ص٩٦ .

خصوصاً وأنه لم يكن هناك رباط فكرى قوى داخل هذه الطائفة، فكانت تحمل عوامل تحللها داخلها.

د- النصيريــة :

هم أحد الفرق الشيعية التى انبثقت عن الجسم الرئيسى للشيعة، وظهروا فى فترة الاضطرابات الفكرية التى أصابت العالم الإسلامى إبان القرن الثالث الهجرى، وهى اخر فرقة انشقت عن الجسم الرئيسى للشيعة.

وهم يذكرون عن أنفسهم أنهم قبائل عربية هاجرت لبلاد الشام على ست دفعات، وكانت هجرتهم الأولى كما يشيعون قبل المسيح عليه السلام، أما الأخيرة فكانت فى عام ١٥١٦م عند الفتح العثمانى للشام[١] ولكن لا يوجد أدلة على صدق هذا القول، ولكنه يدخل فى إطار الصراع بين الطوائف الشامية ومحاولة كل منها لأن تبرهن أنها صاحبة الحق الأصيل فى البلاد.

وهناك العديد من الاختلافات التى تحيط بهذه الفرقة ونشأتها ونسبتها، فيرى البعض أنها تصغير احتقارى لكلمة "نصرانى" أى مسيحى، بينما يرى آخرون أنها تحريف لكلمة "نازاريتى" اللاتينية التى تشير لإمارة صغيرة كانت موجودة فى سوريا زمن الحروب الصليبية[٢] ويرى أصحاب هذا الرأى أن النصيريين نتجوا عن اقتران الأهالى بالإفرنج وهم يستندون فى ذلك على وجود صفات جسمانية متشابهة بين الاثنين، ويقود هذا الرأى بعض مؤرخى الغرب[٣] وكون النصيرية جماعة ذات وعى ذاتى يسكنون فى جبال النصيرية[*]، ووجد بعضهم فى دمشق[٤].

---

(١) منير الشريف: المسلمون العلويون من هم؟ وأين هم؟ المطبعة العمومية، دمشق، ١٩٦٠،ط٢، ص١٠٦.

(٢) نيفين عبدالمنعم: مرجع سابق، ص١٠٦.

(٣) رفيق التميمى ومحمد بهجت: مرجع سابق، ص١٠٦.

(*)النصيرية على أرجح الأقوال تنسب لمحمد بن نصير وهو أحد وزراء معاوية بن أبى سفيان، وينسجون حوله الأساطير لدرجة أنه تنزل عليه الروح الأمين وبشرد بغلام وهو يبلغ من العمر ١١٥ عاماً. تقى الدين شرف: النصيرية دراسة تحليلية، بيروت، ١٩٨٣،ص٥١.

(٤) يعقوب الجريديني: النصيرية، مجلة الجنان، بيروت، ١٥ تشرين الأول ١٨٧٥م، ص٧٠٢ – انظر أيضاً: مجهول المؤلف: تاريخ تقسيم جبل لبنان وحالة الحكام وعوائدهم والمذاهب، دار الكتب المصرية، ١٦ تاريخ فاضل، ص٥٨.

وقدرت سالنامة ولاية بيروت عام ١٨٣١م عدد النصيريين فـي الشـام بـ١٣٠ ألف نسمة أى أقل من ٥% من السكان آنذاك[١] وهم بذلك أقل عـددا من الدروز وأكثر من الإسماعيلية.

ويكتنف الغموض عقيدة النصيرية؛ ومرد ذلك أنـهم لا يكتبـون عـن عقيدتهم، وإذا كتبوا فهم يستخدمون "التقية" المعروفة عن الشـيعة عمومـا، وعلى وجه العموم فقد ساعد الحكم المصرى فى الشام على خـروج بعـض كتبهم الدينية، ومن خلال ما كتب عن عقيدتهم يلاحظ أنها تمثل تنويعة فقهيـة خاصة بها يختلط فيها ما هو إسلامى بما هو مسيحى بما هـو مسـتمد مـن الوثنيات السابقة وخاصة الفينيقية.

ويوجد عندهم عقيدة التثليث "أي إيمانهم بثلاثـة آلهـة ويسـمون أول هؤلاء الآلهة: "المعنى" والثانى "الاسم" والثالث: "البـاب". ويسـتعين علمـاء النصيرية فى إثبات ذلك ببعض الأدلة والبراهين التى يتمسـك بـها علمـاء اللاهوت[٢].

وللنصيرية مصطلحات ورموز عقائدية خاصة بهم، وهم يؤمنون بـأن الغاية الرئيسية التى ترمى إليها هى أن لكل عمل وكل قول تأويلاً خاصـا لا يعرفه إلا المشايخ الذين تعلموه عن الأئمة، فـهم ينسـبون منـاقب خاصـة وصفات قدسية عالية على الإمام "على" ويستخدمون المعجزات كدليل تأليـه للأئمة[٣] ويقولون أن الله تعالى ظهر بصورة أشخاص، ولما لـم يكـن بعـد رسول الله صلـى الله عليـه وسـلم شـخص أفضـل مـن علـى وأولاده المخصوصين، فقد ظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم[٤].

---

(١) عبدالكريم غرايبة: مرجع سابق، ص١١٣ .

(٢) سعد الدين إبراهيم: (دكتور) الملل والنحل والإعراق، هموم الإقليات فى الوطن العربى، مركز ابن خلدون، القاهرة، ١٩٩٣،ص٨٢ .
- نيفين عبدالمنعم: مرجع سابق، ص١٠٩ .

(٣) مصطفى غالب: الحركات الباطنية فى الإسلام، دار الكاتب العربى، بـيروت، د/ت، ص٢٧٣. ويلاحظ هنا أن الكاتب شيعى، لذا فهو يميـل لطوائـف الشيعة وينقم على أهل السنة متهما إياهم بالعديد من الصفات السيئة ومجاملا للشيعة لأقصى حد لذا فرأيه هنا لا به تماما.

(٤) الشهرستانى: الملل والنحل، طبعة ليبزج، ١٩٢٣،ص١٤٣ .

ومن المبادئ الدينية التى يؤمن بها النصيرية فى عقيدتهم الدينية(*)، عقيدة الحلول والاتحاد والتأليه، وإسقاط التكاليف الدينية والتأويل الرمزى الباطنى، والتناسخ ونفى البعث والعقاب والثواب، وهم فى هذه التعاليم كثيرى الشبه بالمعتقدات المسيحية(١)، وهم لا يعلمون أبناءهم الذكور الدين إلا بعد أن يبلغوا التاسعة عشرة، ويقسم كل منهم اليمين بأنه لا يبوح به ولو أريق دمه، ويعتقدون أن المرأة إذا تعلمت الدين تصير أختا لزوجها فمن ثم تحرم عليه شرعا، لذا فهم يلعنون كل من علم امرأة دينا(٢).

ولقد ظل معظم الشيعة لوقت قريب ينكرون الاعتراف بالنصيرية كإحدى الفرق الإسلامية الشيعية المشروعة(٣)، وحاول علماء النصيرية بكل ما أوتوا من قوة إصدار العديد من البيانات والنداءات التى تقول بأنهم مسلمون مثل بقية المسلمين، وأنهم شيعة اثنى عشرية جعفرية، وأصدروا بيانا فى عام ١٩٣٦م ذكروا فيه أن كل علوى مسلم ويعتقد بالشهادتين، ويقيم أركان الإسلام الخمسة، وبعد ذلك أصدروا العديد من البيانات لتأكيد نفس المعنى(٤) وهذه الخلخلة الفكرية والدينية فتحت العديد من الثغرات التى نجح المبشرون فى النفاذ من خلالها للنصيرية والعمل بينهم.

(*) ومن جملة ما نسبه النصيرية للإمام على رضى الله عنه: إحياء الموتى، ورد الشمس وعلم الغيب، ويذكر أحد مؤلفيهم قوله "وجاء فى بعض كتبنا الإمامية المعتمدة على أن الإمام سلام الله عليه وسائر الأئمة لم يكونوا من سلالة أو نطفة كما فى القرآن الكريم، وفى حرب الجمل ورد أن الإمام على تشخص بتسعين ألف صورة فما من منهزم إلا ويقول على هزمنى وما من قتيل إلا ويقول على قتلنى ولا من أسير إلا ويقول على أسرنى. راجع منير الشريف: مرجع سابق، ص٣٣.

(١) تقى الدين شرف: مرجع سابق، ص١٢٨.
- انظر أيضا: مجهول: مرجع سابق، ص٥٩.
- سعد الدين إبراهيم: مرجع سابق،ص٨٢.

(٢) سوسن سليم: مرجع سابق، ص١١٢.
- انظر أيضا: يعقوب الجريديني : مرجع سابق، ص٧٠٣.

(٣) سعد الدين إبراهيم: مرجع سابق، ص٨٢.

(٤) الشريف عبدالله آل الفضل: تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، مطبعة الإرشاد، اللاذقية، ١٣٥٧هـ، ص١٢.

أما عن الأحوال السياسة للنصيرية فى القرن التاسع عشر، فقد ناصبوا الحكم المصرى العداء(*) وكانوا أول من أشهر العصيان عليه، وامتنعوا عن دفع الضرائب للحكومة المصرية فى الشام، لذا أرسل شريف باشا إليهم الجند لمحاربتهم، فاعتصموا بجبال اللاذقية، وهزموا الحملة فى البداية مما اضطر إبراهيم باشا لتوجيه حملة أخرى هزمتهم(١).

كما خرج من بينهم من تمرد على السلطة العثمانية، مثل "إسماعيل بك" الذى انتهز فرصة انشغال الحكومة العثمانية بحرب القرم، وأعلن استقلاله عن الدولة العثمانية عام ١٨٥٤م وسمى نفسه مشير الجبل، واتخذ من "صافيتا" مقراً له، وأخذ يمارس سلطاته بحرية تامة، حتى تمكنت الدولة من القضاء عليه عام ١٨٥٩م(٢).

وبذلك فقد أدت علاقتهم المضطربة بالسلطة من ناحية وبجيرانهم من ناحية أخرى، وإحساسهم بالضغط من الجميع، وتوجيه الاتهامات لهم من المحيطين بهم، لعزلتهم الفكرية وتمردهم على السلطة السياسية، كما يتضح لنا أن لديهم العديد من الأمور المتشابهة فى المعتقدات الدينية مع العقائد المسيحية وهى الثغرة التى نجح المبشرون فى النفاذ إليهم من خلالها.

هـ- الدروز(**):

نشأ(***) الدروز فى مصر، ومنها هاجر المذهب للشام، ربما لأن البيئة المصرية لا تسمح بنمو هذه المذاهب، بينما التربة فى الشام خصبة

(*) كان النصيرية يعتصمون دائماً فى جبال النصيرية وهى بلاد واسعة جيدة التربة تمتد من شمالى طرابلس إلى حدود الجبل الأقرع فى جنوبى السويدية، وأكثر أهل هذه المنطقة من النصيرية.

(١) تقى الدين شرف: مرجع سابق، ص٦٠ .
- انظر أيضا: ميخائيل مشاقة: مصدر سابق، ص١١٥ .

(٢) سوسن سليم: مرجع سابق، ص١١٢ .
- انظر أيضاً: عبدالكريم غرايبة: مرجع سابق، ص١١٣ .

(**)الدروز لا تعجبهم كلمة الدروز هذه فليست اسمالهم، بل أنها اسم شهرة لصق بهم منذ البداية، نتيجة للداعية نشتكين الدرزى، وهم كجماعة يحبون تسميتهم باسم الموحدين، أو بنى معروف التى أطلقها عليهم امامهم "حمزة بن على" والدروز لفظه فارسية معناها الخياط".
راجع عادل تقى الدين: فى تقديم كتاب الكابيتان بورون: الدروز، مطبعة القديس بولس، حريصا، لبنان، ١٩٣٤،ص٢٢ .
- انظر أيضا: جمال الألفى: الدروز. مجلة المصور، العدد ٣٠٧٥، القاهرة، ١١ سبتمبر ١٩٨٣، ص٢٤ .

(***)ظهر المذهب الدرزى فى وقت كان العالم الإسلامى يموج فيه بالعديد من الفرق الإسلامية الجديدة التى تأثرت بثقافات عديدة للشعوب الأخرى التى=

لمثل هذه الأفكار، والدروز لا يتحدثون عن عقائدهم التي لا يعرفها إلا كبار رجال الدين عندهم والذين يطلقون عليهم العُقّال. ولكن أثناء ثورتهم على الحكم المصرى عام ١٨٣٦ استولى الجند على العديد من كتبهم فانتشرت منها بعض الأسرار. كما أن الدروز نتيجة لأهميتهم فى بلاد الشام ظهرت بعض الدول التى تحاول نسبة أصولهم إليها- كما سنرى فيما بعد.

أصول الدروز :

حاول بعض المؤرخين الشوام مثل فليب حتى ومن خلفه بعض المستشرقين الغربيين القول بالأصل الفرنسى للدروز اعتماد على نسبتهم للكونت الفرنسى "دروكس" الذى لجأ مع فرسانه الصليبيين بعد معركة حطين

=انفتح عليها المسلمون نتيجة للاختلاط العرقى والثقافى، فى مثل هذا المناخ تولى الحاكم بأمر الله الفاطمى الحكم وهو يبلغ من العمر إحدى عشر سنة، وكان على قدر كبير من الغلو والتطرف فى شخصه، فأراد أن يجعل لنفسه جامعة سرية، فأمر الخطباء بأن يقرؤا بدل البسملة باسم الله الحاكم المحيى المميت"، وكان أحد أنصار الحاكم وهو حسن ابن حيذرة الفرغانى المعروف "بالأخرم" كان يرى أن المعبود هو الحاكم ودعا لأبطال النبوة واعتبر التنزيل بل والتأويل خرافات وقشور، أما محمد بن إسماعيل الطهرانى وهو الملقب بنشتكين الدرزى صنف كتابا ذكر فيه أن روح أدام انتقلت لعلى بن أبى طالب ومنه لإسلاف الحاكم حتى وصلت للحاكم بأمر الله. واضطر الحاكم أن يرسله سرا للشام. وعندما اختفى الحاكم بأمر الله فجأة فى ١٠٢١م اعتقد الدروز أنه غائب لم يمت ولذا فهم فى انتظار عودته كالمهدى المنتظر ومنذ هذا التاريخ أقفل باب الدعوة فى وجه طالبيها واكتفى بمن انضم إليهم وذلك خوفا من افتضاح أسرار الدعوة، ومنذ ذلك الوقت أصبح عددهم يتوقف على معدل الزيادة الطبيعية.

راجع لمزيد من المعلومات.

- حنا أبى راشد: جبل الدروز، مطبعة زيدان، القاهرة، ١٩٢٥،ص٦٣ .
- انظر أيضا: عبدالمنعم ماجد: الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٩،ص١٠٦ .
- هاشم دفتر دار مدنى ومحمد على الزغبى: الإسلام والمسيحية فى لبنان، دار الأنصاف، بيروت، ١٩٢٥،ص٦٣ .
- صالح زهر الدين: تاريخ المسلمين الموحدين الدروز، المركز العلمى للأبحاث والتوثيق، بيروت، ١٩٩٤، ط٢، ص٢٥ .

١١٨٧م لسفوح جبل الشيخ زاعمين أنـهم امـتزجوا مـع الـدروز هنـاك وناصروهم ضد العدو المشترك من الأعراب ويذكر هؤلاء أن دروكس هـى الترجمة العربية لكلمة الدروز[١]. ومن الفرنسيين من قال أن الدروز ينسبون إلى الغاليين فى أسيا الصغرى، وصاحب هذا الرأى يعتمد على أن الـدروز ذو بشرة صافية وعيون شهل، والشنب الأشقر الهابط والشعر النحاسى، لـذا يمكن أن يكون الدروز من الشعب الغالى نسبة لغاليا" التى كانت تشمل بـلاد فرنسا قديماً، ولجأوا للجبل بعد أن نزحوا عن أسيا الغربية بعد زحف الـبربر من الشرق[٢].

ودخل الإنجليز أيضاً هذا المجال فى القرن الثامن عشر بعـد ازديـاد مصالحهم فى بلاد الشام، واحتياجهم لطائفة يستندون عليها فى مواجهة فرنسا وطائفتها من الموارنة، لذا فقد ذكر بعض مؤرخيهم أن الدروز من أصـول إنجليزية من سلالة الجنود الإنجليز الذين صاحبوا الملك ريتشارد قلب الأسـد فى حروبه الصليبية فى بلاد الشام[٣].

ولكن سعى بريطانيا لإقامة حلقة وصل مع الدروز كانت أقل فعاليـة وتأثيراً على المدى الطويل[٤] والدروز يذكرون عن أنفسهم أنهم قبائل عربية يمنية تنسب"لتيم الله بن ثعلبة"، وأنهم أول من جاهد فى فتـوح الشـام فـى العصر الإسلامى، وانتشرت بينهم الدرزية[٥] وحقق بعض البـاحثين أصـل الدروز وذكروا بالفعل أنها تنتمى لتيم الله بن ثعلبة" وأنـهم هـاجروا فـى

---

(1)Hitti, Philip, Origins of the druze People and Religion, Columbia University Press, 1928, p62=

- =انظر أيضاً: حسن أمين البعينى : دروز سورية ولبنان فى عهد الانتـداب الفرنسى ١٩٢٠-١٩٤٣ – المركز العربى للأبحاث والتوثيـق، بـيروت، ١٩٩٣،ص٢٩.
- صالح زهر الدين: مرجع سابق، ص٧٦ .

(٢) الكابيتان بورون: الدروز، ترجمة عادل تقى الدين، مطبعة القديـس بولـس، حريصا، لبنان ١٩٣٤،ص٤٨ .

(٣) صالح زهر الدين: مرجع سابق، ص٧٧ .
- انظر أيضاً: جمال الألفى: مرجع سابق، ص٤٣ .

(4)Holt, p.M,. Egypt and the Ferital Crecent, London, 1979. Pp,237 : 238.

(٥) محمد كامل حسين: (دكتـور) طائفـة الـدروز تاريخـها وعقائدهـا، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢،ص١٠ .

الجاهلية من بيئة الجزيرة العربية للفرات ثم شاركوا فى فتوح الشام[١] وهذا هو الأرجح، حيث أن الخلاف حول أصل الدروز ما هو إلا خلاف لأجل مصالح سياسية بين الدول، واستخدم التاريخ فيه كعامل من عوامل الصراع بين هذه الأطراف المتصارعة.

عقائد الدروز :

انشق الدروز عن الجسم الرئيسى للشيعة الإسماعيلية، ولكنهم بعد ذلك كان لهم وقفة مع إمامه حاكم واحد، منادين به كالوحى الإلهى الأخير، ورافضين الاعتراف بخلفائه، ولبعض الوقت بعد اختفاء الحاكم بأمر الله احتفظ الدروز بعلاقات مع أفرع المجتمع الإسماعيلى ولكن لمدة صغيرة[٢] والدروز لا يفشون أسرار دياناتهم لذا فهم يحرصون على عدم مخالطة شبابهم للشباب من الديانات الأخرى، وكان من أهم أسباب تعنت الدروز وثورتهم على الحكم المصرى رفضهم لتجنيد أبناءهم فى الجندية، فقد خافوا على إضعاف دينهم السرى بمرور الزمن[٣].

وهم يعتقدون أن الإلة تجسد فى روح الحاكم بأمر الله ويبررون ذلك بأن الحاكم عندهم بشر فى الأعين المجردة، ولكن الاله المعبود اتخذ لنفسه صورة أشبه سماها الناس "الحاكم بأمر الله" الاله المعبود ليس من جنس الصورة التى اتخذها ولا هى شبيهه به، وهو يظهر فى الصورة الناسوتية مختلفاً عن الأخرى[٤] ويؤمن الدروز بالتناسخ[٥]، ويستخدمون فى التدليل على ذلك العديد من آيات القرآن، وأيضاً الإنجيل مثل "من ذلك الروح هو الذى يحيا أما الجسد فلا يفيد شيئاً وأيضاً "أن يوحنا المعمدان قام من الأموات والقرآن يقول "ومنها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم

---

(١) سوسن سليم: مرجع سابق، ص١٠٧ .
- انظر أيضا: اللطائف: الجزء التاسع، العام التاسع، القاهرة، ١٥ سبتمبر ١٨٩٦،ص٣٨٩ .

(2)B. Lewis, The Sources for the history of the Syrian the assassins Speculum. vol. Xxvl1, Taisahusehes, 1952, p.481.

(٣) أسد رستم (دكتور): صفحة جديدة من تاريخ الثورة الدرزية ١٨٣٤ : ١٨٣٨، مجلة المشرق، بيروت، المجلد ٣٥ عام ١٩٣٧،ص٤٧٨ .

(٤) مصطفى غالب: مرجع سابق، ص٢٣٥ .
- انظر أيضاً: مجهول: مصدر سابق، ص٣٥ .

(٥)حافظ أبو مصلح: تاريخ الدروز، دار الفنون، بيروت، ١٩٩٢ ص١٣ وجدير بالذكر أن المؤلف درزى.

تارة أخرى"[١] وهم يذكرون عن أنفسهم أنهم يتبعون القرآن ولكنهم يخـــالفون السنة فى تفسيـــر بعــــض الآيـــات فهم لا يجيزون تعدد الزوجـــات ولا يعيدون المطلقة بتاتاً لعصمة زوجها ، وفى مسألة الميراث للرجل أن يوصـــى بكل ماله لأحد أولاده ويحرم الآخرين بشرط أن يقطع ميراثهم ولو بأقل شـــئ، كما أنهم يمنعون الفتاة من الإرث[٢].

وينقسم الدروز من الناحية الدينية لطبقتين هما:

أ- طبقة العقال أو الأجاويد :الذين لهم الحق فى معرفة العقيدة الدينيـــة وهـــم ينقسمون لثلاث درجات.

ب- طبقة الجهال: والجهل هنا لا يعنى الحمق بل يعنى عدم الإطلاع علـــى أسرار المذهب وجهلها[٣].

وللعقال مكانة كبيرة فى المجتمع الدرزى ولهم ملابس معينة لا يتعدونـــها ولا يشربون المسكرات وممنوع عليهم التدخين[٤] ولقد نظر المسلمون للـدروز على أنهم خرجوا عن تعاليم الإسلام، فعانوا كثـــيراً مـــن اضطـــهاد الحكـــام المسلمين لهم، واحتموا فى المناطق الجبلية الوعرة فى جبل الدروز[٥].

وفى القرن التاسع عشر حدثت العديد مـــن المنازعـــات بيـــن الـــدروز وجيرانهم الموارنة ونتج عنها عدة مذابح مثل مذبحة عام ١٨٤١م والتى نتـــج عنها نظام القائمقاميتين عام ١٨٤٢م والذى قضى بتأسيس قائمقامية للنصارى فى الشمال وأخرى للدروز فى الجنوب وعليها قائمقام درزى واســـتمر هـــذا النظام سائداً حتى قامت فتنة ١٨٦٠م التى ترتب عليها نظام المتصرفية[٦].

---

(١)سورة طه. آية، ٥٥ .

(٢) عادل تقى الدين: مرجع سابق، ص٢٤ . انظر أيضاً: مجهول: مصدر ســـابق، ص٣٨ . حسن أمين البعينى: مرجع سابق، ص٩٦ . ثمرات الفنـــون، بـــيروت ٢ ربيـــع الثـــانى ١٣٠٧هـــ، عدد ٧٥٩، ص٤ .

(٣)محمد كامل حسين: مرجع سابق، ص٣٢ . انظر أيضاً: اللطائف : الجزء التاسع، العـــام التاسع، القاهرة، ١٥ سبتمبر ١٨٩٦، ص٣٨٣ .

(٤) نعمان قساطلى: مذابح سورية ١٨٦٠ ومقدماتها الأهلية، اللطائف، الجزء الخامس، الســـنة السادسة، ١٥ سبتمبر ١٨٩١، القاهرة، ص١٨٨ .

(٥)عبدالعزيز نوار: مرجع سابق، ص٩ .

(٦) أحمد عزت عبدالكريم: مرجع سابق، ص١٧٩،ص١٨١ .

ونتيجة لانعزال الدروز فى الجبال، حتى تتوفر لهم الحماية لممارسة شعائرهم ازدادت حرية مشايخهم فى الإضافة والتعديل فى العقيدة الدرزية ووقف أهل السنة منهم موقف العداء نتيجة لمخالفتهم الإسلام فى العديد من الأمور ولغلوهم فى بعض المسائل الدينية التى تخرج عن نطاق الدين ولتقديسهم للحاكم بأمر الله الفاطمى(*)، من هنا فقد مثل الدروز أرضا خصبة لعمل الإرساليات التبشيرية التى اعتبرتهم مسيحيين أو قريبين منهم، لذا انصبت جهودهم وخاصة التعليمية بينهم.

ثانياً : المسيحيون :

مثلما انقسم المسلمون لعدة طوائف انقسم المسيحيون كذلك لطوائف كثيرة ولكن المجتمع الطائفى فى الشام كما قلنا سابقاً لم يكن يقصر الطائفية على المذهب الدينى، ولكنه يشمل التقسيم العرقى، وكذا التقسيم الطائفى المهنى أى طوائف الحرف، والطائفة الدينية، وهو تشكيل رأسى لا يقبل إلا أبناء المذهب الواحد بصرف النظر عن الاختلافات العرقية، فى الوقت ذاته التقسيم العرقى أيضا تقسيما راسيا لا يقبل إلا أبناء العرق الواحد، وقد تختلف المذاهب فيما بينهم، بعكس الطائفة الحرفية فإنها تقسيم أفقى يقبل الجميع وحسب المهنة فقط. ومع نشأة الدولة الحديثة فى الشام لم يبق سوى الطائفية الدينية. ونجد الطائفة الدينية مثل الكاثوليك يجمعون داخل الطائفة عدة أعراق مختلفة ولكنها متفقة فى المذهب الدينى.

وكان المسيحيون أكثر اتصالاً بأوربا، وأكثر قدرة على التعامل مع الغرب ومنجزاته الحضارية، وترتب على ذلك أنهم كانوا أكثر ديناميكية فى تعاملاتهم، وبذلك فقد تقدمت النواحى الفكرية والعلمية بينهم، وأصبحوا فى بداية حركة اليقظة العربية الحديثة بمثابة الوساطة فى التعامل بين أوربا والمشرق واختلف ذلك من طائفة لأخرى حسب درجة استجابتها للمؤثرات الأوربية.

واتخذت الدول الأوربية من الطوائف المسيحية مبرراً لتدخلها فى الشام، فقد ادعت فرنسا حماية الكاثوليك، وادعت روسيا حماية الأرثوذكس،

(*) دعا نشتكين الناس إلى أن يعتقدوا أن الحاكم هو الأله الذى صنع العوالم، وصنف كتاباً يشبهه بالقرآن سماه الدستور، وكان قريب من الحاكم وارتفع مركزه، فكانت لا تقضى الحاجات إلا بوساطته. راجع عبدالمنعم ماجد: مرجع سابق، ص١٠٧ .

وفيما بعد تدخلت إنجلترا لدى السلطان للاعتراف بالبروتستانت وحمايتهم وأدى التدخل الأوربى فى هذه المنطقة إضافة لتضارب المصالح الخاصة بكل دولة لنتائج بالغة الخطورة.

وكانت الطوائف المسيحية هى المقصد الأول للإرساليات التبشيرية وخاصة البروتستانتية، فلجأت للتقارب معها ودراسة أحوالها ونشر التعليم والخدمات الاجتماعية والعديد من الأفكار الجديدة بين أبناءها، ووضح أثر ذلك فى زيادة الصراعات والتنافس بين الطوائف، وصبغت هذه الأحداث تاريخ الشام فى القرن التاسع عشر بصبغة الصراعات المستمرة والتى لا زالت اصداؤها مستمرة. حتى الوقت الحاضر وانقسمت الطوائف الدينية المسيحية فى بلاد الشام لثلاث طوائف رئيسية هم: الكاثوليك والأرثونكس، والأقباط الأرثوذكس، وتحت كل طائفة دينية منهم العديد من الأعراق الجنسية. والمهم هنا أن الطائفة الدينية تضم العديد من الأجناس المختلفة ولكن المتفقين فى المذهب الدينى.

أولاً- الكاثوليك[1]:

تعتبر طائفة الكاثوليك أكبر الطوائف العددية بين الطوائف المسيحية فى بلاد الشام، فهى تضم بين جنباتها العديد من الأعراق المختلفة مثل الموارنة والأروام واللاتين والسريان، وكانت هذه الطائفة مرتبطة فى الأساس بروما، وعملت الإرساليات اليسوعية واللاتينية على تقديم كافة الخدمات إليهم، وخصوصاً التعليم والحماية السياسية. فى الوقت ذاته مثل الكاثوليك حجر عثرة شديد الوطأة أمام الإرسالية الأمريكية فى محاولاتها العمل بين الكاثوليك عموماً. وفى مقدمة الطائفة الكاثوليكية يأتى الموارنة.

أ- الموارنة[2]:

ينسب الموارنة لرجل يقال له مارمارون ظهر فى بعض نواحى نهر العاص بسوريا، ويطلقون حوله العديد من المعجزات والأساطير[3].

---

(١) الكاثوليك: هم جماعة المسيحيين المتحدين إيماناً وطاعة بكنيسة روما.

(٢) لفظة مارون منقولة من اللغة السريانية، فإن نطقت بالضم فمعناها السيد والرب وأن نطقت بالفتح فمعناها المرزبة التى يكسر بها الحجارة، وهاتان اللفظتان على ما توجبه قواعد اللغة السريانية أنهما فى حالة التصغير يصيرا "مرونا" ضما وفتحا، وفى حالة الجزم" مورون" و"مارون" بالضم والفتح، وتعين حينئذ أن يكون علما شخصيا، وعند نقلها للعربية حولت لصيغة مارون بزيادة الألف لكون النقل يخرج الأشياء عن أصولها. راجع مار اسطفان الدويهى: تاريخ الطائفة المارونية، تحقيق رشيد الخورى الشرتونى، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعية. بيروت، ١٨٩٠م،ص١٣ .

(٣) نفسه: ص١٧ .

وقـد ظهر من أتباع مارون رجلاً يسمى "يوحنا مارون" نادى برأيه عام ٦٦٧م وهو أن المسيح ذو طبيعتين ولكنه ذو مشيئة واحدة، ولأجل هذا اجـتمع المجمـع العـام السادس فى القسطنطينية سنة ٦٨٠م وقرر حرمان مارون ولعنه وتكفيره هو ومن يذهب مذهبه[١] وبذلك فالمارونية منذ البداية لم تكـن كاثوليكية فى الأصل، والحقائق التاريخية تشير لينبوعها الشرقى، ولم يحدث انضمامها للمعسكر الغربى، إلا لظروف طارئة إبان الحروب الصليبية فهو انضمام مصلحة أكثر منه انضمام عقيدة[٢]، ولم ينجحوا فى التكامل مع رومـا إلا مـنذ مؤتمـر اللويزة ١٧٣٦م، وأصبحوا بذلك جزء من الكنيسة المتحدة، واعترفوا بالسلطة البابوية[*] نهائيا[٣].

ولكـن الموارنـة ينفون ذلك ويذكرون عن أنفسهم أنهم جماعة من السـريان السـوريين الذيـن آمنوا بالدين المسيحى منذ كان فى مهده وأنهم استمروا منذ البداية متشبسين بعرى الكاثوليكية رغم ظهور البدع، وأن يوحنا مـارون ذهب لروما وحلف الطاعة للكنيسة الرومانية وأنه حمل أتباعه منذ البداية على الاعتقاد بصدق الطبيعتين والمشيئتين[٤] وأنهم بسبب ذلك تعرضوا للـنفى والاضطهاد من الإمبراطور البيزنطى وبابا القسطنطينية الذين طلبوا من يوحنا الاعتراف بالمشيئة الواحدة فرفض وفر إلى دير مارون بالقرب من انطاكيـة، فوجهوا إليه جيشاً ولكنه انتصر عليه[٥] وظل يوحنا مقيماً فى دير

---

(١) محمد أبو زهرة: محاضرات فى النصرانية، دار الفكر العربى، القاهرة، د/ت، ص ١٤٧ .

(٢) عزت زكى (دكتور): كنائس المشرق، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩١،ص١٥٢ .

- انظـر أيضاً: فليب فارج، يوسف كارياج: المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركى، ترجمة بشير السباعى، دار سينا، القاهرة، ١٩٩٤، ص٧٦ .

(*) الواقـع المسـيحين سواء أكانوا منشقين، كاليونان الأرثوذكس أم هراطقة كاليعاقبة والأرمن سوف يحافظون على خصوصيتهم خلال الحروب الصليبية فيما عدا موارنة لبنان" فليب فارج، يوسف كرياج: مرجع سابق، ص٧٦ .

(٣)Holt, p.m., op, cit, p243.

(٤) يوسـف الدبـس: الجامع المفصل فى تاريخ الموارنة المؤصل، المطبعة العمومية الكاثوليكية، بيروت، ١٩٠٥،ص٢٠ وما بعدها.

(٥) ماراسطفان الدويهى: مرجع سابق، ص٧٨ .

مارون حتى هدمه المسلمون وشتتوا رهبانه فاضطروا للهروب لجبل لبنان للاحتماء فيه فاستقلوا فيه بعيداً عن الحكم العربى[١].

ولم يقتصر الوجود الماروني في الشام على جبل لبنان فقط، فقد وجدت أعداد منهم فى المدن الشامية الأخرى مثل دمشق التى وجد بها الدير المارونى فى باب توما وفيه دار البطريركية. ووجد منهم عدد فى بعلبك والنبك[٢] وبلغ عدد الموارنة فى عام ١٨٧٢م حوالى ٢٢٠,٠٠٠ نسمة فى بلاد الشام، وكان لهم قضاؤهم وأحوالهم الشخصية ومحاكمهم الخاصة بهم والتى يشرف عليها رجال الأكليروس المارونى، وتنظر هذه المحاكم فى قضايا الإرث والزواج والطلاق وتشرف على إدارة الأوقاف والمؤسسات الخيرية[٣] والمتابع لتاريخ الطائفة المارونية يلحظ شدة تعلق أبناء الطائفة بكنيستهم، فزعماؤهم الدينيون هم نفس الزعماء الزمنيون أيضا، وهذه الصفة الفريدة زادت من قوة الطائفة والتفافها حول آراء موحدة بعيداً عن التفكك، لذا فإن البطريرك المارونى هو الوحيد بين زعماء جميع الطوائف الدينية الذى يجمع فى يده السلطتين الدينية والزمنية فأثر هذا كثيراً على توجهات الطائفة ومواقفها.

ومن جانبها حافظت الكنيسة المارونية على مرونة جعلتها تواكب التطور لمواجهة المتغيرات الفكرية والسياسية والاقتصادية، فبالرغم من أنها حافظت لمدة طويلة على لغة الصلوات الأرامية، السريانية، إلا أنه عندما تفوقت اللغة العربية وانتشرت وأصبحت لسان الناس ظهرت دعوة بين الموارنة بأن تكون لغة الصلوات العربية فقط فحافظت الكنيسة بذلك على الارتباط الوثيق بين الأكليروس ورعيته[٤].

---

(١) المطران يوسف دربان: نبذة تاريخية فى أصل الطائفة المارونية، المطبعة العلمية، بيروت، ١٩١٩،ص٣١، ص٥٤ .

(٢) تيسير خليل الزواهرة، مرجع سابق، ص٢١ .

(٣) محمد السماك: القرار العربى فى الأزمة اللبنانية، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٩٨٤، ص١٣٤ .

-انظر أيضا: الأخبار: القاهرة - ١١ أكتوبر ١٩٠٧، العدد ١٩٢ .

(٤) عبدالعزيز نوار: (دكتور): وثائق أساسية من تاريخ لبنان ١٥١٧: ١٩٢٠م، جامعة بيروت العربية، بيروت، ١٩٧٤،ص١٥ .

وأثناء الحملات الصليبية حدث نوع من الاحتكاك المباشر، فقد ساعد الموارنة الصليبيين فى حالات كثيرة جداً[1] وهم يعترفون فى كتبهم "أنهم اخلصوا لهم كل الإخلاص وزحف معهم على "أورشليم" قسم لا يستهان به منهم، وقد أفادوهم كثيراً جداً فى كل أمر حتى تم لهم جميعاً فتح المدينة المقدسة، ونالوا قسماً من الغنيمة[٢] وكافأهم الصليبيون بأن سمحوا لهم بالحقوق والامتيازات التى كانت تتمتع بها البرجوازية اللاتينية بما فى ذلك ملكية الأرض فى مملكة بيت المقدس، ولكن بعد انتهاء الحروب الصليبية انتقم منهم المماليك شر انتقام[٣].

ولقد حافظ الموارنة على علاقتهم بالكنيسة البابوية، حتى أنهم كانوا يطلبون من البابا تثبيت بطريركهم على كرس أنطاكية كلما توفى مطران وتلاه أخر، وكان الشخص الذى توكل إليه هذه المهمة هو رئيس الرهبان الفرنسسكان[٤]، وأنشأ البابا جريجوار الثالث عشر كلية خاصة للموارنة فى روما عام ١٥٨٤م ليدرس فيها طلاب اللاهوت الموارنة، بل أن البابا كان يمنحهم مزيداً من التمييز حتى على الطوائف المسيحية الآخرى المرتبطة بالكرسى البابوى فى المشرق[٥] ولا سيما خلال مواجهة البابوية للحركة البروتستانتية.

وقد ترتب على ذلك نتائج بالغة الخطورة، فقد أدت لخروج الموارنة من عزلتهم التى فرضوها على أنفسهم فى الجبل، ولهذا علقوا آمالهم باستمرار وفى كافة الأزمات على التدخل الأوربى لصالحهم، فى نفس الوقت فقد أصبح الموارنة أكثر الطوائف فى بلاد الشام تعليماً وثقافة وقدرة على الاتصال بمنجزات الحضارة الغربية، وأصبحوا أمل القوى الأوربية الطامعة فى الشام حيث اتخذوا كمخلب قط لهم.

---

(1)Kenneh, CRAGG, Cristian in history In The Middle East, London, p215.

(٢) يوسف دربان: مرجع سابق، ص٧٧.

(٣) محمد السماك: مرجع سابق، ص١٣٤.

(٤) ليلى الصباغ: مرجع سابق، ص٧٧٣.

(٥) سعد الدين إبراهيم: مرجع سابق، ص٥١٦.

وبذلك فقد كان الموارنة يعملون على التحرر من الدولة العثمانية التى كانت فى نظرهم محتل لبلادهم بينما كانوا يرون(*) أن احتلال بلادهم من جيش أجنبى لا يمس جوهر استقلالهم فى شئ.

وللموارنة علاقة متميزة مع فرنسا وهم يفخرون بهذه العلاقة ويعتبرون أنفسهم بل ويعتبرهم الفرنسيون "فرنسيو الشرق"[1] وأعلن لويس الرابع عشر ملك فرنسا فى عام ١٦٤٩م حمايته للأمة المارونية التى اعتبرها جزءًا لا يتجزأ من الأمة الفرنسية وطلب من قناصل فرنسا فى "الليفانت" إعطاءهم كافة ما يحتاجون إليه وإمدادهم بالحماية والرعاية حتى لدى موظفى الدولة العثمانية، كما أعلن لويس الخامس عشر عام ١٧٣٧م نفس هذه الحماية قائلاً "فنحن قد قبلناهم تحت حمايتنا ووصياتنا لكى يحظوا بالإفادة فى ساير الأوقات" ثم طلب من قناصل فرنسا فى الليفانت" أن يسعفوا باجتهادهم ووظائفهم وحمايتهم حضرة قدس البطريرك الأنطاكى وكامل المسيحيين الموارنة فى كل مكان[2] ومنذ منتصف القرن الثامن عشر اعتنق المسيحية عدد كبير من الأمراء الشهابيين وتبعهم عدد آخر من الأمراء اللمعيين أصحاب إقطاع المتن[3]، وبذلك قدموا بدورهم العديد من المساعدات للموارنة على كافة الأصعدة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر.

بعد خروج المصريين من الشام على يد القوات المتحالفة عام ١٨٤٠م ظهر الموارنة على مسرح الأحداث كقوى جديدة وكبيرة ومعهم السلاح سواء من المصريين أو القوات المتحالفة، ذلك بجانب احترام الإدارة

(*) مما جاء فى رسالة من موارنة لبنان للكونت دى كاترابرب وإذاعها فى مجلس النواب الفرنسى بتاريخ ٦ يناير سنة ١٨٤٧م قولهم "نحن نطلب إليكم رفع نير الحكومة التركية الظالم عنا وإعادة أميرنا المسيحى إلى حكم جميع طوائف لبنان، ونحمل الرجاء ألا يسمح لحاكم تركى أن يتولى إدارة جبلنا بل لحاكم مسيحى... أن المفاوضات بهذه المسألة جارية منذ بضع سنوات" نشرها، نادر العطار (دكتور) : تاريخ سورية فى العصور الحديثة، دمشق، ١٩٦٨،جـ١ الوثيقة رقم ٢٣ ص٢٩٩.

(١) دار الوثائق القومية: القاهرة، محافظ الأبحاث، محفظة رقم ١١٩ ملف الدين المسيحى، وهى مراسيم الحماية التى أعلنها ملوك فرنسا للموارنة.

(٢) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ١١٩، ملف الدين المسيحى.

(٣) حسين سليمان سليمان: مرجع سابق، ص١٤٣ .

- انظر أيضا: فيليب فارج، يوسف كرباج: مرجع سابق، ص١٤٣ .

العثمانية لهم حيث منح السلطان للبطريرك المارونى شارة من الماس، ومنحة الحق فى أن يكون له وكيل لدى الباب العالى للوساطة فى قضاياه، أعطى ذلك الموارنة الجرأة فى مساعيهم لنيل المزيد من الامتيازات، وكذلك الطمع فى المساهمة الخاصة فى شؤون إدارة الجبليين[١] وبعد فتنة ١٨٤١م، تقرر نظام خاص يحكم بأن يكون هناك قائمقام درزى وقائمقام مارونى كل يحكم المنطقة التى يوجد بها أغلبية من طائفته[٢] وهو يحمل فى داخله عوامل فشله، لأن الطائفتين مختلطتين داخل الأماكن الجغرافية المحددة لكل قائمقام.

وقامت فتنة ١٨٦٠م التى راح ضحيتها الآلاف من الدروز والموارنة، وتدخلت فرنسا وأرسلت جزءًا من أسطولها وقواتها لحماية الموارنة وصرح أحد الضباط الفرنسيين أثناء الحملة أن الموارنة استقبلوا الحملة برضا كامل واعتبروا ذلك تحقيقا لحلم كان يراودهم منذ فترة طويلة[٣]، وهذا يؤكد النظرية المارونية التى ترى فى الاستعانة بفرنسا استقلالا لها بينما ترى فى الخضوع للدولة العثمانية الاستعمار الذى يجب التخلص منه.

ونتج عن فتنة ١٨٦٠م وضع نظام جديد للحكم تمثل فى تعيين متصرف مسيحى له اثنان من النواب أحدهما مارونى والآخر درزى، وبذلك نال الموارنة العديد من الامتيازات السياسية التى استمرت كأساس لهم فى القرنين التاسع عشر والعشرين.

ولقد عملت الإرساليات اليسوعية فى بلاد الشام على فتح المدارس ونشر التعليم والثقافة بين الموارنة، ولهذا كانت الطائفة المارونية من أكثر الطوائف فى بلاد الشام تعليماً وأثراً فى حياة الشام وتاريخه، وكانوا من أشد الحانقين على الثقافات الأخرى المعادية للثقافة الفرنسية مثل الأمريكية، وتبع ذلك الصراع والتنافس الهائل بين الإرساليات الأمريكية واليسوعية، وكان الأكليروس المارونى شديد البطش بالأفراد الذين ينضمون لكنائس أخرى،

---

(١) بازيلى: مرجع سابق، ص٣٠٥ : ص٣٠٧.
(٢) أحمد عزت عبدالكريم: مرجع سابق، ص١٧٩.
(٣) ياسين سويد (دكتور): فرنسا والموارنة – تقارير ومراسلات الحملة العسكرية الفرنسية على سوريا ١٨٦٠–١٨٦١ – شركة المطبوعات، بيروت، ١٩٩٢،ص٦٥.

سيما البروتستانتية وظلوا حجر عثرة شديد الوطأة أمام الإرسالية الأمريكية فى الشام.

ب- الروم الكاثوليك :

انشق الروم الكاثوليك عن طائفة الروم الأرثوذكس، لذا فقد قاموا باضطهادهم، وكثيرا ما كانت تحدث الخلافات بين الطرفين خصوصا قبل اعتراف الدولة العثمانية بالكاثوليك، لذا فقد تسلط عليهم البطريرك الأرثوذكسى، فكان القساوسة الكاثوليك لا يستطيعون القيام بمهامهم الدينية مثل تجنيز الموتى وعقد الزيجات إلا بإذنه[١].

وفى عام ١٧٢٤م شكل الروم الكاثوليك طائفة جديدة وانتخبوا بطريركا خاصا بهم واعترفوا برئاسة البابا، كذلك اعترفت بهم الدولة العثمانية فى ٢٤ مارس ١٨٣٣م، وكان لبطريركهم وكيل ينوب عنه فى شئون البطريركية فى الأستانة[٢]، ولقيت هذه الطائفة المساعدة من أوربا طوال القرنين ١٨،١٧ نتيجة لسببين:

أولهما: تدخل فرنسا على أنها حامية للكاثوليك فى الشرق.

وثانيهما: إنشاء الهيئة الدعائية الكاثوليكية للإشراف على البعثات الكاثوليكية فى الشرق[٣].

ويلاحظ أن السلطات العثمانية غالبا ما كانت تأخذ جانب الروم الأرثوذكس فى صراعهم مع الروم الكاثوليك على أساس أن الأرثوذكس وطنيون، أما الكاثوليك فهم أتباع أوربا أعداء الدولة العثمانية، ووصل هذا الأمر لدرجة أن السلطان العثمانى أصدر فرمانا بمنع انضمام أبناء الروم الأرثوذكس والأرمن الأرثوذكس لطائفة الروم الكاثوليك قائلا: "وأن من يريد من أبناء إحدى الطائفتين اعتناق مذهب الطائفة الأخرى لا يقبل بأى حال من الأحوال ويرفض رفضا باتا[٤] وحجة الأرثوذكس التى يرفعونها للسلطان أن من يدخل الكاثوليكية يصبح من أعداء الإسلام المحاربين للدولة العثمانية،

---

(١) عبدالكريم غرايبة: مرجع سابق، ص١١٧ .
- ميخائيل مشاقة: مصدر سابق، ص٧٦ .

(٢) تيسير خليل الزواهرة: مرجع سابق، ص١٩ .

(٣) عبدالعزيز عوض: مرجع سابق، ص٣٠٤ .

(٤) دار الوثائق القومية: محافظ أبحاث الشام، محفظة رقم ٨٠ ترجمة صورة الفرمان رقم ٧٠ أواسط ربيع الآخر ١٢٥٤هـ.

واستمر هذا الوضع قائما حتى بدأت حروب البلقان فتغيرت نظرة الدولة للأرثوذكس وتعاطفت بالتالى مع الكاثوليك.

ج- السريان الكاثوليك[*] :

وكان يتولى رئاستها بطريرك السريان "الأنطاكى الكاثوليكى الذى يقيم فى بيروت شتاءا، وفى دير الشرفة بجبل لبنان صيفا، وتشمل سلطته البيعية مطارنة حلب والموصل ودمشق وبغداد وأساقفة حمص وحماة ومصر والجزيرة وما بين النهرين وتركيا[١] وهذه الطائفة انشقت فى الأساس عن الكنيسة السريانية اليعقوبية نتيجة لانتخاب "المطران ميخائيل جروة" بطريركا يعقوبيا فى ١٦ سبتمبر ١٨٠٠م واتبع "جروة" الكاثوليكية وأسس الكنيسة السريانية الكاثوليكية ويتضح من خلال الحوليات التاريخية الخاصة بفترة الحروب الصليبية مدى التعاون الوثيق الذى كان بين السريان والصليبيين، وعند نهاية هذه الحروب وارتحال الأخيرين من الشرق العربى تركوا لهم ديرين كبيرين من أديارهم هما "دير ستى مريم" و"دير التلميذ" والخاصة من السريان يستخدمون اللغة السريانية بعكس العامة الذين يتحدثون العربية التى كتبوها بأحرف سريانية[٢].

د- اللاتين الكاثوليك :

بعد جلاء الصليبيين عن بلاد الشام عام ١٢٩١م ظل عدد من اللاتين أتباع الكنيسة الكاثوليكية يقيمون بها ويمارسون شعائرهم الدينية حسب الطرق الكاثوليكية الغربية، وشكلوا طائفة خاصة بهم ابتداء من ١٨٤٧، حيث نصب بابا روما يوسف فالرجا.Valerga بطريركا مقيما بالقدس وعند وصوله فى عام ١٨٤٨م وجد أن رعاياه لا يتجاوز عددهم أربعة آلاف، ومع ذلك كان لهم ٨ كنائس[٣].

(*) ضمت بلاد الشام قديما عدد كبير من السريان، ويذكروا عن أنفسهم أنهم موجودون فى الشام منذ بداية عهد النصرانية، ولكن تضاءلت أعدادهم فى العصر الحديث بسبب الفتوحات والحروب الأهلية والزلزال والأوبئة التى قضت على الكثيرين منهم، فى الوقت نفسه انضم منهم البعض لدين الفاتح الجديد (الإسلام) راجع أديب فرحات: سوريا ولبنان، المطبعة الوطنية، بيروت، ١٩٢٣،ص١١١ .

(١) فليب دى طرازى: أصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من تاريخ السريان، مطابع جوزف سليم، بيروت، ١٩٤٨،جـ١ ص١٣ .

(٢) سوسن سليم: مرجع سابق، ص١١٧ .

(٣) عبدالكريم غرايبة: مرجع سابق، ص١٢١ .

- انظر أيضا: سوسن سليم: مرجع سابق، ص١١٩ .

ويتضح من العرض السابق أن الطائفة الكاثوليكية نالت عطف ورعاية الدول الكاثوليكية الأوربية وعلى رأسها فرنسا التى ادعت حق حماية الكثلكة فى الدولة العثمانية، فى الوقت ذاته قام بابا روما. بمساعدة هذه الطوائف فى مجالات التعليم والدين حيث أمدهم برجال الدين، وذلك لمواجهة الإرساليات البروتستانتية وفى مقدمتها الإرسالية الأمريكية.

ثانياً : الأرثوذكس(*) :

ضمت طائفة الأرثوذكس العديد من الأجناس التى تنتمى للمذهب الأرثونكسى وفى مقدمة هذه الأجناس الروم الأرثوذكس والأرمن والسريان الأرثونكس.

أ- الروم الأرثوذكس :

وهم ذو أصول عربية فهم ينتمون للغساسنة الذين كانوا فى سوريا عند الفتح العربى، وساعدوا الفاتحين ضد الرومان مغلبين بذلك عنصريتهم على دينهم، وبعد الفتح العربى الإسلامى أسلم قسم منهم، بينما بقى قسم أخر على دينه القديم[١] وتعرب لسانهم بصورة نهائية منذ القرن الثالث عشر تاركين لغتهم الآرامية – وهى لغة السيد المسيح – ماعدا فئة قليلة منهم فى بلاد القلمون وقرية معلولا[٢].

وبعد الفتح العثمانى للقسطنطينية نظروا إلى كنيستها الأرثوذكسية نظرتهم لكنيسة وطنية فنظم "السلطان محمد الفاتح شئونها وأخضعها لسلطة بطريرك أعطى له رتبة الباشوية الشرقية بثلاثة أطواغ، وجعل له محكمته الخاصة وسجنه الخاص به، ومارس البطريرك سلطة تامة على أتباع كنيسته باستثناء السلطة المدنية التى كانت حقاً للدولة العثمانية[٣].

(*) بعد مؤتمر خلقدونية ٤٥١م أطلق على أتباع كنيسة القسطنطينية الأروام الأرثوذكس، وكنيسة روما والقسطنطينية يعتقدان بأن للمسيح طبيعتان ومشيئتان؛ والأرثوذكس كلمة يونانية معناها مستقيم الرأى.

(١) حمدى الطاهرى (دكتور): سياسة الحكم فى لبنان. القاهرة، ١٩٧٦، ط٢، ص٢٤ .

(٢) رياض نجيب الريس: المسيحيون والعروبة، دار رياض الريس، لندن، ١٩٩١، ط٢، ص٨٩ .

(٣) عبدالعزيز عوض: مرجع سابق، ص٣٠٢ .

واتبع عدد كبير من مسيحيى بلاد الشام الكنيسة الأرثوذكسية، التى انقسمت لبطريركيتين: الأولى فى القدس وتشرف على كنائس الأرثوذكس فى فلسطين، والثانية فى دمشق وتشرف على مصالح الكنائس الشرقية من صور حتى الأناضول، ويلحق بها أسقفيات الشام وبعلبك وحلب[١] وكان لهم فى دمشق سبع عشرة كنيسة أقدمها الكنيسة المريمية، وخلال القرن التاسع عشر رمم الروم الأرثوذكس كنائس عديدة فى المدن السورية[٢].

وكان بطرك الروم الأرثوذكس وكبار مناصب الأكليروس فى هذه الطائفة من اليونانيين الذين سيطروا على هذه المناصب حتى نهاية القرن التاسع عشر، لذا عدت اللغة اليونانية التى لم تكن معروفة من معظم أبناء الطائفة هى لغة الصلاة، مما أدى لصراع كبير داخل الطائفة، ودخلوا فى صراع عنيف من أجل تعريب الكنيسة وتم لهم ذلك فى نهاية القرن التاسع عشر[٣] وقدر عدد الروم الأرثوذكس عام ١٨٧٢ بـ ٢٤٠,٠٠٠ نسمة حيث شكلوا أقليات كبيرة فى مدن دمشق وحمص وحماه وحلب واللاذقية وطرابلس وعكا والناصرة وبيت لحم[٤].

وفى عام ١٨٥٣م أرسل قيصر روسيا يطلب من السلطان العثمانى الاعتراف بحق روسيا فى حماية الأرثوذكس داخل الدولة العثمانية وبعد أن وضع الروم الأرثوذكس أنفسهم تحت حماية روسيا وشجعوا الحركات الاستقلالية فى البلقان، غيرت الدولة العثمانية نظرتها لهم وعمدت لتغيير سياستها القديمة الرامية للمحافظة على وحدة الكنيسة واعترفت بالكنائس الكاثوليكية المنشقة عنها[٥].

ومن الغريب أنه أثناء الفتن بين الدروز والموارنة ١٨٤١م شارك الروم الأرثوذكس الدروز ضد الموارنة المسيحيين، وذلك كرهاً لهم لأنهم يعتبرون كل من ليس على مذهبهم هرطيقا يحل قتله[٦].

---

(١) نفسه ونفس الصفحة.

(٢) عبدالكريم غرايبة: مرجع سابق، ص١١٧ .

(٣) مصطفى الشهابى: القومية العربية تاريخها وقوامها ومراميها - معهد الدراسات العربية، القاهرة، د/ت، ص٤٤ .

(٤) إلياس ديب مطر: مرجع سابق، ص٢٦ .

(٥) فطين أحمد فريد: حروب لبنان، القاهرة، ١٩٨٤،ص٢٨ .

(6)Holt, p.M, Op; Cit., p.238.

وأدى انتشار الأرثوذكس كأقليات تتعايش بين الأكثرية الإسلامية في بلاد الشام بجعل تنظيمها الكنسي أضعف وبالتالي أكثر تجاوباً وتعاطفاً مع محيطها الديني الاجتماعي، كما أنه لم يكن للأرثوذكس يوماً صناعة أو إنتاج اقتصادي يجمع بين فصائل الطائفة وقطاعاتها الإنتاجية[1] لذا أصبحت هذه الطائفة بالذات أرضاً خصبة لعمل الإرساليات التبشيرية لعدة عوامل أهمها انعدام الصلة بين الأكليروس والرعية معظم فترات القرن التاسع عشر، نتيجة لسيادة اللغة اليونانية، وأدى هذا بالتالي لتدهور الفكر الديني عندهم. ومن الملاحظ أن الأصل العربي للروم الأرثوذكس سهل اندماجهم في المجتمع العربي لبلاد الشام، وفي البلدان العربية عموماً التي فتحت أبوابها أمامهم للعمل، وكانوا من أكثر الطوائف المسيحية في الشام دفاعاً عن العروبة والقومية العربية ولا سيما بعد صراعهم من أجل تعريب كنيستهم، والشعور العربي هو الذي جعلهم يأخذون الخط العربي دائماً فلم يكونوا يوماً مثل الموارنة، ولم يقفوا مع الصليبيين بل حاربوهم.

ب- الأرمن الأرثوذكس[2] :

اسفرت الحروب المتعاقبة بين الدولتين الفارسية والعثمانية عن تقسيم أرمينيا بينهما، فأطلق اسم "أرمينيا العثمانية" على ست ولايات، وهي: "وان، وبتليس، وخريوط، وسيواس، ودياربكر، وأرضروم"، وأطلق اسم "أرمينيا الفارسية" على المنطقة الممتدة على الضفتين الشرقية والغربية لنهر الرس وقد استولى عليها الروس منذ عام ١٨٢٨م[3].

---

(١) جلال يحي (دكتور) ومحمد نصر مهنا (دكتور): مشكلات الإقليات في الوطن العربي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠، ص٢١ .

(٢) الأرمن: من الإقليات اللغوية الدينية الوافدة على الوطن العربي، وتنتمي لغتهم إلى أسرة اللغات الهند أوربية وهي لغة مكتوبة ذات تراث ثقافي غني ومدون ويعيش معظم الأرمن الموجودين في الوطن العربي ببلاد الشام، والتي هاجروا إليها بكثرة بعد المذابح التي تعرضوا لها على أيد الأتراك، وقد حافظوا على كيانهم الطائفي. راجع.
- سعد الدين إبراهيم: مرجع سابق، ص٥٥ .
- عبدالعزيز نوار: مرجع سابق، ص٩ .

(٣) محمد رفعت الإمام: الأرمن في مصر في القرن التاسع عشر، دار نوبار، القاهرة، ١٩٩٦، ص٢٨ .

ولما كان "الجاثليق" - الأب الروحي للأرمن- يقيم في الغالب "بايتشمادزين" الواقعة خارج نطاق الدولة العثمانية؛ فقد أسس السلطان محمد الفاتح (١٤٥١- ١٤٨١) بطركية أرمينية(*) بالآستانة في عام ١٤٦١م وبذا تعين البطريرك الأرميني رئيساً رسمياً لملته(١) هذا بالرغم من أن الدولة العثمانية لم تستولى على أجزاء من أرمينيا، إلا أثناء حروبها مع الدولة الصفوية في بداية القرن السادس عشر، وبذلك لم تكن تخضع أعداد كبيرة من الأرمن للدولة العثمانية إبان هذه الفترة.

أما عن الأرمن في الشام فيمكن القول بشكل عام أنه لما كانت مدن الشام مراكز تجارية مزدهرة أثناء الحكم العربي، وترتبط مع مدن أرمينية بطرق تجارية، عدة؛ لذا فقد استوطن الأرمن في مختلف المراحل التاريخية الشام، وأن كانت المعلومات التاريخية الجازمة عن أول هجرة أرمينية(*) إلى سورية تعود إلى القرن السادس عشر للميلاد(٢).

أما عن اعداد الأرمن فلا توجد إحصائيات دقيقة عن ذلك وأن كانت بعض المصادر الأرمينية تذكر أن عدد الأرمن في الشام آنذاك بلغ ما بين السنوات ١٨٧٠م : ١٨٩٠م ما بين ٨٠,٠٠٠ - ٨٥.٠٠٠ أرمنى تركزوا في حلب ودمشق وبيروت وطرابلس(٣).

وانقسم الأرمن إلى أرثوذكس وكاثوليك، بعد أن كانوا حتى أوائل القرن السابع عشر من أتباع الكنيسة اليعقوبية، ولكن في عام ١٧٣٩م انشق بعضهم ونصبوا منهم بطريركا كاثوليكيا، وأنشأوا لهم كنيسة عام ١٨٦٠م بالقرب من دير الرهبان اللعازريين، أما الأرمن اليعاقبة فقد كانت لهم كنيسة قديمة في

(*) يذكر أحد الباحثين: أن الدولة العثمانية تأخر اعترافها بطائفة الأرمن حتى سنة ١٦٤١م ويعود ذلك لأن رئيس هذه الطائفة كان يقيم خارج حدود الدولة العثمانية، ولكن لا نتفق مع هذا الرأى خصوصاً ونحن نعلم أن السلطان محمد الفاتح اعترف بملة الأرمن وملة اليهود رغم وجود أعداد قليلة منهم داخل الدولة العثمانية وعين المطران الأرمنى الأرثوذكس لمدينة بروسة بالأناضول الغربى هواكيم بطريكا للأرمنى الأرثوذكس وضمت إليهم الدولة العثمانية جميع المسيحيين العثمانيين من غير معتنقى الديانة المسيحية الرومية الأرثوذكسية. راجع عبدالعزيز محمد عوض: مرجع سابق، ص٣٠٣ .

(١) فؤاد حسن حافظ: تاريخ الشعب الأرمنى، القاهرة، ١٩٨٦ ص١٨٧ .

(*) زحفت الهجرات الأرمينية الكبيرة للشام فى سنوات ١٨٧٦، ١٨٩٥، ١٩٠٩ و ١٩١٥. ووفق بعض المصادر الأرمينية ترى أن عدد الأرمن فى سوريا ولبنان أنذاك بلغ ١٢٥ ألف أرمنى.

(2)Azazan, Hory, The Armenian Communities in the Arabic countries, Syria, 1993 – p.p 44- 49.

(3)Ibid., p 51.

دمشق (مار سركيس) وكان بطرك الأرمن الأرثوذكس يقيم فى القدس، بينما يقيم بطرك الأرمن الكاثوليك فى بيروت[١].

ورغم استقلال الكنيسة الأرمينية الأرثوذكسية، إلا أنها كانت جزءا من الطوائف الأرثوذكسية الشرقية، واتبع عدد قليل منهم المذهب البروتستانتى نتيجة لدعاية الإرساليات البروتستانتية وخاصة الأمريكية التى لعبت دوراً كبيراً وسط الأرمن.

جـ- السريان الأرثوذكس :

ويتولى رئاسة هذه الطائفة رئيس أعلى يقال له "بطريرك السريان الأنطاكى الأرثوذكسى "وكرسيه الرسمى فى دير الزعفران بجوار ماردين، ويخضع لسلطته البيعية -بجانب بلاد- الشام عدد كبير فى بلاد الملبار بالهند وله أساقفته هناك[٢].

د- الأقباط الأرثوذكس[*]:

جاءت أول جماعة من الأقباط والأحباش الأرثوذكس للقدس فى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى بمناسبة تدشين كنيسة القيامة، ولهم أديرة وكنائس بالقدس منها دير السلطان، وهو ملاصق لكنيسة القيامة من الناحية الجنوبية[٣] ونتيجة لإخلاصهم للمسلمين فى الحروب الصليبية ردت إليهم أموالهم وأملاكهم التى صادرها منهم الصليبيون[٤] وظهرت المنازعات بين الأحباش والأقباط على ملكية بعض الأديرة ولا سيما "دير السلطان" فعهد إمبراطور الحبشة فى ١٨٥٢ للقنصل البريطانى فى القدس برعاية مصالح الأحباش، ولكن السلطات العثمانية تدخلت بعد ذلك لحسم المسألة لصالح الأقباط[٥].

---

(١) عبدالكريم غرايبة: مرجع سابق، ص١١٩ وما بعدها. انظر أيضا: سوسن سلم: مرجع سابق، ص١٢٨ .عبدالعزيز محمد عوض: مرجع سابق، ص٣٠٣ .

(٢)فليب دى طرازى: مرجع سابق، جـ١، ص١٣ .

(*) الأقباط الأرثوذكس : وهى الكنيسة الوطنية المصرية وهى ضمن العائلة الأرثوذكسية التى رفضت مجمع خلقدونية وهى تضم فى داخلها الكنائس "القبطية – السريانية – الأرمينية – الحبشية – والفرق بين هذه العائلة والروح الأرثوذكسى حول طبيعة السيد المسيح وهل هى طبيعة واحدة أم طبيعتان.

(٣) على السيد على (دكتور): القدس فى العصر المملوكى، دار الفكر للدراسات، القاهرة، د/ت، ص٨٦ وما بعدها.

(٤)عارف العارف: تاريخ القدس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١، ص٢٥٢ .

(5)Hourani, Albert, The Ottoman Back ground of the Modern Middle East, Esset, 1970, p.9.

ثالثاً- اليهود :

سمح السلطان محمد الفاتح (١٤٥١-١٤٨١) لليهود بالاستقرار في إستانبول،وعين لهم "حاخام باشي" (*) . وبعد طرد اليهود من أسبانيا عام ١٤٩٣م أصدر السلطان "بايزيد الثاني" (١٤٨١-١٥١٢) مرسوماً يقضي بحسن معاملتهم في الدولة العثمانية[١]، شأنهم شأن غير المسلمين باعتبارهم من أهل الذمة.

في ظل هذه التسهيلات، وفد اليهود على بلاد الشام، حيث عملوا في التجارة لموانئ الشام. وانقسم اليهود قسمين هما : أجانب مهاجرون ، ومستوطنون . وكان الأجانب أكثر عدداً من المستوطنين، ومعظمهم يقطنون في القدس وحيفا ويافا وصفد وطبريا ودمشق وحلب وبيروت وصيدا[٢].

وينقسم اليهود دينياً إلى: اليهود الحاخاميون (الربانيون) وهم الذين يستمدون معتقداتهم الدينية من التوراة،كما فسرها الحاخامات في التلمود، وهم بدورهم ينقسمون ما بين الأشكنازيم وهم يهود الدول العربية، والسفارديم وهم اليهود الأسبان. والفرقة الثانية هم اليهود القراءون الذين انشقوا عن الإجماع اليهودي في القرن الثامن، بإعلانهم عن رغبتهم في العودة باليهودية لأصولها الأولى، ورفضوا الأخذ بتفسيرات الحاخامات للتوراة، والفرقة الثالثة وهم اليهود السامريون الذين قبلوا تفسيرات الحاخامات للتوراة التي ترد في التلمود ما دامت تتماشى مع نصوص التوراة ، ويرفضون ما دون ذلك من تفسيرات ، وهم يتشددون في تطبيق التعاليم الدينية [٣].

(*) الحاخام باشي : كانت له سلطات واسعة على اليهود في الدولة العثمانية شبيهة بتلك السلطات التي منحها محمد الفاتح لبطريرك طائفة الروم ، وقد بلغ نفوذ الحاخام أوجه في عهد السلطان سليم الثاني (١٥٦٦-١٥٧٤) ثم ما لبث أن انتهى نفوذ طائفة اليهود بتولي السلطان مراد الثالث (١٥٧٤-١٥٩٥) الذي استبعد حاخام اليهود "أوناسي" من الاشتراك في شئون الدولة وصادر أملاكه بعد وفاته في عام ١٥٧٩م . وفي ٢٣ شوال ١٢٨١هـ/١٨٦٤م أصدرت الدولة نظام "الحاخامخانة" الذي تضمن ٤٨ مادة تنص على الشروط التي يجب توافرها في الحاخام باشي وطريقة انتخابه وبيان وظائفه وكيفية انتخاب أعضاء المجلس العمومي ووظائف المجلس الروحاني والمجلس الجسماني وغير ذلك من الهيئات اليهودية.راجع محمد عوض: مرجع سابق، ص.ص. ٣٠٢،٣٠٧-٣٠٨، ٣١٢ .

(١) هاملتون جب وهارولد بووين: المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبدالرحيم مصطفى (دكتور): هـ.م.ع، سلسلة تاريخ المصريين، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٤٠٢ .

(٢) أديب فرحات: مرجع سابق، ص١١٣ .

(٣) يمين عبد المنعم : مرجع سابق ، ص ٨٩ .

وسـيطر اليهـود على تجارة صفد ودمشق، ولعبوا دوراً بارزاً فى حـلب وبيروت وعكا، وكان لهم فى دمشق وحدها أكثر من أربعة وعشرين بيـتاً تجاريـاً رأسمالها قرابة خمس ملايين فرنك، كما سيطروا على تجارة دمشـق مـع بريطانيا[١] ومن أشهر العائلات اليهودية فى مجال التجارة فى الشـام عائلة "آل فارحى" ويذكر شاهد عيان قوله "وكانت بلاد الشام مع قراياها وأموالهـا الميرية ومصارف الحكومة جميعها بأيديهم، وكانوا مع أقربايهم كما يقال بلسان العامة: الولاة ماسكون قرون البقرة وأولئك يأكلون حليبها"[٢] وساعد اليهـود فى القيـام بأعمال التجارة امتلاكهم للأموال السائلة، وكذلك ارتباطهم ببعضهم فى المدن فيما يشكل شبكة خاصة بهم، إضافة لعلاقاتهم الخارجية التى تساعدهم فى ذلك، وتمتع معظم اليهود بالحماية الأجنبية[٣] .

ولقد مثل حاخامات القدس أعلى سلطة دينية ليهود الشرق وخصوصاً منذ منتصف القرن التاسع عشر وهو ما مثل عاملاً قوياً ساهم فى حفاظ يهود الشرق على رابطتهم الدينية القومية بفلسطين، ونميّ رغبتهم فى الهجرة إليها عند توفر الظروف الاقتصادية والسياسية المناسبة[٤].

وقبل حكم محمد على لبلاد الشام كان من المحرم على اليهود شراء عقـارات أو أراضي فى فلسطين، ولكنهم استغلوا فرصة علمانية حكم محمد عـلى ، فطالبوا بشراء الأراضى وسمح لهم ولكن مع استثناء منطقة القدس كمـا مـنع اليهود الإفرنج من ذلك لعدم وجود مسوغ شرعى لذلك[٥] ولكن بالـرغم مـن هـذا وقف اليهود موقف الحذر المتوجس من الحكم المصرى للشام، وتدخل قناصل الدول الأوربية لحماية أتباعهم اليهود فمثلاً نجح قنصل

---

(١) عبدالكريم غرايبة: مرجع سابق، ص١١٩ .
(٢) ميخائيل مشاقة: منتخبات – مصدر سابق، ص٤٣ .
(٣) لمـزيد مـن المعلومات راجع : عبد العزيز الشناوى : مرجع سابق ، جـ٣، ١١١. وانظر أيضا: عبد الكريم غرايبة: مرجع سابق ، ص١٢٤ ، ص١٢٩ .
(٤) صـموئيل اتينجر: اليهود فى البلدان الإسلامية ١٨٥٠ : ١٩٥٠م ترجمة جمال أحمـد الرفاعى (دكتور) مراجعة رشاد الشامى (دكتور) سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٧، ص١٣٤ .
(٥) دار الوثـائق القوميـة: محافظ أبحاث الشام، محفظة رقم ٢٥، وثيقة رقم ٧٩ بتاريخ ١٧ محرم ١٢٥٣هـ.

النمسا "أنطوان كتافاكو" فى الحصول على بيورلدى[*] لحماية اليهود، "بل أرسل إبراهيم باشا طابور من جنوده لصفد وطبريا لإعادة الأمن والطمأنينة لليهود الساكنين فيهما، والذين انزعجوا من الجيش المصرى"[١].

وبعد نهاية الحكم المصرى للشام عملت بريطانيا على مساعدة اليهود فى الإقامة بفلسطين مستخدمة فى ذلك أسلوب الإغراء لدى السلطان حتى يسمح بإصدار قانون بعودتهم ولكنها فشلت فى ذلك وكان موقف بريطانيا يخضع لاعتبارين هما:

أ- الإيمان بأن اليهود هم الذين أعطاهم الرب فى الأصل هذه الأرض ملكاً لهم.

ب-أن المسيحيين البروتستانت وهم سلالة الرب الشريفة - حسب اعتقادهم - يريدون الحفاظ على اليهود وعودتهم لفلسطين تطبيقاً للنبوءات التوراتية[٢].

أما عن علاقة اليهود بالمسيحيين فبعد انتهاء الحكم المصرى ١٨٤١م تضامن المسلمون واليهود وطالبوا السلطان العثمانى باسترداد المزايا التى حصل عليها المسيحيون أثناء الحكم المصرى، وفى فترة فتنة ١٨٦٠م وقف اليهود فيها موقف المشارك السلبى مع المسلمين ضد المسيحيين، فقد ساندوا المسلمين واشتروا منهوبات النصارى بأقل الأسعار وأقرضوا المسلمين لشراء الأسلحة، فكانوا بذلك هم المستفيدين الوحيدين من هذه الفتنة.

(*) بيورلدى: فعل ماضى مبنى للمجهول من المصدر التركى بيورمق بمعنى أن يأمر ومعنى كلمة بيورلدى هو أمر بـ "تحولت هذه الصيغة إلى الاسمية وصارت علما على الأمر المكتوب بالرسم الهمايونى من الصدر الأعظم أو من أحد= =الولاة. راجع أحمد السعيد سليمان (دكتور): تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩، ص٤٩.

(١) رسالة من كتافاكو إلى البارون دونفيل فى الآستانة بتاريخ ٢٢ سبتمبر ١٨٣١ م، منشورة فى الخورى بولس قرالى: فتوحات إبراهيم باشا المصرى فى فلسطين ولبنان وسوريا نقلاً عن تقارير أنطون كتافاكو قنصل النمسا فى عكا وصيدا، مطبعة العلم لبنان، ١٩٣٧، ص٢١.

(٢) مذكرة من بالمرستون إلى سفير بريطانيا فى تركيا بتاريخ ١١ أغسطس ١٨٤٠ م نقلاً عن، ملف وثائق فلسطين، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة، ١٩٦٩، جـ١، ص٤٧، ويوجد رسالة أخرى من بالمرستون لسفيره فى تركيا فى نفس المصدر وبتاريخ فبراير ١٨٤١، جـ١، ص٤٣.

رابعا- العلاقة بين الطوائف فى بلاد الشام :

الطائفـــة فى معناها الحرفى هى الوحدة الاقتصادية والاجتماعية السائدة فى المجــتمع الــتى ينــتظم فيها أصحاب رأس المال والعمال ، وهى تشكل مجــتمعا قائما بذاته يكاد يكون منعزلا عن المجتمعات الأخرى[١] ، ولكن ما نعنيه هنا هو الطائفة بمدلولها الدينى ، وقد فهمها العثمانيون على أنها جماعة من الناس تنتظمها رابطة مذهبية واحدة بغض النظر عن الجنس أو اللغة أو القوميـــة ، فمـــثلا كانت طائفة الأرثوذكس تضم عناصر مختلفة من اليونان والصـــرب والبلغار والرومان والعرب ، ولم تكن الدولة العثمانية تعير هذه الاخـــتلافات العـــرقية أى اهتمام ، فهم جميعا يتبعون ملة الروم "روم ملتى" وهى تعـــنى بذلـــك جميع المسيحيين التابعين للكنيسة اليونانية الأرثوذكسية. ونـــتيجة للطـــبيعة الجغـــرافية لبلاد الشام فقد كانت مكاناً خصباً للعديد من الطوائف الدينية والعرقية التى لجأت إليها.

وتجمع نظريات الصراع بين الجماعات أن هذه الصراعات تنشأ من عدة أسباب أهمها وجود اختلاف أو تباين بين الجماعات النوعية التى يتكوّن مـــنها المجتمع، لأن وجود جماعات تنتمى لعناصر مختلفة أو أديان مختلفة وثقافـــات فـــرعية مختلفة يعتبر أرض خصبة لنشأة ونمو التعصب، كما أن الجهـــل وعـــدم وجود فرص للاتصال بين الجماعات المختلفة فى المجتمع الواحـــد يساعد على ازدياد حدة التعصب بين الجماعات فقد أثبتت الدراسات أنـــه كـــلما ازدادت معـــرفة الفرد بالحقائق والمعلومات عن الجماعات التى يتعصـــب ضدها قل تعصبه، كما يرى بعض العلماء أن التعصب يزداد كلما ازداد حجـــم الأقـــلية موضوع الاتجاه التعصبى لأن ذلك يسبب قلق وخوف الجماعات الأخرى[٢] .

وبذلـــك نرى أن هذه الأسباب قد ظهرت جميعها فى بلاد الشام، مما أدى لـــزيادة حدة التنافس فيما بينها حتى وصلت للفتن المسلحة التى ضاعت بســـببها الآلاف من الأنفس، وأدت لتدخل الدول الأوربية الطامعة فى الشام، فعـــلى صـــعيد الطوائف المسيحية تعددت تلك الطوائف وحاولت كنيسة كل طائفـــة أن تجتذب أتباع الطائفة الأخرى إليها، وكذلك تبدولت الاتهامات بين

---

(١) عبد السلام عبد الحليم عامر (دكتور) : طوائف الحرف فى مصر ١٨٠٥-١٩١٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٣ ، ص ١٤ .

(٢) معتز سيد عبدالله (دكتور): الاتجاهات التعصبية، عالم المعرفة، الكويت، مايو ١٩٨٩، ص ١٠٩ .

الطوائف الإسلامية فقد نظرت كل طائفة للأخرى وكأنها ليست إسلامية، وأحيانا عديدة يكون الصراع بين طائفة إسلامية وأخرى مسيحية، ويصف لنا أحد شهود العيان ذلك بقوله "أن المرء يحسب أن كل رجل غير متدين بدينه جاز له قتله والاعتداء عليه، لا إثم فى ذلك ولا تثريب فى ابتزاز ماله وعرضه، وانتشرت هذه الروح حتى عمت السواد الأكبر من القوم ولم يستطع العلماء وأهل التقوى رد الرعاع عن ذلك، والمعاملة بالحسنى لسيادة الجهل والهمجية[١].

ونشب العداء بين طائفة اليهود والطوائف المسيحية، واشتد هذا الصراع على أثر مقتل الراهب المسيحى "توما الكبوشى" الذى نسب قتله لليهود؛ مما أثار ثائرة المسيحيين، وناصرهم المسلمون فى ذلك، وتدخل قناصل الدول الأوربية وخاصة قنصل فرنسا، واصدر محمد على الأوامر للجهات الإدارية فى الشام بإعادة التحقيق فى القضية بعناية بالغة فدفع اليهود ستين ألف كيسا فقبلها وأطلق سراح المتهمين اليهود[٢].

هذا ويلاحظ أن النزاع بين الطوائف وخاصة الدروز والموارنة لم يظهر ويشتد إلا فى بداية القرن التاسع عشر، وذلك لعدة أسباب أهمها :

١-التدخل الأجنبى الذى عمل على إثارة الأحقاد والتنافس بغية اجتذاب طوائف يستند عليها فى تدخله، ومن هنا كان الصراع المحموم بين إنجلترا وفرنسا وروسيا للتنافس على السيادة فى الشام كل من خلال الطائفة التى يعتمد عليها.

٢-لعب حكم محمد على فى ذلك دورا عندما قرب إليه الموارنة الموالين له وذلك من منطلق العلاقة الخاصة التى تجمع محمد على والموارنة مع فرنسا وعمل على اضطهاد الدروز الخارجين عليه، والموالين للدولة العثمانية لذا سلم السلاح للموارنة- الذى استخدموه بعد ذلك ضد المصريين- وأيضا التجنيد الذى كان إجبارى للدروز واختياريا للمسيحيين عموما، كما أدى إعلان المساواة بين الجميع والتى كانت تعنى المساواة بين المسلمين وغير المسلمين بالمفهوم الغربى العلمانى وهو ما اعتبرته الطوائف الإسلامية انتقاصا من مكانتها، خاصة وأنه بعد عودة الحكم العثمانى مرة أخرى تدخلت الدول الأوربية لحماية

---

(١) ميخائيل مشاقة (دكتور): مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان، ملحم عبده وأندراوس حنا، القاهرة، ١٩٠٨، ص٢٦ .

(٢)دار الوثائق القومية، محافظ عابدين الشام، محفظة رقم ٥٢ ترجمة الوثيقة رقم ٢٩/٥١ بتاريخ ٤ صفر ١٢٥٦ هـ.

المسيحيين مما أثار حفيظة الطوائف الإسلامية ضدهـم، ويشـرح أحـد شهود العيان منظر عودة زعماء الدروز المنفيين بعـد انتـهاء الحكـم المصرى قائلا: "وكان لقدوم عمدة الشوف المذكورين رنة فرح وسـرور فى جميع أنحاء البلاد.. ولكنهم شاهدوا فى أحـوال البـلاد والعبـاد تغيرات عظيمة وتقلبات ذات بال فقد وجدوا أحوال البلد قد تغيرت، فقـد عز النصارى وسكنوا العلالى الشاهقة ولم يعودوا كما كـانوا يعهدونـهم صفر اليدين وخلو الوفاض... كما وجدوا الدروز فى حالة من الضعف والهوان لم يصلوا إليها قط منذ وطئوا البلاد الشامية"[١].

وكانت النتيجة التى وصلت إليها البلاد (*) هـى مزيـد مـن الفتـن المسلحة ذات الطابع الانتقامى التعصبى، مثل فتنة السـتين - التـى بـدأت كحركة إقطاعية قام بها بعض الفلاحين النصارى ضد مشايخهم الإقطـاعيين فى الشمال، ولكنها اتخذت طابعا دينيا عندمـا ثـار الـدروز ضـد السـادة النصارى فى المدن المختلفة، وقتل فى هذه الحركة كم هائل مـن النصـارى مما كان مبررا لتدخل الدول الأوربية تحت ستار حماية المسيحية[٢].

أما عن موقف الدولة العثمانية من الطوائف، فقد فهم العثمانيون الملـة أو الطائفة على أنها جماعة من الناس تنظمها رابطة مذهبية واحـدة، بغـض النظر عن الجنس أو اللغة أو القومية، فبالرغم من أن ملة الأرثوذكس كـانت تضم عناصر مختلفة كاليونان والصرب والبلغار والرومان والعرب وغيرهم،

---

(١) يوسف خطار أبو شقرا: الحركات فى لبنان فى عهد المتصرفية، تعليق وتحقيـق عارف أبو شقرا، بيروت، د/ ت، ص٣٣ .

(*)ولتفسير لجوء الطوائف الدينية المختلفة للشام فيرجع السبب لأن الشـام دون تتمتع بحماية طبيعية من الجبال، لذا فهم فى مأمن من أعدائهم مثل الـدروز والمورانة والنصيرية وغيرهم. فانكفأت على نفسها فى بيئتها الجبلية الجديـدة، منعزلة عما حولها؛ مما نمى عوامل التعصب فى داخلها، وأدى التقادم الزمـنى بين هجرات هذه الطوائف إلى اعتبار كلا منها صاحبة الحق الأول والأصيـل فى البلاد دون غيرها من الطوائف، ومن هنا نشأت النزاعات ولكن يضـاف إلى ذلك أيضا البيئة الشامية وعدم قدرتها على تذويب وهضم الجماعات الـتى تلجأ إليها بعكس البيئة المصرية مثلا، كل هـذا أدى إلى زيـادة التعصـب وانتشاره وبالتالى أدى للتدخل الأجنبى الباحث عن ذريعة لتبرير وجوده.

(٢) د/ عبدالكريم رافق: العرب والعثمانيون مرجع سابق، ص٤٢٢ .

إلا أن الحكومة العثمانية كانت لا تعير هذه الاختلافات القومية أو الجنسية أى اهتمام[١].

وفى بعض الأحيان كان بعض الولاة ينظرون للرعايا من المسيحيين على أنهم موالون لأعداء الدولة لذا فأى انتصار يحرزه اليونانيون مثلا فى حروب الاستقلال على جيوش الدولة العثمانية كانت مغبتة تقع على عاتق الرعايا المسيحيين، وفى يوم ١٨ مارس ١٨٢٦م هاجمت سفن يونانية بيروت، فما كان من عبدالله باشا والى عكا وبيروت إلا أن أرسل جيشاً لبيروت أعمل النهب والسلب فى جميع المسيحيين[*] الذين قاسوا ضغوطاً شديدة[٢].

وفى النهاية لقد مثلت هذه الطوائف التربة الخصبة لعمل الإرسالية الأمريكية فى الشام، حيث يلاحظ أن الطائفية والتناقض بين هذه الطوائف، إضافة للتخلف الفكرى لكل هذه الطوائف وإن اختلفت درجاته من طائفة لأخرى، مما يمثل أرضية ساعدت العمل التبشيرى على النماء، كما أدى التفكك والخلافات بين هذه الطوائف إلى عدم القدرة على القيام بعمل موحد ضد هذه الإرساليات.

---

(١) عبدالعزيز عوض: مرجع سابق، ص٣٠٩.

(*) كان ظلم بعض الولاة يقع على عاتق الجميع بدون تفرقة بين مسلم ومسيحى ويهودى فعلى سبيل المثال كان أحمد باشا الجزار يسجن علماء ومشايخ المسلمين وكهنة الذميين وعقال الدروز وحاخام اليهود، ولا يفرق عنده اختلاف مذهبهم"
راجع ميخائيل مشاقة – مشهد – مصدر سابق، ص٤٧.

(٢) أحمد مصطفى أبو حاكمة: دراسة علاقة فلسطين بمشروعات محمد على وإبراهيم فى الشام، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ١٩٥٤، ص١٣٨.

الفصل الثانى

تأسيس الإرسالية الأمريكية
ونشاطها الدينى فى بلاد الشام

شهدت بلاد الشام قبل القرن التاسع عشر نشاط عدة إرساليات معظمها يسوعية، ولكنها لم تأت إلا بنتائج قليلة الأثر، وذلك لقوة الدولة العثمانية آنذاك ووقوفها ضد النشاط التبشيري[١] ، ولكن فى الثلث الأول من القرن التاسع عشر شهدت البلاد مجئ الإرسالية الأمريكية التى غيرت من وجه تاريخ المنطقة، وكان لها الأثر الأعمق من كافة الجوانب، فعن طريقها شهدت بلاد الشام التعليم الحديث، والحركة الفكرية المصاحبة له، ولكن الأثر الدينى أيضا كان عميقا، فعند نزول الإرسالية الأمريكية فى هذه البلاد لم يكن بها طائفة بروتستانتية على الإطلاق، ونتيجة للعمل الدؤوب للإرسالية أصبح هناك طائفة بروتستانتية، وتم بناء أول كنيسة بروتستانتية فى العالم العربى فى بيروت، ومن بلاد الشام خرجت الإرسالية الأمريكية للعراق ومصر والخليج العربى، حيث كانت الشام هى المحطة الأولى لهم فى الشرق العربى[٢].

بدأت الإرسالية الأمريكية فى الشام أهلية بعيدة تماما عن أى نفوذ حكومى، وكانت مدفوعة فى ذلك بعوامل دينية نحو الأرض المقدسة التى ستشهد عودة المسيح حسب اعتقادهم [٣]، ولكن بعد فترة، وحينما ولت الولايات المتحدة الأمريكية وجهها شطر المشرق العربى، لم تجد أمامها سوى المبشرين الأمريكيين الذين أسبغت عليهم حمايتها - بكافة أنواعها- فكانوا كتائب الغزو الاستعمارى الأمريكى، الذين يعملون على توطيد نفوذ أمريكا فى المشرق انطلاقا من قاعدته الأساسية فى بلاد الشام.

وفى سبيل التوصل لأعمال التبشير استخدمت الإرسالية الأمريكية كافة الوسائل، بدءا من التعليم وحتى الصحافة والكتب والجمعيات، مرورا بأعمال التطبيب والأعمال الاجتماعية الأخرى، مستفيدة فى ذلك من ضعف الإدارة تارة وتقاعسها تارة أخرى، ومحتمية فى الامتيازات الأجنبية.

---

(١) وفدت إلى بلاد الشام بعثات تنصيرية أهمها : اليسوعيون الذين وصلوا إلى حلب فى عام ١٦٢٥م ، كما أسسوا أديرة فى دمشق ١٦٤٣م ، وقد أغلقت مؤسساتهم وعهد بها إلى الرهبان اللعازيين عام ١٧٧٣م ، ولم يعد اليسوعيون إلى بلاد الشام إلا عام ١٨٣١ على أثر مقدم الإرسالية الأمريكية . عبد العزيز الشناوى : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٧٤٥ .

(٢) راجع محمد فؤاد خليل : مرجع سابق ، ص٨-١٠ .

(٣) نبيه أمين فارس : مرجع سابق ، ص٣٨١ .

أولا : تأسيس الإرسالية الأمريكية فى بلاد الشام [*] :

ارتــبط تأســيس الإرسالية الأمريكية للتبشير فى الشام بعدة عوامل خاصة بالفكر الدينى البروتستانتى الذى كان يرى حتمية عودة المسيح، وهو مــا يعــرف باســم العودة الثانية، وذلك انطلاقاً من إيمانهم بالعقيدة الألفية، وارتبط هذا بالتالى بوجوب العمل على محورين:

أولهما: دعوة اليهود للعودة إلى فلسطين وطن شعب الله المختار كما جاء فى الوعود التوراتية.

والآخــر : محاولة تقليل عدد المسلمين وعدد أعضاء الكنائس الشرقية، وهى فى نظــرهم خارجة عن المسيحية الحقة، وذلك لتقليل عدد أعداء المسيح عند عودته[*].

ارتبط تاريخ الإرسالية الأمريكية فى الشام بتأسيس المجلس الأمريكى لأمــناء الإرســاليات الخارجية" The American of Commissioners Foreign Missions، عــام ١٨١٠م فى بوســطن وضــم فى عضويته الكنيســة المشــيخية Beres Byterian والكنيسة المستقلة Independent Church"[١] ومــنذ عــام ١٨١٢م أعــلن المجــلس عن رغبته فى إرسال المبشــرين للهند وإن كان الاهتمام فى الحقيقة موجها للأرض المقدسة ... حيــث أسســوا ثــلاث إرســاليات متميزة. واحدة لاستانبول عاصمة الدولة العثمانية، وواحدة لفارس والثالثة لبلاد الشام[٢].

(*) الإرســالية هنا المقصود بها جماعة من الناس الذين يتفقون حول هدف واحد. ويقومون بنشاط موحد لخدمة هذا الهدف.

(*) هــناك العديد من الوعود الكتابية بثواب من يعمل للتبشير وبنجاح أعماله فى الــنهاية مــن ذلــك ما ورد فى الإنجيل" احتمل المشقات. اعمل المبشر تمم خدمــتك"، من ٤ : ٢٥"أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا فى المســيح ليسوع" فيلبى ٣ : ١٤ – لهذا ترى هؤلاء مندفعين للعمل بقوة فى كافة الظروف.

(١)David Shavit,the united States in the middle East,A Historical Dictionary, New York,1988,p7.

(٢)Robertw. Stookey; American and the Aral States an uneasy Enchants, Center For Middle Encounter Studies, the university of Texas at Austin . New York, 1975 p.11.

ومن خلال نظرة دقيقة على أعضاء المجلس الأمريكي، والذى كان يضم فى عام ١٨١٣م ٢٦ عضواً من بينهم ١٨ على الأقل من خريجي المعاهد العليا بينهم عدد من القساوسة البروتستانت، وكان رجال الدين أنذاك هم الأعلى ثقافة فى المجتمع الأمريكي، وضم كذلك ثلاثة من كبار التجار، وعدد من أعضاء حكومات الولايات، وهنا يمكننا القول، أن هذه الإرسالية كانت مؤيدة بقوة من الرأى العام الأمريكى(١).

وابتداء من عام ١٨١٩م تم التجهيز لإرسالية الشام للانطلاق، وذلك بتكليف المبشرين الأمريكيين "بلينى فسك Pliny Fisk" و "ليفى بارسنز "Levi parsons" للقيام بالتبشير فى الأرض المقدسة، وهى المرة الأولى التى يظهر فيها الأمريكيون اهتماماً بفلسطين، فى الوقت ذاته هى بداية الوجود التبشيرى الأمريكى فى العالم العربى كله(٢).

وبذلك فقد كان أتباع الكنيسة المشيخية(*) "البريسبتريون" أول من وصل من الأمريكيين فى الإرسالية الأمريكية التى عملت فى بلاد الشام بعد أن انتقلوا من مالطة لبيروت(٣).

واهتمت الإرسالية الأمريكية أساسا فى البدايات، ببلاد الشام وذلك للعديد من العوامل التى يتميز بها الشام ، حيث التعدد الطائفى ووجود تشابه بين بعض هذه الطوائف عقائديا مع المسيحية، كذلك أن لبلاد الشام علاقات واسعة مع الغرب منذ الحروب الصليبية، فهى منطقة شبه معروفة بالنسبة لهم، ولنصارى بلاد الشام دور فى الوساطة ما بين الغرب والشرق، ويجب ألا يغرب عن أذهاننا وجود الأرض المقدسة التى سيعود إليها المسيح داخل بلاد الشام.

-انظر أيضاً: أنور الجندى: الإسلام والثقافة العربية، مطبعة الرسالة، ١٩٦٧، ص٧٧ .

(1)Robertw. Stookey: op. Cit., p. 10.

(2)Addison James, The christen Approach to The moslem,Ahistorilcal Study, New York. 1966,p.82.

(*) الطائفة المشيخية هى طائفة بروتستانتية استبدلت النظام الكنسى التقليدى بترتيبات جديدة، تقوم على نظام كنسى جماعى يقوده "الرعاة" المعينون للقيام بالخدمات الروحية بالمشاركة مع "شيوخ علمانيين ينتخبهم أعضاء الكنيسة، وللطائفة المشيخية مجلس إدارى أعلى فى كل قطر يجمع بين كنائسها وينسق بينها.

(٣) جورج انطونيوس: يقظة العرب، تقديم نبيه أمين فارس، ترجمة ناصر الدين الأسد، إحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧، ط٨، ص٩٨.

تؤكد معظم الروايات التى رواها الكتاب البروتستانت، على أن غرض المبشرين الأمريكيين فى الشام كان موجها فى الأساس نحو العمل بين اليهود أكثر من الرغبة فى إنشاء طائفة بروتستانتية فى الشام[١]، فلقد تغيرت الفكرة المسيحية الأوربية السائدة فى القرون الوسطى عن اليهود- بصفتهم شعباً غريباً ينبغى تجنبه واضطهاده- تغيراً جذرياً بعد حركة الإصلاح الدينى فى أوربا[٢] فلقد ارتبط بهذه الحركة إحياء التاريخ اليهودى القديم، وأعلن لوثر أن اللغة العبرية هى اللغة الرسمية للكنيسة البروتستانتية لأنها لغة الكتاب المقدس، وارتبط بذلك إحياء الوعود التوراتية التى يؤمن بها اليهود، وتسربت للبروتستانتية مع الإصلاح الدينى، ومن هذه الوعود أن فلسطين هى أرض شعب الله المختار "اليهود"[٣].

وبذلك فقد أصبحت فلسطين بالنسبة لأمريكى القرن التاسع عشر تمثل موقعاً جغرافياً للتقوى، ومكاناً للقدسية، والأرض التى ولد فيها يسوع وبدأت فيها المسيحية، وهى مرتبطة فى الأساس بالعقيدة الألفيه[*] التى يؤمنون بها[٤].

---

(١) نبيه أمين فارس: مرجع سابق، ص٣٨٢ .

(٢) ميخائيل سليمان: فلسطين والفلسطينيون فى العقل الأمريكى، ضمن كتاب فلسطين والسياسة الأمريكية من ويلسون إلى كلينتون، مركز الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٦، ص٢٧ .

(٣) أحمد محمد عوف: (دكتور): المؤامرات الخفية ضد الإسلام والمسيحية، الزهراء للإعلام العربى، القاهرة، ١٩٩٢، ص٨٩ : ٩١ .

(*) دخلت هذه الفكرة للمسيحية عن طريق اليهود أنفسهم، الذين ظلوا ينتظرون المسيح المخلص الذى سيخلصهم من حكم الرومان، ويجعلهم يعيشون فى سلام، معتمدين فى ذلك على ما ذكره أشعياء النبى فى الاجتماع الحادى عشر، وعندما تعمد بعض اليهود حملوا معهم هذه الأفكار، ووجدوا فى الإصحاح العشرين من سفر الرؤيا ضالتهم المنشودة، وعادت هذه الفكرة مع حركة الإصلاح الدينى على يد البروتستانت فى القرن ١٦، وهذا الملك الألفى هو فى حقيقته غير ما فهمه اليهود ومن ورائهم البروتستانت فهو ملك روحى وليس ملكاً جسدياً، راجع لمزيد من المعلومات "كنيسة القديسين مار مرقس الرسول والبابا بطرس خاتم الشهداء: شهود يهوه، القاهرة، د/ت ودون تحديد المطبعة، ص١٤٣، ص١٥٢ .

(٤) ميخائيل سليمان: مرجع سابق، ص٢٥ .

واعتبرت الشام هى المحطة الأولى للإرساليات الأمريكية فى الشرق العربى، ومنها انتقل نشاطها إلى الموصل وعينتاب وآسيا الصغرى[١]، كذلك كانت المحطة الأولى للإرسالية الأمريكية لمصر منذ منتصف القرن التاسع، وبذلك فقد كانت بلاد الشام هى الأساس الذى خرجت منه الإرساليات الأمريكية للبلاد العربية ومنطقة الشرق الأوسط كله فيما بعد، بعد أن تسلحت بما يكفى من العلوم والمعارف والإعداد اللازم للمبشرين من حيث فهم نفسية المتعاملين معهم، وكيفية التبشير بينهم.

فقد كانت منطقة الشرق الأوسط تختلف عن كل من أمريكا اللاتينية وأوروبا والشرق الأقصى، من حيث أن أمريكا لم تعرها أهمية كبيرة من وجهتى النظر السياسية والتجارية طيلة القرن التاسع عشر وحتى أوائل القرن العشرين، حقيقة أنها أبدت نشاطا عسكريا بحريا فى منطقة المغرب العربى فى أعقاب استقلالها عن بريطانيا، إلا أن ذلك لم يتضمن اهتمام أمريكا بهذه البقعة من العالم إلى ما هو أبعد من حماية المصالح الأمريكية، لذا فإن المبشر الأمريكى الذى كان يعتبر الشرق الأدنى أرض الإنجيل- هو الذى حدد أسلوب العلاقات العربية الأمريكية طيلة القرن التاسع عشر[٢] وكان المبشرون الأمريكيون قبل عام ١٨٥٠م يعتمدون اعتمادا كليا على الحماية الدبلوماسية البريطانية، أما بعد ذلك فقد نالوا حماية الدبلوماسية الأمريكية، فقد كان العديد من المبشرين يعملون فى الشرق الأوسط ولهم صلاحية القنصل[٣] وبعد أن تضررت مصالح الإرسالية الأمريكية فى الدولة العثمانية عموما من جراء موقف الدولة ا لعثمانية من تمرد الأرمن ١٨٩٤ -١٨٩٥، انتهزت واشنطن الفرصة فوجهت للآستانة فى عام ١٩٠٠م بعثة خاصة برئاسة الأميرال "تبستر" على متن المدرعة كينتسوى"، لطلب تعويضات وامتيازات خاصة للمبشرين، والمطالبة بعدة تنازلات ذات طابع سياسى

---

(١) عبدالعزيز سليمان نوار (دكتور): تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا، دار الكاتب العربى، القاهرة، ١٩٦٨، ص٣١٤ .

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى: (دكتور) الولايات المتحدة والمشرق العربى، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨، ص٥ .

(٣) توماس بريسون: العلاقات الدبلوماسية الأمريكية مع الشرق الأوسط ١٧٨٤ : ١٩٧٥، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٥، ص٦٣ : ص٧٨ .

واقتصادى[١] وبذلك فقد أسبغت الولايات المتحدة الأمريكية حمايتها على الإرسالية الأمريكية فى الشام، واستفادت من ذلك فى كافة المجالات سواء السياسية أو التعليمية والاقتصادية، حيث بدأت فى نشر النفوذ الأمريكى فى هذه المناطق، حتى يمكننا القول أن المبشر الأمريكى كان عبارة عن كتائب الغزو الاستعمارى المبكر للعالم العربى[*].

ثانيا- المحطات التبشيرية :

بعد أن تأسست الإرسالية الأمريكية فى "بوسطن" بالولايات المتحدة الأمريكية، وحددت أهدافها فى ارتياد الأراضى المقدسة، للعمل بين ظهرانى اليهود طبقاً للنبوءات التوراتية التى يؤمن بها البروتستانت، عمل هؤلاء على عدم الوثوب على بلاد الشام مرة واحدة، بل فضلوا الاستقرار المؤقت فى محطة "مالطة" التى كانت تخضع آنذاك للحكم الإنجليزى، ومنها راقبوا أحوال الشام، وأعدوا عدة رحلات استكشافية صغيرة ذهبت إلى هناك، لجمع المعلومات وبيان كيفية العمل، وأيضاً إعداد المبشرين للعمل فى هذه الأماكن، إضافة لإعداد الكتب والكراسات الدينية، وطبعها ونشرها فى هذه البلاد، وعندما حانت الفرصة لهم بخضوع الشام لإدارة محمد على ذهب المبشرون إليها، حيث كانت بيروت هى المحطة الأولى لهم فى المشرق العربى كله، ومن الميزات العديدة التى كانت تتمتع بها بيروت أنها كانت ذات موقع متميز بالنسبة للمدن الشامية الأخرى، ومنها خرجوا لاستكشاف المدن الأخرى، وبيان إن كانت مناسبة للعمل التبشيرى بها، فى محاولة لإقامة محطات تبشيرية بها، فكانت محطة "عبيه" ذات الموقع المتميز بالقرب من الدروز، وتوالى إقامة المحطات التبشيرية فى صيدا وطرابلس، ولم يكن العمل التبشيرى قاصراً على هذه المدن فقط، بل امتد للمدن والقرى المحيطة بها، كما امتد لمدن أخرى مثل دمشق، وحمص، وحلب، وشهدت هذه المحطات

---

(١) فؤاد المرسى خاطر: دراسات فى الأطماع الاستعمارية فى الوطن العربى، دلتا للطباعة، طنطا، د/ ت، ص٩١ .

(*) كانت الولايات المتحدة الأمريكية فى سياستها تجاه المشرق العربى فى القرن التاسع عشر كانت تنهج سياسة المتردد الحذر، وهى فى ذلك تخضع لتوجيه" جورج واشنطن" عام ١٧٩٦م فى خطبته "الوداع" التى نصح فيها بألا تتدخل الولايات المتحدة فى مشاكل القارة الأوربية، وكذلك هناك "مبدأ منرو" ١٨٢٣ الذى قام على أساس عزلة أمريكا عن الأحداث الأوربية والعالم.

نشاطا تبشيريا هائلا، وكانت هـى المحطـات الأساسـية لعمـل الإرسـالية الأمريكية فى الشام [١].

أ – محطة مالطة :

عندما قرر "المجلس الأمريكى للإرساليات" أن يرسل إرسالية للشـام، اختار مالطة كمحطة أولى لهذه الإرسالية، ومنها يراقب أحداث الشام ويختـار المحطة التالية له فى داخلها، وهى خطوة تالية فى العمل التبشيرى.

وكانت مالطة أكثر الأماكن ملائمة لهم، فقد كانت تحـت السـيطرة البريطانية منذ مطلع القرن التاسع عشر، وأسـس الأمـيريكيون مطبعتـهم الخاصة بهم فيـها عـام ١٨٢٢م، ومـن مالطـة تقـدم ليفـى بارسـنز LevyBarcenzوبلينى فسك Pliny Fisk نحو الشـاطئ الشـرقى للبحـر المتوسط فى رحلة استكشافية،[٢] ويتضح من المحاولات الاستكشافية الأولـى التى قام بها فسك وبارسنز أنهما اختارا بيروت لتكون المحطة الأولـى فـى الشام، وذلك للتعدد الطائفى بها، ولوقوعها فى وسط العالم العربى، ولأمكـان نشر النشاط التبشيرى منها لكل أنحاء الأقاليم العربيـة[٣]، ولكـن لـم تقـم الإرسالية الأمريكية بنقل المقر الأساسى لها لبيروت إلا ابتداء من نهايات عام ١٨٣٣م بعد ما ظهرت الأسباب المشجعة على ذلك.

وفى مالطة كان الاهتمام الأساسى موجه للترجمة والطباعة، فحتـى عام ١٨٢٧م ترجموا إلى الأرمينية ستة كتب، وذلك فى محاولة لنشر الفكـر القومى بين الأرمن وهى الكتب الآتية:

١– الأناجيل الأربعـة.
٢– خطبة عن A New Hearth The Childs Portion وهى من خطب جورج بـرور.
٣– خطبة عن "صلاة الرب".
٤– خطبة عن قدوم مملكتك كتبها يوحنا ورتابت Y. Wortabet
٥– خطبة عن "المسيح الطريق إلى الرب والسماء".

---

(١) مذكرات كرنيليوس فانديك : الهلال ، مجلد ١٤ ، الجزء الخامس ، ١٩٦٠ ، ص٢٧٦. وانظر أيضا : جلال يحيى : مرجع سابق ، جـ١ ، ص١٨٢ .
(٢) نبيه أمين فارس: مرجع سابق، ص٣٨١ .
(٣) خالد محمد نعيم: مرجع سابق، ص٥١ .

٦- خطبة عن "الإنقاذ العظيم وخطر إهماله"[١].

وبالإضافة للطباعة، كان الاهتمام الأساسى من جانب الإرسالية بتعليم مبشريها اللغة العربية، حتى يمكنهم العمل وسط الشوام، لذا سافر مستر سميث Mr.Smith لمصر لمدة عام لتعلم العربية، وبعد ذلك قام برحلة استكشافية للشام[٢]، كما تعلم مستر بيرد Mr. Bird اللغة العربية، وأصبح قادراً على الوعظ بها، وعمل غيرهما من المبشرين على اكتساب معلومات إضافية عن اللغات العبرية والأرمينية؛ حتى يكونوا قادرين على العمل بحرية وسط اليهود والأرمن ببلاد الشام، وكذلك أفادت هذه اللغات فى الترجمة والإعداد لطباعة الكتب والكراسات للتبشير، وفى الإشراف على المطبعة[٣] وكان هذا يتمشى مع سياسة الإرسالية التى رأت فى مالطة أفضل مكان لعملية الطباعة الخاصة بالإرسالية، كما وجد فى مالطة عدد من المبشرين الذين تم إعدادهم لإرسالهم للشام، فى الوقت الذى ضمت الإرسالية لديها عدد ممن قبلوا البروتستانتية من الشام، وتم إعدادهم وتأهيلهم لإعادة إرسالهم إليه مرة أخرى مثل يوحنا ورتابت Y-Wortabet [٤] كما عين المجلس الأمريكى للإرساليات التبشيرية فى "بوسطن" مستر أندرسون "Anderson" كوكيل عنه، ليتباحث ويتشاور مع المبشرين الأمريكان فى مالطة، حول الخطط المستقبلية للعمليات التبشيرية فى حوض البحر المتوسط، ووصل فى يناير ١٨٢٩، بعد رحلة بحرية استمرت ٣٤ يوماً، وقام أثناء رحلته بالعديد من الرحلات الاستكشافية لاختيار المكان الملائم كمحطة قادمة للإرسالية، ووقع الاختيار الملائم على بيروت كمحطة قادمة للإرسالية ولكن أجل اتخاذ أى خطوة فى هذا السبيل[٥].

---

(1) Missionary Herald, Dec, 1827. Extract From Mr. Goodell's Correspondence.

(2) Missionary Herald., Jan – 1828. Western Asia, vol. 24(1828).p.7.

(3)Mnary Herald, Jan., 1830. Western Asia : Stations,Vol.26 (1830),pp.8-9.

(4)ionary Herald, Jan 1829. Western Asia : Stations., Vol.25 (1829),pp.8-9.

(5)Monary Herald, May, 1829. Special Agency To The Mediterranean. Vol . 25, pp. 166 –167 .

ويتضح من خلال البيانات المتوافرة عن مالطة، أن الاهتمام الأساسي كان موجها للطباعة، خصوصا بعد أن احتوت المطبعة على جهاز للطباعة بالإيطالية واليونانية والأرمينية واللغة العربية، التي بدأ الإعداد للكتب والكراسات التبشيرية بها لإرسالها للشام والأراضي المقدسة[١] كمقدمات العمل التبشيرى المباشر داخل هذه البلاد .

وعندما ثار سؤال في عام ١٨٣١م لماذا لا تنقل المطبعة إلى بيروت؟ بحيث تكون قريبة من الذين أسست الإرسالية والمطبعة لخدمتهم، وحتى تكون على اتصال مباشر وقريب منهم، جاء الرد من القائمين عليها بأن مكان المطبعة في مالطة مكان مؤقت، وأن المكان الطبيعي لها بالفعل بيروت، ولكن ذلك غير مناسب لعدة أسباب: أن نقلها للأماكن السابقة سوف يجلب معارضة شديدة لها، وسوف تتدخل السلطات ضدها، وهو ما يؤدى لعرقلتها أو توقف عملها، يخشى من ذلك على المطبعة إذا ما نقلت لبيروت، بعكس مالطة التي يوجد بها حكومة مستقرة ومكان آمن للعمل[٢] .

وابتداءً من عام ١٨٣٣ بدأ الاستعداد للرحيل إلى بيروت، حتى يكون هناك فرصة للجهد التبشيرى المباشر أكثر مما كان في مالطة، كما أن المبشرين سوف يكونون أكثر ميلاً للكتابة للمطبعة عندما تكون قريبة منهم، أكثر مما لو كانت في مالطة، وترجع هذه الخطوة لأن الظروف أصبحت مواتية بعد أن أصبحت الشام تحت حكم إدارة علمانية هي إدارة محمد على[٣].

ب – محطة بيروت :

منذ بداية العشرينيات من القرن التاسع عشر بدأت الأنظار تتجه إلى بيروت لجعلها المحطة التبشيرية الأساسية في بلاد الشام، فقد أسس بها بليني فسك "PlinyFisk" وهو أول مبشر أمريكي زار بيروت بالاشتراك مع

---

(1)Missionary Herald, Feb., 1830, Vienna and Proceeding in Reference To The Mission Vol 26. Pp. 73- 82.

(2)Missionary Herald, Jan, 1831, Extract Of a letter From Mr King Vol.27 (1831), pp. 42- 44

(3) Missionary Herald, Dec., 1833. Printing Establish ment For The Meaditerranean.

زميله إسحق بيرد مدرسة عام ١٨٢٢ وكانا يعلمان فيها اللغتين الأنكليزية والإيطالية[١] ولكنها لم تتحول إلى مركز أساسى إلا ابتداء من عام ١٨٣٤ .

أما عن العوامل التى جعلت بيروت المركز الأول والأكبر للإرسالية الأمريكية فى الشام ومن بعدها بقية الإرساليات اليسوعية :

فأولها : أنها كانت مركزاً تجارياً وصناعياً يقصده الجميع للتجارة، سواء من الأوربيين أو من أهل الشام أنفسهم الذين يذهبون للتزود باحتياجاتهم، فى الوقت ذاته فهى ميناء واسع ورحب تقصده السفن الأوربية للتجارة، لذا فقد كانت بيروت من أوائل المدن الشامية التى تأثرت بالمؤثرات الغربية الحديثة، ففى الوقت الذى لم يكن يستطع قنصل بريطانيا دخول دمشق إلا فى أثناء الحكم المصرى، نجد أن الأوربيين كانوا يتنقلون فى بيروت بكل ثقة واطمئنان، من هنا فقد مثلت البيئة المثالية لبذر هذه البذرة فيها.

وأما العامل الثانى أن فى بيروت مراكز القناصل الأجانب، وفيها، أكثر بيوتهم التجارية،والعامل الثالث "فهو أن لبيروت أفضلية أخرى بارزة على سائر المدن فى الشام تقوم هذه الأفضلية على حرية العبادات الدينية وامتيازاتها، هنا رعاة دينيون من بلاد شتى، يقيمون فى المنازل الجميلة حيث يتلاقى أحيانا رجال مثقفون أقبلوا من الأديرة فى الجبال، بينهم الأساقفة والكهنة واللاهوتيون من موارنة وأرثوذكس وكاثوليك"[٢].

بدأ المركز التبشيرى فى بيروت بالمستر جودل "Mr Goodell" فى خريف ١٨٢٣م وكان معه مستر بيرد Mr.Bird، وأيضاً وصل إليهم فى ديسمبر ١٨٢٥ مستر نيكولايسون "Mr. Nicolayson" من إنجلترا كمبشر لليهود،وكان هؤلاء الثلاثة هم المبشرون البروتستانتيون فى الشام كلها

---

(١) يوسف قزماخورى : الدكتور كرنيليوس فان ديك ونهضة الديار الشامية العلمية فى القرن التاسع عشر، دار سورقيا، بيروت،د/ ت، ص٢٦ .

(٢) جون كارن: رحلة فى لبنان فى الثلث الأول من القرن التاسع عشر، ترجمة رئيف خورى. دار المكشوف، بيروت، ١٩٤٨، ص١٥ .

فى عام ١٨٢٦[١] واضطروا لحصر نشاطهم التبشيرى داخل بيروت، بعد إنذار الأمير بشير الشهابى الكبير لهم بألا يعملوا خارج بيروت، كما أن الدولة العثمانية أمرت بمنع توزيع الأناجيل العربية المطبوعة فى أوربا، وذلك تجنباً للشقاق والمنازعات بين الأهالى[٢]. وداخل بيروت نجح بيرد وجودل فى تبشير عشرة أشخاص بالخلاص واتباع التعاليم البروتستانتية وهم أربعة من الكنيسة الأرمينية، واثنان من الموارنة الكاثوليك، واثنان من اليونان الكاثوليك، واثنان من الكنيسة اللاتينية، وبدأوا فى توزيع الكتب الدينية، وقراءة الكتب المقدسة باللغات الأرمينية واليونانية والتركية والعربية والإيطالية[٣].

وتنبهت الكنائس الوطنية لهذا النشاط الكبير للمبشرين البروتستانت، فعملوا على مقاومتهم بشتى الوسائل، فتارة بتفنيد آرائهم مثلما فعل "المارونى بطرس كرم"، أو كما فعل الروم الأرثوذكس بإنشاء "الجمعية السورية الأرثوذكسية للخطابة" فى موضوعات دينية، وقراءة كتاب ملاطيوس ضد البروتستانت، وأيضاً بدأوا فى طباعة ما أهملوه من الكتب المقدسة، إضافة لذلك فرض عقوبة "الحرمان" ضد من يتبع أو يساعد البروتستانت[٤].

وبالرغم من هذه البداية المشجعة ؛ فقد اضطر المبشرون البروتستانت لمغادرة بيروت والشام كله فى عام ١٨٢٨م، وذلك نتيجة لعدم الاستقرار والمنازعات فى البلاد، وعادوا ومعهم القسيسان الأرمينيان كاربت Carbet وورتابت Wortabet "لمالطة، وكان عليهم الاستمرار فيها "حتى يفتح الله باب الإفادة فى مكان أخر"[٥]، ولكن ابتداء من ١٨ مايو ١٨٣٠م عاد المبشرون الأمريكيون مرة أخرى لبيروت، حيث استقبلوا بالترحاب الشديد

---

(1)American Board Of Commissioners For Foreign Missions, Missionary, paper, No. 7, Memoir Of Asaad Eshs hidiak. P5.

(٢) يوسف قزماخورى: مرجع سابق، ص٢٧ .

(3)Missionary Herald, Jan., 1828. Western Asia. Vol. 24 (1828), p.7.

(٤) الأب لويس شيخو: بيروت تاريخها وآثارها، مطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٥، ص١٠٠ .

- Missionary Herald, Feb., 1830, Operations Of The church. Missionary Socity in The Mediteran pp. 55-57.

(5)Amemair Of Asaad Eshs nidiak, op, cit, p.6.

من تلاميذهم السابقين، ويذكر تقرير الإرسالية "ولم تكن هناك أى سخرية، بل على العكس كانت هناك التحيات بمنتهى الاحترام أثناء مرورنا بالشوارع، ولكن القساوسة الوطنيين من كافة الكنائس ما كانوا ليرضوا بذلك الوضع فأخذوا فى وضع، العراقيل أمام الإرسالية الأمريكية"[١]، وبالرغم من هذا النشاط فقد كان مقدمة للعمل الفعلى الذى بدأ منذ عام ١٨٣٤م عندما أصبحت بلاد الشام تقع تحت حكم محمد على الذى أعلن علمانية الحكم وبذلك وفر الاستقرار للإرسالية ، فنقلت مطبعتها من مالطة لبيروت التى أصبحت المركز الرئيسى لهم فى الشام بل فى الشرق الأوسط كله.

وبعد نقل المطبعة عملت بمنتهى الجدية وكان الهدف واضحاً أمام القائمين عليها، فقد كانوا ينظرون إليها كواحدة من أهم المطابع التى يصدر منها شئ لتنصير السلالة العربية[٢].

وابتداء من عام ١٨٣٤م وهو بداية النشاط الفعلى للإرسالية فى الشام تم تأسيس كنيسة صغيرة فى بيروت، وانضم إليها أربعة وطنيين، منهم ناظر مدرسة طرابلس، وبالرغم من عدم وجود تغير كبير فى بيروت إلا أن تقرير الإرسالية رصد بداية لتغيرات فى مفاهيم الوطنيين الشرقيين تجاه كنائسهم وشعائرهم الدينية[*] وهو ما اعتبر نجاح للإرسالية الأمريكية[٣] التى عملت على هز الثوابت فى أذهان الناس.

وبدأت الإرسالية فى التركيز الشديد على الطباعة والتعليم لاستخدامهما كأهم أدوات للتبشير الأمريكى، ولمحاولة ضم الأتباع عن

---

(1)Missionary Herald, Nov., 1830. Arrival of messrs Bird and Whiting at Buyrout Vol. 26, pp. 373-378.

(2)Missionary Herald, Nov. 1836- Extract From a general Letter Of The Missionary pp. 458.467.

(*) من أمثلة ذلك محاولات الأروام الأرثوذكس لتعريب كنيستهم من اليونانية، وظاهرة النقاش مع رجال الدين فى الكنائس.

(3)Missionary Herald. Sep., 1834. Extracts. From acommunication of messrs Bird, smith and Thomson. Pp. 410 – 414.

طـــريقهما[١] فعن طريق توزيع الكتب التى طبعت فى المطبعة الأمريكية فى بيروت، كانت الإرسالية تبث فيها الأفكار الدينية التى تريدها، وأيضاً كان يتم اختيار الموزعين كمبشرين أيضاً، لعقد المناقشات مع أتباع الكنائس الأخرى فى محاولة اما لضمهم للبروتستانتية، وإما لتشكيكهم فى شعائر دينهم[٢] وفى عام ١٨٤٨ تم تأسيس أول كنيسة إنجيلية فى بيروت فى بناء خاص بها وبلغ عـــدد أعضائها ١٩ عضو وأصبح اسمها "الكنيسة الإنجيلية الوطنية"[٣] وكان المبشـــرون يقيمـــون صلواتهم فيها ويقيمون صلواتهم بالإنجليزية فى منزل قنصـــل أمريكا ببيروت "جبسبر شاسور" Gebseber Shasourكل أحد قبل الظهر واستمر ذلك ثلاثين عاماً[٤].

وفى بيروت كان هناك قداسين باللغة العربية أحدهما يعقد فى التاسعة صـــباحاً والأخر فى الثالثة والنصف بعد الظهر، وكانت الإرسالية تساندهما، وفى الشتاء كان معدل حضور الاجتماع فى القداس ثمانية، وأحياناً كان العدد يـــزيد على ذلك، وحوالى ثلث الاجتماع من الإناث، أما فى الصيف فقد كان العدد أقل لأن العديد من عائلات الإرسالية والعديد من الوطنيين يغيبون عن بيـــروت فى الصيف، وفى المجمل العام كان هناك قدره على التبشير وهناك حالـــة مـــن التســـاؤلات الجادة[٥] ولكن ازداد عدد الحضور فى الاجتماعات الديـــنية، وأصـــبح يـــتراوح ما بين ٦٠ و ١٢٠ فرداً، ولكن خلال الصيف انخفـــض عدد الحضور كالمعتاد، وإن كان قداس الصباح والذى كان يشرف عـــليه أحـــد الوطنيين قد توقف لبعض الوقت. ويذكر تقرير الإرسالية "وقد كـــانت الاجتماعات عادة يقظة وجادة لدرجة كانت تجعل منه عمل لم يُسبق ويدعو للأمل أن نبشرهم، إننا نثق أننا حققنا شيئاً طيباً"[٦].

(1) Missionary Herald. Nov, 1836. Report of The station at Beyroot. For The year 1835. pp414 –421.

(2) Missionary Herald, July, 1841. Report of The station at Bayroot Pp. 301-304..

(٣) اســـكندر بك بارودى: تعليم المرأة عندنا، الكلية، العدد الثامن، يونيو ١٩١٢ ص٢٣٤ .

(٤) مذكرات كرنيليوس فان ديك، الهلال، مجلد ١٤/عام ١٩٠٦، ص١٩٨ .

(5) Missionary Herald. July., 1852, Beirut: Annual report. Pp. 193 – 200.

(6) Missionary Herald , June. 1824, Beirut. Annual report. p. 232.

ونتيجة لهذه الجهود التبشيرية، دخل ثلاثة فى الكنيسة البروتستانتية عام ١٨٥٦م أحدهم هو نائب القنصل الأمريكى فى بيروت، منهم فتاة كانت إحدى الطالبات فى المدرسة العليا تحت إشراف د/ دى فورست، ثم عملت بعد ذلك مدرسة ناجحة فى مدرسة البنات في بيروت[١] وخلال عام ١٨٥٩م دخل عضو جديد فى الكنيسة، وحرم عضو آخر منها، وبلغ عدد أعضاء كنيسة بيروت ٣١ عضو من الأهالى، "بذلك ظهر انتعاش للحياة الروحية وطاقة بين الأعضاء، وأيضا تزايد انتباه المجتمع لموضوع الدين"[٢].

ولكن أصيبت الأعمال التبشيرية للإرسالية الأمريكية خلال عام ١٨٦٠ بالتوقف، وذلك بسبب مذابح الستين الشهيرة فى الشام، حتى سمى ذلك العام "عام التوقف"[٣] والملفت للنظر أن الإرسالية شجعت المنضمين إليها من الأهالى على الاجتماع سويا فى الاثنين الأول من كل شهر، وهؤلاء عملوا على المساعدة فى نفقات التعليم وافتتاح أنشطة أهلية يتولون هم الإنفاق عليها، ولكن فى الوقت ذاته ابتداء من اعام ١٨٦٢م بدأت المعارضة المنظمة والجادة ضد البروتستانت من جانب كنائسهم القديمة فى الظهور[٤] وخلال عام ١٨٦٤م عانت الإرسالية من المشكلات العديدة مثل: القحط والطاعون الذى أصاب البلاد، مما اضطر عدد من المبشرين للخروج من بيروت، بالإضافة للمقاومة العنيفة من جانب الكنائس الوطنية، والإرسالية اليسوعية، وأيضا المسلمين، ولكن فى أبريل من نفس العام، بدأت المشاكل فى الاختفاء، وتم قبول ٦ من المتقدمين للكنيسة ومن بين هؤلاء شباب صغار، ورؤوس عائلات، وجميعهم اثبتوا عزم صادق لخدمة الله". كما تم قبول ثلاث سيدات "وبذلك فقد بعدت السحابة التى تعلقت فوق الكنيسة بقدر كبير. وقد أتم الله وعوده "وذلك على حد قول التقرير [٥].

---

(1)Missionary Herald, June, 1856, Beirut: Annual report, Pp 177,181.

(2)Missionary Herald, May, 1859, Station Reports, pp. 131-142.

(3)Missionary Herald, March, 1861, station Reports. Pp. 134- 142.

(4) Missionary Herald, July 1862. Beirut : Letter From Mr. Jessup Pp. 251-253.

(5) Missionary Herald., April, 1864. Annual report of The Beirut. pp. 105-110.

وبعد ذلك وفى عام ١٨٦٧م انضم للكنيسة ١١ شخصاً منهم فقط اثنين ولدا لأبوين بروتستانتيين، واثنين منهم كانا يدرسان بمدرسة عبية العليا، وثلاثة عاشوا لسنوات عديدة فى عائلات من المبشرين[١] وبذلك نجد أن التعليم كان فى الأساس وسيلة للتنصير، ونتيجة لهذه الجهود فقد رأى مجلس الإرساليات الأمريكى أن يهنئ الإرسالية فى بيروت على نشاطها، وعلى الانتعاش الناتج عن جهودها، خصوصاً بعد أن نجحت الإرسالية فى استخدام الطباعة فى إعداد الترتيلة "الترنيمة"، وتوفيق الموسيقى الأمريكية للغة العربية، وذلك يأتى بتأثير أكبر على الناس وخصوصاً المنضمين للإرسالية[٢].

وأنشئت "جمعية بيروت الإنجيلية" التى هدفها نشر الإنجيل، وكانت تتلقى التبرعات لطبع وبيع الكتب الدينية البروتستانتية التى يؤلفها أعضاء الإرسالية[٣]. وأقيمت الاحتفالات الدينية فى كنيسة بيروت، من ذلك ما حدث فى الاحتفال بمرور ٤٠٠ عام على وفاة مارتن لوثر، وخطب فيه فارس نمو عن "احتفال الشعوب بميلاد لوثر، كما خطب إبراهيم سركيس فى "الشراهة وتدنيس يوم الرب، وحب الشهوات، وعموم الرذائل، والتوانى فى الروحيات والمقاومة العلنية للأمور المقدسة" حيث دعا فيها للتمسك بالبروتستانتية والبعد عما سواها[٤].

وجرت محاولات لاتحاد الكنائس الإنجيلية فى "سنودس"[*] خاص بهم، وعقد الاجتماع فى ٧ أبريل سنة ١٨٨٤م فى كنيسة بيروت، وخطب

(1) Missionary Herald, May 1867. Letter From Mr. H. Jessup. Pp. 145-199.
(2) Missionary Herald, Oct. 1867. Annual Meeting Of The Board: p. 337.
(٣) النشرة الأسبوعية : ٢٦ تشرين الثانى ١٨٧٢م، العدد ٤٨، ص٣٨٢ .
(٤) النشرة الأسبوعية: ١٨٨٤، ص١٢٨، ص٣ راجع أيضاً النشرة الأسبوعية: الاثنين ٢٨ نيسان، ١٨٨٤، العدد ١٨، ص١٣٧، ص١٣٨ .
(*) سنودس : هى فى الأصل كلمة يونانية بمعنى : مجمع .

فيهم د/ أدى William Addy في نظام الكنيسة، وتم الاتفاق على الاجتماع مرة ثانية في يونيو من نفس العام[1].

وبذلك فقد لعبت الإرسالية الأمريكية في بيروت دوراً كبيراً من النشاط في إيجاد طائفة بروتستانتية في بيروت من العدم ، وأسست الإرسالية أول كنيسة إنجيلية في العالم العربي في عام ١٨٤٨م في بيروت، وبعد اعتراف الدولة العثمانية بالبروتستانت ساعدهم ذلك في العمل ولا سيما بعد المساعدات التي كانوا يحصلون عليها من جانب القناصل الإنجليز والأمريكان، والاحتماء بالامتيازات الأجنبية.

يلاحظ كذلك أن تكوين الطائفة البروتستانتية كان في الأساس على حساب الطوائف المسيحية الأخرى والدروز، أكثر مما هو بين المسلمين الذين كان العمل بينهم صعب، لذا بدء بينهم بالتعليم لمحاولة زحزحتهم عن دينهم.

ج – محطة القدس :

للقدس مكانة خاصة في الفكر الديني المسيحي عموماًوالبروتستانتي خصوصا لإيمانهم بالعقيدة الألفية وعودة المسيح، لذا نالت أهمية كبيرة في عمليات التبشير الأمريكي في بلاد الشام.

وبدأت الإرسالية نشاطها بالمبشرين فسك "Fisk" وبارسنز "Parsons" اللذين غادرا بوسطن "Boston" في خريف ١٨١٩م[*]، فكانا بذلك أول مبشرين بروتستانت يزوران القدس بغية العمل التبشيري فيها، ولكن بعد عدة شهور غادرا القدس للاضطرابات الموجودة فيها، ولم يعودا

(١) النشرة الأسبوعية: بيروت، الاثنين ١٣ نيسان ١٨٨٥، العدد ١٥، ص١١٩.
(*) يغفل د/ على المحافظة وغيره ممن ذكروا بدايات الإرسالية الأمريكية في القدس الرحلة الأولى لفسك وبارسنز ١٨١٩م ويعتبروا عام ١٨٢٣م هو البداية الفعلية للإرسالية الأمريكية في القدس، راجع على المحافظة : (دكتور) الحركات الفكرية في عصر النهضة في فلسطين والأردن، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧، ص٢٣ - خالد نعيم: مرجع سابق، ص٥٢ .

إليهـا مرة أخرى إلا فى ١٨٢٣م[١]، وكانت هذه الزيارة أشبه بالاستكشاف
للقدس وأجوارها، ومدى مناسبة هذه الأماكن للعمل التبشيرى[٢]، ولم تكن هذه
المحطة حتى ذلك الوقت محطة أساسية.

وكـانت أعمـال المبشرين الأمريكيين حتى ذلك الوقت قاصرة على
الوعظ والصلاة أيام الآحاد، وكان يقوم بذلك المبشر "هوايتن" فى مكتبة ولا
يحضـر الوعظ سوى ستة أشخاص، بالإضافة لوجود مدرسة الأحد فى بيت
لحـم[٣] وبعد استقرار الإرسالية فى المركز الرئيسى ببيروت بدأ التفكير فى
إقامـة المحطـة الأخرى "القدس" فبدأ الاستكشاف مرة أخرى للاستقرار فى
القدس وأجوارها.

بدأ المبشر الإنجليزى نيكولايسون "Nicolayson" والذى يعمل فى
إطـار الإرسـالية الأمـريكية. يطلب المساعدة من الإرسالية للاستقرار فى
القـدس، مـنذ بدايـة عـام ١٨٣٤م، ولكن المسؤولين أجلوا النظر فى ذلك
الموضـوع حتى يزداد عدد المبشرين مرة أخرى[٤]، ولكن المبشر طومسون
"Thomson" وزوجـته قررا الانضمام لنيكولايسون وإقامة مركز تبشيرى
أمريكى فى القدس ابتداء من أبريل ١٨٣٤م[٥] ولم يكن هذا الأمر بالسهل فقد
لاقـوا العديـد من الصعاب فى البداية، خصوصاً فى ظل الثورة على الحكم
المصرى آنذاك، والمعارضة الشديدة من جانب الكنائس الوطنية، التى بدأت
تتنبه لخطورة التبشير البروتستانتى الأمريكى على أتباعهم، وأيضاً المسلمين
الذين استاءوا من وجودهم داخل المدينة المقدسة[٦].

---

(1) Memoir Of Asaad Eshshidiak. Op. Cit., p8.

(2) Missionary Herald, March 1829, Journal Of Messre, Fisk and King, at Jerusalem, p.p. 65 – 71.

(٣) مذكـرات كنرنيليوس فان ديك : الهلال، مجلد ١٤ الجزء الرابع عام ١٩٠٦، ص٢٢.

(4) Missionary Herald. April, 1834, A General Letter From The Missionaries.pp. 201-208.

(5) Missionary Herald,April 1834, Syria,Vol.30 (1834) p.192.

(6) Missionary Herald, May 1869, Woman, A Work trial and Trust Mr. Eliza N. Thomson By Mrs. Or Anderson, pp172 – 174.

ولم يكن بالقدس أى كنيسة إنجيلية، لذا بدأت التدابير لإقامة كنيسة خصوصا فى ظل وجود كنائس لكل الطوائف المسيحية واليهودية ومساجد للمسلمين(١).

وحتى عام ١٨٣٩م لم يكن بالشام كلها أى محطات تبشيرية للإرسالية الأمريكية سوى فى بيروت والقدس، التى كانت الظهير الآمن لهم أثناء حرب الدولة العثمانية لإخراج محمد على من الشام عام ١٨٤٠، فقد لجأوا إليها هرباً من حصار بيروت(٢).

عملت الإرسالية الأمريكية بالقدس على نشر دعوتها فى البلاد القريبة من القدس، وذلك بذهاب المبشرين إليها، ونشر الكتب التى يطبعونها فى بيروت فى هذه البلاد مجانا أو بأثمان زهيدة، مثلما حدث فى الرملة، وغزة، كما فى وسط الحجاج المسيحيين الذين كانوا يزورن القدس للحج، حيث يلتقى المبشرون بهم فى أماكن زيارتهم وإقامتهم(٣).

ولكن العداء للمبشرين الأمريكيين قد ازداد بشكل كبير أصبح يؤثر على عملهم، ويذكر مستر ويتنج Whiting فى خطاب له قوله "وخوفا من أن يعتمدوا على الحقيقة، والعدل (على حسب قوله) أو أن يتركوا الناس يحكمون على ديننا من خلال ثماره ونتائجه، فإنهم عمدوا للكذب كملجأ لهم وملء الناس بالخوف من معتقداتنا وذلك بجعلهم يعتقدون أننا وثنيون" ويسوق الخطاب حادثة انسحاب المسلمات من المدرسة ، حيث نجح الراهب اللاتينى

---

(١) وهذا مع غياب "كنيسة للمسيحية النقية التى بدت وحدها كغريب " على حد قولهم ، فقد كانوا يرون أنهم الطائفة المسيحية الوحيدة التى على حق وأن بقية الطوائف المسيحية الخرى على باطل وغير أنقياء .

Missionary Herald, Oct., 1855. London Jew's Society. Pp. 389 -385.

(٢) مذكرات كرنيليوس فانديك: الهلال، مجلد ١٤، الجزء الرابع، عام ١٩٠٦، ص٢٠٠ – انظر أيضاً: المقتطف – الجزء ١٢، العام ١٩، ديسمبر ١٨٩٥، ص٨٨٣ .

(3)Missionary Herald, Sept., 1835, Journal Of Mr. Thomson at Jerusalem, pp491-351.

فى إقناع المسلمين بمنع بناتهم من الذهاب إلى مدرسة الإرسالية الأمريكية لأن الراهب أقنعهم بأن المدرسة وثنية شريرة (*)عديمة الدين(١).

وبالرغم من المصاعب، عملت محطة القدس على تقديم الخطب والعظات الدينية، والتدريبات على الإنجيل، وإقامة القداسات العديدة، وذلك للتوصل بهذه الأنشطة لأعمال التبشير بين الطوائف المسيحية الشرقية، وأيضا بين المسلمين وإن كان بشكل أقل(٢). كما استمر الوعظ باللغة الإنجليزية أيضا فى منزل الإرسالية صباح كل أحد، وكان ينضم إليهم فى هذا القداس كثير من المسافرين الإنجليز والأمريكيين(٣).

ووصل النشاط التبشيرى لمحطة القدس إلى مختلف البلاد المحيطة بها، حتى جبال نابلس التى يذكر التقرير "أنها مشجعة بشكل مغرى جدا للمجهود التبشيرى، الذى لم تصله أقدام مبشرين آخرين حتى ذلك الوقت"(٤).

وفى إطار التنسيق بين الإرساليات البروتستانتية للعمل فى القدس، فقد خفف الأمريكيون من وجودهم فى القدس لصالح الإنجليز (*) والبروسيين

(*) هدف المبشرين من إنشاء المدارس ليس نشر العلم ولكن خدمة التبشير والدعوة للمسيحية على المذهب البروتستانتى، فالغاية هى قيادة الناس إلى المسيح حتى يصبح الناس شعوبا مسيحية بروتستانتية.محمد بن ناصر الشترى : مرجع سابق ، ص١٧.

(1)Missionary Herald, Feb., 1836, Journal Of Mr. Whiting at Jerusalem, Pp.353.-53.

(2)Missionary Herald, Sept., 1838, Journal Of Mr. Whiting at Jerusalem. Pp 333-336.

(3)Missionary Herald, Oct., 1838, Report Of station at Jerusalem for the year ending, March 1838, Pp. 420- 422.

(4)Missionary Herald, Oct., 1838, Report of the Station at Jerusalem For the year ending,March 1838.p.423.

(*)وهنا يطرح التساؤل: لماذا وافق الأمريكان على ترك القدس للإنجليز والألمان ؟ ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أن الإرسالية الأمريكية التى تعمل محتمية بالنفوذ الإنجليزى فى الشام وفى الدولة العثمانية كلها، عملت على الاستجابة لهذا الطلب الإنجليزى والانسحاب لأرض لا تشاركها فيها إرسالية أخرى مثل أحوار القدس، وكذلك بيروت .

"الألمان". ورحلوا هم إلى المناطق الواقعة شمال النافورة وغيرها من المدن الفلسـطينية [١]. وفى عام ١٨٤١م تم تأسيس أول أسقفية إنجليزية ألمانية فى القدس، وبناء كاتدرائية بروتستانتية [كنيسة المسيح – دشنت ١٨٤٩] وتكفلت بنفقاتها إنجلترا وألمانيا على قدم المساواة[٢].

وعملت الإرسالية الأمريكية على الاهتمام بالتعليم ونشر المدارس فى القـدس فى إطـار خطـتها لتنصـير اليهود، كما عملت على توزيع الكتب وخصوصاً فى الأرض المحيطة بالقدس .

وابـتداء من عام ١٨٥٧م تم تأسيس قنصلية لأمريكا فى القدس، بعد أن كان لها وكيل قنصل، وأول قنصل عمل فى القدس هو "دكتور جون وارن جورهـام" والـذى عمـل عـلى بسـط رعايته على المحطة الأمريكية فى القدس[٣].

وقد عملت محطة القدس على الاهتمام بالنواحى الجغرافية والأثرية، وكـل مـا مـن شأنه العمل على تحقيق الحلم الألفى للبروتستانت، فرسمت خريطة لفلسطين ونهر الأردن بُدئ فيها عام ١٨٧٢، واحتوت على معلومات أثـرية وتاريخيـة وجغرافية وافية[٤] كما اهتموا بإنشاء المستشفيات من ذلك مستشـفى "نابـلس" وكـانوا يقبـلون فيه المسلمين للتداوى، بشرط أن يتلوا الكاهن– وهو الطبيب– عليهم صلاة البروتستانت الدينية، والمسلمون يدخلونه مضطرين إذ لا مستشفى ولا طبيب عندهم"[٥].

---

(١) تيسـير أحمد حسين وهابية : القدس فى القرن التاسع عشر ١٧٩٩ : ١٨٩٨، رسالة ماجستير غير منشورة آداب سوهاج، قسم التاريخ، ١٩٨٢،ص٢٥٨ .

(٢) الكـزاندر شـولش: تحولات جذرية فى فلسطين ١٨٥٦-١٨٨٢- دراسات حـول الـتطور الاقتصـادى والاجتماعى والسياسى، ترجمة كامل جميل العسلى، دار المدى، الأردن ١٩٩٠، ط٢، ص٦٣ .

(٣) تيسير وهابية : مرجع سابق، ص٢٦٠ .

(٤) على المحافظة: مرجع سابق، ص٢٣ .

(٥) النبراس: الجزء العاشر، المجلد الأول، ١٣ كانون الأول ١٩٠٩، ص٣٨٣ .

وعملت الإرسالية الأمريكية على تهيئة الأذهان لعودة اليهود للوطن القومي لهم – كما آمنوا بذلك – فهم حسب اعتقادهم شعب الله المختار، لذا كانت المحاولة للبحث عن الأماكن الجغرافية التي ذكرتها التوراة، وإطلاق الأسماء التوراتية عليها، ولم تؤد هذه الدعوة لإقناع اليهود فقط، بل عدد كبير من الأمريكيين الذين ذهبوا للقدس انتظاراً لعودة المسيح[١].

د – محطة عبيه :

منذ بداية النشاط الفعلي للإرسالية الأمريكية في بلاد الشام عام ١٨٣٤م كان نشاطهم قاصراً على بيروت والقدس حتى عام ١٨٣٩م، ومنذ نهاية العام عمل المبشرون على توسيع نشاطهم وخصوصاً بين الدروز فوقع الاختيار على منطقة عبيه لإقامة محطة تبشيرية بها، فهي موقع مناسب، وتضم اخلاط من الموارنة، والدروز والأروام الأرثوذكس. ولكن النزاع بين الدروز والموارنة وحروب ١٨٤٠م أجلت المشاريع التبشيرية بعبيه مؤقتاً.

ومنذ عام ١٨٤٣م ذهب إليها كرنيليوس فانديك ووليم طمسن والمبشر هوايتن، واشترت الإرسالية قطعة من الأرض عليها بناء قديم أصلحوه وجعلوه مسكناً للمبشرين، وأقاموا عليه كنيسة عبيه[٢] وفي محطة عبيه قرر المبشرون نتيجة لاحتياجات خاصة لهم، أن يقرروا الدكتور كرنيليوس فانديك قسيساً ليقوم بواجبات دينية علاوة على ما كان يقدمه من خدمات طبية وجرى ذلك في احتفال ديني أقيم بكنيسة عبيه بتاريخ ١٤ ديسمبر ١٨٤٦م وأشرف على سيامته زملاؤه في الإرسالية، وكانت هذه المناسبة أهم مناسبة للإرسالية الأمريكية في بلاد الشام[٣].

---

(١) المرشد: العدد ١٨، السنة الثانية عشرة، الجمعة ٢٩ أبريل ١٩٤، ص١٣٩ .
– انظر أيضاً: عارف العارف: تاريخ القدس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١، ص٢٦٢.

(٢) مذكرات كرنيليوس فانديك: الهلال، مجلد ١٤، عام ١٩٦٠، الجزء الخامس، ص٢٧٦ .

(٣) يوسف قزماخوري: مرجع سابق، ص٦١ .

وأقيمت الخدمات الدينية فى عبيه، فقد كان هناك قداس يقيمه المبشر "ويتنج" ووجد قداس آخر كان يقيمه المساعدون الوطنيون فى منزله، وكان عدد الحضور يتراوح ما بين ٣ إلى ١٨، وكان يتم فيها إقامة دروس وعظ فى الكتاب المقدس[١].

ولم تكن الخدمات التبشيرية قاصرة على المحطة الرئيسية فى عبيه فقط بل امتدت لـ ٤ قرى حولها، وكان معدل حضور الدروس يتراوح ما بين ٦٠ : ٧٠ شخصاً وهو عدد كبير شجع المبشرين وأثلج صدورهم، كما أن مدارسهم أتت بثمارها فقد كان كل تلاميذها يحضرون الوعظ الذى تقيمه الإرسالية ومعهم أباؤهم وجيرانهم، وهو ما ساعد على نشر الأفكار التى ترغب الإرسالية فى نشرها، وهو جو مناسب ومثالى للعمل[٢]، كما حققت المحطة نجاحاً ملموساً فى إيجاد عدد من المساعدين الوطنيين لمساعدتهم فى أعمال التبشير وخصوصاً التبشير، المتنقل بين القرى والمدن التابعة لعبيه،[٣]ولكن قامت الكنائس المحلية فى عبيه بدور كبير جداً فى نقد عمل المبشرين الأمريكيين، فى محاولة لوقف نشاطهم المعادى والذى يستهدف تحويل أتباعهم للبروتستانتية، فيعترف تقرير للإرسالية فى ١٨٥٠م "بأن هناك فى القرية شعور قوى ضدنا باعتبارنا مبتدعين دينيين حتى أن أى شخص يحضر اجتماعاتنا يصبح رجلا مميزا"[٤].

والملاحظ أنه مع ازدياد النشاط التربوى والتعليمى للمؤسسات التابعة للإرسالية فى عبيه ، كان يتزايد معها النشاط التبشيرى، حيث ينضم عدد من الطلبة فى مدارسهم لحضور دروس الوعظ، والقداس، وكذلك الصلوات، ففى بدايات عام ١٨٥١م يرصد تقرير محطة عبيه، ازدياد عدد حضور الخدمات التبشيرية، وذلك لإضافة تلميذات من المدرسة الداخلية للبنات، وأيضاً عدد

---

(1)Missionary Herald , June, 1847. Report of The Station at Abeih.

(2)Missionary Herald ,June, 1849. Report Of The station at Abeih.

(3)Missionary Herald, June, 1847. Report Of The station at Abeih.

(4)Missionary Herald. Aug., 1850. Abeih, Report Of The Abeih station for 1849.

من طلبة المدرسة العليا فى عبيه، لذا أقيم لقاء صلاة أسبوعى باللغة العربية[١].

ومن خلال تقارير الإرسالية يمكننا أن نرصد تقدم فى أعمال محطة عبيه التبشيرية ابتداء من ١٨٥٢م حيث يرصد تقرير ذلك العام، حضور عدد أكبر للوعظ ودراسة الكتاب المقدس فيذكر التقرير "لدينا سبب يجعلنا نعتقد أن تبشيرنا لم يذهب سدى. فأكثر من خطبة عادية التى سادت مؤخرا لقاءاتنا، جعلت بعض العقول تتيقظ لتسأل باهتمام خاص عن طريق الإنقاذ"[٢] . وفى الوقت ذاته فقد استخدم أسلوب المناظرات لتوضيح الفروق المذهبية بين البروتستانت والمذاهب الشرقية الأخرى وخصوصا الأرثوذكس والموارنة، ونتج عن هذا الأسلوب انضمام عدد من الشباب للكنيسة الأمريكية البروتستانتية فى عبيه. ويذكر تقرير للإرسالية لعام ١٨٧٥م أن عدد حضور درس الوعظ التبشيرى المعتاد يتراوح ما بين٦٥و٧٠ ، ومعظمهم من طلاب المدرسة العليا وشباب من عبيه وقراها، أما الإناث فبلغ عددهن من ٨ : ١٠ حاضرات ، وهو عدد كبير فى ظل ظروف المجتمع آنذاك التى تمنع وتقيد حرية المرأة فى كافة المجالات، ونتج عن هذا النشاط أن تزايد عدد أعضاء كنيسة عبيه إلى ٢٢ عضوا[٣] . وفى عام ١٨٥٩ م ازداد العدد إلى ٢٦ عضوا، بعد أن انضم لها أربع "زوجات وأمهات" . وهذا مهم جدا للمحطة فى عبيه لأنه يعطيها الأمل فى أن تؤثر هؤلاء الزوجات فى عائلاتهن ويتحولن للمذهب البروتستانتي، ومن هنا كان اهتمام الإرسالية الشديد بالسيدات لدورهن الكبير المنتظر منهن[٤].

ولم يكن النجاح الذى لاقاه المبشرون فى محطة عبيه قاصرا عليها، فقد وجد نفس النجاح فى المدن القريبة منها مثل "بحمدون" حيث كان يعمل المبشر بنتون "Mr. Benton" وسط ٤٠ ألفا لا يوجد بينهم – على حد قول

(1)Missionary Herald, April, 1851, Report Of The Abeih station, p p 195-201.

(2)Missionary Herald, May, 1852. Abeih: Annual Report. Vol. 48 (1852) Pp. 144-148.

(3)Missionary Herald, April, 1857. Report Of Abeih station.

(4)Missionary Herald. June, 1860, Station Reports (Abeihand Suk El Ghurb) Vol. 56 (1860) pp. 164-171.

التقرير – واحد من المفترض أن لديه معلومة مفادها أن المسيح ضروري للخلاص" وذلك من وجهة نظرهم هم . ويشير التقرير إلى أن هذا المبشر قد حقق بعض النجاح فى تلك المدينة حتى أنه بدأ التفكير فى إقامة كنيسة إنجيلية فى بحمدون[١].

ويرتبط التقدم فى أعمال التبشير بعد عام ١٨٦٠م فى جبل لبنان عموما، ومحطة عبيه على وجه الخصوص، بتولية داود باشا [*] متصرفية جبل لبنان، فيذكر تقرير الإرسالية فى ١٨٦٣م "إن الحقيقة البسيطة الآن (آنذاك) هى أننى أنا مستر بيرد وكل مساعدينا الأهليين نعيش فى أقصى قدر من الحرية ليلاً ونهاراً وقتما نرغب، ونقيم أينما نرغب، ونعظ كما نرغب، دون أى عائق، ... وقد كان داود باشا لديه العديد من البروتستانت فى العمل حوله، ومن بينهم اثنان إنجليزى وسورى فى مراكز هامة جداً، وكان يستشيرهما ويثق فى رأيهما كثيراً"[٢].

وبذلك فقد قامت محطة عبيه بأكبر الأدوار فى خدمة الحركة التبشيرية فى جبل لبنان، وكانت المركز الأساسى للإرسالية الأمريكية فى الجبل، كما أنها استفادت جداً من الأحداث التى أعقبت مذابح الستين وخصوصاً بعد تعيين داود باشا متصرفاً لجبل لبنان.

---

(1)Missionary Herald, June, 1856. Bahmadun: Annual report, pp. 179- 180.

* داود باشا : هو أول متصرف لجبل لبنان بعد إقامة نظام المتصرفيه عام ١٨٦١م ، وهو أرمنى كاثوليكى ، وكان ذا ثقافة أوربية ، وقد وصل إلى بيروت فى أوائل شهر يوليو ١٨٦١م ، واحتفى به فؤاد باشا ناظر الخارجية العثمانى والذى كان موجودا فى بيروت وقدمه إلى ممثلى الدول الأوربية ، كان مقره الرسمى فى دير القمر ، واستمر فى الحكم حتى عام ١٨٦٨م . وقد نص القانون الأساسى لجبل لبنان على منح كل حقوق السلطة التنفيذية للمتصرف ، وله الحق فى تعيين مأمورى الإدارة المحلية ، ويتولى رئاسة المجلس الإدارى الكبير . عبد العزيز الشناوى : مرجع سابق ، جـ٣ ، ص١٥١٨ ، ١٥٢٦ .

(2)Missionary Herald, July 1863, Abeih: letter From Mr. Calhoun.

هـ- محطـة صيــدا :

عملت الإرسالية الأمريكية على إقامة محطة لها فى صيــدا لخدمــة الأعمال التبشيرية فى هذه المنطقة، خصوصا حاصبيا وعلما والجديدة وهــى مناطق جديدة وخصبة بالنسبة للإرســالية الأمريكيــة ويكــثر فيــها الأروام الأرثوذكس والموارنة والدروز وهم الهدف الأساسى للإرسالية.

سبق إقامة محطة صيدا عمل فردى للمبشرين، فمنذ بداية عام ١٨٣٢ قام يوحنا ورتابت بالدور الرئيسي فى هذه المرحلة وهــو أرمينــى تمذهــب بالمذهب البروتستانتي، وتدرب معهم على التبشير فى مالطة، عـــاد لصيــدا حيث أخذ يدعو للمذهب البروتستانتى ويمهد الأرض للمبشرين الأمريكييـــن، وقام بعض المبشــرين الأمريكييــن بزيارتــه لمحاولــة استكشــاف صيــدا وأجوارها[١] كما سبق إنشاء المحطة إنشاء العديد من المدارس فـــى صيــدا وحاصبيا، وتدريس الكتاب المقدس فيذكر تقرير فـــى بدايــة عــام ١٨٥١م" وكمية المعلومات الدينية التى يكتسبها الأطفال فى مدارسنا كبيرة جــدا ومــا يسعد حقا، هو ما اكتسبه الأطفال من كل الملل الدينية فى هذا المكان"[٢].

وعندما شعر المبشرون بأن الجو أصبح مناسبا أكثر للعمل فى صيــدا وأجوارها بشكل مطمئن بعد نشاطها التعليمي والخدمى هنـــاك، عينــوا فـــى عام ١٨٥١م كل من الدكتور وليم طمسن والدكتور فانديك للتبشير فى صيــدا وضواحيها، وبما فى ذلك صور وحاصبيا ومنطقة الحولـــة وعكـــا، وبــذل المبشرون نشاطا كبيرا، فى أعمالهم[٣] ومما يلفــت النظــر بدايــة اســتخدام العناصر الوطنية التى تم تدريبها على العمل التبشيرى فى حاصبيــا وعلمــا وغيرها مثل بطرس البستانى"، وأبو بشارة طنوس الحداد، وإلياس فواز[٤].

---

(1)Missionary Herald, April, 1832, Extract from Journal of Mr. Whiting. pp 106 – 111.

(2)Missionary Herald, July 1837. Journal of Mr. W- M. Thomson on Mount Lebanon, pp. 97 – 98.

- Missionary Herald, Jan, 1851, Letter from Mr. Whiting, July 23,1850. Pp 20-24.

(٣) يوسف قزماخورى: مرجع سابق، ص٦١ .

(٤) مذكرات كرنيليوس فانديك: مرجع سابق، ص٢٧٦ .

ومن خلال تقارير محطة صيدا يتضح لنا المجهود الكبير الذى بذلته فى الأعمال التبشيرية، فقد أقيم قداسان فى صيدا فى كل يوم أحد، وكان معدل الحضور يبلغ ما بين ٥٠ و٦٠ شخصاً، ومنهم عشرون مستمعون منتظمون[١] وإلى جانب ذلك وجد لقاء مسائى مرتين فى الأسبوع يتم فيه تدريس الإنجيل، وكذلك تجرى المناقشات عن الفروق المذهبية، إضافة لذلك يتم إقامة حفلة غنائية شهرية يحضرها عدد كبير من المستمعين، لذا فمعدل الانضمام للكنيسة كان فى ازدياد[٢] ويذكر تقرير لمحطة صيدا فى عام ١٨٥٤م أن العمل التبشيرى فى صيدا كان يسير بانتظام شديد "والانتباه إلى التبشير بالإنجيل مميز ومهيب، وهناك تقدم واضح فى المعلومات الدينية، ليس فقط لدى هؤلاء الذين يحضرون الاجتماعات ولكن لدى عدد كبير من أصدقائهم ورفقائهم الذين يتناقشون معهم بانتظام فى الموضوعات الهامة فى الكتاب المقدس" هذا بالرغم من المعارضة القوية التى قوبلت بها أعمال المبشرين من قبل الأكليروس المارونى[٣] ونتج عن هذا النشاط الكبير الذى بذله المبشرون فى محطة صيدا إقامة كنيسة فى حاصبيا ١٨٥١م، وكنيسة فى صيدا ١٨٥٥م.

وبعد أحداث ١٨٦٠م انتقل العديد من العائلات من حاصبيا وصيدا لبيروت، فقدمت لهم الإرسالية العديد من الخدمات لتخفيف المعاناة عنهم، كما استمرت الإرسالية تقدم لهم الخدمات الدينية فى محطة بيروت التبشيرية[٤]. كما تأثر العمل التبشيرى فى محطة صيدا مؤقتاً، خصوصاً بعد موت اثنين من المساعدين من الأهالى، وذبح العديد من البروتستانت، وعانت المحطة ومدارسها وأتباعها من الانهيار[٥] ولكن هذا الانهيار لم يستمر فابتداء من يناير ١٨٦٢ يصف التقرير حالة النشاط التى دبت فى المحطة، ووجود عدد من الذين انضموا لعضوية الكنيسة[٦] غير أن أبرز ما حدث فى محطة صيدا، وانفردت به عن بقية محطات الإرسالية فى الشام، هو النشاط الكبير

(1)Missionary Herald, July, 1853, Sidon: Annual report.

(2)Missionary Herald. May, 1854, Sidon: Annual report. Pp 130-137.

(3)Missionary Herald, April,1854,Annual Report. Sidon: Pp 130-137.

(4)Missionary Herald, Feb, 1861, Letter from Mr. Jenup.

(5)Missionary Herald, May, 1861, Station Reports Sidon Vol. 57 (1861) pp 134-142.

(6)Missionary Herald, April, 1862, Letter From Mr. Jessup. P123.

للأعضاء الوطنيين الذين بدأوا ممارسة العمل التبشيرى بإقامة الاحتفالات، وجمع التبرعات للأعمال الخيرية التى يقومون بها، وإقامة دروس الوعظ فى صيدا والمناطق المحيطة بها، وأدى هذا النشاط لانضمام سبعة أشخاص للكنيسة[١].

ونتيجة لنشاط محطة صيدا تكونت فى ١٨٨٣م أبرشية[*] صيدا المشيخية، وذلك لأن نظام الكنائس الإنجيلية يتطلب إقامة شيوخ مدبرين فى كل كنيسة، وأقيمت ١١ كنيسة وتم ترسيم قسوسها الأهليين، وعقد الاجتماع الأول للأبرشية فى قرية الجديدة، وعين من كل كنيسة شيخ واحد ليكون وكيلا لها فى المشيخة السنوية المؤلفة من قسوس الأبرشية[٢] والغرض من هذه المشيخة تمكين عوامل التعاون بين الكنائس وتمرينها على أشغالها[٣] وبذلك بدأت الإرسالية الأمريكية تترك أعمالها رويدا رويدا للوطنيين الشوام الذين انضموا إليهم وتعلموا على أيديهم كيفية العمل التبشيرى، وهى استراتيجية للإرسالية الأمريكية سنراها كثيرا فيما بعد.

و- محطة طرابلس :

فى إطار سياسة الإرسالية الأمريكية فى الشام فى إنشاء المحطات التبشيرية فى داخل الشام وعلى الساحل بجانب المحطة الرئيسة فى بيروت، عمل المبشرون على استكشاف ميناء طرابلس، خصوصا وهو يقع فى مكان نموذجى بالنسبة للعملية التبشيرية، حيث تكثر به وبأجواره النصيريون" وهم من أقرب الطوائف للمسيحيين، وعملت الإرسالية على العمل فى وسطهم.

وفى تقرير مبدئى للإرسالية، عام ١٨٤٩م ، ذكر وجود العديد من العوائق فى طرابلس ، تقف حجر عثرة أمام العمل التبشيرى ، فيذكر التقرير "أن الناس ذوو جهل شديد بالدين الحقيقى.[يقصد البروتستانتية] وهم متعصبون، وقليل منهم الذى يستطيع القراءة، ونادرا ما كان لأحدهم عادة القراءة من أجل اكتساب المعلومات، وليس لديهم تذوق للكتب" . ولكن على الرغم من هذه العقبات التى واجهت المبشرين فى طرابلس ؛ إلا أن التقرير يشير إلى وجود

---

(1)Missionary Herald, June, 1864, Sidon station Report pp. 182-183.

(*) أبرشيه: هو مصطلح إدارى كنسى يقصد به النطاق الجغرافى الخاضع لولاية الأسقف الأسقف المسئول عن مجموعة كنائس، وهى من أصل يونانى. مجدى جرجس : السجلات القضائية لبطريركية القبط الأرثوذكس بالقاهرة ، رسالة ماجستير غير منشورة بآداب القاهرة ، ١٩٩٧م ، ص ٢٠٣.

(٢) النشرة الأسبوعية، ٢٩ تشرين الأول ١٨٨٣، العدد ٤٤، ص٣٥٠ ص٣٥١.

(٣) داود قزمان : المجمع المشيخى فى أبرشية صيدا، النشرة الأسبوعية، العدد ٣٩، ٢٧ أيلول ١٨٨٦، ص٣٠٥ .

العقبات التى واجهت المبشرين فى طرابلس ؛ إلا أن التقرير يشير إلى وجود أمل لديهم فى إمكانية تحقيق تقدم فيقول : "ولكن على الرغم من هذه الأشياء فلدينا أمل وإذا كانت العوائق كثيرة وقوية، فإن قوة الحقيقة التى تسكن القلب عن طريق الروح لا تقاوم"(١)، على حد زعمهم .

وبالفعل بدأت محطة طرابلس باثنين من المبشرين هما ولسن "Wilson" وفوت "Foote"، وبالرغم من العوائق السابقة، فقد بدأ فى تدريب تبشيرى، ودروس فى التوراة، وأعد لقاء فى طرابلس المدينة كان يحضره ٣ : ٤ أفراد، ولقاء أخر فى طرابلس الميناء، كان العدد فيه حوالى ٥ أفراد، وقام المبشر "فوت" برحلات فى أجوار طرابلس(٢) ويبدو من خلال تقارير الإرسالية أن العمل التبشيرى قوبل بالعديد من المشاكل من قبل الأكليروس الأرثوذكس، إلى جانب وقوف بقية الطوائف المسيحية الأخرى والمسلمين ضد الأعمال التبشيرية الأمريكية ، مما دعا القائمين على المحطة للاعتراف: "إن مطامحنا للمستقبل ليست متفائلة"(٣).

ومع المثابرة فى العمل التبشيرى، وإقامة القداسات وحفل شهرى كان يحضره عدد من الأهالى، وبالإضافة لدروس التوراة والنشاط التربوى للمحطة بإنشاء عدة مدارس، كل ذلك ساعد فى تخفيف حدة العداء ضد محطة طرابلس(٤) وازداد عدد الحضور لاجتماعاتهم فوصل لما يتراوح بين ٦٠ و ٧٠ فرداً منهم عدة إناث، وهو ما أدى لإنشاء كنيسة فى طرابلس مما يمثل نجاحا كبيرا للمبشرين الأمريكيين فى طرابلس(٥). ويصف تقرير لعام ١٨٥٩ م أن العمل التبشيرى فى أجوار طرابلس فى جبيل "Gebail" وعزوز وغيرها أصبح مجدى" أصبح يتخلله الضوء، وفى قرى متعددة، هناك طلب متزايد ووعود كثيرة بالخير"(٦) ويذكر تقرير آخر لعام ١٨٦١م أن أعضاء

---

(1)Missionary Herald, March, 1849. Tripoli : Letter From Mr. Foote. December 1849. Pp. 101-102.

(2) Missionary Herald, April, 1852. Tripoli: station report.

(3) Ibid.

(4) Missionary,Herald, April,1854.Tripoli Annual Report.Pp,105–106.

(5) Missionary Herald, May, 1859, Station Reports (Tripou), vol. 55 (1859),pp.131-142.

(6) Ibid., pp.131-142.

إليها الآخرين، فى نفس الوقت كانوا يزورن الناس فى بيوتهم، ويتحدثون معهم فى الدين[١] وأدى هذا النشاط والمثابرة على العمل فى ظل تصميم المبشرين على النجاح، إلى أن أصبح هناك ٤٠ شخصا بروتستانتيا، وأكثر من ٢٠٠ فرد – لديهم استعدادا وميولا بروتستانتية، هذا فى الوقت الذى كانت الكنائس الشرقية تهدد أتباعها بالحرمان إذا ما تعاونوا مع الإرسالية الأمريكية[٢].

وبذلك فقد أصبح هناك محطة تبشيرية قوية فى طرابلس. وفى طرابلس وأجوارها كسبت الإرسالية أرضا جديدة لصالحها على حساب الكنائس الشرقية والنصيريين.

ولم يكن النشاط التبشيرى للإرسالية الأمريكية فى الشام قاصرا على المحطات الرئيسية فقط، بل وجدت العديد من النشاطات البارزة لها فى مدن أخرى : ففى دمشق وجدت إرسالية تابعة لـ "لجنة مرسلي أيرلندا وانضم إليها بعض المرسلين من الإرسالية الأمريكية، وذلك فى ظل التعاون بين الإرساليات البروتستانتية، وكان المبشران الأمريكيان هما، "المبشر روبسن" والمبشر "بورتر" "Porter" الذى كان مهتما بآثار الشام وجغرافيته وارتباطها بالتوراة[٣] وبنيت الكنيسة الإنجيلية الأولى فى دمشق عام ١٨٦٤م، كما بنيت الثانية فى عام ١٨٦٨م وساهمت فى إنشائها مسزموط الإنكليزية، ولم يزد عدد البروتستانت فى لواء دمشق عن ٦٧ شخصا عام ١٨٧٩م[٤].

أما فى حلب فقد بدأت الرحلة الاستكشافية الأولى فى عام ١٨٤٠م بعد أن طلبت اللجنة الإدارية فى بوسطن استكشاف سوريا الشمالية فى حلب، فذهب إليها كرنيليوس فانديك، ووليم طمسن، وبيدل، ولكن الحروب ضد القوات المصرية ثم المنازعات بين الدروز والموارنة[٥] أجلت العمل

---

(1)Missionary Herald, May, 1961, Station Report, pp 134-142 (Tripow) vol. 57 (1861).

(2)Missionary Herald, July, 1861, Syria Mission Tripoli: Letter from Mr. Lyons pp.203-206.

(٣)مذكرات كرنيليوس فانديك: الهلال، الجزء الخامس، المجلد ١٤، العام ١٩٠٦، ص٢٧٩ .

(٤) عبدالعزيز عوض: مرجع سابق، ص٣٠٥ .عبدالكريم غرايبة : مرجع سابق، ص١٦٧ .تيسير خليل الزواهرة : مرجع سابق، ص٢٢ .

(٥) مذكرات كرنيليوس فانديك: مرجع سابق، ص١٩٨ .

التبشيرى حتى عام ١٨٤٨م عندما أرسل إليها "فورد وبنتن" للتبشير بها، وأقيمت الدروس الوعظية بها ودراسة التوراة، وكان عدد الحاضرين حوالى ١٨٠ فرد فى القداس منهم عدد من السيدات[1] كما عمل المبشرون فى أجوار حلب، ففى عدليب "Idlib" وهى قرية يسكنها ١٠,٠٠٠ نسمة بها عدد كبير من الأروام الأرثوذكس، ويذكر تقرير لعام ١٨٥٢ "وقد تجاوب مع المستر فورد" "Mr. Ford" ثلاثون شخصاً فى عدليب، وأن نسبة غير عادية من المسيحيين فى هذا المكان أذكياء"[2].

وأرسل المبشرون أيضا مبشرا أهليا للعمل فى حمص بين المسيحيين هناك، ويصف تقرير للإرسالية "أن الزميل الأهلى الذى يعمل فى حمص يقرر حالة مبشرة تدعو للأمل" هذا على الرغم من أن البروتستانت فى حمص وهم عدد قليل منعوا من الأعمال التجارية وكان الجميع ممنوعين من التعامل معهم، وأيضاً كانوا مهددين بالموت من الكنائس الشرقية التى حاولت الدفاع عن وجودها[3].

أما اللاذقية فكان أول مبشر أمريكى يصل إليها هو "القس يوسف بيتى" الذى وصل إليها فى عام ١٨٥٩م وكان معه الإنجليزى "ليد" الذى اتخذ من قرية بحمرا من مقاطعة الكلبية مقراً له[4] وحدثت العديد من المناوشات من جانب الكنائس الوطنية لأعمال المبشرين باللاذقية ، وقد قوبل ذلك العداء بصبر المبشرين الأمريكيين فى محاولة لتخفيف حدته ومحاولة إيجاد ثغرة ينفذون من خلالها [5].

عملت الإرسالية الأمريكية على أن يعتاد الأهالى المشاركة فى العمل الدينى وذلك تمهيداً لترك العمل كله بين أيديهم- فيما بعد وهذا يتفق مع سياسة عمل الإرسالية التى ترى أن العمل سوف يثمر أكثر لو قام به الأهالى أنفسهم.

---

(1)Missionary Herald - Feb 1852. Aleppo : letter from Mr. Ford, Oct. 22, 1851.

(2)Ibid.

(3)Missionary Herald, July, 1862. Beirut : Letter from Mr. Jessup. Pp. 251-253.

(٤) المعلم عيسى إسماعيل النصيرى: أعمال المرسلين فى اللاذقية وجبالها، النشرة الأسبوعية، بيروت، الاثنين ٦ آب ١٨٨٣، العدد ٣٢، ص٢٤٩ .

(٥) النشرة الأسبوعية: ٢ حزيران ١٨٨٤، عدد ٢٣، ص١٧٨ : ص١٧٩ .

فقد كانت هناك دعوة لأن يشارك الشوام أنفسهم فى العمل التبشيرى البروتستانتى، ويقوموا بدورهم كاملا فى تحمل أعباء العمل التبشيرى ، ففى مقال بعنوان مملكة شوا جنوبى الحبش ورد فيه "فهل تظنون أن الله يطالب أهل أوروبا أو أمريكا من جهة خلاص القبائل المتوحشة فى عربستان - يقصد القبائل العربية فى بادية الشام - كما يطالب شعب سورية به، أليس عليكم واجبات من جهة خلاص أبناء لغتكم الجالسين الآن فى فى الظلمة الروحية والعقلية؟ إن وقف أمامك رجل بدوى يوم الدين وقال لك أيها الأخ لماذا لم تخبرنى عن طريق الخلاص فماذا تجاوبه؟ .. هل تقول لم أستطع أو لم أعرف بوجودك أو لم يخبرنى أحد عنك"[١] ومحاولة الإرسالية لتنظيم تبشير أهلى من خلال الأهالى أنفسهم استراتيجية معروفة للإرسالية التى تعمل على أن تتخفف هى من الأعباء بعد أن تثبت الجذور فى التربة حتى تتخلص هى نهائيا من هذا العبء وتخرج للعمل فى مكان آخر، ولا تبقى إلا على حق الإشراف فقط.

ولقد حاولت الطائفة البروتستانتية العربية فى الشام منذ ١٨٨٣م بالاشتراك مع جمعية "المرسلين الكنسية" تنظيم مجمع وطنى يتولى الإشراف على إدارة العمل فى بلاد الشام، إلا أن هذه المحاولات لم تؤتى ثمارها إلا فى بداية القرن العشرين حيث تأسس مجمع الطائفة الإنجيلية العربية[٢].

وفى ٣٠ أكتوبر ١٨٩٩م أعلن المجمع المسكونى - العالمى - التبشيرى فى نيويورك "لأعضاءه من الجمعيات والمبشرين فى كافة أنحاء العالم، وجوب دعوة الأهليين الذين قبلوا البروتستانتية على يد المبشرين أن يقوموا بنفقات "رعاتهم ومعلميهم" "وأن يبذلوا كل ما فى وسعهم فى سبيل التبشير بالإنجيل لأهل وطنهم" واعترف البيان" أن المساعدة الأجنبية غير المحددة مصدر كثير من الشرور[*] والتضييق لدائرة الهدى إلى الإنجيل،

---

(١) النشرة الأسبوعية: يوم الثلاثاء ٢ كانون الثانى ١٨٧٢م العدد الأول ص٣ .

(٢)تيسير أحمد حسين حسن وهابيه: مرجع سابق، ص٢٤٨ .

(*) "لقد تم تنظيم المجتمع التبشيرى الأهلى .. واستمر يزدهر خلال العام، بنشاط وحماس ونجاح، وهو ما قدم أفضل دليل على أن الكنائس الأهلية والمجتمعات البروتستانتية قادرة بل وراغبة فى أن تأخذ على عاتقها ليس فقط إدارة وتحمل عناء مؤسساتهم الدينية، ولكن أيضا العمل العظيم وهو نشر الإنجيل بين الأشخاص الريفيين.

- Missionary Herald, May, 1863. Beirut Station Report pp. 136-139.

ولكن الذين اعتمدوا على أنفسهم فى القيام بنفقاتهم أخذوا ينمون نمو طبيعياً من أول أمرهم[١] .

ووضح ذلك الرغبة الأكيدة لدى الإرسالية فى وجوب قيام الأهليين الذين انضموا إليها فى القيام بواجبهم كاملاً فى تحمل أعباء نفقات التعليم والكنائس وغيرها من الأنشطة، وكذلك قيامهم بالتبشير بين الأهالي، وألا يعتمدوا كليا على الإرسالية وما تقدمه لهم من نفقات وخدمات، وبالفعل أخذت الإرسالية فى التخفف من هذه الأعباء رويداً رويداً، حتى تخلصت منها فى النهاية، بعد النجاح فى تأسيس مجمع أهلى قوى وقادر على تحمل هذه الأعباء. وأصبح هذا هو النواة الأولى للطائفة البروتستانتية فى بلاد الشام بل فى العالم العربى كله، وهو ما أثبت نجاح الإرسالية الأمريكية، بجانب مساعدة الإرساليات البروتستانتية الأخرى وإن كانت أقل قيمة ونشاطاً من الإرسالية الأمريكية.

ثالثا- الأنشطة المساعدة للتبشير :

فشل المبشرون فى العمل بين المسلمين ؛ لذا ركزوا جهودهم فى العمل بين الطوائف المسيحية بهدف جذبها إلى المذهب البروتستانتى مستخدمين وسائل كثيرة مثل تقديم الخدمات الاجتماعية المختلفة من تطبيب وإقامة مستشفيات وملاجئ .

لقد سخّر المبشرون الطب[*] فى سبيل غايات، حسبك دليلاً على نوعها قولهم هم: حيثما تجد بشراً تجد الآما، وحيثما تكون الآلام تكون الحاجة إلى الطبيب، وحيثما تكون الحاجة للطبيب فهناك فرصة مناسبة للتبشير، وهكذا اتخذا المبشرون الطب ستاراً، يقتربون تحته من المرضى[٢] .

---

(١) المرشد: ٢٠ أكتوبر ١٨٩٩، العدد ٤١، ص٣٤٣ .

(*) يتوافد المرضى على العيادة الخارجية، ويقوم الكاتب وهو واعظ انجيلى بتحرير بطاقة له، كما تقوم المرضة بمعرفة شخصية المريض وظروفه الخاصة، هذه التحريات كلها تصل تباعاً إلى مكتب قسيس المستشفى لتبويبها وتصنيفها.

ويلقى واعظ من قبل قسيس المستشفى قصة دينية قصيرة على جمهور المرضى المنتظرين فى مكان الانتظار، فإذا دخل المريض المستشفى فإنه يستمع لدرس دينى فى أصيل كل يوم، وقد يتبعه عرض بالفانوس السحرى، ثم توزع على المرضى النشرات لقراءتها والتسلى بها.

إبراهيم خليل أحمد: مرجع سابق، ص٦٠.

-والمؤلف كان مبشرا إنجيليا ولكنه أسلم وعمل على فضح وسائل التبشير.

(٢) مصطفى الخالدى وعمر فروخ: مرجع سابق، ص٥٣ .

فقد كان الأطباء والممرضات فى كل المستوصفات والمستشفيات التى أنشأتها الإرساليات فى كافة أنحاء بلاد الشام خير عون للتنصير والمنصرين، فقد كانوا يرتدون زى ملائكة الرحمة، يقدمون العلاج، ويسهرون على راحة المرضى، ويقومون بكافة الخدمات مجانا أو بأجور رمزية جدا ويتم ذلك كله باسم المسيح ومن أجله، ليصبح فى النهاية هو "الشافى" – حسب قولهم – وهو الذى يقدم لهؤلاء المرضى الخير والراحة والشفاء[١].

ففى ٦ فبراير ١٨٦٨م قدم الدكتور كرنيليوس فانديك تقريرا لرئيس الكلية السورية الإنجيلية. عن سعيه لدى القس أدامز "Adams" من كنيسة نيويورك لإنشاء مستوصف لأمراض العين، وأنه أرسل إليه ١٢٠٠ دولار أمريكى لهذه الغاية، ووعد بإرسال المزيد من الدراهم كلما دعت الحاجة وأخذ "فانديك" فى تأسيس مستشفى باسم Brown Ophthal Mic Hospital"[٢].

ومن نماذج التعاون بين الإرساليات التبشيرية[*] البروتستانتية فى الشام المستشفى الذى أنشأه "المارشال أدون هنس كارل فن متوفل" وهو المستشفى البروسى، وهو مستشفى عام للمرضى المحتاجين من النصارى والمسلمين وسائر الملل[٣]، وهذا المستشفى يقع فى رأس بيروت قرب المدرسة الكلية على مرتفع من الأرض يحيط به حديقة واسعة فيها كل أنواع الفاكهة، فى هذا المستشفى خدم د/ فانديك، ود/ يوحنا ورتابت مجانا ويقال أن فانديك وحده كان يطبب أكثر من إثنى عشر ألف مريض فى العام، ونال

---

(١) كرم شلبى: مرجع سابق، ص٥٠ .

(٢)يوسف قزماخورى: مرجع سابق، ص٨٦ .

(*) فى إطار التعاون بين الإرساليتين الألمانية والأمريكية أنشئ البيمارستان اللبنانى للاهتمام بالمرضى العقليين، وتقرر أن يكون البناء على تله منفردة فى جبل لبنان بالقرب من بيروت، وأن يكون مخصص لكل الطوائف بدون تخصيص مذهبى، وكان فى مقدمة العمدة العاملين لهذا المشروع، د/ ورتبات وهنرى جسب، واسير أفندى شقير، ووليم فانديك، والخواجا قلد صبر الجرمانى فى الذى سافر لأمريكا وأوربا لجمع التبرعات لإنشاء هذا المعهد. راجع.

- الطبيب: الجزء الثالث، السنة الثامنة، أول آب ١٨٩٦ ص٩١ .
- الطبيب: الجزء الحادى عشر، أول نيسان، ١٨٩٨، السنة التاسعة، ص٣١٣ .

(٣)النشرة الأسبوعية: بيروت، الاثنين ٢٩ حزيران ١٨٨٥، عدد ٢٦ ص٢٠٥ .

اعلى نيشان فى ألمانيا من إمبراطورها، جزاء أعماله الخيرية فى هذا المستشفى الذى طبقت شهرته الآفاق فى بلاد الشام كلها[١].

كما أنشأت الدكتورة مارى أدى Mary Addy وهى ابنة المبشر الأمريكي وليم أدى William Addy مستشفى لعلاج السل، وجعلت له مصيفا ومشتى، واهتمت فيه بالمرضى اهتمام بالغ، والعلاج فيه مجانا[٢] ولم يكن هذا النشاط قاصرا فقط على أعضاء الإرسالية من الأمريكيين فقد انضم إليهم فيه بعض الوطنيين الذين اعتنقوا المذهب البروتستانتى، ففى عام ١٩١٣ عمل بشارة أفندى منسى، واسكندر بك بارودى، وقسطنطين أفندى ثابت، وهم من الأطباء وخريجى الكلية الإنجيلية، عملوا على المشاركة فى إنشاء مصحة لعلاج الدرن، ورغم كل الصعوبات التى اعترضت طريقهم إلا أن عزيمتهم لم تضعف عن الاستمرار فى العمل والنجاح فيه[٣].

وبذلك نلاحظ أن كثيرا من الأسماء اللامعة والمشهورة من الأطباء الأمريكيين الذين جاءوا الشام وعاشوا فيه، ما جاءوا إلا للعمل التبشيرى في الأساس مستخدمين الطب وسيلة، من هذه الأسماء، د/ كرنيليوس فانديك[*] ود/ جورج بوست، ود/ يوحنا ورتابت، ود/ مارى أدى التى أنشأت مصحة لعلاج السل.

وكان الأطباء كذلك يقومون بالعديد من الرحلات الاستكشافية فى القرى والمدن المحيطة بمراكزهم، للعمل التبشيرى من خلال الطب، مثل د/ تشارلس وليم كلهون Charles Willian Calhonوهو قسيس وطبيب أمريكي، فقد جال نحو ٤٥ يوما فى نواحى حمص وحماه وصافيتا، وكان مقره الأساسى فى طرابلس، فجال فى هذه البلاد لأجل التبشير والتطبيب[٤]

---

(١) عبدالرحمن بك سامى: القول الحق فى بيروت ودمشق، اللطائف، الجزء العاشر من السنة الخامسة، ١٥ فبراير ١٨٩١، ص٣٨٧.

(٢) الحسناء: الجزء التاسع. المجلد الثانى، آذار سنة ١٩١١، ص٣٢٩.

(٣) الكلية: العدد الرابع، فبراير ١٩١٣، ص١١٤.

(*) بلغ من حرص د/ كرنيليوس على أعمال التطبيب أنه كان ينفق من ماله الخاص على الفقراء المحتاجين من مرضاه، بل أنه تبرع لبناء عدة قاعات بمستشفى مار جرجس عندما ضاق بالناس، وكان يطب بهذا المستشفى، راجع المقتطف. الجزء الحادى عشر، العام الثانى عشر، أغسطس ١٨٨٨، ص٧١٢.

(٤) النشرة الأسبوعية : عدد ٢٦، الاثنين ٢٥ حزيران، ١٨٨٣، ص٢٠٨.

كما كان د/ هرس الأمريكي يقوم بنفس الجولات، وبدأ يدخل المجال بعض الأطباء من الوطنيين المرتبطين بالإرسالية، مثل د/ فارس أفندى صهيون، ود/ أمين أفندى معلوف[١].

ولم يقتصر نشاط الإرسالية على التطبيب بل أنشأت العديد من الملاجئ مثل أخوية دار الأيتام السورية، وقد أقيم بالمشاركة مع الإرسالية الألمانية، وفى سنة ١٩١١ وصل عدد النزلاء ٢٣٠ يتيماً و٣٠ يتيمة، وبه فرع للعميان به ٢٠ من الذكور و٢٠ من الإناث، وأيضاً كانت به مدرسة خارجية بها ٢٥٠ تلميذاً وتلميذة، وكان له فروع فى يافا والناصرة، وفتح لكل الطوائف على اختلاف المذاهب[٢].

وهنا نجحت الإرسالية فى استخدام الأعمال الخيرية للوصول لأهدافها التنصيرية، كما أنهم استغلوا الأزمات والنكبات التى ألمت بالشام فى تحقيق جزء من أهدافهم، والظهور بمظهر الرجل الخير الذى جاء لرفع المعاناة عن الناس، ولكنه فى الحقيقة يخفى الهدف الحقيقى له، وهنا علينا أن نعترف أنه بالرغم من استغلال حاجات الناس لخدمة أفكار وأهداف معينة إلا أنهم بالفعل قد أفادوا الناس ونجحوا فى تخفيف أعبائهم وأزماتهم[*].

رابعا- مدارس الأحد :

كانت مدارس الأحد من أهم الوسائل التى استغلها المبشرون ، حيث عملوا على دعوة الناس إليها من مختلف الأعمار لدراسة الكتاب المقدس، والاستماع للوعظ وغيره من الخدمات الدينية التى تقدمها هذه المدارس، حيث كانت من أهم مصادر جذب الناس للدخول فى مذهبهم الدينى.

ويذكر البعض أن هذه المدارس ظهرت بمصر وكانت تسمى فى بدايتها" مدارس الموعوظين "Catechetical Schools" وذلك لإعداد المرشحين لقبول سر العماد بأن يكونوا مؤهلين لدخول المسيحية، وكانت هذه المدارس تعتمد فى تعليمها على أسلوب السؤال والجواب، ويذكر المؤرخون أن المحاولة النظامية الأولى لها بدأت فى مصر،ولم تكن قاصرة على تعليم البالغين فقط ، بل وجد مدرسون للأطفال، ومعلمون للشباب[٣] وفى عهد الإصلاح

---

(١) الطبيب: الجزء الأول، السنة الثامنة، أول حزيران ١٨٩٦، ص٣٠ .

(٢) مجلة المدى، العدد ٤٠، السنة الأولى، ٢٠ أكتوبر، ١٩١١، ص٣٢٨ .

(*) فى عام ١٨٩٥ أسست الإرسالية فرعاً للأيتام فى مدرسة الفنون الأمريكية فى صيدا، وقد خصص بناء الأيتام المذكور لمساعدة أيتام الطائفة الإنجيلية لا غير. راجع. أحمد عارف الزين: تاريخ صيدا، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩١٣، ص١١٨ .

(٣) سمير مرقس: تاريخ خدمة مدارس الأحد وأثرها التعليمى فى الفترة من ١٩٠٠ : ١٩٥٠. مجلة مدارس الأحد، القاهرة، نوفمبر وديسمبر ١٩٨٤، ص٧٢ .

الدينى (*) اهتم بمدارس الأحد اهتماما كبيرا، أما مدرسة الأحد المعروفة فى القرن التاسع عشر فمؤسسها هو "روبرت ريكس "Robert Rex" فى ١٧٨٠م، وكان يجمع الأولاد لتعليمهم الكتاب المقدس فى يوم الأحد، وعندما حصل من هذه المدارس على فوائد عظيمة النفع، استخدمتها الإرساليات، فهى من أحسن أسباب التهذيب[١].

ومنذ بداية عمل الإرسالية الأمريكية فى بلاد الشام، وهى تعمل على تشجيع هذا النوع من المدارس، وتجهيز الكتب التى تحتاج إليها، كما أن بعض الجمعيات التى تهتم بمدارس الأحد قد ساعدت كثيرا فى توزيع الكتب المناسبة لتفكير نوعيات الطلاب التى تؤم هذه المدارس[٢].

وأقامت الإرسالية الأمريكية أول مدرسة أحد فى بيروت فى عام ١٨٣٦م، وكانت جزءا من مدرسة الأحد التى تدرس بالإنجليزية، وكان يوجد بها فصل للبنات يحضر ضمن تلميذاته عدد من التلميذات من الأهالى، وكذلك وجد بها فصل آخر للبنين، ويعترف تقرير للإرسالية" أنه قد استوعب التلاميذ

* الإصلاح الدينى فى أوربا : نجحت الكنيسة فى أوربا العصور الوسطى فى السيطرة على جميع شئون الحياة حتى قال البابا أنوسنت الثالث " لا خلاص لإنسان فى العالم ما لم يخضع للبابا ، فأنا قيصر وأنا الإمبراطور الحقيقى صاحب السيادة على جميع أمراء الأرض " وانتشر الفساد فى الكنيسة وتعددت مظاهره التى كان من أهمها بيع صكوك الغفران ؛ فظهر مارتن لوثر ، الذى ولد سنة ١٤٩٣م ، ودعا إلى الإصلاح الدينى ، وأهم ما نادى به : أن يكون رجال الدين خاضعين للسلطة المدنية ، وأن ليس للبابا حق احتكار تفسير الإنجيل ، ونصح بتقليل الأديرة ، وطالب بزواج القسيس . وقد عرف أنصار هذا المذهب الجديد بالبروتستانت Protestants أي المحتجين . وجاء بعد لوثر من سار على دربه مثل أولريح زونجز (١٤٨٤-١٥٣١) وجون كلفن (١٥٠٩-١٥٦٤) . عبد الرحيم عبد الرحمن (دكتور) : التاريخ الأوربى الحديث والمعاصر ، دار الكتاب الجامعى ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٩٩٥م ، ص ٧٩-٨٥ .

(١) النشرة الأسبوعية: عدد ١٣، الاثنين ٣٠ آذار ١٨٨٥، ص٩٩ .

(2)Missionary Herald, Feb., 1830, Books on Missionary subjects designed for The Young, pp.61-63.

الدروس بكل سهولة ويسر، مثل أطفال أمريكا"[١] وفى عـــام ١٨٦١م كـــان فصل الطلبة فى مدرسة الأحد ببيروت يحوى ١٥٠ دارسا، وفصل الشـــباب يحوى ٥٠ شابا، كما وجد فصل للسيدات ٢٥ سيدة[٢] وفى عام ١٨٨٣م كـــان لمدرسة الأحد فى بيروت سبعة فروع من مدارس الأحد،[٣] وهو مـــا يعنـــى التقدم الكبير فى خدمات هذه المدارس التى كانت تقـــدم الـــدروس والوعـــظ للصغار والكبار على حد سواء.

ولم تكن هذه المدارس قاصرة على بيروت فقط، بـــل امتـــدت لبقيـــة المحطات التبشيرية الأمريكية فى بلاد الشام وكان نظام التعليم فيها واحـــدا، قائما على نظام السؤال والجواب، وكانت تـــروى لـــهن قصـــص الإنجيـــل، ويقيمون الصلوات معا[٤].

واهتمت الإرسالية بنشر الأفكار الخاصة بمدارس الأحد، والتشـــجيع على الحضور إليها ؛ لما لها من أهمية كبيرة فى التأثير على عقول الأطفـــال والشباب ودعوتهم للانضمام للكنيسة البروتستانتية ، حتى جعلت هذه المدرسة فرض على كل من يستطيع القراءة وعنده الكتاب المقدس، وذلك لتعليم النـــاس طريق الخلاص – من وجهة نظرهم – وكان ينبغى إقامة مدرسة الأحد حتـــى فى الأماكن التى لا يوجد بها كنيسة أو التى لا يوجد بها قسيس[٥] وفى عـــام ١٩٠٤م تم عقد مؤتمر دولى فى " القدس " لمدارس الأحد الإنجيلية فى العـــالم وذلك للبحث فيما من شأنه ترقية مدارس الأحد، وحضره ٨٠٠ من المبشـــرين الإنجيليين فى العالم[٦] وخرج المؤتمر بعدة توصيات هى:

أ- يجب على كل معلم مدرسة أحد أن يجمع من الخارج أولادا وبناتا، رجـــالا ونساء ليسوا من أبناء الكنيسة.

---

(1)Missionary Herald, Nov., 1836. Report Of The station at Beirut For the year 1835 – pp 419-421.

(2)Missionary Herald, June, 1861, Beirut: letter from Mr. Jessup. Pp 167.169.

(٣)النشرة الأسبوعية : عدد ٢٧، ٢ تموز، ١٨٨٣، ص٢١٥ .

(4)Missionary Herald, Nov. 1838, Report of The Station at Jerusalem for The year ending. March, 1838. Pp. 420 - 423.

(٥) كيفية إنشاء مدرسة أحد ونظامها وتدبيرها، النشرة الأســـبوعية، الثلاثـــاء ١٣ شـــباط ١٨٧٢م، ص٥٣. ص٥٦ .

(٦) المرشد: الجمعة ٢٣ أبريل ١٩٠٤، العدد ١٧، السنة ١٢، ص١٣٤ .

ب- يجب على المدارس أن تقيم على الأقل ثلاث احتفالات فى العام.
ج- يجب على الخدام عموما أن يفهموا الكنائس بأن مدرسة الأحد هى أم الكنيسة ووالدتها، ولذلك يجب إكرامها وتعزيزها وحفظ كرامتها بل يجب على كل كنيسة لاحظت طريقة مفيدة لتقدم مدرسة الأحد أن تبادر فى الحال وتخبر بها جميع الكنائس[١].

وبذلك فقد لعبت مدارس الأحد دوراً كبيراً فى نشر الفكر الدينى البروتستانتى للإرسالية الأمريكية، والتى شجعتها بأن عقدت مؤتمر لمعلمى ومبشرى مدارس الأحد البروتستانت بالقدس ولهذا دلالة خاصة بالفكر الدينى الذى يعتنقونه.

ومما سبق يمكننا القول:

أ-اصطدم المبشرون الأمريكيون فى بلاد الشام فى بداية عملهم بعدة صعوبات، لعل أكثرها تعقيدا عدم وجود طائفة بروتستانتية من الأصل فى هذه البلاد، فكان عملهم فى الأساس على حساب الطوائف الأخرى، خاصة الطوائف المسيحية المختلفة معهم فى المذهب ، لذا فقد لاقوا العداء المستميت من جانب هذه الطوائف[*].

ب-نتج عن النشاط التبشيرى للإرسالية الامريكية فى الشام وجود طائفة بروتستانتية، واعترفت بها الدولة العثمانية كأحد الطوائف الدينية المسيحية فى عام ١٨٤٨م، وأصبحت الكنيسة الإنجيلية التى أنشئت فى بيروت آنذاك هى أقدم كنيسة إنجيلية فى العالم العربى كله.

ج-أدرك المبشرون جيدا أن عملهم فى وسط المسلمين محكوم عليه بالفشل بالرغم من وجود عدد قليل من المسلمين الذين اعتنقوا البروتستانتية، لذا فقد ركزوا جهودهم على دعوة الطوائف المسيحية الأخرى مثل الأرثوذكس والكاثوليك، بينما ركزوا جهودهم فى وسط المسلمين على الجانب الحضارى، فعملوا على التبشير بالحضارة الأوربية لخلق نخبة فكرية تدين لهم بالولاء الفكرى وتدور فى رحاهم، فالوجه الحضارى هنا ما هو إلا وسيلة لتهيئة النفوس لقبول ما يبثه المبشرون من أفكار، لذا فقد كان التعليم هو الطريق المباشر الذى استخدمه المبشرون للعمل فى وسط المسلمين خاصة، باستخدام الأفكار الجديدة وإلباسها ثوبا إنسانيا كبيرا.

---

(١) القس اسحق إبراهيم: مدارس الأحد، المرشد، ١٣ مايو ١٩٠٤، العدد ٢٠، ص١٥٣ .

* قاومت الكنائس الوطنية الشامية أعمال الإرسالية الأمريكية بالعداء الشديد ، فقد تعرض من انضم إليهم للضرب ، وأحيانا للقتل ، ومن ذلك ما حدث لأسعد الشدياق . كما قام اللاتين فى ٢٨ فبراير ١٨٥٥ بحرق الكتب الدينية البروتستانتية التى أصدرتها الإرسالية الأمريكية فى احتفال عام . راجع : عبد العزيز الشناوى : مرجع سابق جـ٢ ، ص ٧٤٦.

الفصل الثالث

النشاط التعليمى للإرسالية الأمريكية فى بلاد الشام



أولا- التعليم فى بلاد الشام فى العصر العثمانى :

لم يكن من مهام الحكومة العثمانية الإنفاق على التعليم ، فلم يكن ذلك ضمن فلسفة وظائفها كدولة، فتركت الاهتمام به لكل طائفة تقوم به حسبما ترى، ويرصد المحسنون الأوقاف على التعليم، بغية اكتساب الثواب والأجر الحسن فى الآخرة، ومن هنا فقد كان التعليم غالبا تعليما دينياً، أما السلاطين أنفسهم فقد كانوا ينشئون بعض المدارس التى لا تختلف عن مثيلاتها سوى فى الحجم، نتيجة للأوقاف المرصودة عليها، وهم يفعلون ذلك بصفتهم الشخصية وليس بوصفهم سلاطين.

أما المؤسسات التعليمية التى كانت موجودة بالشام، فى العصر العثمانى، وحتى بدايات القرن التاسع عشر، فيمكننا أن نقسمها من خلال مصادر تلك الفترة إلى:

١- الكتاتيب الملحقة بالزوايا والمساجد والأديرة، وهى تقدم مبادئ القراءة والكتابة، وبعض مبادئ الحساب، وهى تعتبر فى غالبيتها من النوع البسيط، الذى لا يؤهل صاحبها لأكثر من الإلمام بمبادئ القراءة والكتابة.

٢- المدارس الملحقة بالمساجد الكبرى، حيث يقوم المشايخ بتدريس علم النحو والصرف، وعلم الكلام، وعلم الحديث، والتشريع الإسلامى، مثل الجامع الأموى فى دمشق، ومن أراد الاستزادة من العلوم الدينية فليس أمامه إلا شد الرحال للأزهر الشريف فى القاهرة[١].

ويصف أحد شهود العيان حالة التعليم فى بدايات القرن التاسع عشر بقوله "لقد بلغ الجهل مبلغاً عجيباً فى الناس[*] حتى قل فيهم من يعرف القراءة

---

(١) عبدالقادر بن محمد النعيمى الدمشقى: الدارس فى تاريخ المدارس، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠، جزءان.

(*) يناقض أحد الباحثين هذا الرأى بقوله "جرت الكثرة من المؤرخين على أن الضعف الذى اعترى الدولة العثمانية فى القرن ١٨ رافقه ضعف فى الحياة الفكرية، وقد ذهب بعضهم للقول بأن ذلك العصر لم ينجب شاعراً سورياً واحداً ولا فيلسوفاً، ولا فناناً، ولا عالماً، ولا منشأ من الطبقة الأولى ولا يخامرنا شك بأن فى هذا القول تعميماً وتحيفاً" أسامة عانوتى (دكتور): الحركة الأدبية فى بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر، الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٠، ص٢٦ .

والكتابة، أو أبسط العمليات الحسابية... كما كان الكثير من التجار وأصحاب الحوانيت يتخذون رموزا خاصة بهم تذكرهم بعملياتهم التجارية اليومية إلى أن يجدوا من يدونها لهم"[١].

أما فترة حكم "محمد على" (١٨٣١ - ١٨٤١م) فقد تركت أثرا كبيرا فى حركة التعليم فى بلاد الشام عموما، تجلى ذلك فى إنشاء المدارس الجهادية، وإجبار الضباط والجنود على دراسة بعض العلوم الضرورية لهم كالهندسة وعلم المساحة، وعين مرتبات شهرية لأبناء الجنود الذين التحقوا بالمدارس التى أسسها، وأخذ فى نشر الكتب العلمية فى تلك البلاد[٢].

وبعد خروج المصريين كان المسلمون محرومين من مدارس خاصة، بسبب حرمانهم من التشكيلات الطائفية والامتيازات المرتبطة بتلك التشكيلات، فكانوا مضطرين لدخول المدارس الرسمية التى تعلم اللغة التركية، وأما العربية فما كانوا يتعلمون منها شيئا أكثر مما يتعلمه الأتراك فى الولايات التركية[٣].

أما المؤسسات التعليمية المسيحية، فلم تكن لتختلف عن المؤسسات الإسلامية، فالتعليم الإبتدائى كان تعليما دينيا، اقتصر على تعليم الأولاد قراءة الكتاب المقدس ومبادئ الحساب وشئ من الكتابة .وقد اتصف التعليم العالى عند المسيحيين، كما اتصف عند المسلمين بالصبغة التقليدية، فكانت أكثر المؤسسات التربوية العالية تنحصر في الأديرة، وتؤلف ما يسمى بمدارس اللاهوت "Seminaries" حيث كان يشرف عليها رجال الدين[٤].

---

(١) عدنان الخطيب (دكتور): الشيخ طاهر الجزائرى، معهد البحوث العربية، القاهرة، ١٩٧١،ص١٥ .

(٢) يوسف جميل نعيسة (دكتور): مجتمع مدينة دمشق ١٧٧٢ - ١٨٤٠، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٦، جـ٢، ص٣٩٢ .

(٣) لمزيد من المعلومات راجع، شمس الدين الرفاعى (دكتور): تاريخ الصحافة السورية فى العهد العثمانى، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٧، جـ١، ص١١ .
- عدنان الخطيب، مرجع سابق، ص٢٢ .

(٤) أحمد سراج الدين (دكتور): الحركة التربوية وتطورها فى سوريا ولبنان خلال القرن التاسع عشر، مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية، بيروت، أيلول ١٩٥١ السنة ٤، جـ٣، ص٣٢٥ .

وللموارنة فضل السبق فى إنشاء المدارس فى الشام من عهد غير بعيد، فى "اهدن" و "صوفر" و"بقركاشة" فى شمال لبنان، وكان أساتذة هذه المدارس يواجهون الإهمال من الكهنة إلا نادرا، ناهيك عن المدارس الصغرى التى كانوا ينشئونها فى الأديرة ويسمونها "أنطوش" مثل: انطوش جبيل أنشئ سنة ١٧٦٢م وأنطوش زحلة سنة ١٧٦٩م، وأنطوش دير القمر سنة ١٧٨٢م، .. وغيرها[١].

وبذلك فقد تميز الآباء المسيحيون بالجهل إلا القليل النادر منهم، على الرغم من وجود الكتب مكدسة فى خزائن الأديرة، فمن مجموع ثمانين راهبا فى دير صيدا المارونى مثلا، وجد "فولنى Volney اثنين أو ثلاثة رهبان متعلمين، وعلمهم اقتصر وقتئذ على معرفة اللغة السريانية[٢].

أما تعليم البنات، فمن خلال المصادر التاريخية المختلفة لهذه الفترة يمكننا القول أنه كان مهملا إهمالا تاما، ولم يكن فى بلاد الشام كلها، أى مدرسة خاصة بتعليم الإناث حتى منتصف القرن التاسع عشر، عندما أسست الإرسالية الأمريكية أول مدرسة للبنات فى بيروت[٣].

وفى تقرير للإرسالية الأمريكية عن أحوال التعليم فى الشام عام ١٨٣٠م ما يلى "لا توجد كتب هجاء باللغة العربية، فيما عدا كتاب صغير صدر أخيرا من مطبعة الجمعية التبشيرية الكنسية فى مالطة، وغالبا فإن كتاب القراءة الوحيد (المزمور) فهو بداية ونهاية الكتب المدرسية المسيحية باللغة العربية... ولم أجد كتابا فى علم الحساب باللغة العربية، ووجود مثل هذا العمل فى مطبوعة، يمكن أن نسمع عنه فى أمثلة قليلة، وقد جرت محاولات عديدة غير مثمرة للحصول على واحدة، وقد كانت هناك استفسارات كثيرة موجهة من الناس جعلتنا نتأكد أن علم الجغرافيا غير معروف فى هذا الإقليم، فيما عدا القليل من الطبقة المثقفة الذين كانوا على قرب من أعمال الجغرافيين القدماء... أما التاريخ الأصلى فإنه نادر، ولا

---

(١) جورج زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، مراجعة د. شوقى ضيف، دار الهلال، القاهرة، (د.ت) جـ٤، ص٣٦ .

(٢) أحمد سراج الدين: مرجع سابق، ص٣٢٣ .

(٣) نجيب العقيقى : المستشرقون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ١٣٥ .

يوجد مطبوعات له، ولا يوجد فيه ما يتوافق مع العقول الصغيرة، ولا يتم التفكير أبدا فى تقديم التاريخ كدراسة"[1].

وفى تقرير للإرسالية الأمريكية عام ١٨٣٦م أى فى بداية نشاطهم الفعلى، جاء ما يلى "إن هناك جزء لا بأس به من الرجال الذين يعيشون فى المدن يستطيعون القراءة، ولديهم القليل من الكتابة، هذا هو قدر التعليم عندهم، وفى الأماكن الأبعد والأقل فى الأهمية ربما يكون فرد من عشرين يستطيعون القراءة، أما الفتيات فليست هناك واحدة تستطيع القراءة أو الكتابة، مع وجود بعض إستثناءات قليلة جدا لا تستحق الذكر، فتعليم البنات لم يتم إهماله فقط ولكن لم يتم تشجيعه أيضا، فقد كانت هناك معارضة له، وفى الواقع فإن الرغبة للتعليم لم تكن قوية ولا عامة بين أى طبقة، ومع قليل من الاستثناءات المشرفة، فإن هناك جمود محزن كان يعم المجتمع كله"[2] هذا وصف الحالة التعليمية الموجودة فى بلاد الشام فى العصر العثمانى ، وإن كان علينا أن نأخذ ما جاء فى هذا التقرير بحذر شديد ولكنه يدل على جزء من الواقع الذى كان سائدا خصوصا وأن بعض المصادر الإسلامية المعاصرة تؤيده[*].

---

(1)Missionary Herald, Feb., 1830, Views and Proceeding preference to this mission, Vol. 26, 1830. Pp. 78-82.

(2)Missionary Herald, April 1836, Syria and the Holy Land, Quarterly paper, vol. 32 (1836) Facing. P. 196.

(*) مع العلم بأن الدولة العثمانية كانت قد بدأت فى تحديث التعليم منذ أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر ، وقد ظهر ذلك بوضوح فى عهد السلطان محمود الثانى ، ولكنه ووجه بالعديد من الصعوبات، من بينها معارضة علماء الدين الذين احتكروا التعليم التقليدى ذو المدارس الدينية، فلم يستبدل السلطان محمود النظام التعليمى الدينى بآخر علمانى، وكان الحل هو أن يترك هذه المدارس كما كانت وبنى بجانبها مدارس علمانية جديدة، وبذلك أصبح هناك نظامين منفصلين للتعليم يتبع فلسفتين مختلفتين، ومناهج مختلفة، مما أدى لانقسام المجتمع العثمانى.

- Shaw, Stanford and Ezelkvral History, of the Ottoman Empire and Modern Turkey, Cambridge, University press, 1977. P.97

ثانيا- أهمية التعليم للمبشرين :

منذ وطئت أقدام المبشرين الأمريكيين بلاد الشام سنة ١٨١٩م ، عملوا على نشر مذهبهم الدينى الذى يؤمنون به "البرسيتيرى "prespetirran" بين المسلمين وبين الطوائف المسيحية المختلفة معهم فى المذهب، وبعد فترة أدركوا صعوبة نشر هذا المذهب، نظرا للمقاومة العنيفة من جانب المسلمين، وكذلك من قبل الكنائس الوطنية، فلجأوا لتغيير أساليبهم فى العمل التبشيرى، مثل نشر التعليم، وعن طريقه يتم نشر مبادئهم وأهدافهم الدينية، خصوصا بين أطفال المدارس الإبتدائية، ولا سيما أن الناس تحتاج للتعليم ويقبلوا عليه، ومن الممكن أن يقدم فى صورة إنسانية بعيدة عن صورة المبشر الذى يعظ الناس لترك دينهم أو مذهبهم.

وميز المبشرون بوضوح بين المدارس التبشيرية والمدارس المسيحية، فالأولى تحاول أن تنقل الطلاب من ديانات ومذاهب مختلفة إلى مذهبها هى ، أما المدارس المسيحية فإنها تحاول أن تهئ للطالب، من أى دين أو مذهب كان جوا مسيحيا، وتحمله فيه على ممارسة التقوى المسيحية والسلوك المسيحى على المذهب الذى تحاول جذبه إليه[1]. والملاحظ أن المدارس الأمريكية فى الشام كانت من النوع الأول، الذى ينتمى للمؤسسات التبشيرية ومن هنا أدركت الإرسالية الأمريكية المتحمسة لدينها أن أحسن ميادين العمل التبشيرى، هو ميدان التعليم فحاجة الناس إليه لا تنقطع كما أن التعليم يضمن تنشئة أجيال صبغوا على أيدى معلميهم بالصبغة التى يريدونها. إذن فطريق التعليم أخطر الطرق فى توجيه أفكار الطلاب وفق تخطيط التبشير وبرامجه[2]. والملاحظ أن التركيز كان على التبشير بين المسيحيين من المذاهب الأخرى أكثر من التبشير بين المسلمين خصوصا أهل السنة الذين وقفوا حجر عثرة أمام أعمال الإرسالية الأمريكية .

فهم يرون أن المدارس قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحى أكثر من كل قوة أخرى، ثم إن هذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك

---

(١) مصطفى الخالدى (دكتور): وعمر فروخ (دكتور): مرجع سابق، ص٦٣ .

(٢) نبيل عبدالحميد (دكتور) التبشير الأمريكى فى البلاد العربية حتى عام ١٩٢٤، المجلة المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، المجلد ٢٧، ص٢٢٧ .

الذين سيصبحون يوماً ما قادة فى أوطانهم فهم يقولون "لقد أدى البرهان إلى أن التعليم أثمن وسيلة استغلها الأمريكيون فى سعيهم لتنصير الشام[١].

وأمريكا كدولة ناشئة استفادت من التجارب السابقة للأمم الغربية، التى ما طمحت إحداها للاستيلاء على بلد أو إقليم من الشرق عموماً إلا وبعثت إليه من يفتتح المدارس، وحجتهم نشر التعليم والتهذيب ورفع لواء التمدن والحضارة، ومتى تأسست المدارس الأجنبية وفتحت أبوابها للراغبين، استأثر بالتعليم فيها رجالها من المبشرين القادمين لهذه الغاية[٢].

كان لنظام التعليم الأمريكى فى الشام وجهان : ظاهراً وباطناً، فظاهره نشر التمدن والتحضر بين أناس محرومين من ذلك، وفى سبيل هذا الهدف كان يتم تدريس التاريخ والجغرافيا والحساب والهندسة بجانب العلوم الدينية التوراتية والإنجيلية، أما الباطن الحقيقى فهو محاولة لاجتذاب هؤلاء المتعلمين للمذهب الدينى الذى يدعون إليه، وأيضاً لاجتذابهم لصفوفهم وجعلهم أشياعاً وأتباعاً لهم ولدولتهم، وساعدهم على ذلك ضعف النظام التعليمى فى الشام عموماً، والمقارنات التى كان يعقدها المواطنون باختلاف فئاتهم ودياناتهم بين المدارس التابعة للإرسالية الأمريكية والتعليم الموجود عند الآخرين، بما فيه التعليم الأهلى ، وغالبا ما تكون المقارنة فى صالح التعليم الأمريكى[*].

وساعد على تقدم التعليم الأمريكى ما كان يقوم به المبشرون الأمريكيون من زيارات للمدارس الوطنية والكتاتيب، للوقوف على ما فيها من مساوئ وعيوب لمحاولة تجنبها بل قاموا برصد الكتب الهجائية العربية

---

(١) مصطفى الخالدى وعمر فروخ: مرجع سابق، ، ص٦٢ .
(٢) سعيد إسماعيل على (دكتور): الفكر التربوى العربى الحديث، عالم المعرفة، الكويت، مايو ١٩٨٧، ص٤٣ .
(*) فيذكر أحد متعلمى تلك الفترة تجربته فى التعليم الوطنى أن : "غرفة الدرس قذرة ضيقة، وهى مظلمة بلا مقاعد، ويجلس الطلبة على الأرض مقوسى الظهور، وأمامهم المعلم مقطب الجبين، وبيده عصا طويلة لا يفلت منها أحد، فكانت المدرسة أشبه بالسجن المخيف والمعلم سجانا مستبدا طاغيا لا رحمة فى قلبه، بينما عندما انتقل نفس التلميذ لإحدى مدارس الأمريكيين أحب المدرسة التى كانت نظيفة وبها مقاعد، والمدرس ضحوك بشوش يلعب مع الأطفال ويعلمهم برفق ولين . انظر جرجس الخورى المقدسى : التعليم قديما وحديثا فى سوريا ، مجلة المقتطف ، المجلد ٣١ ، سبتمبر ١٩٠٦ ، ص ٨٤٧ .

وكتب التعليم التى اتضح ضعفها [١]، فعملوا من جانبهم على سد العجز فـــى هذا المجال، من هنا كانت الحاجة الماسة إلـــى التعليـــم مـــن وجهـــة نظـــر المبشرين الأمريكيين حتى يمكن من خلاله نشر الأفكـــار التـــى يريدونـــها ، فيذكر أحد المبشرين أن : "إرساليات التبشير مـــن بروتســـتانتية وكاثوليكيـــة تعجز عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها ، ولا يتم ذلـــك إلا ببث الأفكار التى تتسرب مع اللغات الأوربية والدراسات فى مدارسهم وبذلـــك تقضى إرساليات التبشير لبانتها من هدم الفكرة الدينية الإسلامية " [٢].

ثالثا– نظام تعليم التبشير الأمريكى فى الشام :

١– التعليم الابتدائى :

اهتم المبشرون الأمريكيون بنشر التعليم الابتدائى فى المدن والقـــرى الشامية، وخصوصا فى القرى الجبلية المحرومة من التعليـــم وذلـــك لعـــدة أهداف: لعل أهمها أن هذا النوع من التعليم غير مكلف، وهو مجدى لهم لأنـــه يزيد من علاقاتهم المحلية وارتباطهم بأهالى الأطفـــال الصغـــار، وهـــو مـــا يساعدهم فى عملهم التبشيرى، كما أنه يبيح لهم غرس العديد من أفكـــارهم الدينية فى أذهان هؤلاء الأطفال، فهم أشبه بتربة خصبة صالحة لتلقى كل مـــا يلقى فيها.

وقد مر التعليم الابتدائى الأمريكى فى الشام بمرحلتين:

الأولى (١٨٣٢–١٨٦٠) : حيث تميزت بمحاولة استكشاف الواقع أمامـــهم ومحاولاتهم المستميتة للوجود والاستمرار، ودراسة ماهيات وجودهـــم، فى ظل الصراعات المستمرة، سواء من جانب الوطنيين أو من جـــانب الإرساليات الأخرى المنافسة، فهى محاولات لغـــرس جذورهـــم فـــى الأرض الشامية، وتتميز هذه المرحلة بـــالتذبذب الشـــديد فـــى أعـــداد المدارس، كذلك المحاولات المستمرة للبحـــث عـــن طوائـــف يمكـــن الاعتماد عليها مثل "الدروز".

---

(1)Missionary Herald, March, 1835, Extracts from communication of Mr. Smith, Vol. 31, 1835, pp. 129 – 137.

(٢) عبد الستار فتح الله سعيد : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإســـلام ، دار الوفاء ، المنصورة ، ١٩٨٩ ، ط٥ ، ص٤٨ .

الثانية : مرحلة الاستقرار والتركيز على جودة الدراسة ورفع مستواها، حيث لاقت إقبالا واسعا من الناس بعد النجاح الذى حققوه، وبلغ عدد هذه المدارس ١٤٠ مدرسة.. كما سنرى فيما بعد.

أ- المرحلة الأولى :

انتشر التعليم الإبتدائى فى المدن والقرى الشامية بعد بدايته فى بيروت، وذلك بسبب المنافسة بين الإرساليات المختلفة [1]. وهنا لعبت المنافسة دور محموم فى إنشاء المدارس بكثرة. ويبدأ السلم التعليمى الأمريكى بالروضة ومدة الدراسة فيه سنة واحدة، وتوجد عادة فى مدارس البنات، يلى ذلك المدرسة الابتدائية ومدتها ست سنوات، وقد يكون للبنين أو للبنات أو مختلطة بينهما، ثم يعزل الذكور عن الإناث بعد السنة الثانية أو الثالثة[2].

ويعتبر عام ١٨٣٢م هو بداية التعليم الابتدائى الأمريكى فى الشام، ففيه افتتحت مدرسة فى المركز الرئيسى "بيروت" بدأت بتلميذتين، ومدرسة أخرى بالقرب من صيدا وثالثة تحت التجربة بالقرب من دير بلمونت Balmont بالقرب من طرابلس، وكان بها ١٠ أطفال ولقد قوبلت هذه المدارس بمقاومة عنيفة من الإكليروس الوطنى[3] وفى عام ١٨٣٤م أصبح لدى الأمريكيين ٦ مدارس يمكن أن نقسمها كالتالى:

---

(١) فيذكر فى ذلك أن د/ كرنيليوس فان ديك Van Dyek وهو واحد من أهم المبشرين الأمريكيين- كان راكبا حمارة ذات يوم فقابله رجل وسأله إلى أين أنت ذاهب؟ فقال لقرية كذا لأنشئ مدرستين فتعجب الرجل من ذلك!! وقال أن هذه القرية لا تحتمل أكثر من واحده فقال فان ديك سوف أنشئ مدرسة وفى اليوم التالى يأتى اليسوعيين لافتتاح مدرسة أخرى . مصطفى الخالدى وعمر فروخ: مرجع سابق، ص٧٥ .

(٢) رودريك ماثيوز (دكتور) ومتى العقراوى (دكتور): التربية فى الشرق الأوسط، ترجمة أمير بقطر، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٤٩، ص٥٤٧ .

(3)Missionary Herald, Oct., 1832, Joint Communications From Messrs, Bird and Whiting, vol. 28, 1832, pp. 324 – 326.

المدرسة	الهـــــــدف	عدد الطلبة
١	تعليم القراءة والكتابة باللغة العربية	٣٠
١	تعليم القراءة والكتابة بالعربية مع فصل إضافى لتعليم القواعد	٣٠
٢	تعليم القراءة والكتابة بالعربية والإيطالية	١٠
١	تعليم القراءة والكتابة بالإنجليزية	١٠
١	تعليم الفتيات القراءة والخياطة	١٠
المجموع ٦	وكانت مدة التدريس من ساعتين لثلاث ساعات يوميا	المجموع ٩٠ تلميذ وتلميذة[١].

فى نفس الوقت تقريبا بدأ الاهتمام بتعليم البنـات، فبـدأت المدرسـة الأولى لتعليم البنات فى بيروت، والتى كانت تعلم فيها مس سـميث Miss Smith وهى مدرسة داخلية يتم فيها تعليم مبادئ الحساب والكتاب المقـدس والترانيم الإنكليزية والخياطة، ولقد بلغ عدد الطالبات اللاتى تعلمن فى هـذه المدرسة فى مدة ستة أشهر مائة فتاة[٢] وهو عدد كبير بمقياس ذلك العصـر، ويدلنا على بداية تغيير وجهات النظر الخاصة بتعليم الفتيات وبالتعليم وجدواه عموما.

وبدأت المدارس الإبتدائية الأمريكية فى التحسن، ولاقت قبـولا بيـن الناس. ومن خلال الجدول التالى يمكننا حصر عدد التلاميذ والمنـاهج التـى كانوا يتلقونها.

---

(1) Missionary Herald, Sep., 1834, Extract from communication Of Messrs, Bird, Smith and Thomson, Vol. 30, 1834, pp. 910-919.

(٢)يوسف قزماخورى: مرجع سابق، ص٢٩ .
- انظر أيضا: الأب لويس شيخوا : مرجع سابق، ص١٠٠ .

المدارس عام ١٨٣٥م فى الشام[١]

المدرســـــة	قراءة فى الكتاب المقدس	قراءة فى الكتب الصغيرة	فتيات	مجموع
المدرسة رقم ١	١٧	٢٣	-	٤٠
المدرسة رقم ٢	١٦	٢٠	٩	٤٦
المدرسة رقم ٣	٢٤	٢١	٦	٤٥
المدرسة رقم ٤	١٩	١٨	٨	٢٧
المدرسة رقم ٥	٦	٢١	٢٥	٢٥
مدرسة مس سميث للبنات	-	-	٢٥	٢٥
مدرسة مس دورج للبنات			١٤	١٤
المدرسة اليونانية	١٣	١٧	-	٣٠
المدرسة الغربية فى طرابلس	١٩	١٦	-	٣٥
المدرسة العربية الإنجليزية			١٢	١٢
المدرسة الفرنكية العربية والإيطالية			١٢	١٢
الإجمالى			٣٢٣	

واستمر عدد الدارسين فيها ٣٢٣ تلميذا عام ١٨٣٦م، وجرى التفكير فى إنشاء مدرسة ابتدائية تعلم فيها اليونانية فى القدس، ولكن الفكرة تم الاستعاضة عنها بمدرسة فى بيروت، لاقت التشجيع من الأسقف اليونانى فى لبنان (*)، ودرس بها ٢٠ تلميذا ازدادوا إلى ٣٠ من أغنى وأفضل العائلات اليونانية فى بيروت[٢] .

ومن بيروت وطرابلس وصيدا حيث المراكز التبشيرية والتعليمية الأولى، بدأ الاهتمام يوجه لجبل لبنان حيث القرى الدرزية البعيدة عن

---

(1)Missionary Herald, March, 1836, Extracts from aletter of Mr. Thomson, Report Of Schools and Viaity.

* ولكننا لا نعرف هل استمرت هذه المدرسة أم سحب الأسقف اليونانى تأييده لها فى خضم الصراع مع الإرسالية الأمريكية وبالتالى سقطت هذه المدرسة.

(2)Missionary Herald, Nov., 1836, Report Of the Station at Beyrcot, For the year 1835, Vol. 32, 1836, pp. 919 – 921.

الخدمات والمحرومة من التعليم بشكل أساسى، ويمكننا القول أن هذه الخطـوة هى بداية التطبيق العملى لنشر المدارس، فقد أسسـت السـيدة دودج Miss Dodge مدرسة صغيرة للبنات كانت مخصصـة أساسـاً للـدروز وكـان يحضر إليها ١٥ فتاة، ويذكر أن السؤال الهام الذى كان يناقش معهن بصـورة أساسية هو كيف يسامحكن الله؟ وما الذى ستقدمونه له لكى يغفـر ذنوبكـن؟ ولذا كان توجيههن لطلب شفاعة المسيح(١) وهم هنا يقتربون بـالتلاميذ نحـو التحول إلى المذهب البروتستانتى .

ورأى المسئولون عن التعليم فى الإرسالية الترويج للتعليم المسـيحى بين الدروز بكل وسيلة لأنهم من وجهة نظرهم، جهلاء فقـراء مظلومـون، وعزيمتهم ضعيفة، والتعليم متدهور بينهم، وسوف يستمر فى التدهور ما لـم تقدم إليهم المساعدات(٢) واقتنع الدروز أنفسهم بأهمية التعليم فـى المنافسـة بينهم وبين الموارنة، الذين تهتم فرنسا بنشر التعليم بينهم فلجأوا بدورهم إلـى الإرسالية الأمريكية، وفى أبريل ١٨٤١م جاء وفد من مشايخ الدروز لمـنزل د/ وليم طمسن William tomson فى بيروت فاستقدم د/ عـالى سـميث وتداولوا طويلاً ألح هؤلاء المشايخ فى طلب المدارس، وفى نهاية الاجتمـاع تمت الموافقة على ذلك من جانب الإرسالية التى عملت على نشر عدد مـن المدارس فى القرى الدرزية(٣)، فقد كان الدروز من الناحية العقائدية مـهيئين لتقبل العمل التبشيرى بينهم .

وفى ٢٠ مايو ١٨٤٥م افتتحت مدرسة للأطفال فى حاصبيـا بـدأت بثلاثين طفلا ثم ازدادت لأكثر من أربعين طفلا وكانت تضم بيـن جنباتـها تلاميذ يونانيين وموارنة ودروز، كما أنها لم تكن قاصرة علـى البنيـن فقـد كانت مختلطة ولكن البنات سرعان ما كفوا عـن الذهـاب لتلـك المدرسـة احتراماً للرأى العام الذى استنكر حضور الفتيات مع البنين، وبدأ التفكير فـى

---

(1)Missionary Herald, March 1836, Extract from aletter Of Mr. Bird, Dated July 1835, Vol 32 pp. 91 – 97.

(2)Missionary Herald, Nov, 1836, Report Of The Mission Dated Dec 31, 1838, Vol. 35, 1839. Pp. 401 – 405.

(٣) مذكرات كرنيليوس فان ديك، مجلة الهلال، القـاهرة، مجلـد ١٤، ١٩١٤، ص٢٧٣ .

إنشاء مدرسة خاصة بهن، كما كانت هناك مدرسة أخرى في أطراف حاصبيا[١].

ولقد زاد عدد المدارس الأمريكية في الشام، والجدول التالي يبين لنا أن عدد المدارس بدأ في الازدياد والانتشار في الأماكن المختلفة داخل بلاد الشام.

مدارس الإرسالية الأمريكية ١٨٤٦ – ١٨٤٧م

البلد	المدارس	المدرسين	التلاميذ		مجموع
بيروت	٤	٤	١١٨	٤٠	١٥٨
	١	١	–	٣٠	٣٠
عبيه وأجوارها	٩	٩	١٨٦	٧٨	٢٦٤
حاصبيا	١	١			٣٥
تحت التجربة					
بحمدون	١	١			٢٦
طرابلس	١	١			١٥
المجموع	١٧	١٧	٣٠٤	١٤٨	٥٢٨[٢].

(1)Missionary Herald, Feb. 1845. Miss Smith account of The rise of Protestantism at Hasbeiya, Vol. 41, 1845. Pp. 42-47.

(2)A.L.Tibawi, American Interests in syria, 1800 -1901, Oxford, 1960, p. 115-116.

وفيما بعد تقدمت مدرسة حاصبيا، وانضم إليها أطفال مسلمون(*).

كما استمرت المدرسة الابتدائية بكفر شيما، وهى مدرسة مختلطة، وبلغ عدد تلاميذها ١٥ صبياً و ٢٠ بنتاً[١] وبدأت الإرسالية تعانى فى منتصف الخمسينيات من عدم توافر الاعتمادات المالية لمواجهة الطلب المتزايد على المدارس وخصوصاً بين الدروز، الذين بلغ عدد المدارس بقراهم ٦ مدارس، وعملت الإرسالية على زيادة عددهم ثلاثة آخرين، خصوصا فى ظل الاقتناع أنه أصبح هناك استحسان لفوائد التعليم أكثر مما سبق، بدليل الطلب المتزايد على إنشاء المدارس[٢].

وفى دير القمر التى كان بها مدرسة واحدة تضم عشرين تلميذاً عام ١٨٥٦م، زيدت إلى ٧ مدارس كان بهم أكثر من ٢٠٠ تلميذاً فى عام ١٨٧٥م من ضمنهم مدرسة خاصة بالبنات، والتى كان عدد تلميذاتها عند بدايتها ١٢ تلميذة، زيد عددهن بعد ٦ شهور لأكثر من ٥٠ تلميذة، هذا بالرغم من وجود مدرسة الموارنة المنافسة فى نفس القرية[٣] ومن بين تلك المدارس مدرستان مسائيتان إحداهما فى دير القمر لجزء من الوقت، والأخرى كل الوقت فى زحلتا، حيث كانت تدرس بها القراءة والكتابة والحساب والتوراة. ومن الملفت للنظر أن التقارير تذكر أن نصف العدد

---

* وتذكر الإرسالية فى تقرير لعام ١٨٥٠م قوله "لقد كنا سعداء أن نرى طفلا مسلما ذكيا وهو ابن أحد الأمراء يقود المدرسة كلها، بكل انضباط ودقة، فى الوصايا العشر والصلوات طوال فترة الراحة، ويشترك معه العظيم والصغر وهذا تمرين يومى أثناء غلق المدرسة .

Missionary Herald, Jan. 1851, Abeih. Aletter From Mr. Whiting, July 23, 1850, Vol. 47, 1851, pp. 20-24.

(1)Missionary Herald, June, 1854, Beirut, Annual report, Vol. 50, 1854, pp 232-236.

(2)Missionary Herald, May, 1854, Abeih Annual report. P. 206.

(3)Missionary Herald, April, 1858, station Reports, Vol. 54, 1858, pp. 139-147.

٢٠٠ ينتمي لدير القمر نفسها أما النصف الأخر فيمثل القرى[١] ممـا يؤكـد انتشار التعليم داخل القرى الداخلية التى كانت محرومة منه بشـكل جـذرى، وهو ما يعنى نجاح المبشرين الأمريكيين فى إقناع النـاس بطريقـة عمليـة بأهمية التعليم، كذلك فقد كانت غالبية هذه المدارس مجانية.

وأنشئت مدرسة للبنات فى عين عينوب ، وكان عـدد تلميذاتـها ٦٠ تلميذة معظمهن من الدروز يتعلمن القراءة، وفى بحمـدون كـان هنـاك ٨ مدارس ابتدائية تشمل مدرسة بنات، وتضم هذه المدارس عـدد ٣٥٠ تلميـذا خمسهم من البنات، وقد صمم شكل التعليم وطبق ليجعل صلب المسـيح هـو المنقذ الموعود للعالم[٢] ، وهذا ما يتفق مع المبادئ الدينية البروتستانتية التـى تدعو إليها الإرسالية الأمريكية .

وفى حلب أنشأ المبشر فورد Mr. Ford فى ١٨٤٨م مدرسة ابتدائيـة حتى جاء إليها دكتور أدى ١٨٥٢م وأنشأ فيها عدة مدارس أخرى[٣].

فقد استأجرت الإرسالية الأمريكية منزلا فى حلب ١٨٤٩م، وافتتحـت مدرسة لاقت إقبالا من الناس، ورغم المعارضة من الكنائس الوطنيـة، إلا أن المدرسة تقدمت واستمرت فى كسب ثقة الناس[٤] هذا فى الوقت الذى لاقـت فيه مدارس حمص هجوما شديدا من الأسقف الأرثوذكسى، الذى نجـح فـى خلق العديد من الاضطرابات للمدرس، وتوقفت الدراسـة بالمدرسـة، بينمـا بذلت العديد من المحاولات لإعادة نشاطها مرة أخرى[٥].

---

(1)Missionary Herald, May, 1857, station reports, Vol. 53, 1857, pp 146-153.

(2)Missionary Herald, May, 1858, Station Report, Vol. 54, 1858, pp. 173-174.

(٣) شاهين مكاريوس: المعارف فى سورية، المقتطف آذار،١٩٨٣، الجزء الثـامن، العام السابع، ص٤٧٣ .

(4)Missionary Herald, Aug. 1849. Alppo: Aletter From Messrs Benton and Ford, Vol. 45. 1849 pp. 320 – 326.

(5)Missionary Herald, April, 1858, Station Reports, Vol 54, 1858. Pp. 139 – 147.

ومن اللافت للنظر أن مدارس الإرسالية الأمريكية قد لاقت قبولا بين الناس، فقد كان كل فشل من جانب المدارس التبشيرية المنافسة يضاف لصالح المدارس الأمريكية، فعلى سبيل المثال يذكر تقرير للإرسالية أن فشل مدرسة سوق الغرب التى أسسها الأسقف اليونانى أدى لزيادة عدد التلاميذ فى المدرسة الأمريكية من ٣٠ إلى ٤٠ تلميذا[١].

والملفت للنظر أن هذه الفترة شهدت ظهور مجموعة من المدارس الوطنية الشامية المرتبطة بالإرسالية الأمريكية، ففى خريف ١٨٥٥م استطاع إلياس الصليبى الذى تلقى تعليمه فى مدرسة (عبيه) أن يجمع تبرعات من إنجلترا، وأنشأ بعض المدارس، وتكونت لجنة للإشراف عليها ضمت قنصل أمريكا ومندوب عن الإرسالية الأمريكية[٢] . وبفضل هذا التعاون بين المبشرين الأمريكيين وبين مؤسسى المدارس الوطنية اللبنانية أصبح التعليم الابتدائى لأول مرة فى تاريخ الشام متاحا للجميع، ولكن انحصر نشاط هذه المدارس فى مدن "المتن" و"الجرد" و"الغرب" وكانت أكثر الطوائف استفادة منها طائفة الروم الأرثوذكس[٣].

وبذلك يمكننا أن نستخلص عددا من السمات الهامة لهذه الفترة أهمها: تذبذب عدد المدارس حيث كان عامل التمويل يتدخل بشكل حاسم فى تحديد عدد المدارس، مما أدى لإغلاق بعضها واستمرار الهام منها فقط كذلك عامل آخر وهو النقص الشديد فى وجود المدرسين الأكفاء لذا كان التفكير فى محاولة لإنشاء مدارس عليا؛ لإعداد المعلمين القادرين على ملء الفراغ فى هذه المدارس [٤].

---

(1)Missionary Herald, Sep, 1859, A letter from Mr. Bliss, Vol. 55, 1859, pp – 259 – 269.

(٢) كمال الصليبى (دكتور): تاريخ لبنان الحديث، دار النهار، بيروت، ١٩٦٩، ط٢، ص١٧٦ .

(٣) كمال الصليبى : مرجع سابق ص١٧٩ .

(4)A.l. Tibawi, Op. Cit, p. 164 .

ب-المرحلـــة الثانية :

بالرغم مما حدث للإرسالية من خسائر سواء فـــى الأرواح أو فـــى الممتلكات، بعد أحداث ١٨٦٠م ؛ إلا أن هذه الأحداث أدت إلى زيادة الطلـــب على التعليم الأمريكى بشكل كبير، بعد أن توقف فى بدايـــة الأزمـــة نتيجـــة المذابح وأيضا لقلة الأموال التى تحتاج إليها المدارس، فقد خفضت ميزانيـــة التعليم فى الإرسالية ابتداء من خريف ١٨٦٤[١].

وكان لابد من حل مشكلة التمويل، فكان التغلب على هـــذه المشـــكلة عن طريق الحصول على أجر مقابل التعليـــم، وهـــو تقليـــد جديـــد اتبعتـــه الإرسالية، ولا سيما بعد ازدياد الطلب عليها، فعندما أنشئت مدرسة ابتدائيـــة للبنات فى دمشق ١٨٦٣ طلب منهن دفع مصاريف مقابل التعليـــم، وبـــالرغم من توقع مسئولى الإرسالية أن يقل عدد الطالبات فقد حدث العكس، لذا فقد تم تعميم تلك الفكرة[٢].

وأدى هذا التشجيع والطلب المتزايد على التعليم لزيادة عدد المـــدارس بشكل كبير، ففى مركز عبيه بلغ عدد المدارس ١٢ مدرسة، بعد ازدياد إقبـــال الدروز على هذه المدارس، التى ضمت من بينها مدرستين للطالبـــات يبلـــغ عددهن ٤٠٠ طالبة، هذا على الرغم من أن التعليم لم يكـــن مجانـــا[٣] ولقـــد رصد أحد المبشرين فى الإرسالية الأمريكية تغير الوضع من حيث النظـــرة للتعليم بالمقارنة بين الوضع عام ١٨٦٤، وما قبل ذلك بثلاثين عامـــا حيـــث كان الجهل ضاربا أطنابه بين الناس، أما فى وقت كتابة التقرير فغالبـــا كـــان كل أطفال بيروت يستطيعون القراءة والكتابة، وقد كان "الأمـــى" يخجـــل أن يظهر جهله، وينطبق هذا على جبل لبنان[٤].

---

(1)A.I. Tibawi, Op. Cit, pp. 164 – 165.

(2)Missionary Herald, May, 1863, Beirut Station Report, Vol. 54, 1863, pp. 136 – 139.

(3)Missionary Herald, April, 1864, Abeih Station Report, Vol. 60. 1864, pp. 105 – 110.

(4)Missionary Herald, July, 1863. Sidon, Letter from Mr. Samuel Jessup, Vol. 59, 1863. Pp. 206-209.

وفى بيــروت وحدها وصل عدد الطلبة لـــ ٤٨٥ فى عام ١٨٦٣م كما هو موضح من الجدول الآتى:

عدد المدارس والطلبة فى بيروت ١٨٦٢م

المدرسة	الطلبة	الطالبات	المجموع
- مدرستين للبنين	١٠٠	-	١٠٠
- مدرستين بنات يومية	-	٥٠	٥٠
- المدرسة الداخلية المحلية للبنات	-	٢٥	٢٥
- مدرســة بــنات بروتستانتية حرة تدرس بها سيدة تدرس في عائلة د/ دي فروست	-	٤٠	٤٠
- مــدارس الســيدة بــون تومبسون ويدرس بها ٥ مدرسات وطنيات تعلمن في مدارس الإرسالية	-	١٢٠	١٢٠
- مدرسة الشماسات للأيتام	-	١٢٠	١٢٠
- مدرسة داخلية للبنين	٣٠		٣٠
المجموع	١٣٠	٣٥٥	٤٨٥[١].

وبذلك يتضح من خلال هذا الجدول عدة أمور جديرة بالملاحظة

أولهــا: زيــادة تعليم البنات على البنين، حتى أنه وصل لثلاثة أضعاف عدد البنين، وهذا يدلنا على تغير نظرة الناس التقليدية لتعليم البنات بعد أن كـــان محرم عليهن الخروج من المنازل، كما يدلنا على أهمية المرأة بالنســبة للتبشير ودورها المؤثر فى الأسرة لذا كان الاهتمام الشديد بتعليمها.

ثانيهمــا : ازدياد عدد المدارس فى بيروت كمثال بعد أزمة الستين، وهو ما يؤكــد استفادة المبشرين الأمريكيين من التسهيلات التى منحتها لهم الدولة العثمانية.

ولــو قارنا هذا الجدول بالعام الذى يليه لا تضح لنا الارتفاع الشديد فى عدد الطلبة والطالبات لدرجة بلغت الضعف كما هو فى الجدول التالى:

---

(١)Missionary Herald, May, 1863, Beirut, Station Report, Vol. 54, 1863, pp. 136-139.

التعليم فى بيروت عام ١٨٦٣م

المدارس	عدد التلاميذ
- مدارس البنين	٩٠
-مدارس البنات	٨٥
- المدرسة الداخلية للبنات	٣٠
- مدرسة المستر بستانى	١١٥
- مدرسة المستر بون تومبسون	٢٥٨
المجموع	٥٧٨[١].

ويتضح من الجدول السابق تضاعف عدد المدارس والتلاميذ، خصوصاً القفزة السريعة فى عدد البنين، الذين زاد عددهم بشكل كبيراً أما مدارس البنات فقد زاد عدد الطالبات بها، فعلى سبيل المثال زاد عدد الطالبات فى مدرسة الشماسات الروسيات من ١٢٠ طالبة فى عام ١٨٦٢م إلى ١٨٠ عام ١٨٦٣م، وربما كان الدافع وراء هذه الزيادة انتشار التعليم الأمريكى وذيوع صيته، مما أدى لازدياد الطلب عليه من جانب الوطنيين حتى من أبناء الكنائس المنافسة بالرغم من الحرب الضارية التى شنتها الكنائس الوطنية.

وبلغ عدد مدارس البروتستانت فى جبل لبنان عام ١٨٨٣ وحده حوالى سبعين مدرسة، منها ٥٣ للبنين و١٧ للبنات، وعدد المعلمين ٦٠ والمعلمات ٢٤، والتلاميذ أكثر من ٢٥٠٠، والتلميذات نحو نصف هذا العدد[٢]، أما فى بلاد الشام كلها فقد بلغ عدد هذه المدارس ١٣٠ مدرسة فى

(١)Missionary Herald, April, 1864, Annual report Of The Beirut Station, Vol. 60. 1864, pp. 105-110.

(٢) شاهين مكاريوس: المعارف فى سورية، المقتطف، نيسان ١٨٨٣، الجزء التاسع، العام السابع، ص٥٣٦ .

مختلف مدن وقرى الشام[١]، وفى سنة ١٨٦١م أنشأت الإرسالية الأمريكية بالاتحاد مع كنيسة "أيرلندة القسوسية مدرسة ابتدائية للبنات كانت تعلم العربية والحساب[٢] وفى نفس الفترة تم تأسيس مدرستين ابتدائيتين فى اللاذقية، إحداهما للبنين والأخرى للبنات، ومدة الدراسة ٦ سنوات[٣].

وأهم ما تميزت به هذه المرحلة – الممتدة من سنة ١٨٦٠ إلى سنة ١٩١٤م – هو الانتشار الواسع للتعليم الأمريكى فى بلاد الشام من مدنه وقراه، وفى نهاية المرحلة كان هناك اتجاه للتركيز على جودة التعليم والاهتمام بتلك المدارس المهمة فقط. في الوقت ذاته يمكننا أن نلاحظ أن هذه المرحلة تتميز بنيل الامتيازات العديدة من الإدارة العثمانية بعد التنظيمات عام ١٨٥٦م والتى تم الاستفادة منها فى نشر المدارس التابعة للإرسالية الأمريكية وهو ما أدى لزيادة حدة التنافس مع الإرساليات الأخرى والكنائس الوطنية فى الشام، وبالتالى فإن التنافس أدى لزيادة عدد المدارس فى الشام بصورة غير مسبوقة من قبل.

(١) شاهين مكاريوس: المعارف فى سورية، المقتطف، آذار، ١٨٨٣، الجزء الثامن، العام السابع، ص٤٦٨ .

(٢) سلمى قساطلى: تعليم النساء فى دمشق، اللطائف، الجزء التاسع من السنة الخامسة، ١٥ نوفمبر ١٨٩٠، ص٢٦١ .

(٣) روديك ماثيوز ومتى العقراوى: مرجع سابق، ص٥٢٣،
– النشرة الأسبوعية، ٢٣ تموز ١٨٨٣، عدد ٣٠، ص٢٣٨ .

وشهدت هذه المرحلة أيضاً تقدماً فى التعليم الابتدائى عند كافة الطوائف المسيحية والإسلامية ، بل وعند الإرساليات الأخرى فى بلاد الشام، فى إطار التنافس المحموم بين هذه الطوائف وبين الإرسالية الأمريكية، وهو ما يحسب لها، وإن كان قصب السبق فى جميع هذه المدارس يحسب لمدارس الإرسالية الأمريكية سواء من حيث العدد أو المناهج، وكذلك عدد التلاميذ والتلميذات، وهو ما يتضح من الجدول التالى تطبيقاً على ولاية بيروت عام ١٨٨٣م.

التعليم فى ولاية بيروت ١٨٨٣م

ملاحظات	مديروا المدارس	عدد التلميذات	عدد التلاميذ	عدد المعلمات	عدد المعلمين	مدارس للبنات	مدارس بنين
سكان بيروت فى هذه الفترة نحو ١٢٠ ألف نسمة من وطنيين وأجانب	مسلمون	٤٥٣	٢١٧٠	١٥٧	٤٤	٣	٢١
	روم أرثوذكس	٥٠٠	٩٠٠	٧	١٦	١	٥
	موارنة	٥٥	١٣٨٠	٣	٧٥	٣	١٠
	روم كاثوليك	–	٤٠٠	–	٣٠	–	٣
أنشئت اكثر المدارس المذكورة فى هذا الجدول بعد سنة ١٨٦٠م	يسوعيون	٢٠٠	٦٩٠	٤	٧٥	١	٤
	راهبات المسيحية	١٣٣٤	–	٦٥	–	٤	–
	راهبات الناصرة	٥٠٠	–	١٨	–	١	–
– أن بعض مدارس المسلمين لا تزال على عهدها القديم – عرض هذا الجدول على أكثر أصحاب المدارس قبل طبعة فوافقوا على صحته	مار منصور	–	٣٥٠	–	٦	–	٢
	كبوشيون	–	٥٠	–	١	–	١
	سريان	–	٧٠	–	٢	–	١
	إيطالية	–	٥٠	–	٣	–	١
	يهود	٩٠	٣٥٠	٢	٢٠	١	٥
	إنجيليون	٢٤٥٠	٦٧١	٨٧	٤٤	٢٢	١٢
المجموع[1].		٥٥٧١	٦٨٨١	٢٠١	٣١٦	٣٦	٦٥

وقد كان الدافع وراء تلك الحرية التى كان يعمل بها المبشرون الأمريكيون فى حقل التعليم أكثر مما سبق، الفرمان العثمانى الذى صدر فى عام ١٢٨١هـ/١٨٦٤م وطبقاً لنصوصه فإن الكنائس والأديرة والمستشفيات والمدارس والمؤسسات الخيرية عموماً التى كان يسيطر عليها رعايا عثمانيون أو رعايا دول أجنبية أعفيت من دفع أى التزامات جمركية على كل

---

(١) نقلاً عن شاهين مكاريوس: المعارف فى سوريا، المقتطف، شباط ١٨٨٣،ص٣٩١ .

إستيراداتها، بل أعفيت أراضى ومبانى هذه المؤسسات من كل الضرائب[١] كما زاد تعليم الفتيات حتى غير القادرات منهن، فقد افتتح عدة جمعيات للمساعدة فى تعليم النساء الفقيرات من سيدات الإرسالية الأمريكية بمشاركة بعض الوطنيات المرتبطات بهن[٢].

وفى نهاية فترة الدراسة، يمكننا أن ندرك حجم المدارس الأمريكية فى بلاد الشام من خلال قائمة المدارس المعدة لعام ١٩٠٦ والتى كانت فى الأصل قائمة للمدارس وأماكن العبادة التى تخص الإرسالية الأمريكية فى سوريا فى إبريل ١٨٨٩، وكانت تضم ١٠٤ مدينة فى مختلف أقاليم الشام، ولكنها نقحت فى عام ١٨٩٢م وابتداء من هذا العام كانت هذه القائمة تعد وتقدم كل عام للموظفين العثمانيين المسئولين عن التعليم فى الشام فقد كانت تعمل بموجب قانون المدارس العثمانى الذى أعدته الحكومة العثمانية، عام ١٨٦٩م ثم عدلت هذه القائمة فى مايو ١٩٠٣ والتى كانت تحتوى على ١٨٥ مدرسة فى ١٤٠ مدينة كبيرة وصغيرة على تنوعها، ولكن أغلق من هذه المدارس عدد ٥١ مدرسة عامة (ابتدائية) وهو كما يذكر التقرير إغلاق مؤقت ولظروف لم يذكرها التقرير[٣]. وربما يفسر لنا "Tibawi" هذا السبب وهو يؤكد إغلاق الـ ٥٠ مدرسة بالفعل فى نهايات القرن التاسع عشر فى قوله "لقد كان ملحوظا بالفعل أن القيمة التعليمية والاجتماعية للمدارس القروية التى احتفظت بها الإرسالية كانت تافهة، فقط تلك المدارس التى استطاع قليل من طلابها أن يتلقوا تعليما أفضل فى المدارس المركزية هم الذين يشكلون مكسبا إيجابيا أما الباقون فقد بقوا فى الجهل وعلى المدى الطويل فقدوا"[٤]، وعملت الإرسالية على الاهتمام بتعليم المرأة، وفتحوا مدارس أكثر للفتيات[٥].

---

(1)A.L. Tibawi, Op- cit, pp. 170-171.

(٢) اللطائف، الجزء الثانى عشر، ١٥ أبريل ١٨٨٨، المجلد الثانى، العام الثانى، ص٥٧٥ .

(3)List Of American Educational, Religious and Charitable institutions, in the provinces of Syria, Beirut and the Lebanon, May 1906. American Archives, T. 367, Role 23, Lebanon.

(4)A.L. Tibawi, Op. Cit., p. 285.

(5)Nahid Dinces; Yabancidzel Oknllas, Cagalglu- Istanbul, p.58.

وكان يأتى الاهتمام بتعليم البنات فى مقدمة النتائج الإيجابية التى تحسب للإرسالية الأمريكية، والدافع الرئيسى وراء هذا الاهتمام هو دور المرأة فى تكوين الأسرة وبث الأفكار فى أطفالها وزوجها لذا كان التركيز الأساسى على المرأة باعتبارها وسيلة مهمة جداً فى العمل التبشيرى. فى الوقت ذاته نجحت المنافسة بين الإرساليات والكنائس الوطنية والمسلمين من جانب، والإرسالية الأمريكية من جانب آخر فى إنشاء العديد من المدارس الخاصة بالبنات.

ويتضح من الجدول التالى مدى هذا التأثير

جدول مدارس البنات المسيحيات من عام ١٨٥٩ إلى نهاية عام ١٨٨٩م

تلميذات	معلمات	مدارس	السنة	الملاحظات
١٥٠	٥	٢	١٨٥٩	بحسب ما يقوله العارفون
٣٢٦	١٨	٦	١٨٦٩	بحسب إحصاء الحكومة
١٠٧٠	٣٢	٧	١٨٧٩	بحسب الروضة الغناء
١٢٨٠	٤٦	١٠	١٨٨٩	

جدول مدارس البنات المسلمات ١٨٥٩ – ١٨٨٩م

تلميذات	معلمات	مدارس	كتاتيب	السنة	ملاحظات
٦٠	٤	٠٠	٤	١٨٥٩	
٢٩٤	٢٨	٠٠	٢٨	١٨٦٩	إحصاء الحكومة
٢٩٤	٣٢	٢	٢٨	١٨٧٩	الروضة الغناء
٢٥٠٠	٦٣	١٢	١٥	١٨٨٩	(١).

يتضح من الجدولين السابقين عدة أمور هى:

- ابتدأ تعليم البنات فى الازدياد خلال الفترة من النصف الثانى من القرن التاسع عشر وكان ذلك نابعاً من المنافسة مع الإرسالية الأمريكية صاحبة أول مدرسة للبنات فى الشام.
- كان عدد المدارس عند المسيحيين ضعف عدد المدارس عند المسلمين بالرغم من أن عدد التلميذات المسلمات أكبر من ضعف عدد التلميذات المسيحيات وعوض ذلك عند المسلمين بعدد الكتاتيب.

---

(١)سلمى قساطلى: مرجع سابق، ص٢٦٤ .

- يدل تعليم البنات بهذا القدر وعند كافة الطوائف الشامية على دلالة بالغة الأهمية وهي التغير الحادث في العديد من المفاهيم داخل المجتمع، وتغير النظرة للمرأة عموما.
- للإرسالية الأمريكية الفضل الأكبر في تعليم البنات في الشام فهم الذين وجهوا الأنظار لذلك، وهم أصحاب أول مدرسة للبنات في بلاد الشام.

جـ- التعليم الابتدائي في القدس :

كانت القدس هي المحطة الأولى التي نزل فيها المبشرون الأمريكيون من مالطة، فهي من أول المدن الشامية التي شهدت منشآت تعليمية أمريكية، ولكن الملفت للنظر أن عدد المدارس الأمريكية في القدس ظل محدوداً وربما كانت الأسباب الحقيقية وراء ذلك الآتي:

١-الرغبة في التنسيق بين جهود الإرساليات البروتستانتية ولا سيما الأمريكية والإنجليزية، فتم الاتفاق على أن يترك الأمريكيون القدس للإنجليز فيما عدا بعض الأنشطة القليلة، يشهد على ذلك نقل الإرسالية لمعظم أنشطتها الرئيسية بعيداً عن القدس.

٢-الرغبة في العمل في أرض خصبة منفردة فكانت بيروت لا القدس التي شهدت المنافسة الشديدة بين كافة الإرساليات التي سعت لإثبات وجودها عن طريق المؤسسات التعليمية.

من هنا فإن للقدس وضعا خاصا دفعنا لأن نفرد له هذه السطور بعيداً عن التعليم الإبتدائي الأمريكي في الشام. فيذكر تقرير الإرسالية أنها أنشأت مدرسة للبنات في القدس سنة ١٨٣٥ تدرس فيها الآنسة تلدين Miss Tilden وكان عدد الطالبات فيها متذبذباً جداً، وكانت هذه المدرسة تضم فيها منذ بدايتها فتيات مسلمات ؛ لأن المسيحيين لم يدخلوا أبناءهم هذه المدرسة، لعدم رغبة المسلمين والمسيحيين أن يختلطوا معا في المدرسة [١]. لذا بدأ تفكير الإرسالية الأمريكية في إقامة مدرسة خاصة للفتيات المسيحيات [٢].

وفي ١٠ أغسطس ١٨٣٨ افتتحت مدرسة بنين في القدس، لكن العدد سرعان ما زاد خصوصا وهي مدرسة خيرية بدون أي نفقات، أما عن المناهج فقد كان يدرس فيها كتب الهجاء وكذلك التراتيل والعهد الجديد وكتب

---

(١) يذكر المبشر صمويل زويمر : "إنه من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين وتحرير النساء " وهذه خطوة تبشيرية مهمة.راجع مانع بن حماد الجهني : مرجع سابق، جـ٢ ، ص٦٧٩ .

(2)Missionary Herald, Nov., 1838. Report Of the Station at Jerusalem For the year ending. March, 1838. Vol. 34. 1838. Pp – 420-423.

صغيرة عن تعليم الديانة بالسؤال والجواب[1] وبذلك يظهر الغرض التبشيرى الصرف من المناهج التى تدرس داخل المدرسة.

وأنشأت الإرسالية الأمريكية مدرسة فى بيت لحم وهى المدرسة التى كان يدرس بها مدرس بروتستانتى وتضم حوالى ٢٠ تلميذا، وحدثت بعض العوائق التى أثرت على عمل المدرسة قبل ظهور مرض الطاعون، وكذلك المحاولات المتكررة من قبل الراهب اليونانى لتحطيم هذه المدرسة، وهذه العوائق عرضت المدرس فى وقت ما لضعف العزيمة، فأغلقت المدرسة لعدة أشهر ثم أعيد افتتاحها[2].

وفى عام ١٨٨٩م أنشئت مدرسة الفرندز للبنات Friend's Girl School فى رام الله ، وتلاها إنشاء مدرسة الفرندز للبنين The friend's Boy School فى رام الله أيضاً عام ١٨٩١م، وكانتا مدرستين كاملتين انشأتهما البعثة الأمريكية، واقتصرتا على قبول الطلبة العرب من المسيحيين والمسلمين[3].

وفى عام ١٩٠٧ اشترت جمعية الأصدقاء السوريين خمسين دونما[*] فى مدينة الرملة لإنشاء مدرسة زراعية عليها، ولكن الحكومة العثمانية ظلت تمانع فى منح فرمان الإنشاء حتى سنة ١٩١٢م، وكان التأخير بسبب الخلاف بين الحكومة العثمانية والسفارة الأمريكية، التى كانت ترغب فى إعفاء الأبنية

(1)Ibid.,

(2)Missionary Herald, Aug., 1842, Report Of the Jerusalem Station for the year 1841, Vol. 38, 1842. pp. 322 – 325.

(٣) علي محافظة (دكتور): الحركات الفكرية فى عصر النهضة فى فلسطين والأردن، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧، ص٤٢ .

(*) كان لجمعية المرسلين الكنسية التى تأسست فى لندن ١٧٩٩ دور بارز فى إنشاء المدارس البروتستانتية فى فلسطين والأردن منذ عام ١٨٥٠، وقد بلغ عدد المدارس التابعة لها فى فلسطين والأردن عام ١٨٨٢م نحو ٣٥ مدرسة كانت تضم ١٦٣٥ تلميذا، وازداد عددها بإضطراد حتى بلغ ٤٧ مدرسة عام ١٨٩٦، وهذا يعنى أن الأمريكيين تركوا المجال الفلسطيني للإنجليز للعمل به حسب الإتفاق بينهما.

والاراضى التابعة للمدرسة من الضرائب والرسوم، وأخيراً صدرت الإرادة بإجابة طلبات السفارة[١].

وبذلك كان النشاط التعليمى الأمريكى فى القدس قليلاً إذا ما قورن ذلك بنشاطهم التعليمى فى بيروت وبقية أنحاء الشام، كذلك فهو قليلاً إذا ما قورن بالمؤسسات التعليمية الإنجليزية والألمانية مثلاً، وهو ما يعنى ترك الأمريكيين للمنافسة فى مجال القدس والذهاب لأرض خصبة جديدة.

وظل التعليم الأمريكى فى القدس ورام الله وبيت لحم قاصراً على التعليم الإبتدائى دون التعليم العالى أو الثانوى، وإن كانت الكلية السورية الإنجيلية فى بيروت قد اجتذبت أعداداً كبيرة من طلاب فلسطين الذين تعلموا فى مدارس الإرساليات الأخرى لإكمال تعليمهم العالى بها- كما سنرى فى الفصل التالى.

د- المناهج فى المدارس الابتدائية :

عندما بدأ العمل التبشيرى الأمريكى فى بلاد الشام، وأخذ الأمريكيون فى نشر المدارس قوبلوا بعدة مشكلات كان أهمها أزمة المناهج والكتب الدراسية.

فمنذ عام ١٨٣٠م يعترف تقرير للإرسالية الأمريكية بوجود شكوى مريرة من عدم وجود كتب للهجاء باللغة العربية، فيما عدا كتاب صغير صدر من مطبعة الأمريكيين فى مالطة، ولا يوجد أى كتب فى علم الحساب باللغة العربية، وعلم الجغرافيا غير معروف فى الشام آنذاك، إلا لدى قلة قليلة ممن يلمون بأعمال الجغرافيين القدماء[٢] لذا بذلت العديد من المحاولات من جانب المبشرين لتأليف عدد من هذه الكتب بالإشتراك مع عدد من المؤلفين الوطنيين المرتبطين بالإرسالية، من أمثال بطرس البستانى وناصيف اليازجى.

ولقد صممت الدراسة فى تلك المدارس فى البداية على الأقل على أنها مدارس تبشيرية، فنجد المواد التى كانت تدرس فيها فى البداية هى التوراة، وقواعد اللغة العربية، الحساب، الجغرافيا. ثم رؤى إدخال مناهج جديدة هى علم الفلك، وحساب المثلثات، والجبر، والهندسة، والتاريخ، واللغة

---

(١)عبدالعزيز عوض: متصرفية القدس فى العصر العثمانى، رسالة دكتوراة غير مشورة آداب عين شمس، ص١٨٤ .

(2)Missionary Herald, Feb., 1830. Views and proceedings preference to this mission, Vol. 26, 1830, pp. 73 -82.

الإنجليزية[١]. وسواء اتفقنا أو اختلفنا مع توجهات هذه المدارس فهى المرة الأولى التى نجد فيها مدارس الشام قد تعدت الأدوار التقليدية للدراسة إلى الأجواء الحديثة التى بدأت بإدخال العديد من العلوم الحديثة.

ومن الجدير بالذكر أن التعليم فى هذه المدارس كان يتم باللغة العربية والتى شهدت نهضة كبيرة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر والسنوات الأولى من القرن العشرين ؛ بسبب اشتداد الفكر القومى [٢]، حيث كان التعليم باللغة العربية فى مدارس المبشرين الأمريكيين الذين أصروا على أن يكون التعليم باللغة العربية ، لتنمية الشعور القومى لديهم وإضعاف رابطتهم بالدولة العثمانية . أما اللغة الإنجليزية فكانت تدرس بشكل هامشى وبسيط، ولا سيما فى البداية بل وتدريسها كفرع من فروع المعرفة، وذلك لأن التعليم باللغة العربية يحفظ للتلاميذ بدرجة كبيرة مشاعرهم القومية، وبذلك يضمن استمرار التعاطف مع ذويهم واستخدام ذلك فى الأمور الخاصة بالتبشير [٣] وكذلك للاستفادة من ذلك فى تعليم المبشرين أنفسهم اللغة العربية، وهم بذلك لا يكتسبون بغض الناس حينما يعلمون بلغة غير لغتهم، ولكن بعد أن ثبت الأمريكيون جذورهم أصبح التعليم فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر - باللغة الإنجليزية.

ومن خلال هذه المناهج ونوعياتها نتأكد أن هذه المدارس كانت تبغى الوصول لأعمال التبشير فى الأساس، وإدخال المناهج الحديثة وطرق التعليم الحديثة إنما كانت وسائل لغاية يبغون الوصول إليها، وهى التبشير بين التلاميذ وذويهم ونشر العديد من الأفكار التى يؤمنون بها بينهم.

وكانت العلوم المختلفة بدءاً من التاريخ والجغرافيا وحتى بقية العلوم تدرس من حيث ارتباطها بالتوراة والنبوءات التوراتية[*]، كما كان يدرس الكتاب المقدس بغض النظر عن المذاهب الدينية للطلاب[١].

---

(1)A.L. Tibawi, Op. Cit., pp. 64-65.
-A.L. Tibawi, Op. Cit., pp. 124-125.

(٢) نجلاء أبو عز الدين (دكتورة): العالم العربى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت،ص١٣٠.

(3)A.L. Tibawi, Op. Cit., pp.124-125.

(*) ويرى هنرى جسب "أن التعليم فى مدارس الإرساليات المسيحية إنما هو واسطة إلى غاية فقط. هذه الغاية هى قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفرادا مسيحين وشعوبا مسيحية، ولكن حينما يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية فى نفسه وليخرج لنا خيرة علماء الفلك وطبقات الأرض وعلماء النبات، وخير الجراحين والأطباء فى سبيل الزهو العلمى.. فإننا لا نتردد حينئذ فى أن نقول أن رسالة مثل هذه قد خرجت عن المدى التبشيرى المسيحى إلى=

ومن خلال الجدول التالى يمكننا تتبع تاريخ إنشاء وإغـلاق وشـراء المدارس التابعة للإرسالية الأمريكية فى الشام ابتداء من الفترة محل الدراسـة حتى عام ١٩٠٦ .

ولاية سوريا Vilayet Of Syria[٢]

سنجق Sanjak	قضاء Kaza	المكان Place	تاريخ التأسيس	مدارس فتحت	أغلقت مؤقتا	تم شراؤها ملكية خاصة
	حاصبيا	حاصبيا	١٨٤٤	١		١٨٥٤
		الكفر	١٨٥٧	١		
		راشيا	١٨٥١	١		١٦٥
		شيعة	١٨٥٧	١	غ.م	
	بعلبك	بعلبك	١٨٧٤	١		١٨٤٤
		بيت شاما	١٨٦٨		غ.م	
		دير الغزال	١٨٦١	١		١٨٨٠
		الحدث	١٨٨٢		غ.م	
		حوش بردى	١٨٩٠	١		
		كفر زيد	١٨٦١	١		
		قوسايا	١٨٧٣		غ.م	
		رأس بعلبك	١٨٨٤	١		١٨٩٢
		شليفه	١٨٧٨	١		
		طليا	١٨٦١	٢		
	البقاع	عينتث	١٨٦٨	١		١٨٧٨
		الفرزل	١٨٦٨		غ.م	
		الجديدة	١٨٧٠	٢		١٨٧٧
		الجرية	١٨٧٥		غ.م	
		مشغرة	١٨٦٩	٢		١٨٨٤
		معلقه	١٨٦٨	١		١٨٧٧
		قب الياس	١٨٧٢	٢		١٨٨٨
		الفرعون	١٨٧٠	٢		
		سقبين	١٨٧٠	١		١٨٧٣
حوارة	قنيطرة	عين فتية بانياس	١٨٥٨	١		١٨٨٠
		مجدل شمس	١٨٥٨	٢		١٨٧٣
		حماة	١٨٧٤	٢		١٩٠٢-١٨٨٤
		محرورة	١٨٧٠	١		
		حمص	١٨٥٩	٤		١٨٧٠
		فيروزة	١٨٩٣	١		١٨٩٨
		أم دولاب	١٨٩٤	١		

=مدى علماني محض، إلى مدى علمي دنيوى... مثل هذا العمل يمكن أن تقوم= جامعات كمبردج وهارفارد... لا الجمعيات التبشيرية التي تسـعى لأهـداف روحية فحسب.

- عبدالودود شلبي (دكتور): الزحف إلى مكة، الزهراء للإعلام العربي، القـاهرة، ١٩٨٩،ص٨٣ .

(1)Missionary Herald , July 1852 , Beirut , Annual Report , Vol 49 , ,1853 , p. 198 .

(2)The Board of Foreign missions of the Presbyterian Church in the U.S.A, Op.Cit.,p.7

ويلاحظ على الجدول السابق الآتى:

١- أن كل المدارس السابقة تقريبا فيما عدا خمس مدارس قد أنشئت فى المرحلة الثانية أى بعد ١٨٦٠م وهو ما يؤكد ما طرحناه أن المرحلة الثانية كانت مرحلة الانتشار وتثبيت الأقدام للإرسالية فى بلاد الشام.

٢- من خلال أسماء الأماكن التى أنشئت بها تلك المدارس يلاحظ أنها انتشرت فى الأماكن الداخلية والجبلية، وهو ما يؤكد رغبة القائمين على أمور التعليم فى الإرسالية وتصميمهم على نشر التعليم كرسالة تبشيرية بين السكان باختلاف طبقاتهم وأماكنهم.

ولاية بيروت Vilayet Of Beirut[١]

تم شراؤها ملكية خاصة	أغلقت مؤقتا	مدارس افتتحت	تاريخ التأسيس	المكان Place	قضاء Kaza	سنجق Sanjak
١٨٢٦ ١٨٦٦		٢	١٨٤٥	بيروت بيروت		
١٨٢٦ ١٨٦٦ ١٨٧٣ ١٨٦٤ ١٨٦٦		٢ ١ ٤ ٢ ١	١٨٥١ ١٨٦١ ١٨٥٢ ١٨٦٤ ١٨٥٢	الجديدة دير المماس إبل السقي الحربة الخيم	الجديدة مرج عيون	
- ١٨٥٨ ١٨٦٤	غ.م	٦ ١ ١ ١	١٨٥٢ ١٨٦٦ ١٨٥٠ ١٨٥ ١٨٨٠ ١٨٧٥	صيدا عبرا علما قانا دبل تبنين	صيدا	
١٨٧٦ ١٨٨٦	غ.م	١ ٢ ١	١٨٨٠ ١٨٥٤ ١٨٥٤	البصة El. Bussa طرابلس الميناء		Acre طرابلس
١٩٠١	غ.م غ.م غ.م	١	١٨٧٩ ١٨٧٢	عمار الحربة حب نمرة مرمريتا مقعبرة	الحصن	
١٨٨٣ ١٨٨٨ ١٨٨٠ -	غ.م غ.م	١ ١ ١	١٨٦٦ ١٨٨٨ ١٨٦٩	بيتو منيارة الشيخ محمد جبرايل رحبة	عكار	
١٩٠٠ ١٨٨٠	غ.م	١ ٢ ١	١٨٩٨ ١٨٦٤ ١٨٩٢	اليزيدية مشتا الحلو برج صافيتا بيت شباط	صافيتا	

(1)Ibid.,p.8.

متصرفية لبنان Mutserfiyet Of Lebanon[1]

سجق	قضاء	المكان	تاريخ التأسيس	مدارس افتتحت	أغلقت مؤقتا	تم شراؤها ملكية خاصة
	غزير	غروز	١٨٥٨			
		المنصف	١٨٨٩	١	غ.م	١٨٨٢
		شيخان	١٨٩٠		غ.م	
	الكورة	كسبا	١٨٧٠			
		بشمزين	١٨٦٧			
		كفر حزير	١٨٩٠		غ.م	-
		بقرام	١٨٧٤	١		
		أنفة	١٨٧٨	٢		
	بترون	بترون	١٨٨١		غ.م	
		كروم صدي	١٩٠٣		غ.م	
		دوما	١٨٦٧		غ.م	
	جزين	جزين	١٨٨١	١		
		دوم	١٨٨١			
		مغدوشة	١٨٨٢	١		
		برتا	١٨٥٦	١		١٩٠٣
		ميه وميه	١٨٨٠	١	غ.م	
		الصالحية	١٨٧٠	١		
		قبتولة	١٩٠٥	١		١٨٩٠
		قرية	١٨٨٤	١		
		كفر جرا	١٨٨٠	١		

(1)Ibid.,p.9.

	الشوف	مجد لونا	١٨٥٠	١		
		جون	١٨٥٠			
		جميلية	١٨٩٠	١		
		عالية	١٨٤٢	٢		١٨٥٠
		القماطية	١٩٠٤	١		
		عبية	١٨٤٤	٢	غ.م	١٨٥٠
		عيناب	١٨٤٢			
		عين عينوب	١٨٤٢	٢		
		عين زحلتا	١٨٥٠	١		١٨٦٠
		عرمون	١٨٤٤	١		
		بعقلين	١٨٦٨	٢	غ.م	
		غريفة	١٨٩٠	١		
		المطلة	١٨٧٨	١		
		بحمدون	١٨٤٨			١٨٧٠
		بشامون	١٨٤٢	١		
		دير القمر	١٨٥٨	٢		١٨٩٥
		دير قوبل	١٨٥٨	١		
		الدبية	١٨٦٣	٢	غ.م	
		راشيا	١٨٩٧	٢		١٨٧٠
		الشويفات	١٨٦٣	٢		
		سوق الغرب	١٨٥٣	٢		١٨٧٠
	كسروان المتن	معاملتين	١٩٠٥	١		١٨٧٥
		الشوير	١٨٦٣	٣		
		عين السنديانة	١٩٠٥			
		الحنشارة				
		بتغرين	١٨٦٥	١		
		كفر عقاب	١٨٦٥		غ.م	
		كفر شيما	١٨٤٧	١		
		الحدث	١٨٥٣		غ.م	١٨٧٥
		زحلة	١٨٦٨	٣		

من خلال هذا الجدول يتضح الآتي:

١-أن عدد المدارس التى أنشئت قبل ١٨٦٠ كان ٢٣ مدرسة فى حين بلغ عدد المدارس التى أنشئت بعد ذلك ٤٧ مدرسة.

٢-توزعت هذه المدارس على مختلف مدن وقرى متصرفية لبنان، حتى الأماكن الداخلية والبعيدة عن العمران، أى التى فى الأطراف.

٣-عدد المدارس التى أغلقت ١٥ مدرسة، ويلاحظ أنها فى الأماكن الداخلية.

٢- المدارس العليا :

عندما أنشئت الإرسالية الأمريكية المدارس الابتدائية فى أنحاء الشام المختلفة، ظهرت الحاجة الماسة لإنشاء المدارس العليا، لتخريج المدرسين للعمل فى هذه المدارس، وفق الأهداف التى من أجلها أنشئت، وفى نفس الوقت، تخريج المساعدين الوطنيين، للعمل فى مجال التبشير مع الإرسالية

الأمريكية ، فهم أدرى الناس بالبيئة الشامية . لذا بدأت الإرسالية إنشاء المدارس العليا في بيروت للبنات والبنين ، وعندما أدركوا أن معظم خريجي المدارس العليا في بيروت لا يصلحون للعمل في القرى ، وذلك نظراً لأنهم من أبناء المدينة ، لذا كان التفكير في إنشاء مدرسة عليا في عبية لأنها بلدة ريفية ، وخريجوها يصلحون للعمل في الأوساط الريفية والداخلية من بلاد الشام .

أ- المدرسة الأمريكية العليا للبنات في بيروت :

تركز الاهتمام الأساسي للإرسالية الأمريكية في بيروت علي إنشاء مدارس للبنات ، حيث تكون الصلة مع الطالبات أكثر احتكاكا واتصالا في المدارس الداخلية ، كذلك لدور الفتاة في تكوين الأسرة والتأثير فيها ، فأنشأوا المدرسة العليا للبنات كمحاولة لتخريج مدرسات للعمل في مدارس الإرسالية ، وكذلك للعمل كمساعدات وطنيات في التبشير فهن أدرى الناس بالبيئة التي وجدن فيها .

كان تعليم البنات في الدولة العثمانية يتم من خلال مدارس تعرف باسم " مدارس الصبيان " وكان يتم تعليم البنات فيها أيضاً ، وهذه المدارس جرى إنشاؤها في زمن السلطان محمد الفاتح (١٤٥١ – ١٤٨١) في القرن الخامس عشر الميلادي [١]. وقد أنشأت الإرسالية الأمريكية أول مدرسة عليا للبنات في بلاد الشام . فقد كانت أول مدرسة رشدية للبنات الإرسالية الأمريكية في بيروت أنشئت في عام ١٨٥٨م [٢] ، في حين أنشأت الإرسالية الأمريكية في بيروت أقدم مدرسة عليا للبنات في الدولة العثمانية كلها ، ففي عام ١٨٣٤ [*]

(١) يلماز اوزطونة: تاريخ تركيا الكبير، جـ١٠، ص٣١١ ـ باللغة التركية .
(٢) عثمان أركين: تاريخ المعارف التركية (باللغة التركية) جـ١، ص٨٢.
(*) هناك إختلاف حول نشأة أول مدرسة عليا للبنات في العالم العربي ببيروت، فبينما ترجح أرجح الأقوال أنها تعود لعام ١٨٣٤م، ترى بعض الآراء الأخرى أنها تعود لعام ١٨٣٠ . راجع:
نجيب العقيقي : مرجع سابق،ص١٣٥ . ـ أنور الجندي: مرجع سابق، ص٢٩٢ ـ رودريك ماثيوز، متى العقراوي: مرجع سابق، ص٦٢٧ .

أنشأت زوجة المبشر عالى سميث Mr. A. smith هذه المدرسة فى إحدى غرف دار الإرسالية ببيروت، ضمت أربعين طالبة[1] وأغلقت هذه المدرسة عام ١٨٤٠م، وذلك نتيجة للاضطرابات القائمة فى ذلك الوقت، لعمل الحلفاء على إخراج القوات المصرية من الشام، وكانت بيروت المركز الرئيسى للعمليات الحربية، ويذكر تقرير الإرسالية سنة ١٨٤١ "لقد عانت مدرسة البنات هذا العام بشكل خطير، ففى بواكير الموسم أجبرتنا الاضطرابات السياسية أن نوقفها، ولأن بيروت حتى اليوم معسكر حربى، فإننا غير قادرين أن نعيد افتتاحها، ويعترف نفس التقرير بالحاجة الماسة للمدرسة بعد ما أصاب تعليم البنات حالة من الضعف نتيجة لغلق المدرسة، كذلك أصبحت هناك حالة من اللامبالاة المميتة من الآباء تجاه تعليم البنات"[2].

وبعد ذلك أعيد افتتاح هذه المدرسة حتى توقفت ثانية بسبب وفاة مسز سميث MRS Smith سنة ١٨٤٣م، وأنشئت مرة أخرى فى بيت أحد المرسلين، وقد ظلت هذه مفتوحة الأبواب إلى أن رحلت أسرة هذا المبشر لأمريكا سنة ١٨٥٤م[3]. وبذلك حدثت العديد من الاضطرابات والمشاكل التى أثرت على نشأة واستمرار المدرسة العليا للبنات فى بيروت، إلى أن استقر الأمر تماماً ابتداء من عام ١٨٦١م. حيث تم افتتاح المدرسة واستقرت فى مواصلة عملها، ووضع حجر الأساس فى مبناها الجديد، بل تعدى نشاط هذه المدرسة منطقة بيروت، لبلاد الشام كلها، وتم الدعاية لها فى مصر والعراق[4] ومن الملفت للنظر افتتاح هذه المدرسة مرة أخرى فى هذا التاريخ، الذى يرتبط بالمذابح الدامية فى الشام بين الدروز والمورانة، والتدخل الأوربى الشديد فى المنطقة وبالتالى ما نجم عن ذلك من كثرة المهاجرات لبيروت، وأكثرهن من الأرامل والفتيات، فكان العمل على

---

(١) كمال الصليبي: مرجع سابق، ص١٧٤ .

(2)Missionary Herald, July 1841, Report Of the station at Beyroot. Jan. Ist, 1841, Vol. 37, 1841. Pp. 301-304.

(٣) رودريك ماثيوزو متى العقراوى، مرجع سابق، ص٦٢٧ .

(٤) جورجى زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، جـ٤، ص٣٧ .

- انظر أيضاً : نور الدين حاطوم (دكتور): نشاط البعثات الأجنبية الدينية فى العالم العربى، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٥٧،ص١٩ .
- شاهين مكاريوس: مرجع سابق، ص٣٨٩ .
- عبدالكريم غرايبة : مرجع سابق، ص١٧٣ .

اجتذابهن من الأهداف العزيزة على الإرسالية الأمريكية ومن الوجه الآخــر فإن التدخل الأوربى قد وفر الحماية اللازمة لهذه المؤسسات أن تعمل بكــامل حريتها، لا سيما أن بريطانيا البروتستانتية التى كانت تقدم الخدمات الجليلــة للإرسالية الأمريكية، كانت صاحبة الكلمة العليا آنــذاك فــى الشــام، وعنــد السلطان أيضا.

هذا عن نشأة المدرسة أما عــن التعليــم داخلـها، فيصــف تقريــر للإرسالية لعام ١٨٣٦م أن الدراسة تستمر بها يوميا لمدة ست ساعات ونصف يوميا ساعة، وتشتمل على نصف ساعة راحة ثــم يذكــر "ونحــن نشــعر بالتشجيع والفرح من مدرستنا هذه ونعتقد أنه لا يوجد فرع مــن مجــهوداتنا يعدنا بثمار نهائية أكثر من هذه المدرسة، ونحن نأمل أن يضع المجلس دائمــا تعليم البنات فى اعتباره عندما يرسل إمدادات لهذا البلد، وألا تقام إرســاليات جديدة بدون إعداد الوسائل لفتح مدرسة بنات على الفور"[1] وهذا يوضح لنــا مدى نجاح المدرسة فى تحقيق الأهداف التى من أجلها افتتحتــها الإرســالية الأمريكية.

وهذه المدرسة تعلم اللغة العربية بفنونها، والحســاب، والفســيولوجيا والكيمياء، والحيوان، والهيئة، والتاريخ، والفلسفة الطبيعيــة، والميثولوجيــا، واللغات الإنجليزية والفرنسية[2]. أما العلوم الدينية فهى الهدف الرئيسى مــن هذه المدرسة، فقد كان يدرس بها العهد القديم والعهد الجديــد، وكــانت كــل التلميذات بما فيهن المسلمات واليهوديات والمسيحيات من المذاهب المختلفــة يدرسن Assembly's Shorter Catechism كــدرس يومــى؛ ودلائــل الإنجيل، وأيضا كان يدرس لهن موجز تــاريخى للتعليــم بطريــق الســؤال والجواب للعهدين القديم والجديد، وكانت الساعات الأولى من اليوم الدراســى تخصص للكتاب المقدس، وكل التلميذات دون تفرقة يحضرن هذا القداس فــى كنيسة الإرسالية، ويحضرن الدروس الدينية[3].

كانت المدرسة تعمل بنظام الفصل الدراسى الذى يســتمر لمــدة ١٢ أسبوع، منذ أول يناير حتى ٢٧ مارس، والترم الذى يليه يبدأ فــى ٩ مــايو وتستمر الدراسة الجادة بالمدرسة دون إضاعة للوقــت[4] فقــد كــانت هــذه

---

(1)Missionary Herald, Nov 1838, Report of the station at Beyroot for the year 1835, Vol. 36, 1838. Pp. 414-421.

(٢) شاهين مكاريوس: مرجع سابق، ص٣٨٩.

(3)Missionary Herald, July, 1852, Beirut, Annual report, Vol. 49. 1853, pp. 193-200.

المدرسة ولا سيما الفترة بعد ١٨٦٠م تعد الطالبات للالتحاق بالكلية الإنجيلية السورية بعد إنشائها سنة ١٨٦٦م فهى أشبه بالقسم الإعدادى[١].

ويبدو من التقارير أن المدرسة قد حققت تقدما فى التعليم وكذلك فى الهدف الأصلى منها ففى الامتحان الذى عقد فى ١٥ إبريل ١٨٦٠م حضرته ٥٠ فتاة مشرقات متفوقات وكن سعيدات، وحضر مجلس الإرسالية هذا الامتحان وأبدى سعادته من هذا المستوى الذى وصلن إليه وهو لا يقل بأى حال عن المستوى المناظر فى مدارس أمريكا[٢] أما صمويل جيسب Somuel Jessup وهو من أهم المبشرين الأمريكان فيقول بخصوص الامتحانات عام ١٨٦٨م: "لقد كانت أكثر امتحانات شيقة حضرتها، وكوفئت مجهودات مسز دودج، ومستر بليس Mr. Bliss والآنسة تومسون Miss Thomson جيدا للمظهر الطيب للفتيات، ذلك أن هذا العمل كان له تأثير قوى جدا على هذا البلد، فى تهذيبه وتنقيته[٣] وبذلك ظهر جليا أثر هذه المدرسة التى اعترف تقرير للإرسالية عام ١٨٦٧م أن هذه المدرسة من أهم الوكالات التنصيرية، وتتصل بالعمل التبشيرى بسوريا. والمبنى نفسه يقدم انطباع أن البروتستانتية قد أصبحت قائمة[٤] وعندما ضاق المبنى بالطالبات فى المدرسة تم تأجير منزل مجاور لمبنى المدرسة، وجزء من هذا المنزل تم استخدامه كحجرات للنوم خاصة بالطالبات الداخليات فيها[٥].

شجع النجاح الذى لاقته مدرسة البنات الإرسالية على التفكير فى إنشاء مدرسة أخرى يديرها الأهالى الذين تعلموا فى مدارس الإرسالية وعملوا معها بل وارتبطوا بها فى أعمالهم التبشيرية، حتى يكون هؤلاء هم

---

(1)Missionary Herald, May, 1861. Station report Vol. 57. 1861. Pp 134 – 142.

(2)Missionary Herald, July, 1860, Letter From Mr. Jessup, April, 10,1860. Vol. 56. 1860. Pp. 195 – 199.

(3)Missionary Herald, Oct, 1868. Monthly Summ ary, Vol. 64. 1868. P. 299.

(4)Missionary Herald, May, 1867. Monthly Summary. Vol. 63.1867, pp. 120-121.

(5)Missionary Herald, Dec. 1867. Sidon: Letter from Samuel Jessup. Oct. 26, 1867. Vol. 64, 1868. P.58.

الوجهة للمدرسة وفي نفس الوقت فهو احتقار لقدرة هؤلاء المستعدين على القيام بهذه الاعمال ومن ناحية اخرى فهو هروب من أي نقد أو هجوم يوجه إليهم على أنهم مبشرون يسعون لتغيير دين الطالبات ، وهو نفس ما فعلوه في نفس الفترة مع بطرس البستاني ومدرسته الوطنية كما سنرى فيما بعد .

بدأ مشروع إنشاء هذه المدرسة في عام ١٨٦٢ م عن طريق " عرمان " " Mr. M. Araman " وزوجته " لولو " Lulu التي تدربت في عائلة د/ دي فروست Dr – D. Forst وكانت مدرسة في مدرسة البنات العليا ، أما عرمان نفسه فقد عمل لسنوات طويلة مساعد لمستر كالهون في المدرسة العليا التي كان طالبا فيها من قبل ، وظلت هذه المدرسة تعمل بشكل منتظم [١] ولكننا لا نعرف المصير الذي آلت إليه هذه المدرسة . وأن كنا نعلم أنها رجعت فيما بعد لإدارة الإرسالية الأمريكية ، في نفس الوقت الذي تبرعت فيه الإرسالية بقطعة أرض بجوار الكنيسة [٢].

استحدثت هذه المدرسة تقليداً ما لبث أن انتقل منها لبقية المدارس ، وأصبح يرتبط بسياسة الإرسالية الأمريكية في مدارسها ، وذلك هو إقامة الاحتفالات في المدرسة سواء بمناسبة الامتحانات ومنح الخريجات شهاداتهن أو في المناسبات المختلفة ، وذلك لعدة أهداف ربما يكون من أهمها الارتباط مع أهالي الفتيات وبذلك يسهل عليهم بث ما يؤمنون به من أفكار ، كذلك فهي خير دعاية لمدارسهم وما وصلت إليه .

ويظهر من خلال هذه الاحتفالات التي كانت تقام في فصل الربيع محاولة الربط بينهم وبين المدنية الغربية ، وتوضيح أن التمدن الأوربي هو القيمة العليا التي يجب أن نسعى للسير وراءها فله كل الحسنات . فمن ضمن الخطب التي ألقيت في احتفال ١٨٨٣ م والذي حضره أقرباء التلميذات ومحبي العلم خطبة سليم البستاني في

---

(1) Missionary Herald. May 1863 Beirut Station Report. Vol 59 1863 Pp 136 - 139.
(2) A.L T IBAWI, OP Cit . p 163

موضوع "ان التى تهز السرير بيسارها تهز الأرض بيمينها[*] أوضح فيها الفرق بين المرأة العاقلة المتعلمة وبين الجاهلة واقتدارها على النفع والضرر، ويلاحظ أنه حاول الترويج لهذه الأفكار .

١-أن المرأة مثل الرجل فى العقل وإن اختلفت التكوينات الجسدية بينهما، لذا فهو يهاجم من يعتبر المرأة أقل فى الهيئة الاجتماعية من الرجل ويصفهم بالتخلف، ويدعو النساء لبلوغ مراقى الكمال عن طريق القراءة والأدب والعلم .

٢-ينسب أسباب الانحطاط والتخلف الحضارى لتراجع دور المرأة عن القيام بواجباتها، نتيجة لتخليها عن دورها فى العلم والعمل، وهو هنا يذكر بعض ممن يسميهن عظيمات النساء مثل زنوبيا، وجان دارك الفرنسية، واليصابات .

٣-يقدم العديد من النصائح للمرأة للحفاظ على بيتها وهو مملكتها الخاصة، ويحذرها من أسباب تدهور البيوت والمصائب التى تحل بسبب جهل المرأة[**].

وفى احتفال آخر خطب يعقوب صروف خطابا فى "تمدن الأوربيين" وبين ما فيه من نفع، وكانت هذه الاحتفالات تصبغ بالصبغة الدينية البحته ففى الاحتفال[١] الذى أقيم فى ٢ ابريل ١٨٨٥م لمنح الشهادة العلمية لخريجى المدرسة افتتح الاحتفال بالترنيم ثم تلا القس صموئيل جيسب فصلا من الكتاب المقدس وصلى، ثم ارتفعت ألحان الترانيم[٢].

يتضح مما سبق الآتى:

- عملت الإرسالية الأمريكية على الاهتمام بتعليم البنات، للدور الذى تلعبه المرأة عموما فى حياة الأسرة، وهو ما حدث بالفعل حيث لعبت المرأة دوراً كبيراً فى التغيرات التى شهدتها بلاد الشام، وذلك عن طريق دورها فى الأسرة، والتى وضعت الإرسالية الأمريكية لبنتها الأولى .
- أسست الإرسالية الأمريكية أول مدرسة لتعليم البنات فى بلاد الشام فى بيروت، كما أنها كانت صاحبة الفضل فى تأسيس أول مدرسة عليا

(*) النشرة الأسبوعية: يوم الاثنين ٢٥ حزيران ١٨٨٣، بيروت، العدد ٢٦،ص٢٠٦ .

(**)أنيس الجليس: الجزء الثالث، ٣١ مارس، ١٩٠٠،ص١٠٤ .

(١) النشرة الأسبوعية : بيروت ١٤ نيسان ١٨٨٤، العدد ١٦، ص١٢٦ .

(٢) النشرة الأسبوعية: الاثنين ١٣ نيسان ١٨٨٥، العدد ١٥، بيروت، ص١١٨ .

للبنات فى الدول العثمانية ككل، وقبل المدرسة الرشـــدية للبنـــات التـــى أقيمت فى استانبول بما يزيد عن خمس وعشرين عاما.
- نظرت الإرسالية لمدرسة البنات فى بيروت علـــى أنـــها أهـــم مؤسســـة تبشيرية فى بلاد الشام، ودرس بها العلوم التوراتية، كما درس بها الكتاب المقدس، والذى فرضت دراسته على جميع الطالبات بغض النظـــر عـــن طوائفهم الدينية.

ب-المدرسة الأمريكية العليا للبنين فى بيروت:

بعد إنشاء مدرسة بيروت العليا للبنات، بدأ التفكير فى إنشاء مدرســـة عليا للبنين، لتخريج المعلمين والمساعدين الوطنيين من الرجال للعمـــل مـــع الإرسالية الأمريكية سواء فى مدارسها أو كمبشرين، خصوصـــا أن بـــيروت وهى مركزهم الأول والرئيسى فى الشام تعتبر مكانا لائقا لاجتذاب الشـــباب سواء من الجبل أو من المدن والقرى المحيطة بها.

أنشأها القس وليم طمسن فى أواخر عام ١٨٣٥م، وكان بها ٦ طلاب بالقسم الداخلى[١]، وفى عام ١٨٣٧م زاد عدد الطلاب بـــها إلـــى ١٢ طالبـــا وكانوا ينتمون للمورانة واليونانيين الكاثوليك والأرثوذكس وواحد من اليـــهود، وكان بها اثنان من الدروز، ولكن لم يكن بها أحد من المسلمين، وبدأ الطلـــب على المدرسة يزداد، ولكن الإدارة رأت ألا تقبل من هؤلاء إلا القادرين، بـــأن يستمروا فى المدرسة وبمستوى علمى مرتفع[٢].

أما عن مناهج الدراسة فى هذه المدرسة فقد كانت عبارة عن القـــراءة والكتابة باللغة العربية، والجغرافيا، وأيضا القراءة والكتابة والتحـــدث باللغـــة الإنجليزية، والموسيقى، وقراءة للكتاب المقدس الذى كان يجبر الجميع علـــى حضوره دون الالتفات للفروق المذهبية، وكانت تـــدرس الفلســـفة الطبيعيـــة والجبر والهندسة[٣].

وفى عام ١٨٤٠م زاد عدد التلاميذ فى المدرســـة العليـــا ببـــيروت ووصل إلى ٤٤ تلميذا، ولكن بعد وصول الجيوش العثمانية والمتحالفة معـــها

---

(١) شاهين مكاريوس: مرجع سابق، ص٣٨١.

(2)Missionary Herald, Dec., 1838. Report Of the Beyroot Station for the year 1837. Vol. 34. 1838. Pp. 471 – 475.

(3)Missionary Herald, Nov., 32 – 1836. Pp. 414 – 421.

لإخراج القوات المصرية من الشام أغلقـت المدرسـة، نتيجـة لأن القـوات الإنجليزية احتاجت لمترجمين للعمل معهم ولم يكن هناك من هو مؤهل للقيـام بهذه المهمة سوى طلاب هذه المدرسة وهو ما أدى لإغلاق الصـف الثـالث من المدرسة، ثم أغلقت المدرسة كلها ولـم تفتتـح ثانيـا إلا فـي نوفمـبر ١٨٤١م[١].

وبعد عام ١٨٦٠م ازداد الاهتمام بالمدرسة التى بدأت تـأتى بنتـائج قوية، فعن طريقها تم نشر الكتب، وفتحت الطريق للتعامل مع أسر الطـلاب وتلاميذهم، وهو ما وصف بأنـه مثمـر للحـوار، واتجـاه سـليم للجيـل الصـاعد[٢].

فى هذه الفترة، وكنوع من التشجيع، تم إيفاد البارزين مـن هـؤلاء الطلاب فى بعثات على نفقة الإرسالية، وكانت أول بعثة لذلك أن الإرسـالية الأمريكية أرسلت على نفقتها إلى لندن ثلاثة من الطـلاب هـم النصرانيـان أنطونيوس الأميونى وعبدالله العاذر والدرزى إسماعيل جنبلاط، ثم أرسل بعد ذلك أربعة إلى مصر ليدرسوا علم الطب فى مدرسة قصر العينى[٣].

وارتبط بهذه المدرسة إعطاء اللغة العربية قدراً كبيراً من الأهميـة، كذلك عدم تشجيع أى تحول من السلوكيات المحلية والعـادات فـى الملبـس والطعام والنوم، وذلك لأن التجربة أثبتت أن المحاكاة بشـكل كبـير تـؤدى لخروج هؤلاء عن الهدف الأساسى الذى وضعت من أجله المدرسة، وهو مـا دفعهم بعد ذلك لتفضيل أن تكون المدرسة العليا القادمة فى قرية وليـس فـى مدينة كما حدث فى مدرسة عبيه[٤]. وجريا على عادة المبشرين الأمريكيين فى تشجيع المرتبطين بهم على فتح المدارس مثلما فعلوا من قبل مع مدرسـة عرمان، فقد أدت المدرسة العليا للبنين لإنشاء مدرسة أخرى هـى مدرسـة

---

(1)Missionary Herald, July, 141, Report of the station at Beyroot, Jan. Ist, 1841. Vol. 37. 1891. Pp. 301-309.

(2)Missionary Herald, May, 1863. Beirut station Report, Vol. 54,1863. pp. 136-139.

(٣)إسماعيل حقى (إشراف): لبنان مباحث علمية واجتماعية، تحقيق فؤاد افـرام البستانى، الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٠، جـ٢، ص٥٧٣ .

(4)AL. Tibawi, Op. Cit., p. 114.

مستر بيستانى Mr. Bistany العليا التى أنشأها عام ١٨٣٦م وكانت تضـــم ١١٥ طالب، تتألف من كل المذاهب الدينية بمـــا فيـــها المســـلمون الســـنة، ويعترف التقرير أن هذه المدرسة، وإن لم تكن مدرسة تبشيرية فى الأســـاس إلا أنها كانت عاملاً مساعداً فى تنوير العقل الشعبى، وكان الطلاب يجـــبرون على حضور الصلوات المسائية[١].

ونجحت المدارس العليا التى أنشأها الأمريكيـــون- ســـواء مدرســـة البنات أو مدرسة البنين- حيث اجتذبت العديد من الطلبة والطالبـــات لتلقـــى العلم فيها، كذلك كانت فرصة لتجربة المدارس العليا وقدرة الإرسالية علـــى إدارتها، ولكن مدرسة بيروت سواء البنات أو البنين دعت الإرسالية للتفكـــير فى إنشاء مدارس عليا أخرى فى الريف، وذلك بسبب الاحتياج إلى مســـاعدين وطنيين يتحملون عبء التبشير فى المناطق الريفية .

ج- مدرســـــة عبيــــه العليا:

وقع اختيار المبشرين الأمريكيين على "عبيه" التى تقع فى قلب جبـــل الدروز لأسباب عديدة أهمها: الرغبة فى تعليم الدروز واجتذابـــهم لصفوفـــهم خصوصاً فى ظل حرمانهم الشديد من التعليم والجهل الضارب أطنابه بينـــهم، إلى جانب رغبة الإرسالية فى نشر كافة خدماتها بينهم، والأهم من ذلك بعـــد "عبيه" عن مركز السلطة فى بيروت وبالتالى العمل فى حرية، وبعد تجربـــة المدرسة العليا فى بيروت خرجت الإرسالية بفكرة مؤداها أنه لابد من إنشـــاء مدارس عليا فى الريف والمناطق الداخلية لتخريج المبشرين القادرين علـــى العمل فى هذه المناطق بعيداً عن أبناء المدن الذين لا يحبون العمـــل هنـــاك، فكانت هذه المدرسة لتخريج المعلمين والواعظين.

ويذكر تقرير للإرسالية بقوله "أننا هنا لدينا -إلى حـــد بعيـــد- أهـــم الوسائل لاكتساب مدخل لعقل الدروز[٢] من هنا كانت أهمية المدرسة العليـــا فى عبيه فى العمل التبشيرى. فقد عملت الإرسالية على التقرب من الـــدروز واستغلال بعض التشابه بين المعتقدات الدرزية والمسيحية فى بعض الجوانـب مثل الاعتقاد بصلب المسيح ، كذلك حاولوا استغلال سوء العلاقة بين الـدروز والسنة فى التقرب من الدروز ونشر المذهب البروتستانتى بينهم .

---

(1)Missionary Herald, April 1864, Annual report of the Beirut station, Vol, 60 1864. Pp. 105-110

(2)Missionary Herald, April 1848, Report of the Abeih Station, Vol. 44. 1848. Pp 200-203

أما عن إنشاء المدرسة فتنقسم الاراء حول هذه المسألة لرايين أولهما يذكر أنها أنشئت فى عام ١٨٤٧ دون تحديد لشهر الافتتاح[١]، والرأى الآخر أنها أنشئت فى ٩ نوفمبر ١٨٤٦م[٢]، وهذا هو الأرجح حيث ذكره د/ كرنيليوس فانديك فى مذكراته كما أكدته أيضاً تقارير الإرسالية الأمريكية. ونذكر أن هذه المدرسة قد أسست لغاية تدريب وتنشئة مبشرين بالإنجيل ومعلمين صالحين لتعليم الجيل الصاعد"[٣] وبذلك يتأكد الهدف من إنشاء هذه المدرسة وهو التبشير وليس تعليم العلوم العلمانية كما يسمونها. والتى كانت تدرس فى هذه المدرسة كوسيلة لاستخدامها فى التبشير بمذهبهم الدينى الذى يؤمنون به.

أنشأ هذه المدرسة د/ كرنيليوس فانديك، وساعده بطرس البستانى، وهو من أبرز المساعدين الوطنيين الذين ارتبطوا بالإرسالية الأمريكية، وظل فانديك يدير المدرسة حتى نقل لصيدا فى نهاية العام الدراسى ١٨٤٩/ ١٨٥٠م وعين خلفة "القس سيمون كلهون[*] بينما نقل بطرس البستانى لمركز بيروت لمساعدة د/ عالى سميث فى ترجمة الكتاب المقدس بعد انتهاء العام الدراسى ١٨٤٧/ ١٨٤٨م، وعين محله المعلم ميخائيل عرمان[٤].

ويصف تقرير للإرسالية مدرسة عبيه أنها تتكون من ٧ غرف نظمت على شكل حرف L كلهم فى الدور الأرضى، والبناء يأخذ اللون الأصفر، وهى مبنية فى الأساس من أحجار صخرية، ويوجد بجانب المدرسة غابة من

---

(١) إبراهيم عبده (دكتور): إعلام الصحافة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٩٤،ص٦٢.

- شاهين مكاريوس: المعارف فى سورية، المقتطف، الجزء السابع، العام السابع، شباط،١٨٨٣،ص٣٨٦.

(٢) يوسف قزماخورى: مرجع سابق، ص٨٣.

- أحمد سراج الدين: مرجع سابق، ص٣٢٩.

- مذكرات د/ كرنيليوس فانديك – الهلال، المجلد ١٤ عام ١٩٠٦،ص٢٧٩.

(٣) يوسف قزماخورى: مرجع سابق، ص٦١.

-A.L. Tibawi, op. Cit., pp 181-182.

(*) فى حالة غياب مستر كالهون كان القس رزق الله البربارى الشماس فى كنيسة عبيه يتولى مسئولية المدرسة العليا.

-Missionary Herald – May, 1867 Station Reports.

(٤) يوسف قزماخورى : مرجع سابق، ص٨٢.

السرو. وكذلك يوجد بجانبها مساكن لبعض أعضاء البعثة التبشـــيرية مثـــل مستر كالهون، والمبنى أنشئ فى عام ١٨٤٩[١].

ولقد أنشئ فى عبيه والقرى المحيطة بها ثمانى مـــدارس ابتدائيـــة، كانت مهمتها تدريب التلاميذ وتأهيلهم للالتحاق بالمدرســـة العليـــا، وكـــانت خمسة من هذه المدارس تعمل طوال الوقت، وثلاث تعمل لبعض الوقت وبلغ عدد التلاميذ فى هذه المدارس الثمان ٢٤٨ تلميذاً، بلغ عدد الدروز فى هـــذه المدارس أكثر من النصف، فى حين كان ربع عدد الدارسين من الفتيـــات[٢] فى الوقت نفسه يؤكد التقرير أن المدرسين كانوا يتلقـــون تدريبـــات دينيـــة لتذكيرهم بواجباتهم كمدرسين، والسعى لطبع تعليمات الإنجيل فى قلوبـــهم[٣].

بدأت مدرسة عبيه العليا بعدد ٩ طلاب فى عامها الأول، وهو الفصل الوحيد الذى كان موجود بها، ووضعت مقاييس شديدة لقبول الطلبة بها، فمـــن بين عدد ٢٥ تقدموا للالتحاق بها عام ١٨٥١م، لم تقبـــل إدارة المدرســـة إلا ثمانية لأن معظمهم أما صغار على الهدف الذى تنشده المدرسة أو متواضعى التأهيل[٤] وفى العام الذى يليه اضطرت إدارة المدرسة، لرفض عدد كبير من المتقدمين لأنهم غير مؤهلين بدرجة كافية، واختير عـــدد ٨ تلاميـــذ فقـــط، انسحب من بينهم واحد لأنه غير قادر على الاستمرار وفق مقاييس الدراســـة بالمدرسة[٥].

ولكن فى العام الدراسى ١٨٥٢م/ ١٨٥٣م نقـــص عـــدد التلاميـــذ بالمدرسة من ٢٠ تلميذاً إلى ١٤، بسبب انسحاب ستة من التلاميـــذ الـــدروز

---

(1)Missionary Herald, Nov., 1868. Lebanon and the Abei seminary by Rev. S.H. Calhon and Rev,H.H, Jessup, Vol. 64. 1868, pp. 393-395.

(2)Missionary Herald, June, 1847. Report of the Station Abeih. P.11.

(3)Ibid., p.11.

(4)Missionary Herald. June 1821, Report of the Station Vol. 47. 1851. Pp. 198 – 201.

(5)Missionary Herald. May, 1852. Abeih Annual report vol. 48. 1852. Pp. 144-148.

الذين وجدوا أن الدراسة صعبة، لذا اضطرت المدرسة لتعويض هذا الوضع أن تقبل أفراد قليلى التأهيل فقبلت فصل من ١٠ تلاميذ[١].

وكانت مدة الدراسة فى هذه المدرسة أربع سنوات، وفصلين دراسيين: صيفى يبدأ من ٩ مايو، وشتوى يبدأ فى ٣١ أكتوبر من كل عام، أما الامتحانات فتعقد فى الربيع والخريف من كل عام، أما المناهج فكان يدرس: علم الفلك، وحساب المثلثات، وفن مساحة الأسطح، وعلم البيان، واللغة الإنجليزية، والعروض والقوافى، والتاريخ، والحساب والجبر، والهندسة، والجغرافيا[٢].

وبذلك بدأت العلوم الحديثة تدرس فى مدرسة عبيه العليا، وهو فى حد ذاته تطور كبير، بل ونقله حضارية نوعية فى منطقة الشام كلها؛ ذلك لأن التحديث فى العلوم مع أنه بدأ فى الدولة العثمانية ومصر قبل ذلك ، إلا أنه تأخر فى الشام حتى ذلك الوقت .

والتعليم الدينى فى المدرسة العليا كان يسير على قدم وساق، فيعترف تقرير عن هذه المدرسة أن كتاب التوراة كتاب دراسى يومى فى المدرسة، وأن الساعة التى يعلم فيها التوراة تمر بيسر كامل، كما أن عدم وجود فهرس لكلمات الإنجيل باللغة العربية استثار التلاميذ للاجتهاد أكثر فى البحث عن مراجع للاستفادة منها، بل أن البعض الآخر حاول تعلم الأبجدية الإنجليزية والأرقام؛ بغرض نقل المراجع التى فى التوراة الإنجليزية للتوراة الخاصة بهم[٣] وفى تقرير أخر لعام ١٨٥٦م يذكر أنه بالرغم من أن التلاميذ فى المدرسة العليا من مذاهب دينية مختلفة، فإن تعليم التوراة يسير على قدم وساق وبدون معارضة، "وأنه يسرنا أن نرى كيف أن الدراسة البسيطة للتوراة تجعلهم جميعا على اتفاق جوهرى فى الآراء الدينية"[٤] وطبقا لأن مدرسة عبيه الهدف منها تخريج معلمين ومبشرين للعمل فى وسط المناطق

---

(1)Missionary Herald, May, 1852, Abeih: station Report, Vol. 44 1853. Pp. 131-132.

(2)Missionary Herald, Aug, 1850, A beih Report of the Station for 1849.

(3)Missionary Herald, June, 1851 Report of the Abeih Station. Vol 47 1851 pp. 198 – 201.

(4)Missionary Herald, April, 1857. Report of Abeih Station for 1856.

الريفية، فقد رأى القائمون على المدرسة بأن يكون التعليم باللغة العربية، وتدريس الإنجليزية كفرع من المعرفة، وقرب نهاية الفترة الدراسية، وذلك لعدة أسباب يرونها وهى: الاحتفاظ لتلاميذهم بدرجة عالية من الإحساس بالوطنية، وكذلك تشجيع ارتباط مشاعرهم بذويهم، وتأهيلهم للعمل بينهم بكفاءة عالية(١). وكانت العادة المتبعة فى وقت تناول الغذاء أن يقف واحد من التلاميذ ويتلو فصلا من كتاب علمى أو أدبى على أسماع التلاميذ، حتى لا يضيع وقت الأكل فى الأحاديث الفارغة، ولا فى الصمت، فقد كان د/ فانديك يؤمن أنه لا يعسر على العقل أن يعمل ويعى وقت تناول الطعام قبل أن تشرع المعدة فى الهضم(٢).

وفى ٣٠ مارس ١٨٤٧م عقد امتحان الصف الأول لأول مرة فى مدرسة عبيه، بحضور أعضاء الإرسالية الأمريكية، وعدد من المواطنين الذين وجهت إليهم الدعوة، والمرسل الإسكوتلندى كراهام" وكانت النتيجة طيبة بالنسبة للإرسالية لدرجة جعلت د/ فانديك مدير المدرسة يقول "أستطيع أن أقول بكل إخلاص، أن نتيجة امتحان الصف الأول مشرفة ومرضية كنتيجة معظم مدارسنا فى أمريكا"(٣).

ولقد قدمت مدرسة عبيه العليا أجل الخدمات للإرسالية الأمريكية، فقد تعلم فيها معظم المساعدين الوطنيين الذين عملوا مع الإرسالية الأمريكية وأيضا الإنجليزية التى تعلموا فيها، فيعترف التقرير "أن كل المدرسين الأكفاء والجزء الأكبر من المساعدين الوطنيين قد تعلموا كليا أو جزئيا فى المدرسة العليا- سواء الذين فى الموصل وماردين واللاذقية وطرابلس وبيروت وعبيه وحاصبيا وصيدا وعين زحلتا ودير القمر، والقدس والإسكندرية(٤).

وبذلك نجحت مدرسة عبيه فى تقديم ما كان يأمله القائمون على الإرسالية الأمريكية فى الشام، فى الوقت الذى نجحت فيه فى تقديم العلوم الحديثة لأبناء الشام، فهى بذلك تعتبر أقدم كلية حديثة فى الشام، وهى سلف

---

(1)Missionary Herald, Aug, 1850. Abeih :Report of the Station for 1849.

(٢) المقتطف: الجزء الأول المجلد ٢٨. يناير ١٩٠٣ .

(٣) يوسف قزماخورى: مرجع سابق، ص٨٢ .

(4)Missionary Herald, June 1860. Station Report, Vol. 56, 1860 pp. 164-174.

الجامعة الأمريكية فى بيروت والتى خرجت عددا كبيرا من أركان التحول الذى حدث فى بلاد الشام ، وبالرغم من ذلك ينبغى ألا ننسى الدور الدينى التبشيرى الذى قامت به المدرسة لصالح الإرسالية الأمريكية الساعية لنشر مذهبها الدينى، ومن الصعب الانتهاء من الحديث عن مدرسة عبيه دون الإشارة لجهود د/ فانديك، فى التغلب على مشكلة نقص الكتب الدراسية للمدارس العليا باللغة العربية– هذه المشكلة التى أشار إليها لأول مرة هنرى سميث فى ١٨٢٨ ولكنها استمرت حتى ١٨٤٩[١] ويذكر فانديك فى مذكراته: "ولم يكن فى العربية كتب مدرسية فأخذنا نعد هذه الكتب بعد الظهر وفى الليل وتدرس فى الصباح"[٢] من هنا عمل على تقديم مجموعة من الكتب لسد حاجة المدارس العليا من الكتب الدراسية، فألف "أصول علم الهيئة" و"أصول الكيمياء"، و"أصول الهندسة"، و"الروضة الزهية" فى الأصول الجبرية" و"محيط الدائرة فى علمى العروض والقافية"، و"المرآة الوضية فى الكرة الأرضية، وكتابة الأشهر عن "النقش فى الحجر" وهو سبعة أجزاء يتناول كل جزء منهم علماً من العلوم، وهو من أهم كتبه على الإطلاق ويذكر فى سبب تأليف هذا الكتاب "خطر لى ببال أن أحاول سد العوز فى الكتب وأن أقدم لأهل اللغة العربية عدة كتيبات كل كتيب حاو أصول علم من العلوم على كيفية"[٣].

ولو ألقينا نظرة على بعض الكتب التى ألفها فانديك كمناهج للمدارس العليا عموماً، سيتضح لنا مدى أهميتها فى نشر العلوم فى بلاد الشام . ومن هذه الكتب :

"فى الأصول الهندسية" وهو مشتمل على كتب إقليدس الستة، ومضافات فى تربيع الدائرة، وهندسة الأجسام، وأصول قياس المثلثات المستوية والكروية، قام د/كرنيليوس بترجمته، والتقديم بتعريف لإقليدس وأهميته، وكذلك التقديم للكتاب الذى يقول فيه "أما بعد فيقول العبد الفقير إلى ربه القدير كرنيليس فان ديك الأميركانى أننى لما رأيت افتقار المدارس فى

---

(1)A.L. Tibawi, Op. Cit. Pp. 125 – 126.

(٢) مذكرات كرنيليوس فانديك الهلال – الجزء الخامس، المجلد ١٤، عام ١٩٠٦.

(٣) كرنيليوس فانديك: النقش فى الحجر، المطبعة الأدبية فى بيروت ١٨٨٦م، جـ١، ص٣ .

هذه البلاد إلى الكتب الهندسية التى بها تتم الفائدة المقصودة منها اعتنيت بترجمة هذا الكتاب المفيد وهو مشتمل على كتب إقليدس الستة"[١].

"**أصول الكيمياء**" وعدد صفحات الكتاب ٤١٢ صفحة من القطع المتوسط، وهو على ثلاثة أجزاء ويتناول: مبادئ الكيمياء الحديثة وفلسفة الكيمياء والغازات وأنواعها وتركيبها، والكيمياء الآلية وأقسامها وأنواعها. والكتاب ملئ بالصور والرسوم التى توضح وتشرح المادة العلمية، وتتميز اللغة بالسهولة والبساطة[٢]، هنا يجدر الإشارة لسهولة نقل المصطلحات العلمية للغة العربية.

"**المرآة الوضية فى الكرة الأرضية**" ويقول فى بداية الكتاب "الحمد لله الذى جعل الأرض مهادا، والجبال أوتادا، وبعد فيقول العبد الضعيف الفانى كرنيليوس فانديك الأميركانى قد وضعت هذه الرسالة فى علم رسم الأرض تنوير للبصائر، وتنزيها للخواطر، وقد سميتها المرآة الوضية فى الكرة الأرضية، وإذ قد نفقت منذ زمان اعتنيت بطبعها ثانية، مصلحا إياها لكى توافق الاكتشافات الجديدة فى هذا العلم، ومضيفا إليها بعض الشروح لأجل إتمام الفائدة"[٣].

القسم اللاهوتى فى مدرسة عبيه :

كان من مهام مدرسة عبيه إعداد مبشرين قادرين على التبشير فى وسط الريف والأماكن الجبلية الداخلية فى الشام، ويصر المبشرون الأمريكيون على أن مدرسة عبيه "أنشئت لتدريب الواعظين بالإنجيل والمدرسين للجيل الصاعد"[٤].

---

(١) كرنيليوس فانديك: فى الأصول الهندسية، ١٨٧٥طبع بيروت، ص٢ .
(٢) كرنيليوس فانديك: أصول الكيمياء، بيروت ١٨٦٩م.
(٣) كرنيليوس فانديك: المرأة الوضية فى الكرة الأرضية، بيروت ١٨٧٠/ط٢،ص١.

(4)Missionary Herald, Aug, 1850 Abeih · Report of the station For 1849.

لذا فقد أنشئ فصل لاهوتى فى المدرسة، فيذكر تقرير للإرسالية "أن الفصل اللاهوتى به أربعة رجال متزوجين، متوسطين العمر، وكانت الدراسة خلال الصيف، وهؤلاء فى دائرة اهتمامهم التبشير بالإنجيل، فعدة شهور من التدريب اللاهوتى الموجه تهيئ هؤلاء لهذه الخدمة لتوصيل الإنجيل للفلاحين غير المتعلمين وللقيام بالأعمال التنصيرية التى يناط بهم القيام بها[١] وبعد تسع سنوات أى فى عام ١٨٦٧ فقد وصل عدد الطلبة فى القسم اللاهوتى بعبيه ٣٢ تلميذا[٢].

ويبدو أن هذا النجاح أغرى الإرسالية الأمريكية لتحويل الفصل اللاهوتى إلى المدرسة كلها لتصبح مدرسة عبيه العليا مدرسة لاهوتية عليا- وهو ما يتفق مع توجه المدرسة منذ البداية، لذا فمنذ عام ١٨٦٩ تم تكليف كالهون "Calhoun" وهنرى جيسب "Henry Jessup"وإدى "Eddy" بأن يفتحوا فترة دراسية لاهوتية فى عبيه، وكان من المقرر أن تستمر الدراسة من مايو حتى نوفمبر من كل عام[٣].

وبعد افتتاح "الكلية الإنجيلية السورية"، رأت إدارة الإرسالية الأمريكية فى الشام أن فصول الكلية سوف تكون مفتوحة أكثر للطلبة اللاهوتين، فهناك العديد من الميزات التى ستقدمها الكلية مثل المكتبة وتعليم اللغة الإنجليزية، لذا بدأ البحث فى كيفية اتحاد الكلية والمدرسة العليا بعبيه، وهو ما استمر عشر سنوات، عندما وافق المجلس المشيخى فى الولايات المتحدة الأمريكية أن تغلق مدرسة عبيه ويحول تلامذتها للكلية الإنجيلية السورية وبذلك أغلقت مدرسة عبيه فى ١٨٧٦م[٤]، ويتضح مما سبق أن المدرسة العليا فى عبيه كانت المدرسة العليا الرئيسية التى عول عليها المبشرون الأمريكان فى بلاد الشام .

---

(1)Missionary Herald, April, 1858. Station Reports, Vol. 54. 1828 pp. 139 – 147.

(2)Missionary Herald, Feb; 1867, Syria Stations, vol. 63, 1867. Pp 5.6.

(3)A.L. Tibawi, Op. Cit., pp.180 . 182.

(4)Stephen. B.L. penrose,, It they may Have life, American University of of Beirut, Le Banon, 1970, pp. 53-58.

د- مدرسة طرابلس الأمريكية للبنات :

كانت طرابلس من أوائل المدن التى عمل المبشرون الأمريكيون على مد نشاطهم التعليمى إليها، وإقامة محطة تبشيرية بها، فقد كانت المناطق المحيطة بها مثل بلاد عكار التى تضم ١٤٠ قرية، وكذلك بلاد صافيتا والحصن التى كانت تربة مناسبة لعمل المبشرين، بالإضافة إلى أنها مدينة ساحلية هامة.

وفى عام ١٨٤٩م أرسل اثنان من المبشرين هما ولسن Wilsonوفون Fon إلى طرابلس واستطاع المبشر دى فورستDe forst وامرأته إدخال سبع بنات لعائلته وهو تأسيس "لمدرسة داخلية للبنات" والتى وضع قانونها وليم طمسن وكرنيليوس فانديك وبطرس البستانى وطنوس الحداد[١].

ولقد قابلتهم فى البداية عوائق كثيرة مثل الجهل الشديد بالدين والتعصب- من وجهة نظر الإرسالية الأمريكية- والجهل بالقراءة والمنافسة الشديدة من جانب الكاثوليك الذين أنشأوا مدرسة لهم فى طرابلس، وأرسلوا ثلاثة مبشرين لهم للتبشير ولمقاومة المبشرين الأمريكيين فى طرابلس[٢].

ويذكر تقرير للإرسالية الأمريكية من مركز طرابلس أن المدرسة العليا للبنات عين فيها ثلاث مدرسين ذوى قدرات متنوعة[٣]، ويلاحظ أن الاهتمام تركز هنا على تعليم البنات وإقامة مدرسة عليا لهن، ويرجع ذلك لعدة أسباب وهى إقامة مدرسة عليا للبنين فى عبيه، وكذلك فى بيروت من قبل لذا عملت الإرسالية الأمريكية على تجربة إقامة مدرسة عليا للبنات فى هذه المنطقة لما تتمتع به المرأة من دور كبير فى التبشير، ولحاجة الإرسالية للمبشرات المتعلمات المستعدات للتبشير، بالإنجيل فى هذه المناطق، كما أن

---

(١) مذكرات كرنيليوس فانديك: الهلال، مجلد ١٤ عام ١٩٠٦، الجزء الخامس، ص٢٨٠ .

(2)Missionary Herald, March, 1849. Tripoli: Letter from M.r. Foote. December, 1849. Vol 46. 1850.pp. 101-102.

(3)Missionary Herald, April, 1852. Tripoli Station report.

الحاجة لإيجاد معلمات فى مدارس البنات التابعة للإرسالية كانت ملحة، لـــذا كان الاهتمام بجعل مدرسة طرابلس "مدرسة عليا للبنات".

هذا فى الوقت الذى يذكر فيه شاهين مكاريوس أن المدرســة العليــا للبنات أغلقت حوالى عام ١٨٥٣م[١] وقد يكون ذلك بسبب الصعوبات العديـدة التى قابلتهم فى طرابلس مثل المنافسة الشديدة من الكنائس الوطنية.

وقد أعيد افتتاحها فى عام ١٨٧٢م كمدرسة داخلية للبنـــات وظلــت لفترة طويلة المدرسة الداخلية الوحيدة للبنات فى شمال لبنان وسورية، وألحـق بها روضة للأطفال وقسم ابتدائى، والدراسة فى القسم الابتدائى وحتى الصـف الأول فى المدرسة العليا بالعربية، وتحول تدريجيا للإنجليزية، وأنشئت مبـانى هذه المدرسة فوق التل الملاصق لطرابلس القديمة عام ١٩١٢م[٢].

وفى الفترة ما بين الإغلاق ١٨٥٣م وحتى إعادة الافتتـــاح ١٨٧٣م، وجدت العديد من المدارس التجهيزية للبنات، التى تعدهن للالتحاق بالمدرســة العليا فيما بعد. فيشير تقرير من مركز طرابلس ١٨٥٧م إلى افتتاح مدرســة للبنات كتجربة، وبدأت هذه المدرسة بتلميذتين ومع نهاية الشهر وصل العــدد إلى ٣٠ تلميذة من بينهن" تلميذة مسلمة، وهن يقرأن العــهد الجديـد بـدون اعتراض أو أى مانع من جانب آبائهن[٣]، وهذا يعكس غفلــة الكثـير مـن المسلمين عن الأهداف الحقيقية لهذه المدارس التبشيرية التــى تعلـم بناتـهم الكتاب المقدس بحرية تامة ودون تدخل لوقف ذلك أو الاعتراض عليه.

وبعد عام من إنشاء هذه المدرسة التى تعد أساس المدرســة، العليــا التى أعيد افتتاحها فيما بعد- اضطهدها الأسقف اليونانى فى طرابلس ومنـــع الناس من أن يرسلوا بناتهم إليها تحت أى ظرف، واستجاب الكثـيرون لــهذا

---

(١)شاهين مكاريوس: المعارف فى سورية، المقتطف، الجزء الثامن العام الســابع، آذار ١٨٨٣،ص٤٧٤ .

(٢) رودريك ماثيوز، ومتى العقيرى: مرجع سابق، ص٦٣٤ .

(3)Missionary Herald, April, 1857. Station reports. Vol. 53. 1857 Pp 146-153

التهديد وخصوصاً اتباع كنيسته، فقل عدد الطالبات[1] ولكن بالرغم من هـذه الضغوط والمنافسة الشديدة فقد استمرت هذه المدرسة فى تأدية المطلوب منها وزاد عدد تلامذتها مرة أخرى، وكثرت الطلبات علـى الإرسالية لإنشاء مدارس أخرى فى البلاد المجاورة لطرابلس. ووصل عدد البنات مرة أخرى إلى ٣٠ فتاة[٢].

أما عن المناهج التى كانت تدرس فى مدرسة البنـات العليا فهى علوم: الفلك، والفلسفة الطبيعيـة، والفسيولوجيا، والحيـوان، والجغرافيا، والحساب، وكذلك اللغة العربية والإنجليزيـة، والتـاريخ، والتدريـب علـى الخطابة والإنشاء، والخياطة، وبعض الألعاب الرياضية التـى تتناسب مـع أجسامهن، وكذلك العهد الجديد، والتوراة، والترانيم[٣].

وفى كل عام كان الامتحان يعقد علنيا، حيث يتم دعوة العديـد مـن وجهاء القوم، ويتم اختبار الطالبات أمامهن، وكذلك يتلون مقالات من إنشائهن أمام الحضور، وكان يتم افتتاح الحفلـة بـالترانيم والصلاة، وفـى هـذه الاحتفالات تتم الدعاية للمدرسة، وأيضاً توطيد الصلات مع النـاس، والأهـم من ذلك كله محاولة بث أفكارهم الدينية التى يؤمنون بها، والتى كانت السبب الأصلى فى إنشاء المدرسة[*].

وكانت الإرسالية تسعى عن طريق الاحتفالات للـترويج لأفكارها وغرسها فى نفوس الفتيات وأهاليهن الذين يحضـرون الحفـل ففـى يونيـو ١٨٩٢م أقيم الاحتفال فى مدرسة البنات الأميركية الطرابلسية حيث خطـب فيها الدكتور بوست والدكتور جسب خطب مسيحية، ومما جاء فى حديـث د/ بوست وموضوعه (جغرافية سورية وفلسطين)التى حددها بـ الأرض التـى

---

(1)Missionary Herald. April 1858. Station Reports Vol. 54, 1858, Pp 139 – 147.

(2)Missionary Herald, May, 1859, Station Reports. Vol. 55, 1859, Pp. 131-142.

(٣) المقتطف: الجزء الثامن من العام الثامن، أيار، ١٨٨٤،ص٥٠٧ .

(*) لمزيد من المعلومات راجع. المقتطف: يونيو ١٨٩٢، ص٦٣١ .

– انظر أيضاً نجيب خورى: مدرسة طرابلس الشام الأمريكية، المقتطف يوليو ١٩٠٢، ص٦٩٩ .

بين جبل طورس والبحر الأحمر وبين البحر المتوسط والبادية، وأشار إلى الخريطة فأرى الجمهور سلسلتى الجبال التى فى هذه البقعة الممتدتين من الشمال للجنوب إحداهما بقرب البحر والآخر بقرب البادية ثم قال أن الله اختار هذه البلاد مهبطاً للوحى ومسكناً لشعبه المختار لأن فيها جميع الصفات الشاملة للمسكونة[١].

وفى الاحتفال الذى أقيم عام ١٩١٠ خطبت الآنسة فكتوريا أنطكلى "عن فتاة سوريا ومستقبلها الجديد" ومما يلاحظ على هذا الخطاب، أنها كانت:

١- تنعى على الفتاة السورية تعاستها فى الماضى وشقائها بسبب الجهل واتباع التقاليد والعادات القومية "الفاسدة" ، التى قيدت البنات.
٢- تطالب الفتيات السوريات بالتخلص من تلك التقاليد التى تصفها بأنها بالية، واتباع الحضارة والتقاليد التى أباحتها الحضارة الغربية والعلم الأوربى، فالرقى الاجتماعى لا يكون إلا باتباع التقاليد الأوربية، والانضمام للجمعيات النسائية.
٣- تدعو للمساواة بين الفتيات والفتيان – بالمفهوم الأوربى – بل وتجوب أن تقود الفتاة العائلة وتأخذ حقها فى الحرية[٢].

س- مدارس صيدا الأمريكية العليا :

بدأ التعليم الأمريكى فى صيدا مبكرا، فانتشرت المدارس الابتدائية فيها منذ أربعينات القرن التاسع عشر، وسرعان ما بدأ يؤتى ثماره فيذكر تقرير للإرسالية فى عام ١٨٥٤م "أن التعليم فى صيدا أثمر ما هو منتظر منه وأكثر، ومن الناحية الدينية أصبح هناك تلاميذ من كافة المذاهب الدينية يحضرون فى مدرسة الأمريكان رغم المعارضة الكنسية الشديدة، وبدأ

---

(١) المقتطف: الجزء التاسع العام السادس عشر، يونيو ١٩٩٢، مقال للسيدة أنيسة صبيعة عن : احتفال مدرسة البنات الأميركية بطرابلس ص٦٣١ – نجيب خورى: مدرسة طرابلس الشام الأمريكية، المقتطف، الجزء السابع، المجلد ٢٧ يوليو ١٩٠٢،ص٦٩٩ .
(٢) الحسناء: الجزء السادس، المجلد الثانى، بيروت، كانون أول ١٩١٠،ص٢٢٧:ص٢٢٩ .

المذهب البروتستانتى ينتشر فى مواجهة الكاثوليكية[١] لذا فقد كانت الإرسالية تنظر لصيدا على أنها مركز مهم جدا للتواجد البروتستانتى الأمريكى ومحاولة نشر التعليم فى القرى والمدن المحيطة بها وجعلها محطة رئيسية بعد بيروت، وتعود أهمية صيدا لموقعها الساحلى الهام ولقربها من جبل لبنان بتكوينه الطائفى المميز • ووجد بها مدرسة الفنون الأمريكية. ومدرسة البنات العليا

أولا- مدرسة الفنون الأمريكية :

بعد أن أغلقت مدرسة عبيه كأحد أهم المراكز لتخريج المدرسين اللازمين لسد العجز فى مدارس الإرسالية، وكذلك لتخريج وتدريب المساعدين الوطنيين فى التبشير، وبعد أن أحبطت الآمال فى أن تخرج الكلية الإنجيلية السورية المدرسين أو المساعدين الوطنيين، لأسباب أهمها أن خريجى هذه الكلية فى الغالب من أبناء المدن الذين لا يستمرون العمل فى القرى بل لا يعرفون البيئة القروية، كذلك للهجرة الواسعة لخريجى الكلية سواء لأمريكا أو لمصر، دفعت هذه الأسباب للتفكير فى إنشاء مدرسة بديلة لمدرسة عبيه، فاستقر الرأى على إنشاء مدرسة صناعية فى صيدا، ينال التلميذ بها قدرا من التعليم العالى والحرفى الذى يؤهله للعمل فى وسط القوى التى خرجوا منها•

أنشئ هذا المعهد العلمى فى عام ١٨٨٠م، وابتدأ العمل بأربعة طلاب، ثم زاد العدد فى السنة التالية لعشرين، وفى نهاية السنة الخامسة بلغ اثنين وثلاثين، وكان السبب الأساسى فى قلة عدد التلاميذ هو ضيق المكان المؤجر للمدرسة، وأدار المدرسة فى البداية القس وليم أدى William Addy[٢].

تولى المستر فورد إدارة المدرسة بعد القس وليم أدى، فحاول "فورد" جاهدا إقناع المجلس الأمريكى فى نيويورك بجدوى إضافة قسم زراعى، وكذلك التوسع فى القسم الصناعى بأقسامه التجارة والخياطة والبناء وشغل الأحذية الأفرنجية "الكندرجية"، ووافق المجلس بعد جهد على التجربة الجديدة

---

(1)Missionary Herald, April. 1854 Sidon. Annual report Vol 50 1854, pp. 130-137.

(٢) أحمد عارف الزين: مرجع سابق، ص١١٧ •

فى سبتمبر ١٨٩٥م، ورصد مبلغ ١٥,٠٠٠[*] دولار للإنفاق على المدرسة لمدة ثلاث سنوات، كما تبرعت سيدتان للقسم الزراعى بمبلغ ٢٠٠٠ دولار[١].

وكان المعهد للبنين، ولكن فى عام ١٩١٤م افتتح قسم خاص للطالبات للصناعات اليدوية، ولتدريس التاريخ وحفظ الصحة والإدارة البيتية والاقتصادية وتلقى المعلومات الفنية، والمدرسات من النساء[٢].

أما عن الرسوم التى تتقاضاها المدرسة فكانت تختلف من وقت لآخر وحسب ظروف وأحوال البلاد الاقتصادية، وكانت إدارة المدرسة تتساهل مع بعض التلاميذ غير القادرين على دفع الرسوم، وتكلف التلميذ المساعد بمقدار معين من الشغل فى خدمة المدرسة عن كل ليرة يساعد بها وتحتفظ بحق تعيين الأشغال[٣].

أما المواد التى كانت تدرس بجانب التعليم الصناعى فهى: الكتاب المقدس فى كل سنوات الدراسة التى تبلغ ٦ سنوات، وكذلك اللغة العربية، والإنجليزية، والحساب، والجغرافيا، والتاريخ، والأدب، أما فى السنة الرابعة فيخير التلميذ بين اللغة التركية والفرنسية، وكان التلاميذ يتعلمون فيها الإنشاء والخطابة سواء فى العربية أو الإنجليزية. وكان التلاميذ باختلاف أديانهم ومذاهبهم الدينية يجبرون على دخول الكنيسة وقراءة الكتاب المقدس أما عدد التلاميذ فكانوا فى عام ١٨٨١ (٢٠ تلميذا) وفى عام ١٨٨٦، كانوا ٣٢ تلميذا، وعام ١٨٩٥(١٠٦ تلميذا) وهو عدد كبير يدل على الاهتمام بالمدرسة واتساع شهرتها[٤].

(*) اقترحت البعثة أن تنفق ٨,٠٠٠ دولار فى شراء أرض و ٤,٠٠٠ دولار لإقامة مساكن للطلاب، و١٢٠٠ دولار لشراء أجهزة لتدريب التلاميذ، وقدرت تكاليف الإدارة للعام الأول بمبلغ ١٠٠٠ دولار.

(1)A.L. Tibawi, Op. Cit., pp 283 – 4.

(٢) الإقبال: العدد٥٣٥، بيروت، الاثنين، ٢٣ شباط ١٩١٤، ص٦ .

(٣) أحمد عارف الزين: مرجع سابق، ص١٢٠ .

(٤) نفسه ص١١٧ : ص١١٩ .

ثانيا - مدرسة البنات العليا فى صيدا :

تأسست هذه المدرسة سنة ١٨٦٥م، كانت تضم روضة أطفال وقسما ابتدائياً ثانوياً وقسما ثانويا، ويحتم على جميع الطالبات فى السنتين الأخيرتين أن يكن داخليات[١]، أما المناهج وتشمل: التدبير المنزلى، والعناية بالطفل، والتغذية، والخياطة، والطبخ، والكيمياء المنزلية. ويتبع فيها نظام البيوت المعروف باسم "Hous System" وكانت ستة بيوت وكل بيت يشغل طابقاً ويخصص البيت الواحد لاثنتى عشرة بنتاً مختلفات الأعمار تحت إرشاد معلمة تسكن فيه، وتقوم التلميذات بالأعمال المنزلية جميعها متقاسمات، على أن يتبادلن واجباتها مرة كل أسبوعين، وكل مجموعة ترأسهن طالبة فى الحادية عشرة من عمرها، ويعهد للتلميذات الصغيرات قضاء حاجات تلائم أعمارهن، ومرة فى العام يسلم لكل مجموعة مبلغ معين من المال لإنفاقه فى مدة معينة، ويطلب إليهن شراء ما يلزم للبيت، ووضع الميزانية بشرط أن يكفى المبلغ المقرر للمدة المقررة[٢].

وبذلك اعتمدت المدرسة فى الأساس على زرع القيم والأخلاق والتصرفات التى تؤمن بها على الطالبات خصوصا أنهن كن داخليات بعيدا عن تأثير الأهل، وكان دخول الكنيسة إجباريا لهؤلاء الطالبات أيا كانت مذاهبهن الدينية ويمكننا القول أن هذه المدرسة تعد تطبيقا عمليا للنموذج الذى وضعته الإرسالية الأمريكية وعملت على تطبيقه فى بلاد الشام.

فقد وضعت الخطة التبشيرية على أساس أن التبشير يكون أتم حبكا فى مدارس البنات الداخلية، حيث الصلة بالطالبات أوثق، ولأنها تنتزعهن من نفوذ حياة بيئة غير مسيحية لبيئة مسيحية تماما حيث تجتمع الفتيات المسلمات مع المسيحيات من مختلف المذاهب الدينية تحت النفوذ المسيحى[٣].

---

(1)Missionary Herald, Feb 1865 Letter From Mr. Berry, Vol. 61,1865, pp. 48-50.

(٢) رودريك ماثيوز -متى العقراوى: مرجع سابق، ص٦٣٥ .
- أحمد عارف الزين: مرجع سابق، ص١٢١ .

(٣) أنور الجندى: مرجع سابق، ص٢٩٢ .

وبعد هذا العرض يمكننا أن نستخلص عدة نتائج وهي:

أدى ازدياد النشاط التعليمي الأمريكي في الشام إلى اجتذاب الإرساليات الأخرى مثل اليسوعيين وغيرهم للعمل في الشام، مما أدى لزيادة النشاط التعليمي وتنوعه. هذا التنويع الذى لعب دوراً مؤثراً وما زال أثره مستمرا حتى الوقت الحاضر.

لم يكن انتشار التعليم الغربي في الشام من خلال إرساليات التبشير الأجنبية نعمة خالصة من الشوائب فمع إنه رفع مستوى الثقافة لدرجة عالية نسبيا ؛ الا أنه كانت له مساوئه ، فقد نشط الخلافات والانقسامات الطائفية وزاد عددها ، وكانت تلك الخلافات والانقسامات العقبة الرئيسية في طريق تقدم هذه البلاد وكذلك أصبح التعليم أداة من أدوات التغلغل السياسي، فقد كانت هذه المدارس تشكل الشباب العربي تشكيلاً يناسب اتجاهاتها وأغراضها سواء أكانت دينية أم اجتماعية أم سياسية، وتوجه تفكيرهم الوجهة التي ترغب فيها، والثابت من خلال الكتب التي وجدت في مكتبات هذه المدارس أن كل نوع من أنواع التعليم يتبع دولة معينة لها مصالح خاصة في البلد العربي- الشام- وشملت هذه الكتب بعض الأفكار التي كان لها أثرها على تلاميذ هذه المدارس مثل نشر الأفكار القومية والوطنية الداعية لإسقاط الدولة العثمانية والانسلاخ بعيداً عنها وبذلك نجد أن الإرسالية الأمريكية لعبت دورا كبيراً في النهضة الفكرية والتعليمية في بلاد الشام، ولكنها في الوقت نفسه كانت صاحبة الأثر الأكبر في تنوع التعليم وتعدد مشاربه واتجاهاته، وهو ما أدى لزيادة الانقسام داخل المجتمع الشامي.

ومن الناحية الاجتماعية، كان لذلك أثره الخطير على زيادة حدة الانقسامات الطائفية، حيث ارتبطت كل طائفة بنظام تعليمي خاص بإرسالية مرتبطة بدولة معينة، فمثلا ارتبط الدروز بالنظام التعليمي الأمريكي، في حين ارتبط الموارنة بالنظام التعليمي الفرنسي في مدارس اليسوعيين، وبذلك لعب التعليم دورا في خلق الخلافات بين المواطنين بدلاً من جمعهم حول الشعور الوطني الواحد، كما لعب التعدد في نظام التعليم دوراً كبيراً في خلق فوضى فكرية عانت منها بلاد الشام.

وبذلك نجد أن التعليم هنا ما هو إلا وسيلة لنشر الفكر الديني الذى تعمل الإرسالية الأمريكية على نشره، فهو الغاية التي تعمل الإرسالية لأجلها، وبالفعل آتى ثماره، ونجحوا من خلاله في بث العديد من الأفكار التي عملوا على بثها في عقول التلاميذ. وبذلك أثبت التعليم أنه أحد أهم الوسائل التبشيرية.

الفصل الرابع

الكلية الإنجيلية السورية



ادركت الإرسالية الأمريكية مدى الاحتياج لكلية يتلقى فيها الطلبة التعليم العالي، فبعد المؤسسات التعليمية التى أقاموها فى أنحاء البلاد سواء المدارس الابتدائية او العالية، كانت الحاجة ماسة لكلية حتى يستمر تأثير الإرسالية على الطلبة، وكي لا يلتحقوا بكليات يديرها اخرون من خارج الإرسالية فيتذبذب ولاءهم الفكرى•

فى الوقت ذاته أدرك المبشرون الأمريكيون مدى نجاح التعليم كوسيلة من أهم وسائل التبشير، ولمسوا قدرته على التأثير وإثارة المشاعر والفكر أكثر من أى وسيلة أخرى، فقد كانت نتائجه متميزة بالنسبة لهم، لذا فقد أولوه الاهتمام والرعاية، وأصبح المركز الأساسى لأنشطتهم المختلفة داخل بلاد الشام، وكان من الطبيعى أن يتوج هذا النشاط بإنشاء "الكلية الإنجيلية السورية" والتى تحولت فيما بعد للجامعة الأمريكية ذات الصيت الواسع فى حوض البحر المتوسط• وعن طريق الكلية لجأت الإرسالية إلى بث أفكارها فى نفوس الطلبة، فإما ينضموا لمذهبهم أو يؤمنوا بأفكار الإرسالية والتى تستمر معهم بعد تخرجهم، ويعملون على تنفيذها فى أرض الواقع بعد عودتهم لقراهم، فالمبشرون يختلقون الأنصار عن طريق الكلية التى تضمن ولاء خريجيها وتضمن تأثيرها وتقنعهم بأنها تؤدى دوراً حضارياً لوطنهم، كما أنها تعد قادة المستقبل•

ولم تكن الكلية الإنجيلية السورية كلية علمانية تهتم بالعلوم فقط، بل كانت فى الأساس كلية دينية ذات أهداف تبشيرية، وإن حاول مؤسسوها إخفاء ذلك خلف ستار من المبادئ الإنسانية، ولكن بعض الأزمات التى حدثت أظهرت الوجه الدينى الصريح للكلية وللقائمين عليها مثل إجبار الطلبة المسلمين على دخول الكنيسة وحضور دروس التوراة والإنجيل ومثل أزمة ١٨٨٢م والتى استقال على أثرها بعض الأساتذة وترك الكثير من الطلاب الدراسة احتجاجا على موقف الكلية - وهو ما سنتناوله بالتفصيل فى هذا الفصل- التى لم تنتصر لحرية الفكر طالما أن الموضوع يتعلق بالديانة المسيحية ويمس المذهب البروتستانتى، وأعلنت الكلية أنها كلية مسيحية أسست بأموال المسيحيين وغايتها نشر التعليم المسيحى•

أولاً ـ تأسيس الكلية الإنجيلية السورية

نشأت الكلية الإنجيلية السورية -كأقدم كلية فى بلاد الشام- تلبية لحاجات خاصة لهذه المنطقة شعر بها المهتمون بأمور التبشير من مبشرى

الإرسالية الأمريكية، فقد رأوا أن أعدادا كبيرة من المتنصرين الذين انضموا إليهم أصبحوا فى حاجة لقسيسين ومدرسين أكثر علما من أولئك الذين تعلموا فى المدارس العليا مثل مدرسة عبية، لذا فكروا فى إنشاء الكلية[١].

وحددت أغراض هذه الكلية فيما يلى :

١-أن هذه الكلية يجب أن تسير على المبادئ الإنجيلية، ولكن أبوابها ستكون مفتوحة للطلاب على اختلاف نحلهم وتبعياتهم[٢].

٢-إن هذا الجزء من العالم أصبح بحاجة لعدد كبير من المعلمين والمترجمين والوعاظ والأطباء والمهندسين.

٣- التشديد على وجوب الاهتمام بالطب بسبب كثرة الدجالين فى هذه المنطقة وأيضا لأنه من أهم الوسائل التى يمكن استخدامها فى الأعمال التبشيرية.

والتعليم العالى فى الكلية مهم فهو يساعدهم فى الوصول للطبقات المثقفة والأكثر وعيا، الذين يشكلون قادة المستقبل فى بلادهم، وعن طريقهم تتسرب الأفكار لغيرهم من المحيطين بهم.

وفى عام ١٨٦٢ اقترح القس دانيال بلس Daniel Bliss [*] إنشاء كلية تابعة للإرسالية، ورغم معارضة البعض من زملائه داخل الإرسالية،

(1) Missionary Herald, July 1868. The Education of Native Ministry by Rev. George E. Past. Pp. 212-215.

(٢) نقولا زيادة (دكتور) : أثر الجامعة فى حياة العالم العربى، منشور ضمن شاميات، دار رياض الريس، لندن، د.ت، ص ٣٣٠.

(*) دانيال بلس Daniel Bliss مؤسس الكلية الإنجيلية السورية ولد فى جورجيا فى ١٧ أغسطس ١٨١٣م، تلقى التعليم المجانى، سافر كمبشر للشام فى ١٢ ديسمبر ١٨٥٥م، قام بالعديد من الأعمال التبشيرية داخل الشام من ذلك إنشاء محطة تبشيرية فى سوق الغرب، وفى أثناء مذابح ١٨٦٠ أشرف على توزيع الكساء والطعام على الضحايا، ورأس الكلية الأمريكية، وعندما اعتزل تولى ابنه هورد بلس مكانه راجع

- Payard Dodge, The American University of Beirut, Khayat's. Beirut, 1958, p. 9.

فقد سمح له بالسفر لبريطانيا وأمريكا لجمع الأمـــوال والتبرعـــات اللازمـــة لافتتاح هذه الكلية الجديدة[١].

فى صيف عام ١٨٦٢م ذهب "بلس Bliss" إلـــى أمريكـــا، لجمـــع الأموال، وليقوم بالإجراءات التمهيدية لإنشاء الكلية، ونجح فى خلال عام فى جمع مبلغ الـــ ١٠٠,٠٠٠ دولار، ولم يكن جمع هذا المبلغ فى أثناء الحـــرب الأهلية أمراً سهلاً، ولكن بسبب الهبوط الحاد للعملة الأمريكية آنـــذاك، فقـــد تقرر حفظ هذا المبلغ والبحث عن تبرعات جديدة من إنجلترا، وبالفعل وصل "Bliss" لإنجلترا فى سبتمبر ١٨٦٤م ونجح فى جمع تبرعات كثـــيرة كـــانت كافية للسير فى إجراءات الافتتاح[٢].

وفى إبريل ١٨٦٣م تأسس مجلس الأمناء للكلية السورية فى أمريكا، وذلك بعد الحصول على التفويض بذلك من ولاية نيويورك، وتبعاً لقانونـــها الخاص، وكان أعضاءه هم وليام بوث William A. Booth، ودافيد هودى David Hoadley وسيمون شتيندين Simon B. Chittenden وشهد هـــذا التأسيس وتوقيع الاتفاق سكرتير هوراتيو بالارد Horatio Ballard وحـــاكم ثوراتيور سيمور Haratio Seymour[٣] كما وجد مجلـــس مديريـــن فـــى بيروت وكان يتألف من المبشرين الإنجليز والأمريكين والقناصل الإنجلـــيزي وأيضاً القناصل الأمريكيين فى الشام[٤].

وكانت اللائحة الخاصة بالكلية تنص على أن يعين رئيـــس الكليـــة بواسطة مجلس الأمناء، فى الوقت نفسه فهم الذين يعينون الأساتذة، ووضـــع فى الحسبان أن يكون أكثرهم من الوطنيين الذين تعلموا فى السلك التعليمـــى الخاص بالإرسالية، فقد كان أحد الأهداف الجوهريـــة لـــهم أن يتـــم تـــأهيل الأساتذة والمدرسين فى أهالى البلاد، ليتقلدوا الإدارة الكاملـــة للكليـــة بقـــدر

---

(١) شمس الدين الرفاعي: مرجع سابق، ص٣٧، انظر أيضاً: يوسف قزمـــاخورى: مرجع سابق، ص٨٤ .

(2) A.L. tibawi, op. cit., p. 167.

(3) Stephen B.L.; Penrose, Op.Cit, pp.14-15.

(4) A.L. Tibawi, op. cit., p. 167.

الإمكان وبأمل جعل الكلية تتحمل نفقات نفسها كليا، وتصبح وطنية[١] ولكن الإرسالية تراجعت عن هذا الهدف فيما بعد لتصبح الكلية أمريكية اسماً وفعلاً، كما سنرى٠

وفى عام ١٨٦٦ افتتح الفرع التحضيرى لهذه الكلية برئاسة دانيال بلس، واختار المبشرون مكاناً منعزلاً مهجوراً فى رأس بيروت ليجعلوه مقراً دائماً للجامعة، وكان المكان المؤجر يتكون من ثلاث غرف، ولكن ما لبثت أن نمت تدريجياً ووسعت مرافقها شيئاً فشيئاً، وانتقلت أكثر من مرة حتى استقرت أخيراً فى رأس بيروت الذى أصبح من أجمل المواقع فى بيروت[٢] وبدأت الكلية بستة عشر طالبا منهم ٣ طلاب من بيروت و١٢ من جبل لبنان وواحد من طرابلس كما ضمت فى عامها الأول ثلاثة أساتذة دانيال بلس وكرنيليوس فانديك ويوحنا ورتبات[٣]، وكانت المدرسة الوطنية التى أسسها بطرس البستانى- سيأتى الحديث عنها - بمثابة معهد إعدادى للكلية حتى تم للكلية إنشاء دائرتها الإعدادية، ومنذ ذلك الحين أغلقت المدرسة الوطنية أبوابها نهائيا[٤] وبذلك نجد أن المدرسة الكلية الإنجيلية السورية بدأت بداية صغيرة ومتواضعة للغاية فى مكان مؤجر، وبعد عدة سنوات أصبحت أهم وأكبر مركز تعليمى فى الشرق العربى، والسبب فى ذلك راجع لوضوح الهدف فى أذهان القائمين عليها، فى الوقت نفسه أن العمل كان يخضع لتخطيط منذ البداية، وترتيب للمراحل التى يجب أن يمر بها، كما أن الإرسالية ومجلس الأمناء نجحا فى اختيار الاسم للكلية "السورية" حتى يجذبا إليهم الأهالى وأنهم يعملون لأجل سورية، كذلك استخدام اللغة العربية فى التدريس لنفس الهدف٠

وأوضح مؤسس الكلية ورئيسها الأول سياستها التعليمية عند وضع حجر الأساس لبنائها الجديد بقوله "أن هذه الكلية لكل أنواع البشر وطبقاتهم دون نظر إلى لون أو قومية أو عرق أو دين ٠٠٠والإنسان سواء كان مسيحيا أم يهوديا أم محمديا أم وثنيا يستطيع أن يدخل وينعم بفوائد هذه

---

(1) Missionary Herald, Feb. 1863, A Protestant College in Syria, pp. 36-38.

(٢) نور الدين حاطوم (دكتور) : مرجع سابق، ص٢٠ ٠

(٣) عبد الكريم غرايبة : مرجع سابق، ص ١٧١ ٠

(٤)مرجع سابق، ص١٩٢ ٠

- انظر أيضا: كمال الصليبى: مرجع سابق، ص١٨٧ ٠

المؤسسة، ولكن يستحيل أن يبقي معنا طويلاً دون أن يدرك حقيقة ما نعتقد والأسباب الداعية لهذا الاعتقاد[١]. ثم يقول "إن الجامعة توفر مناخاً نفسياً لا يستطيع واحد الإفلات من تأثيره، والطالب لا يعى حقاً التغييرات الحاصلة دائماً فى داخله، وثمرة هذه البذرة قد لا تأتى إلا بعد مدة طويلة فى مغادرة الطالب للكلية"[٢].

وبذلك فقد كان الهدف واضح منذ البداية فى أذهان القائمين على أمر هذه الكلية، ويذكر تقرير للإرسالية فى الشام أن الكلية تؤدى لتقدم مستمر فى عمل الإرسالية، فهى تضم عدد من الطلاب بلغ ٧٦ طالباً من طوائف دينية مختلفة موارنة، أرثونكس، دروز، كاثوليك روم، بالإضافة للبروتستانت، كما أن التقرير يصف الكلية إنها أكثر صرامة من الكليات المناظرة لها فى أمريكا، وهذا ما دفعهم للقول أن الكلية تمثل مركز إشعاع لأكثر من ١٥٠ مليون شخص يتحدثون العربية[٣].

ومنذ البداية لم تعلن الكلية الإنجيلية السورية أهدافها التبشيرية التى قامت عليها خوفاً من انصراف الناس عنها، وأيضاً خوفاً من الإدارة العثمانية، إنها أعلنت ولكن من خلال أعمال الكلية يتضح أنها عملت فى ظل الإرسالية الأمريكية فى الشام - ومركزها بيروت - وعملت بتناغم كامل مع سياسة وأهداف الإرسالية، ولكن كان ذلك من وراء ستار أنها كلية تعلم العلوم الحديثة لفائدة الإنسانية وبعيداً عن أى أهداف دينية.

وفى الحقيقة فقد كانت الكلية تعتبر عملها رسالة تبشيرية، غايتها نشر البروتستانتية، وكان المسئولون عن الكلية السورية الإنجيلية يبشرون بالمسيحية ويعيشونها، وقد أقبلوا على عملهم هذا بروح من يحمل رسالة، ولذلك فإنهم لم يلبثوا أن اعتبروا مثالاً للتصرف المتطابق مع العقيدة[٤]، ولم يكتف القائمون على أمر هذه الكلية الإنجيلية السورية، فى بيروت بأن يكون

---

(١) نور الدين حاطوم : مرجع سابق، ص ٢١ .

(٢) عبد الودود شلبى (دكتور) : الزحف إلى مكة، مرجع سابق، ص٨٨، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٨٨ .

(3) Missionary Herald, Nov. 1869, Annual meeting of the board, pp. 359-360.

(٤) برهان الدين دجانى (دكتور) : الجامعة الأمريكية فى بيروت والوطن العربى، مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية فى بيروت، أذار ١٩٥٤، ط١، ص ١٧ .

رئيس هذه المؤسسة مبشرا، بل أصروا على أن يكون جميع المدرسين فيها مبشرين، وكان على هؤلاء أن يوقعوا يمينا يقسمون فيها بأن يوجهوا جميع أعمالهم نحو هدف واحد، هو التبشير، ولم يقبل منهم أن يكونوا نصارى فقط، بل وجب أن يكونوا مبشرين[١] ولكن بعد ذلك ألغى مجلس الأمناء فى أمريكا هذا اليمين" Declarion of principles فقد رأوا فيه أنه يثير عليهم تهمة التعصب، فهو فرصة لأعداء الإرسالية فى توجيه النقد لهم، وقبل "بلس" هذا الأمر وألغى هذا اليمين[٢] وكانت الكلية تجبر الطلبة على اختلاف مذاهبهم الدينية بالذهاب للكنيسة وحضور دروس التوراة والإنجيل، وذلك مرتين فى اليوم[٣].

وبالرغم من أن الكلية الإنجيلية السورية حاولت إخفاء الطابع الدينى لها وراء ستار نشر العلوم، إلا أنه قد حدثت بعض الأزمات التى أوضحت الوجه الحقيقى للكلية، وأنها كلية دينية لا شك فى أهدافها التبشيرية[*]، وأن التوجه الدينى مسيطر على تفكيرها وتفكير القائمين عليها، من أبرز تلك الأزمات أزمتى ١٨٨٢م، ١٩٠٨م.

وترجع الأزمة ١٨٨٢م بسبب رئيسى هو خطاب "أدون لويس" الأستاذ بالمدرسة الكلية خلال حفل التخرج فى صيف ١٨٨٢م، وكان عن نظرية دارون فى التطور، وعرضها أدون لويس عرضا علميا غير مقيد نفسه بآراء رجال الدين المعارضة لهذه النظرية، لأنه يرى أن لا موجب بالتظاهر بالحرص الشديد على التدين والاستمساك بالقشور التى تتصل

---

(١) مصطفى الخالدى وعمر فروخ : مرجع سابق، ص ١٠٧ .

(2) Bayard Dodge, op. cit., p. 35.

(3) Ibid, p. 36.

(*) عندما هاجم اليسوعيون الكلية السورية الإنجيلية وحذروا أهل الشام من أهدافها التبشيرية وترجموا نص بالإنجليزية عن هذه الأهداف التبشيرية لم تستطع مجلة الإرسالية النشرة الأسبوعية أن تنفى ذلك النقد ولكنها هاجمت اليسوعيون، وفى هذا الإطار اعترفت "أن التلامذة يجتمعون صباحا ومساء فى قاعة المدرسة ويقرأ واحد من الأساتيذ فصلا من الكتاب المقدس ويصلى معهم ... ونهار الأحد يلزم التلاميذ الذين هم داخل المدرسة أن يحضروا الصلاة فى الكنيسة" راجع النشرة الأسبوعية، الثلاثاء ١٧ أيلول، ١٨٧٢م، ص ٢٠١ .

بالمسائل الفرعية، ما دام محافظاً على جوهر الدين نفسه[١] واستنكر زملاء د/ لويس ما جاء على لسانه. وواجهوه بالكفر والإلحاد، وأثاروا ضده حملة شعواء مطالبين بإنهاء عمله فى الكلية[٢].

وكانت النتيجة إعفاء د/ أدوين لويس من عمله بناء على طلب لجنة الأمناء فى أمريكا، التى وصلتها العديد من الخطابات ضد فكر لويس من المبشرين فى أنحاء الشام المختلفة، فكان لهذا الخبر وقع أليم على نفوس الطلبة الذين قرروا الإضراب احتجاجاً على ما حدث لأستاذهم "لويس" ورافعين راية حرية الفكر، ضد الاتهام بالإلحاد والكفر على من يستخدم عقله فى التفكير، وحاولت إدارة الكلية إثناء الطلبة ولكنها فشلت، فقابلت الأمر بالشدة وقامت برفت الطلبة الذين وقعوا على الشكوى وشاركوا فى الإضراب[٣] ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل استقال عدد من أساتذة الكلية الذين حاولوا الانتصار لحرية الرأى والفكر، ورأوا فيما فعلته إدارة الكلية ومجلس الأمناء فى أمريكا خسارة للكلية أمام الناس، ولكن لم يؤخذ بآراء هؤلاء وفى مقدمتهم د/ كرنيليوس فانديك[٤].

ترتب على هذه الأزمة العديد من النتائج التى يمكن استقرءوها من خلال الأحداث، لعل أهم هذه النتائج :

١- أن هذه الأزمة كانت فى الحقيقة بين فريقين المحافظين الذين قادوا الحملة على أدون لويس[*] واقنعوا مجلس الأمناء باتخاذ موقف شديد

---

(١) مذكرات جورجى زيدان، الهلال، المجلد ٦٢ عام ١٩٥٤، عدد سبتمبر، ص٣

(٢) شفيق جحا : أزمة السنة ١٨٨٢ أدوين لويس، ضمن كتاب العيد المئوى للجامعة الأمريكية، إشراف جبرائيل جبور، بيروت، ١٩٦٧م، ص ٣٢ .

(٣) مذكرات جورجى زيدان : مرجع سابق، ص ٣٣، ولمزيد من المعلومات راجع:

- Oliviermeier, Al-Muqtataf Debat sur le Darwinisme Be growuth, 1876-1885 Les Dossiers Du Lcedej, Caire, 1986.

(٤) يعقوب صروف : مرجع سابق، ص ١٨٥ .

(دكتور) أعلام المقتطف، مطبعة المقتطف، القاهرة، ١٩٢٥، ص١٨٥ .

(*) هاجم جيمس أنس الأستاذ بالكلية الإنجيلية د/ لويس كما هاجم دارون واتهمهما بالكفر بالكتاب المقدس، وأن غاية الأبحاث العلمية لدارون إنما هى نفى المسيح من كل دائرة الطبيعة والعلم، راجع المقتطف . الجزء الرابع، السنة السابعة، ط٢، ١٨٨٢م، ص ٢٣٦ .

معه ومع الطلبة المؤيدين له، وبين الفريق الذى حاول الانتصار لحرية الفكر أو رأى اتخاذ موقف أقل شدة مثل د/كرنيلبوس فانديك الذى استقال مــن الكــلية وكـــانت النتيجة أن الكلية برز وجهها الدينى بروزاً شديد وأصــبح، واضــح للعيان وليس بحاجة للاختفاء وراء ستار، فى الوقت نفسه سيطرت الفئة المحافظة على مقدرات ومجريات الأمور بالكلية.

٢- خــرجت هذه الأزمة للصحف والمجلات وانتشرت بين الناس، فكان لها فائدة مزدوجة أولها أنها أدت لكشف وجه الكلية أمام الجميع، ثانيها أنها أدت لإثــارة الجــدل والنقاش حول القضية برمتها، وحول آراء دارون وأفكاره مما ساعد على إثارة نقاش وحوار فكرى في بلاد الشام.

٣-وكــان لاحــتجاج الطلبة دلالة هامة وهى بيان مدى تأثر الطلبة بدعوى حــرية الفكــر والتحرر من كل القيود التى تعيق الفكر وعلى رأس هذه القيود الدين وذلك - من وجهة نظرهم- .

أمــا الأزمــة التالية التى أوضحت الوجه الدينى الحقيقى للكلية فهى أزمة ١٩٠٨م :

فقــد نشــرت الصــحف فى تــلك الفترة العديد من شكاوى الطلاب المســلمين مــن الضــغط الواقــع عــليهم من أساتذتهم فى الكلية السورية الإنجيلية، وعدم السماح لهم بقراءة كتبهم الدينية، وصرف نصف أوقاتهم فى التعاليم البروتستانتية، وإرغامهم على دخول الكنيسة[١].

وتدخلت الإدارة العثمانية وأصدرت أمراً عالياً فى ٨ يناير ١٩٠٦م، لعمــدة الكــلية تطلب إعفاء غير المسيحيين من تلامذتها من حضور أوقات العــبادة ودرس الكتاب المقدس، ولكن الكلية تحايلت على هذا الأمر وأعفت غير المسيحيين من حضور أوقات العبادة إلى ما بقى من السنة فقط[٢] وادى هــذا لاحــتجاج عدد من الطلبة المسلمين فقدم ١٢٨ طالبا عريضة للإدارة طالــبين عدم إجبارهم على حضور دروس التوراة والإنجيل وعدم حضور الصــلوات فى الكنيسة، ولكن لجنة الأمناء فى نيويورك ولجنة المديرين فى

---

(١) مصطفى الخالدى وعمر فروخ : مرجع سابق، ص ١٠٨ .
انظــر أيضا ثمرات الفنون ٤ شعبان ١٣١٨هــ/ العدد ١٣٠٨، ص ٥ .

(٢) الأخبار العدد ١٦٨، الأربعاء ٢٨ يوليو ١٩٠٩م.

الشام أعادوا التأكيد على أن دراسة الكتاب المقدس إجبارية للجميع وحضور الصلوات كذلك إجبارى[١].

كمـــا أعلن رئيس الكلية هورد بلس أن هذه المدرسة أسست بأموال المسيحيين، وغرضها بث التعاليم المسيحية، وتعليم الواجبات البروتستانتية، ومن يمتنع عن قراءة هذه التعاليم أو يتقاعس عن أداء هذه الواجبات فليس له عندنا حاجة وليذهب خارج مدرستنا[٢].

والمقارن بين هذه الأزمة وأزمة ١٨٨٢م يلاحظ أن الكلية فى الأزمة الأخيـرة كـانت أكثر وضوحا وكشفاً عن وجهها الدينى، وذلك لأن الأزمة السـابقة أسـفرت عن سيطرة الجناح المتشدد دينياً على الكلية وإدارتها، فى الوقـت نفسه كانت الكلية قد ثبتت جذورها، وأصبحت محتمية أكثر من ذى قبل، بالامتيازات الأجنبية وبالأسطول الأمريكى، وأيضاً بالضعف العثمانى، كمـا أصبحت الإرسالية أكثر قدرة على الدفاع عن نفسها عما قبل وأصبحت هـناك طائفـة بروتسـتانتية وطنية كما أصبح هناك المرتبطون بالإرسالية وبالكلية.

وبذلـك أصـبحت الكـلية الإنجيـلية إحـدى أهم وسائل الإرسالية الأمـريكية فى العمل التبشيرى فى الشام، وكان مؤسسوها والقائمون عليها أصحاب عقيدة دينية يسعون لنشرها بين الناس، كما كانوا يسعون لخلق جيل مرتبط بهم فكرياً، ثم بعد ذلك سياسياً[*].

ثانيا : أقسام الكلية :

مـنذ بدايـة تأسيس "الكلية الإنجيلية السورية" كان هناك تخطيط لما ستتضـمه مـن أقسام، ولا نشك أن هذا التخطيط المدروس بدقة فائقة كان السـبب الرئيسـى وراء النجاح الذى نالته الكلية، فتخطيط الأقسام كان متفقاً

---

(1) Bayad, Dodge, op. cit., p. 36.

(٢) عـبد الـودود شلبى : أفيقوا مرجع سابق، ص ٤٨، انظر أيضا: أبابيل، ٣٠ ربيع الثانى ١٣٣٠هـ، العدد ٢٠٦، ص١ .

(*) فى عـام ١٩٢١م رأت إدارة الكلية تغيير اسم الكلية الإنجيلية السورية للجامعة الأمـريكية وذلـك لأن الكلية تضم بين جنباتها أكثر من ١٢ مذهب دينى وكذلك لتعدد جنسيات طلابها، وفى الحقيقة كان هذا بداية حقيقية لتحرر الكـلية مـن الإرسـالية بعض الشئ ولتحول الكلية أيضا لتحقيق أهداف سياسـية لأمـريكا، راجـع المقتطف : الجزء الرابع، المجلد ٥٨، إبريل عام ١٩٢١، ص ٣٧٢ .

مع احتياجات البيئة" وهذا التدرج فى إنشاء الأقسام يعكس رغبة القائمين على هذا العمل فى تلبية هذه الاحتياجات، لأنه يقربهم من الناس، ويدخلهم فى علاقات متشابكة مع المجتمع من حولهم، وهذه هى البيئة المناسبة لهم لممارسة أعمالهم التبشيرية.

فى السنوات الأولى لعمل الكلية وجد بها ثلاثة أقسام هى: التحضيرى أو التجهيزى، والقسم العلمى، والقسم الطبى بفروعه المختلفة، وهو أهم أقسام الكلية على الإطلاق، لأن الطب هو أحد أهم الوسائل التبشيرية التى تستخدمها الإرسالية الأمريكية، وغيرها من الإرساليات.

كان القسم الإعدادى أو التمهيدى The pereparatory department يعد الطلبة للالتحاق ببقية أقسام الكلية، ذلك لأنهم يأتون من أنواع كثيرة من المدارس، وكانوا غالباً فوق السن المقرر، ومعلوماتهم عن اللغات والعلوم قليلة، لذا كان هذا القسم أشبه ببوتقة لصهر الطلاب داخلها وإعدادهم لبقية الأقسام[1] ومنذ عام ١٨٧٥م تم التصويت داخل مجلس الأمناء للكلية الإنجيلية فى أمريكا على تأسيس مدرسة تحضيرية فى مبنى مستقل، وأن يؤمن وجود مدرس من أمريكا يكرس وقته كاملاً لهذا العمل، وكان أول مدرس هو جوش باكرن Joshua Bcrane ومعه مساعدون حاصلون على دراسات جامعية بأمريكا[2] وكان الطلاب الذين يلتحقون بالقسم التحضيرى لا ينالون شهادات، ما لم يكملوا دراساتهم فى أحد أقسام الكلية، ولكن ابتداء من العام الدراسى ١٨٨٢ : ١٨٨٣ نجح رئيس القسم "فردريك بلس" فى الحصول على امتياز يبيح لمن لم يكملوا دراساتهم واكتفوا بالقسم التحضيرى، أن يأخذوا شهادات بالمواد التى درست لهم وهى الصرف، والنحو، والحساب، والجغرافيا، والإنجليزية، والفرنسية، ومدة الدراسة بهذا القسم ثلاث سنوات[3].

وفى بداية القرن العشرين زاد الاهتمام بالمدرسة التحضيرية، ونظرة لأسماء مدرسيها توضح لنا مدى هذا الاهتمام وهم "جبر ضومط Jabr

(1) Bayard dadge, op. cit., pp. 28-29.
(2) Stephen Penrose, op. cit., p. 30.
(٣) نور الدين حاطوم : مرجع سابق، ص ١٩ .
- انظر أيضا: المقتطف : الجزء الأول، العام الثامن، آب ١٨٨٣، ص ٦٣ .
- Stephen Penrose, op. cit., p. 31.

"Dumit"، "دواد قربان Daud Kurban"، "وجرجـــس خـــورى المقدســى Jurjus Khuri Makdisi"، هارولد نيلســون "Harold Nelson" هــارفى بورتر "Harvey Porter"، ستيوارت كراوفــــورد "Stewart Crawford"، "منصـور جـوردداك Mansur Jurdak"، الفريـد داى "Alfred E. Day"، "جيمس الفريد باتش James Alfred Patch"، الفريد هــ جـوى AlFred H. Jay"، "جوليوس أرثر بـــراون Julius Arthur Brown"، "روبــرت س.ريد Robert S. Reed" أما المواد التى كـانت تـدرس فــهى الفلــك، والكيمياء، والطبيعة، والاجتماع، والتاريخ، والجغرافيا، والفلسفة، والتربيـــة، والرياضيات، والجيولوجيا، والبيولوجيا[1].

ويلاحظ على الأسماء السابقة أن معظمها من الشوام الذيـــن تلقــوا تعليمهم فى "المدرسة الكلية الإنجيليـــة"، وتولـــوا التدريـــس داخـــل القســم التحضيرى.

كما أنشأ القسم العلمى، وكانت مدة الدراسة فيه أربع سنوات، يتعلــم فيها الطالب العربية بفنونها، والإنجليزية، والفرنسية، والجـــبر، والهندســة وحساب المثلثات المستوية، والأنساب، والمســاحة، والطبيعــة، والمنطــق، والتــاريخ، والفلســفة، والجغرافيــا، والجيولوجيــا، ومبــادئ التشـــريح، والفسيولوجيا. وبعد الانتهاء مــن الدراســة ينــال النــاجح منــهم درجــة البكالوريوس[2] فى العلوم والآداب، وكانت المناهج التى تدرس فى هذا القسم هى نفس المواد التى تدرس فى الكليات المناظرة فى أوروبا وأمريكا[3].

ولخدمة طلبة القسم العلمى أنشئ المرصد الفلكى داخل الكلية؛ حتــى كون تدريبهم عمليا، ففى عام ١٨٧٤م أنشئ المرصد بمنحة من إنجلـــيزى ـار الكلية[4]. وكان المسئول عنه د/ كرنيليوس فانديك الذى اشترى العديـــد ن الالات للمرصد من ماله الخاص، وكان أسلوب "فانديك" فى تعليم الفلــك

---

(1) Bayard Dodge, op. cit., p. 28.

٢) شاهين مكاريوس : مرجع سابق، ص ٣٨٨ .

٣) فؤاد صروف (دكتور) : تطور الفكر العلمى العربى فى مائـــة عـــام. بحـــث منشور ضمن كتاب نشاط العرب العلمى فى مائة ســـنة، هيئـــة الدراســـات العربية، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٦٣م، ص ٣٨٦ .

(4) Bayard Dodge, op cit., p. 21.

مثل أسلوبه فى تعليم الكيمياء مبنيا على العمل والمشاهدة[١] وكان المرصد يحوى منظارا استوائيا كبيرا، ومنظارا زواليا صغيرا، ومطيافا شمسى. وساعة نجمية ومسجل للزمن[٢] وكان لهذا المرصد علاقات وتبادل علمى مع المراصد الأوربية وفى الدولة العثمانية، كما استفادت منه القوات الجوية الإنجليزية والأمريكية التى كانت تعمل فى المنطقة، كما استفاد منه الأهالى الشوام فى الزراعة والتجارة وأعمال البحرية، وتخرج فيه جيل من الفلكيين العرب الذين تعلموا بأسلوب علمي تجريبى حديث[٣]. وكان المرصد يصدر نشرات يومية عن حالة الجو المتوقعة، والمطر المتوقع وحالات الكسوف والخسوف، ليس فقط فى بلاد الشام بل أيضا القاهرة والآستانة وتونس والإسكندرية[٤].

أما القسم الطبى فكان أهم أقسام الكلية، واشتمل فى البداية على كلية الطب، ثم الصيدلة، ثم أضيفت إليهما مدرسة التمريض، وبعد ذلك أسست مدرسة الاسنان.

فقد كانت الرغبة عميقة فى إنشاء القسم الطبى منذ جمع التبرعات، حيث أبدى المتبرعون تلك الرغبة، كهدف أولى، سواء فى ذلك المتبرعون من أمريكا أو إنجلترا[٥] وربما كان الهدف من وراء ذلك هو تخريج أطباء مبشرين، للعمل فى البيئة الشامية التى سيطر على الطب فيها المشعوذون والسحرة، وحلاقو القرى، وندر وجود أطباء تلقوا تعليما حديثا، وكان المتبرعون يدركون إنهم يتبرعون لكلية تابعة لإرسالية تنصيرية.

وفى سنة ١٨٦٧م افتتح القسم الطبى بمدرسة الطب، التى اشترط للقبول فيها أن يكون الطالب قد أتم الدراسة التى تخول له الالتحاق بها فى بلاده، أو أن يكون قد أتم دراسته فى السنة الثالثة لمدرسة الآداب والعلوم بالكلية الإنجيلية، حيث كان عدد طلبة مدرسة الطب محددا بـ ٤٠ طالبا يتم

---

(١) المقتطف : الجزء ١٢، ديسمبر ١٨٩٥، ص ٨٨٦ .
(٢) عبد الحميد سماحة (دكتور) : الفلك عند العرب. ضمن كتاب نشاط العرب العلمى، مرجع سابق، ص ٢٣٠ .
(٣) المقتطف : الجزء الثانى، العام الأول، ص ٤٦ .
Bayard Dodge, op cit , p 21
(٤) المقتطف : الجزء الثالث، ط٢، ١٨٧٧، ص ٧٢ .
(5) Stephen, B L Penrose, op cit., p 19

اختيارهم من بين المتقدمين[١]. وكان يدرس فيه في بدايتـــه د/ كرنيليـــوس فانديك ويوحنا ورتبات وجورج بوست، ثم أضيف إليهم هـــاريس جراهـــام "Harris Graham" للباطنة، "وادوين جـــون وارد "Edwin Johnward"، وتشارلس أ. وبيستر "Charles A. Webster" للعيون والأذن والتشـــريح، ووالترب آدمس "Walter B. Adams" للأمراض الجلدية والعقاقير، وهاري ج. دورمان "Harry, G. Dorman" للنساء والتوليـــد، "ويليـــام فـــانديك "William Vandyck" للفسيولوجيا وعلم الصحة، ووجد عدد من المساعدين الذين قاموا بتدريس البكـــتريولوجي والهســـتولوجي[٢]، [أو علـــم البكتريـــا والهتسولوجيا].

وقد وضع مؤسسا مدرسة الطب د/ كرنيليوس فـــانديك ود/ يوحنـــا ورتبات نظام الدراسة بها ٤ سنوات، هذا بالرغم من أن مدة الدراســـة فـــي الكليات المناظرة في أمريكا وأوروبا كانت ثلاث سنوات فقط[٣]. وأقرا بـــأن الحاصل على البكالوريا المصرية يقبل في القسم الطبي مباشرة، أما حـــامل شهادة الكفاءة فعليه أن يجتاز امتحانا تعقده الكلية قبل قبوله، وإذا لـــم ينجـــح فيه فعليه أن يدرس سنة في القسم العلمي ثم يقبل في القسم الطبي[٤].

وقبل تأسيس المستشفى الخاص بالكلية تم الاتفـــاق مـــع المستشـــفى البروسي في بيروت على أن يتم تدريب الطلبة فيه مقابل أن يقدم الأساتذة في مدرسة الطب الأمريكية خدماتهم المجانية للمستشفى، وبذلك تم تدريب طلاب الكلية في هذا المستشفى[٥] ولكن بعد ذلك بوقت قصير تبرع د/ الفريد بوست Dr. Alfred Post بمبلغ 18.000 دولار لإنشاء مستشفى في بيروت للقسم الطبي بالكلية[٦].

---

(١) زودريك ماثيوز ومتى العقراوي: مرجع سابق، ص ٦٥٠ .

(2) Bayard Dodge, op. cit., p. 30.

شاهين مكاريوس : مرجع سابق، ص ٣٨٨ .

(٣) فؤاد صروف : مرجع سابق، ص ٣٨٩ .

(٤) المقطم : ٣١ نوفمبر ١٩٠٨، ص ٣ .

(5) Bayard Dodge, op. cit., p. 21.

(6) Stephen penrose. op. cit., p. 32.

أما المشكلة الأساسية التى قابلت مدرسة الطب فهى "التشريح"(*) فقد كان من الضرورى للدراسة الإكلينيكية للطلبة أن يتم تدريبهم على التشريح، بينما كان ذلك ممنوعا من قبل القانون العثمانى.

وتم التغلب على هذه المشكلة إما بشراء الجثث أو الحفر فى المدافن سرا للحصول عليها وتهريبها للكلية دون علم أحد، ومما يذكر فى ذلك من طرائف أن د/ بوست ذهب ذات ليلة لسرقة جثة من قرية قريبة من بيروت، وشعر أن شرطى يراقبه فما كان منه إلا أن رواغ هذا الرجل وبدلا من أن يذهب مباشرة للكلية ذهب لمدرسة الطب الفرنسية ودار حولها، وهنا انشغل الشرطى بالبحث عن باب للدخول للكلية الفرنسية فى الوقت الذى ذهب فيه بوست للكلية السورية[١].

ولم تكن مناهج الدراسة في مدرسة الطب قاصرة على المواد الطبية السابق ذكرها فقط فقد اعترف تقرير للإرسالية عام ١٨٦٩م أنه على الطلاب أن يكونوا حاضرين فى صلوات الصباح والمساء، وأن يدرسوا الكتاب المقدس، وعليهم أن يحضروا الخدمة فى الكنيسة[٢] وطبق هذا على الطلبة باختلاف مذاهبهم الدينية، وهذا يتيح الفرصة للتأثير الروحى على الطلبة، وهو ما يتناسب مع عمل الإرسالية.

وكان جورج بوست يرحل لأوربا وأمريكا لجمع التبرعات لمدرسة الطب، وكان من ثمار هذه التبرعات إنشاء قاعة العلم التى جعلت دار للمعارض العلمية بالمدرسة، وأنشأ فيها معرضا للنباتات النادرة، فقد كان علم النبات يدرس ضمن مقررات المدرسة الطبية كما أن والده الفريد بوست أوقف مبلغ مالى للإنفاق من دخله على ما تحتاجه مدرسة الطب[٣].

(*) نفس هذه المشكلة قابلت كلوت بك عند أول درس للتشريح فى مدرسة قصر العينى المصرية، فهى مشكلة مرتبطة بالعقلية العربية، وتمتد بجذورها للفهم الخاطئ لقواعد الدين الإسلامى.

(١) جورج زيدان: تراجم مرجع سابق، ص ٣٢٣.
انظر أيضا: Bayard Dodge. op. cit.. pp. 32-33.

(2) Missionary Herald-March 1869. The Beirut Protestant College. pp. 89-90.

(٣) فيليب دى طرازى: مرجع سابق، جـ٢ ص ١١٨.
- انظر أيضا: جورج زيدان: تراجم: مرجع سابق، ص ٣٢٣.

وفى عام ١٨٧١م أنشئت كلية الصيدلة، وانتقلت لبنائها الجديد عام ١٨٧٣م، وكانت مدة الدراسة بها أربع سنوات، يمنح الطالب فى نهايتها درجة الكيمياء والصيدلية، هذا علاوة على سنة أخرى يقضيها فى صيدلية معترف بها للتمرين، وكان من الممكن لخريج الصيدلة أن يحصل إذا أراد على دراسة لمدة عام فى تحليل الأطعمة والمياه والزيوت والمواد الصناعية، حتى يحصل على شهادة محلل عمومى[١]. وجدير بالذكر أن الدراسة بالقسم الطبى – الطب والصيدلة بدأت واستمرت باللغة العربية حتى العام الدراسى ١٨٨٢ : ١٨٨٣ حينما استبدلت باللغة الإنجليزية، وأفاد هذا اللغة العربية وأثراها بالعديد من المصطلحات العلمية الحديثة التى لم تكن معروفة فيها من قبل، فى الوقت ذاته ألفت وترجمت العديد من الكتب الطبية والعلمية فى الفروع المختلفة مثل الجراحة علم دراسة الأنسجة Pathologyوعلم الحيوان والنبات والتشريح، وقام بالدور الرئيس فى ذلك أساتذة مدرسة الطب والصيدلة مثل ورتبات وجورج بوست وكرنيليوس فانديك، وأيضا وبتشجيع منهم وجد العديد من تلامذتهم الذين شاركوا فى هذا المجال، وكان خاتمة ذلك إنشاء أول مجلة طبية باللغة العربية – مجلة الطبيب – التى عملت على نشر الثقافة الطبية للناس باختلاف طبقاتهم وتنوع ثقافاتهم[*].

وحتى يكتمل القسم الطبى فقد أنشأت إدارة الكلية عام ١٩٠٥م مدرسة للتمريض، ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات، ويشترط فى الطالبات أن تتراوح أعمارهن بين الثامنة عشرة والثلاثين، وكان النصف الأول من الدراسة قد خصص للدراسة النظرية، أما السنتين والنصف الباقية من مدة الدراسة فقد خصصت لبقاء الطالبات فى المستشفى يوميا لمدة ثمانى ساعات، وكان يسمح لخريجات مدرسة التمريض بالالتحاق بالسنة النهائية فى كلية الآداب والعلوم لنيل درجة البكالوريوس فى العلوم فى فن التمريض[٢].

---

(١) عبد الكريم غرايبة : مرجع سابق، ص ١٧٢ .
-انظر أيضا: أحمد سراج الدين : مرجع سابق، ص ٣٣١ .
- رودريك ماثيوز ومتى العقراوى : مرجع سابق، ص ٦٥٠ .
(*) راجع ذلك بالتفصيل فى الفصل الخامس.
(٢) الخنساء : المجلد الثانى، الجزء الثانى، آب ١٩١٠م، ص ٤٣ .
- انظر أيضا: رودريك ماثيوز ومتى العقراوى: مرجع سابق، ص ٦٥٠ .

كذلك الحال فعندما رأت إدارة الكلية مدى تخلف طب الأسنان في بلاد الشام حيث كان بدائيا تماما، وكان العلاج يتم عن طريق الحلاقين وبعض كهنة الأديرة بطرق بدائية تسبب العديد من الآلام، وينتج عنها في غالب الأحيان أمراض خطيرة[١].

لذا رأت إدارة الكلية إقامة قسم لطب الأسنان وافتتح في يونيو ١٩١١م[٢] واعتبر هذا العمل تطورا جديدا في هذا المجال في بلاد الشام، وهو أيضا تفاعل ما بين الإرسالية بمؤسساتها وبين المجتمع الموجودة فيه لأجل الغرض الأساسي لهم وهو التبشير.

وبلغ من نشاط قسم الطب أن عقد مؤتمرا طبيا علميا عام ١٩١٣ دعا إليه كل خريجي الكلية القدماء والمحدثين، كما دعا غيرهم من الأطباء من بلاد الشام ومصر وأمريكا وإنجلترا، وعرضت فيه العديد من العمليات النادرة التي تجرى للمرة الأولى، وألقيت الأبحاث العلمية المختلفة، مما يعد تطورا علميا لم تعرفه المنطقة من قبل[٣]، ففكرة المؤتمرات المتخصصة جديدة، وعرضت في هذا المؤتمر الذي عقد في عام ١٩١٣م أحدث الاكتشافات الطبية، وآخر ما توصل إليه علم الطب والصيدلة في أوربا وأمريكا.

وبعد أن تولى هوردبلس رئاسة الكلية خلفا لوالده دانيال بلس عمل على تطوير الدراسة بالكلية و إدخال فروع جديدة مثل فرع لعلم الحقوق، وفرع للهندسة، وفرع للزراعة[٤] كما أحدث تطويرا في فروع تخريج المعلمين من حيث عدد السنوات المفروضة والمواد التي يتم تدريسها فيها[٥].

---

(1) Bayard Dodge, op. cit., p. 33.

(٢) الكلية : العدد الثامن، يونيو ١٩١١م، ص ١٨٢ .

(٣) الطبيب : نيسان ١٩١٣، الجزء الرابع، ص ٩٨ .

- انظر أيضا: فلسطين : ١٤ آب ١٩١٣، العدد ٢٩٦، ص ٣ .

- الكلية : العدد السادس، إبريل ١٩١٣، ص ١٤٥ .

(٤) المقتطف : المجلد ٣٤، الجزء الثالث، مارس ١٩٠٩، ص ٣٠٨ .

(٥) الكلية : العدد الثالث، يناير ١٩١٢، ص ٩٤ .

وكانت المشكلة الأساسية التى قابلت القسم الطبى هى موقف الدولة العثمانية التى رفضت الاعتراف بالدبلومات الطبية التى تمنح من مكاتب أجنبية إلا بعد أن يمتحن الطالب أمام مدرسة الطب(*) فى الآستانة(١).

فقد شكل أمر الدبلومات مسألة حيوية بالغة الأهمية للطلبة فى القسم الطبى للكلية الإنجيلية، ذلك لأنه بدون الاعتراف العثمانى لم يكن يستطيع حاملها أن يمارس الطب فى الممالك العثمانية، لـذا فقد قررت الدولة العثمانية أنه على كل طبيب قصد ممارسة مهنة الطب فى الممالك العثمانية أن يذهب للآستانة ويمتحن فى مجلسها الطبى، وإذا نجح يحصل على البراءة السلطانية التى تعطيه حق التطبيب(٢) وذهب دانيال بلس للآستانة بنفسه فى ١٨٧١م فى محاولة للتفاوض مع السلطات العثمانية فى هذا الأمر، ولكنه فشل، وقيل له أن هناك سلطة واحدة فقط فى الدولة العثمانية هى التى فوضت قانونا أن تمنح الدبلومات الطبية، وهى المدرسة السلطانية وعرضت الإدارة العثمانية أن تدفع تكاليف سفر الطلبة للآستانة لتأدية الامتحان(٣) وفى ١٨٩٩م، اعترفت الإدارة العثمانية بالدبلومات التى تمنحها الكلية لخريجى القسم الطبى من الطب والصيدلة، وذلك بأن ترسل الدولة لجنة الممتحنين من الآستانة لامتحان الطلبة فى الكلية فى بيروت، وبذلك جعلت المدرسة الكلية بكل فروعها جزءا من نظام التعليم المنتشر فى كل السلطنة العثمانية وبالتالى أعفيت مبانيها وأراضيها من الضرائب(٤).

(*) التعليم الطبى فى الدولة العثمانية: لم يبدأ التعليم الطبى بمفاهيمه الحديثة فى الدولة العثمانية حتى بدايات القرن التاسع عشر، وكانت مدرسة الطب فى استانبول التى أسست فى القرن ١٦ تدرس الطب وفق المفاهيم الطبية القديمة، وأدخلت عليها العديد من الإصلاحات فى زمن السلطان محمود الثانى" لمزيد من المعلومات راجع: د/ محمد بشير الكاتب: المدرسة الطبية الملكية فى دمشق، ضمن بحوث المؤتمر الدولى.

(١) المقتطف، الجزء السادس من السنة السابعة ١٨٨٣م. ص٣٧١.
- انظر أيضا: المقتطف الجزء ١١، العام ١١، أغسطس، ١٨٨٧، ص٧٠٣.

(٢) المقتطف : الجزء الثانى عشر من السنة الثامنة، أيلول ١٨٨٤، ص ٧٥١.
- عبد الرحمن بك سامى : مرجع سابق، ص ٣٢٥.

(3) A.L. Tibawi, op. cit., p. 203.

(٤) يعقوب صروف : مرجع سابق، ص ٣٠٣.
- الأب مـ يس كولنجت اليسوعى وهنرى نكر (دكتـور) : العرس الفضى للمكتب الفرنسوى الطبى، المشرق، المجلد ١١، العدد ٥، إيار، ١٩٠٨، ص ٣٤٣.

جديــر بالذكر أن الكلية حصلت على اعتراف بدبلوماتها الطبية فى مصـــر منذ عــام ١٨٩٨م، واشترطت مصلحة الصحة أن تكون الشهادات والدبـلومات التى تعطيها المدرسة الكلية للذين يدرسون الطب والصيدلة فيها مختومة من قنصل أمريكا في القاهرة ويشهد أنها تخول حاملها حق ممارسة الطب فى الولايات المتحدة[١].

وبذلــك فقــد تطورت أقسام الكلية من حيث أعداد الأساتذة، وكذلك أعــداد الطلاب، وأيضاً من حيث أنواع المناهج ونظرة مقارنة ما بين عامى ١٨٨٢، و ١٩٠٣م نوضح هذا التطور.

العام	أساتذة	مساعدين أساتذة	محاضرون	مدرسون فى الكلية	فريق الإداريين
١٨٨٢	٦	–	٢	٧	–
١٩٠٣	١٢	٦	١	٢٥	٩[٢]

ومــنذ نشأة الكلية عمل القائمون عليها على إنشاء مكتبة لتكون عوناً للطلــبة فى الاســتزادة مــن العـلوم، وكان الأساس لها الكتب التى جمعها المبشر عالى سميث أثناء ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربية، ففى عام ١٨٦٦م قسمت هذه الكتب بين مدرسة اللاهوت وبين الكلية[٣] ثم أضيف إليها كتب ابتاعتها الإدارة، أو أهديت إليها من أوربا وأمريكا لذا كان أكثرها باللغة الإنجليزية، وفى عام ١٨٩٨ بلغ عدد الكتب فى المكتبة ٨٦٠٠ مجلداً بلغات مختلفة أهمها الإنجليزية والعربية، وهى فى موضوعات مختلفة، وكانت فى غــرفة واحدة طولها ٢٠ متراً وعرضها ١٢ متراً وعلوها ٨ أمتار، وكانت مقســمة لــثلاثة أقسام: فى الثلث الشمالى خزائن الكتب، وفى الثلث الجنوبى معرض النبات والثلث الأوسط للجرائد[٤].

---

(١) المقطم : العدد ٢٦٧٢، ٥ يناير ١٨٩٨، ص ٢ .

(٢) Stephen B.L. Penrose, op. cit., p. 76-77.

(٣) فـــليب دى طرازى : خزائن الكتب العربية فى الخافقين، وزارة التربية والتعليم اللبنانية، بيروت، د.ت، جـــ٢، ص ٤٢٦ .

(٤) شـــكرى أفـــندى معـــلوف : مكتـــبة المدرســـة الكلية السورية، المقتطف، الجزء ١٢، ١٢ ديسمبر ١٨٩٨، ص ٩٠٢ .

وتطورت أعداد الكتب فى بداية القرن العشرين حتى وصلت ١٣,٨٠٠ كتاب بلغات أجنبية و ١٠٠٠ كتاب عربى وتركى مع ٤,١٠٠ مجلد إضافى فى مجموعات خاصة(١).

ثالثا: لغة التدريس بالكلية :

منذ قدوم الإرسالية الأمريكية لبلاد الشام عملت على التقرب من الأهالى، وذلك بدراسة اللغة العربية ليمكنهم التفاهم معهم من خلالها، فى الوقت نفسه بدأت الطباعة بالحروف العربية التى طبع بها الكتاب المقدس والتى أصبحت تعرف باسم "الحروف الأمريكية"، وللوصول للنتائج السابقة تعلم الرعيل الأول من المبشرين مثل كرنيليوس فانديك ويوحنا ورتبات وجورج بوست اللغة العربية، وكتبوا بها العديد من المؤلفات التى ما زالت موجودة ومعظمها فى الطب والزراعة والعلوم الحديثة.

ومنذ نشأة "الكلية الإنجيلية السورية" كانت تعلم علومها المختلفة- بما فى ذلك الطب باللغة العربية، وكان أساتذتها يترجمون ما يحتاجون إليه من الاكتشافات- الحديثة والمخترعات للغة العربية، كذلك كانت لهم المؤلفات الأصيلة بهذه اللغة(٢) ونتج عن ذلك إحياء اللغة وبعث علومها، والثانى إغناء اللغة بمادة العلوم الفنية(٣) وهو ما أدى للانطلاق القومى أو ما يمكن أن نسميه باليقظة العربية الحديثة، وأيضا أدى ذلك لتعريب الكنيسة فى العالم العربى، وإزالة ذلك العائق اللغوى الذى كان يفصل بين المسلمين قراء القرآن والمسيحيين قراء الكتاب المقدس(٤). وظهرت كتب الآداب العربية القديمة، وطبعت المخطوطات، مما أدى لتواصل فكرى كامل بين العرب والتراث العربى القديم، وأثبت التعليم باللغة العربية قدرة هذه اللغة على

---

(1) Stephen, B.L. Penrose, op. cit., pp. 76-77.

(٢) الأمير مصطفى الشهابى : مرجع سابق، ص ٣٠٠.
انظر أيضا: Stephen B.L. Penrose, op. cit., p. 6.
- جميل صليبا : مرجع سابق، ص ٦٢.

(٣) كمال اليازجى : الشيخ إبراهيم الحورانى فى فجر النهضة الحديثة ١٨٤٤ : ١٩١٦، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦١م، ص ٣٨.

(٤) نبيه أمين فارس : مرجع سابق، ص٣٨٧.
- جورجى زيدان : تاريخ آداب، مرجع سابق، جـ٤، ص ٤٠.

التواصل مع الفكر والثقافة والمخترعات الحديثة وأنها لغة مرنة قادرة على التواصل، وليست لغة مجدبة ولا مقفرة.

وابتداء من عام ١٨٧٩م عملت إدارة الكلية الإنجيلية على التعليم في القسم الأدبى باللغة الإنجليزية بدلاً من اللغة العربية، ووعدت الكلية بأن يكون هناك تدريب كامل فى الكتب المقدسة باللغة العربية[١]. هذا فى الوقت الذى تأخر فيه الإعلان عن أن تعليم الطب سيكون باللغة الإنجليزية حتى عام ١٨٨١م وتم تأجيل ذلك لمدة عامين آخرين حتى يتم تأهيل الطلاب لتلقى العلم بهذه اللغة[٢] ومما يلفت النظر هنا هو أن التعليم باللغة الإنجليزية بدأ فى القسم الأدبى قبل القسم الطبى، وهو ما ينفى القول بأن ذلك كان لغنى الإنجليزية بالمصطلحات الحديثة فى العلوم، وإنما هو تخطيط مبنى على أسس عملت الإدارة على تنفيذها، كما أن ذلك ينفى ما يمكن قوله أن القسم الطبى كان يوجد به كرنيليوس فانديك ويوحنا ورتبات وجورج بوست، وأنهم عندما خرجوا فى أزمة ١٨٨٢م، جاء مكانهم أساتذة جدد من أمريكا لا يعرفون اللغة العربية[*]، وهذا القول مردود عليه أن الكلية قد أعلنت عن التدريس باللغة الإنجليزية قبل هذه الأزمة بعام ونصف، فهو قرار سابق ونية مبيته.

وهناك العديد من الآراء حول تغيير لغة التدريس من العربية للإنجليزية، فيرجعها البعض لعامل العصبية، فالأساتذة الأمريكيون يرغبون فى أن يعلموا العلوم بلغتهم، وكان الطلاب من جهتهم يؤثرون تلقى العلوم بلغتهم القومية[٣] ولكن نرى أن هذا العامل وأن كان مهما لكنه لا يمكن أن يكون العامل الأساسى والرئيس فى ذلك.

---

(1) A.L. Tibawi, op. cit., p. 207.

(٢) المقتطف، الجزء الثانى من العام السادس، تموز ١٨٨٠، ص ١٢٨.

- انظر أيضاً: الطبيب، الجزء السابع، ١٨٨١، تموز، عدد ٤٢، ص ١٦٩.

(*) راجع شفيق جحا : مرجع سابق، ص ٣٣٨.

(٣) كمال البازجى : مرجع سابق، ص ٣٩.

ويذكر البعض أن السبب وراء تغيير اللغة يرجع إلى أن مجلس الأمناء رأى توسيع آفاق الانتفاع بالكلية خارج البلاد العربية، بعد أن ثبتت مكانتها ورسخت دعائمها فى البلاد العربية، وأن ذلك لن يتم إلا بتغيير اللغة إلى الإنجليزية بدلاً من العربية[١].

بينما كانت حجة القائمين والمؤيدين لهذا التغيير قائمة على عدة أسس هى:

١- فقدان اللغة العربية لمرونتها وعدم قدرتها على التمشى مع التطور العلمى الحديث الموجود فى العالم الغربى.
٢- صعوبة إيجاد المعلمين من ذوى الخبرة الكافية فى اللغة العربية، وصعوبة إيجاد الكتب المدرسية اللازمة للتدريس، لأن التعليم فى كتب إنجليزية يساعد على الوصول لأحدث الآراء فى العلم والاكتشافات الحديثة.
٣- أن الطالب الذى يدرس العلوم بلغة أجنبية يجد فى ديار الغرب مجالاً للتخصص خلافاً للذى يدرسها بلغته العربية[٢].

هذا فى الوقت الذى يرى فيه المعارضون لهذا التغيير أنه يؤدى فى النهاية للضرر وذلك للأسباب التالية :

١- إنه آفة على المؤلفين، وواسطة لتقليل التأليف باللغة العربية فى كافة مجالات العلوم، مما يؤدى فى النهاية لفقر هذه اللغة فى العلوم الحديثة.
٢- إنه يؤدى لقصر المعارف والعلوم فى فئة واحدة، وهم الذين يحصلون العلوم، ولن تتعداهم لسواهم، لأنهم أيضاً لن يؤلفوا سوى باللغة التى حصلوا بها العلوم وهى اللغة الإنجليزية.
٣- أن التعليم يراد به أيضاً ترقية حال الأمة، وهذا لن يكون إلا بأحياء آداب اللغة العربية، وإنشاء الصحف والمجلات، ولا يتيسر ذلك إلا إذا كانت اللغة العربية هى قاعدة التدريس[٣].

---

(١) أحمد شوكت الشطى: مرجع سابق، ص ٢٨٤ .

(٢) لويس شيخو : رد السهم، المشرق، العدد ٧، إبريل ١٩٠١، ص ٣٣٣ .
- انظر أيضا: فليب حتى : لبنان فى التاريخ، مرجع سابق، ص ٥٥٢ .
- الهلال السنة ١٢، الجزء الأول، أكتوبر ١٩٠٣، ص ١٨ .
- مصطفى الشهابى : مرجع سابق، ص ٣١٣ .

(٣) جورجى زيدان : تاريخ آداب، مرجع سابق، ج٤، ص ٤٢ .
- انظر أيضا: كمال البازجى : مرجع سابق، ص ٣٨ .
- المقتطف، يوليو ١٨٨٥، ص ٦٣٣ .
- المقتطف، يوليو، ١٩٩٣، ص ٦٧٣ .

هذا فى الوقت الذى يرى فيه د/ فانديك "الابن" أنه إذا كانت غاية التعليم أن تجعل المتعلم نافعاً لوطنه بما ينشره فى العلوم والمعارف، فتلميذ المدرسة الكلية الذى لا يقدر أن يعبر عن أفكاره بلغة عربية صحيحة خالية من العبارة الأجنبية السقيمة لا يقدر على إتمام تلك الغاية، لذلك فتغيير لغة التعليم فى الكلية من العربية للإنجليزية خطأ فادح[١].

كانت هذه آراء مؤيدى ومعارضى التغيير والذى يمكننا من خلال استقراء ما حدث فيه أن نستنتج عدة أمور هى :

- أن القول بأن اللغة العربية قاصرة وغير مرنة، مردود عليه بأن الإرسالية نفسها ومن بعدها الكلية استخدمتا اللغة العربية فى ترجمة الكتاب المقدس وترجمة العديد من كتب الطب والعلوم المختلفة، بل استخدمها د/بوست وكرنيليوس فانديك فى التأليف فى المجالات العلمية، مثل الطب والزراعة وغيرها من العلوم، وكان ذلك فى البداية وكان من المقبول التعلل بعدم مرونة اللغة، أما أن يأتى بعد التعليم والتأليف بها لمدة أكثر من خمسين عاماً فهذا تعليل غير مقبول.
- يشعر المتابع لهذا التغيير أنه مرتبط بسياسة استعمارية، وهو ما يدل على أن الكلية قد حولت هدفها شيئاً فشيئاً من الأهداف التنصيرية للأهداف الاستعمارية، فلو ربطنا ما حدث بما فعلته إنجلترا فى وقت مقارب لذلك فى مصر من نجلزة التعليم، لا تضح لنا أنها سياسة استعمارية عامة لنشر النفوذ الاستعمارى، وخلق جيل من الوطنين المرتبطين بدوائر النفوذ الاستعمارى.
- يدل تغيير اللغة على التراجع فى السياسة التى قامت عليها الكلية، وهى السير فى تحويلها لكلية وطنية يسيطر عليها جيل من الأهالى الشوام وهى عادة الإرسالية الأمريكية، وربما كان هذا التراجع بسبب ازدياد أهمية الكلية للسياسة الأمريكية عموماً، فرأت الاستمرار فى السيطرة عليها.
- من الممكن أن نعتبر تغيير اللغة العربية واستبدالها بالإنجليزية بداية للخلاف بين الإرسالية وإدارة الكلية – مجلس الأمناء فى أمريكا – هذا الخلاف المكتوم الذى استمر لأكثر من ثلاثين عاماً حتى تم الانفصال بينهما؛ وذلك لأن الإرسالية حينما أغلقت مدرسة عبية التى كانت تخرج الوعاظ والمبشرين نقلت طلبتها للكلية ورأت فيها البديل، ولكن حينما

(١) المقتطف، إبريل ١٩٢١، ص ٣٧٢.

تغيرت اللغة، فقدت الكلية أهم مزاياها للإرسالية، لأنه لا يمكن تخريج وعاظ يتكلمون بالإنجليزية للعمل فى وسط الشوام.

- ويلاحظ بذلك أن الكلية كانت تستخدم اللغة العربية فى البداية، فى محاولة للتقرب من العرب، وإقناعهم أنهم ما جاؤوا إلا لخدمتهم، فى نفس الوقت فهى تهدف لإبراز العامل القومى العربى لإسقاط الدولة العثمانية، وهى العائق الأساسى فى سبيل أعمالهم - حتى وهى ضعيفة - ولم تكن الكلية ترى مانعا من التقريب بين المسيحيين والمسلمين عن طريق إقناعهم بأن أصل حضارتهم واحد وهى الحضارة المسيحية التى هى فى الأصل- كما يقولون - حضارة مسيحية، لذا كانت حركة إحياء الآداب العربية والآداب الجاهلى لإبراز هذا الأمر. ولكن بعد أن حققوا العديد من النجاحات، وثبتوا جذورهم فى التربة الشامية غيروا اللغة، وذلك حتى يكون هناك فجوة بين المتعلم ولغته العربية الفصحى، فإذا تكلم لا يتكلم إلا بالعامية[*]، ولا مانع من تذكير المتعلمين بأن لغتهم العربية عاجزة عن مواكبة التقدم العلمى مما يثير عوامل النقص بداخل هؤلاء.

رابعاً: الطلاب وجنسياتهم :

افتتحت الكلية الإنجيلية السورية أبوابها للتعليم وهى تضم ستة عشر طالبا فقط، وأخذ عدد الطلبة فى الازدياد بمرور السنوات، وبازدياد شهرة الكلية، ونتيجة لأن للكلية العديد من الأهداف أهمها محاولة ربط الطلبة الذين يتعلمون فيها بها دائما، فقد كانت تهدف لخلق جيل مرتبط بالثقافة الأمريكية، ومن ثم بالسياسة الأمريكية، لذا كان هناك اهتمام بارز بالطلبة.

اتبعت الكلية نفس النظام الجامعى السائد فى الولايات المتحدة الأمريكية، من حيث العناية بسكن الطلاب ومأكلهم وملاعبهم وحياتهم الاجتماعية خارج الدراسة، وتشجيع إقامة العلاقات الشخصية بين الطالب والأستاذ[١]. وبهذه الطريقة نجحت الكلية فى تخريج الرعيل الأول من أبناء البلاد الذين قاموا بالدور القيادى فى اليقظة القومية[٢]. وكان نتيجة لذلك أن

(*) يتفق هذا مع الدعوة التى تبناها عدد من خريجى الكلية وهى الدعوة للعامية بدلا من الفصحى.

(١) فليب حتى : لبنان فى التاريخ، ترجمة أنيس فريحة، مراجعة نقولا زيادة، مؤسسة فرنكلين، بيروت، ص٥٥٢ .

(٢) نور الدين حاطوم : مرجع سابق، ص ٢١ .

فتحت الكلية أبوابها ليس فقط للشوام، بل انضم إلى مراحل تعليمها بمستوياته ونوعياته المختلفة طلاب من جنسيات كثيرة ومن شرقى أفريقيا[١]. ونحن وإن كنا لا نمتلك إحصاءات دقيقة عن أعداد الطلبة وجنسياتهم فى الفترة الأولى لنشأة الكلية، إلا أنه يمكننا القول- من خلال مذكرات بعض الطلاب ومن خلال المصادر المختلفة لهذه الفترة- أن الكلية ضمت بين صفوفها أعداداً كبيرة من الطلاب من مختلف الجنسيات والمذاهب الدينية، لحد أنه فى عام ١٨٨١م كان يوجد بها طلاب من مدن مختلفة حتى من خارج الشام، مثل العراق ومصر وأواسط أسيا وشرقى أفريقيا[٢].

ويلاحظ أن الكلية الإنجيلية كانت تدعو بين الحين والآخر خريجيها - أو بالأحرى مشاهيرهم - ليخطبوا فى احتفالاتهم السنوية، من بينها ذلك الحفل الذى عقد فيها يوم ١٣ يوليو ١٨٩٨م وكان الخطيب هو أخنوخ أفندى فانوس من مصر، والذى تخرج عام ١٨٧٤م[٣]. وأخنوخ فانوس[*] هذا هو صاحب فكرة المؤتمر القبطى فى مصر ١٩١١م فلو ربطنا بين الشخص والدور الذى قام به فى تاريخ مصر، وما كان يحمله من أفكار وبين التعليم فى الكلية الإنجيلية السورية التى ربت هذه الأفكار، لأمكننا القول أن التعليم داخل أرجاء الكلية كان الموجه الرئيسى والأساسى لقيامه بالدور الذى لعبه فيما بعد.

وحتى لا تنتهى العلاقة بين الكلية ومتخرجيها، فقد قامت بالاتصال بهم جميعا للحصول على عناوينهم ووظائفهم، وقامت بترتيب ذلك على كروت، حتى يمكن الاتصال بهم فى كافة الأمور لتقوية أواصر العلاقة بين الكلية وأبناؤها، وهى تذكر أن ذلك هو نمط التهذيب الأنكلوسكسونى الذى

---

(١) نبيل عبد الحميد: مرجع سابق، ص٢٣١

(٢)مجلة الكلية، نوفمبر، ١٩٢٣، ص٤٤ .

- انظر أيضاً: المقتطف: الجزء الثامن أغسطس ١٩٨٩م، ص٥٩٠ .

- الجوانب المصرية: ٢٨ سبتمبر ١٩٠٣، ص١ .

(٣) المقتطف : الجزء الثامن، ٢٢ أغسطس ١٨٩٨، ص ٥٩٠ .

(*) بدأ أخنوخ فانوس فى الضرب على أوتار الطائفية وكان له دورٌ كبيرٌ فى انعقاد المؤتمر القبطى، وقبل ذلك له كتاب يطالب فيه بالدعوة للوطنية فى مقابل الجامعة الإسلامية وفى نفس الكتاب طالب بالفصل بين الدين والدولة. راجع لمزيد من المعلومات أمنة حجازى: الوطنية المصرية فى العصر الحديث، هـ.م.ع، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٤٥٣،٤٥٤ .

يربى الطلبة على محبة مدرستهم التى ترعرعوا فى أحضانها، ولذا سميت "الأم المربية Almamater وذلك اشعارا بمكانتها فى نفوسهم[١]. ومن فترة لأخرى كانت الكلية تقيم المآدب وتدعوا طلبتها وخريجيها للاجتماع معا، من ذلك ما حدث فى ١٩١١ حينما أقامت الكلية حفلا ضم خريجيها من العلماء والشعراء والأطباء والصيادلة والتجاريين، وهم ينتمون لمذاهب دينية مختلفة ولجنسيات مختلفة، والاجتماع لزيادة أواصر المحبة بين الجميع، وأيضا بينهم وبين الكلية[٢]. وفى مثل هذه الاحتفالات كانت تلقى الخطب، التى تدور حول الالتفاف حول الكلية وأهدافها والعمل على نشر مبادئها، وأن المرء غنى بأخيه فيجب أن يجتمع الخريجون معا لأنه يترتب على الكثرة القوة، خصوصا وهم ينتمون لأم واحدة، والسعى وراء العلوم العملية والعمل بها لا يتوقف بانتهاء الدراسة[٣].

واستنت إدارة الكلية تقليداً جديداً لربط خريجيها بها، وللقيام الفعلى بدور الأم لهؤلاء الخريجين، من ذلك أنها كانت تقيم حفلات التأبين لمن يتوفى من خريجيها، من ذلك حفل تأبين المرحومين د/ أمين ناصيف ود/ جبران بيطار وحضرة رئيس الكلية الذى ذكر أن الكلية ليست عبارة عن البنايات القائمة فقط بل هى عبارة عن الطلاب وأساتذتهم المقيمين فيها والذين تخرجوا منها، وبموت واحد من هؤلاء تكون الكلية خسرت عضو من جسمها[٤]. هذا على الرغم من أن المتوفيين كانا قد تخرجا قبل وفاتهما بعدة أعوام.

وعملت الكلية على الربط بين طلابها وبين الطلاب المسيحيين فى العالم، على اختلاف المذاهب الدينية، فأرسلت وفد من طلبتها لحضور مؤتمر جمعية الطلبة المسيحيين فى العالم، والذى عقد فى كلية روبرت بالآستانة، وعقد اجتماعاته فى الفترة من ٢٤ : ٢٨ إبريل ١٩١١م، ومن الطريف أن فليب حتى كان عضواً فى وفد الكلية السورية، وهو الذى كتب عنه لمجلتها[٥].

---

(١) الكلية : المجلد الأول، العدد ٤، مايو ١٩١٠، ص ١٢٤ .

(٢) الكلية : العدد الثامن، يونيو ١٩١١، ص ١٦٦ .

(٣) الكلية : العدد الرابع، فبراير ١٩١٣، ص ١٠٣ .

(٤) الكلية، المجلد الرابع، العدد الأول، نوفمبر ١٩١٢، ص ١٩ .

(٥) الكلية، العدد السابع، مايو ١٩١١، ص ١٤١ .

وكان لخريجي "الكلية الإنجيلية السورية" فى مصر نشاطاً متميزاً من ذلـــك إنشاء نادى أدبى ليضم شمل خريجي هذه الكلية الموجودين في مصر، وانتخبوا أربعة من بينهم لإدارة هذا النادى[١] وأقام هذا النادى الذى أسس فى عـــام ١٩١٣م العديـــد من الحفلات التى دعا إليها علية القوم وكبار الأدباء والسياســيين، من ذلك الحفل الذى أقيم تكريما لرئيس الكلية "هورد بلس" فى ١٧ فـبراير ١٩١٤، وخطب فيه خمسة من الخريجين، ودارت خطبهم حول الاتحــاد بيــن خريجى الكلية والدعوة للارتباط بالكلية، والسعى لربط عرى الصداقة بين شباب مصر وشباب سورية الذين يطلبون العلم فى الكلية، وعدد الفريقين لا يقل عن ٧٥٠ طالبا، كذلك العمل على رفع شأن الشرق وإيقاظه باستخدام الفكر الذى تعلموه من الكلية[٢].

وكـــانت الكلية ترسل لمصر كل عام قبل افتتاح السنة الدراسية أحد أساتذتها مندوباً ليمهد السبيل لمن يريدون الالتحاق بها، فى نفس الوقت كان الغرض الثانى من مهمة هذا المندوب العمل على رؤية خريجى هذه المدرسة الموجوديـــن بمصـــر، والاجتماع بهم لزيادة أواصر الصداقة والروابط بينهم وبيـــن الكلية[٣] وأدى نشاط خريجى هذه الكلية فى القاهرة، والذين سيطروا عـــلى الصـــحافة ومـــلأوا الحياة الثقافية مثال ذلك جورجى زيدان ويعقوب صـــروف وفـــارس نمر وشاهين مكاريوس وغيرهم، ساعد ذلك على ازدياد شهرتها بين المصريين، حتى ذهب إليها أبناء الطبقة الارستقراطية المصرية، مـــن ذلك أن الخديوى عباس حلمى أرسل أحد أمراء الأسرة الخديوية، وهو الأميـــر محمـــد عـــلى بك ابن الأمير حسين بك كامل للتعليم فيها وكان معه الشاعر أحمد شوقى الذى أنشد قصيدة فى مدح الكلية مما جاء فيها :

مدينة العلم أم دار مباركـــــة ... أم معبد من جلال العلـــم أم حـــرم
أم أدركت أمريكا وهى محسنة ... أن المعارف فى أهـــل النهى نمـــم
بنت بيروت دار العلم جامعـــة ... نعم البناء ونعم الحصن والهـــرم[٤]

كمـــا أن الكـــلية كانت ترسل للسودان، ولكل مكان به خريجيها من يطمـــئن عليهم وعلى أعمالهم، ولربطهم بالكلية، من ذلك زيارة رئيس الكلية

---

(١) الكلية، العدد الثامن، يونيو ١٩١٣، ٢٢٥ .

(٢) المقطم : ١٩ فبراير ١٩١٤، العدد ٧٥٧، ص ٥ .

(٣) الكلية : العدد الثامن، يونيو ١٩١٣، ص ٢٢٤ .

(٤) مجلة سركيس : الجزء السابع، العدد ١٣، ١ نوفمبر، ١٩٠٥م، ص ٢ .

"هورد بلس" للسودان بصحبة المستر "جايمس" أحد أمناء الكلية فى نيويورك، وتردد فى الخطب التى ألقيت لتكريمهما من جانب الخريجين أبناء الكلية، أن الفضل الأكبر فى العمران الحديث الذى تشهده المنطقة العربية عائد للعمران المسيحى الذى تفوق على الحضارة المصرية القديمة وغيرها، لأنــه يعلـم أصحابه أن يفيدوا الأمم الأخرى ويتركوا الأنانية، وهذا هو السبب الذى دعا كرماء أمريكا لإنشاء "الكلية الإنجيلية السورية"[١].

ويتضح مما سبق، أن الكلية قامت بالفعل بدور الأم الراعية لأبنائــها الذين تعلموا مهما بعدوا فى أصقاع الأرض المختلفة، فكانت ترسل إليهم من يتابع أعمالهم، ومن يدعوهم إليها سواء للخطابة أو للاحتفالات المختلفة التى تقيمها، وهى تعمل على أن تساعدهم فى تولى أعلى المناصب فى الأمـاكن التى يقيمون فيها. كما تدعوهم للاتحاد فيما بينهم وتكوين الأندية المختلفـة لخريجى الكلية، من ذلك نادى خريجى الكلية فى القاهرة، وهم بذلـك خـير دعاة للكلية وأفكارها ومبادئها حتى الأفكار والمبادئ الدينية التى تعلموها فى الكلية.

وبذلك كان هؤلاء الطلبة الذين تلقوا تعليمهم فى المدرسة الكلية خـير أنصار للثقافة الأمريكية، ومن ثم خير أعوان للسياسة الأمريكية التى أخـذت منذ أواخر القرن التاسع عشر وبدايات العشرين للبحث عن موطئ قدم فـى الشرق العربى، وكان اعتمادها الأساسى على هؤلاء الخريجيين.

خامساً: صحافـة الكليـة :

عملت الكلية على أن يكون لها صحيفتها التـى تظـهر صورتـها، وتكون عنواناً لها بين الناس، وذلك حتى تكون نظيرة لما يحدث فى كليـات أمريكا وأوروبا، وتأخر ذلك حتى عام ١٩١٠م، حينما أصدرت مجلة "الكليـة فى مايو ١٩١٠م".

ولم يكن هناك قبل إصدار مجلة الكلية صحـف للكليـة إلا بعـض الصحف الداخلية الصغيرة التى يحررها الطلبـة، وهـى أشـبه بـالصحف المدرسية، من ذلك صحيفة "المهماز". وهى صحيفة ساخرة كـان يحررهـا اثنان من الطلبة، واتخذت وسيلة لنشر الفضيلة بين الطلبة ولزجر الخـارجين منهم عن الآداب العامة[٢]. ولكن مجلة الكلية كـانت مجلـة تـوزع علـى

---

(١) الكلية : المجلد الرابع، العدد الرابع، فبراير، ١٩١٣، ص ١١١ .

(٢) دواد قربان : الكلية فى أيام تلمذتنا، مجلة الكلية، العدد الثالث، ينـاير ١٩١١، السنة الثانية، ص ٥٣ .

المشتركين من خارج الكلية سواء من خريجيها أو الراغبين فـــى الاســتزادة الثقافية، وتأخر إصدارها لعام ١٩١٠م بسبب وجود قـــانون الرقابـــة علـــى المطبوعات، وعندما ألغى صدر عددها الأول[١] وكان الغرض من إنشـــائها الآتى :

١- أن يكون للمدرسة الكلية، جريدة مثلما يحدث فى الكليـــات الكبـــيرة فـــى أمريكا وأوروبا، لتكون صلة محسوسة بينها وبيـــن تلامذتـــها القدمـــاء والمحدثين.
٢- أن تكون وسيلة لنشر أخبار الكلية وتبليغها لأبنائها ومريديها الذين يحبون الوقوف عليها، وأيضا واسطة لاستجلاب أخبار أبنائـــــها ومعرفـــة مـــا يعملون فى حياتهم الجديدة.
٣- ألا تكون المجلة متخصصة فى أمر واحد كالأمور العلميـــة مثـــلا، بـــل ستكون مجلة متنوعة في كافة المجالات، وهى فى ذلك لن تتحدث فـــى السياسة العثمانية، أو الأحوال السياسية القائمة فى الشام، ولكنها ستتحدث فى السياسة من الوجهة العمرانية[٢].

أما عن "مباحث الكلية" فهى :

١- التركيز على أخبار المدرسة الكلية وحوادثها التـــى يتشـــوق لمعرفتـــها خريجوها.
٢- ذكر أسماء الذين يزورون الكلية من الخريجين ومن كبار الزوار، الذيـــن يتركون فى المدرسة أثرا محمودا.
٣- مقالات من بعض أساتذة الكلية فيما يتعلق بالموضوعات التى يدرسونها.
٤- مقتطفات أخبار الخريجين ومراسلاتهم.
٥- باب للتربية وينشر به مقالات مختصرة فى مبادئ التربية والتعليم.
٦- باب تقريظ الكتب الجديدة وانتقادها[٣].

أما لغة المجلة فقد كانت الإنجليزية هى الغالبة عليـــها، مـــع بعـــض الموضوعات القليلة باللغة العربية، وكانت حجتهم فى ذلك أن الإنجليزية هـــى اللغة التى يفهمها كل متخرجى الكلية وأبنائها العديدين، كان هذا ردهم علـــى الانتقادات التى وجهت إليهم عن ما هو عذر المجلة الشهرية فى بلاد عربيـــة تقع فى القليل المنشور بالعربية فيها أغلاط لغوية من أساتذة اشتهروا بأنـــهم من المدققين"[٤] وحينما صدرت المجلة أرسلت أعداد منها لكل خريجى الكليـــة

---

(١) مجلة الكلية، العدد الأول، فبراير ١٩١٠، ص ٣ .
(٢) مجلة الكلية، العدد الأول، فبراير ١٩١٠، ص ٥ .
(٣) مجلة الكلية، العدد الأول، فبراير ١٩١٠، ص ٥ .
(٤) الكلية : العدد الأول، السنة الثانية، نوفمبر ١٩١٠م، ص ٢ .

ممن له عنوان مسجل فى سجل المدرسة، وأرسلت كذلك للطلبة الذيـن مـا زالوا فى الدراسة، حتى إذا أحب أحدهم الاشتراك فى المجلة أرسل إليها[١].

أما عن المجلة فيلاحظ عليها الآتى :

١- أنها عملت على رفع قيمة الكلية السورية، والإحاطة بأعمالها وما قدمتـه من خدمات للشام والعالم العربى كله والتنويه بذلك دائماً.

٢- عملت على الحديث عن أساتذة الكليـة مـن المبشـرين الأمريكييـن، والتعريف بأعمالهم، والدعوة للاقتداء بهم بين الشباب، من هؤلاء يوحنـا ورتبات وبلس وكرنيليوس فانديك، ففى الحديث عنهم تستخدم المجلة لغة التبجيل وتدعو لتخليد ذكراهم، فعند الحديث عن فانديك تقول "كان حـب التلامذة له يقرب من العبادة بل كان فى عيونهم معبوداً بشريا"[٢] وهـم فى ذلك يعلون من شأن الإرسالية الأمريكية، ويعزون إليها كل فضـل فيما حدث للشام من تغيير فكرى.

٣- حاولت ضرب المعتقدات الدينية لبقية الطوائف غير البروتستانتية "عـن طريق القول أن لكل رجل من رجال الله – يقصد نبى – تعاليم أفـادت فى زمانها ومكانها، ولكن بعد أن تقدم البشر أصبحت هـذه التعـاليم لا تنطبق على النظريات الحديثة، وأن ذلك حدث فى كل الأديان فيما عـدا التعاليم المسيحية فهى التى أدت لارتقاء النوع البشرى"[٣].

٤- حاولت "الكلية" من طرف خفى اتهام المسلمين بالعداء للحركة الفكريـة والتعصب، ولا سيما فى العصر العباسى حينما قتل المهدى صالح بـن عبد القدوس، وأصبح السائد القول "وهكذا قضى كثـيرون غـيره مـن أصحاب النظر الصائب والفكر الثاقب"[٤] وحاولت المجلة تبنـى رؤيـة مؤداها أن المسيحية هى صاحبة الفضل فى التقدم الفكرى الذى يدين بـه الشرق العربى لها، بعكس بقية الأديان والحضارات السابقة التى وقفـت حجر عثرة أمام أى تقدم.

وهكذا يتضح لنا أن الكلية الإنجيلية السورية لعبت دوراً بارزاً فـى خدمة الحركة التبشيرية الأمريكية، ليس فقط فى بلاد الشام بل فى المنطقـة الشرق أوسطية بأكملها، إلى أن أصبح لها دور سياسى بارز فى المنطقة.

---

(١) الكلية : المجلد ١، العدد ٤، مايو ١٩١٠، ص ١٢٣ .

(٢) الكلية : العدد الرابع، فبراير، ١٩١١، ص ٦٢ .

(٣) للتدليل على ذلك راجع فليب حتى : مؤتمر الطلبة المسيحيين فى العالم، العـدد السابع، مايو ١٩١١، ص ١٥ .

(٤) أنيس الخورى المقدسى : الحركة الفكرية فى الدولة العباسية، الكليـة، العـدد الرابع، فبراير، ١٩١١، ص ٧ .



الفصل الخامس

التأثير الفكرى للإرسالية الأمريكية فى بلاد الشام



ابتداء من النصف الثانى من القرن التاسع عشر حدثت نهضة فكرية فى بـلاد الشام، وارتبطت هذه النهضة فى أساسها بالإرسالية الأمريكية [١] الـتى عمـلت على إحياء الآداب العربية وكذلك إدخال المصطلحات العلمية الحديـثة للغة العربية عن طريق الترجمة، وبذلك ألفت وترجمت العديد من الكتب العلمية التى تبحث فى العلوم المختلفة لأول مرة فى تاريخ هذه البلاد، وساعد على ذلك عاملات فى غاية الأهمية.

أولهمـــا : تقدم وانتشار الطباعة التى ارتبطت فى أساس نشأتها بالإرسالية الأمريكية فى الشام.

ثانيهمـــا: التنافس الهائل بين الإرسالية الأمريكية وبقية الإرساليات الأخرى وهو ما أدى لزيادة الإنتاج الفكرى فى مختلف مجالاته، وبذلك فقد كـان المبشرون الأمريكان هم أول أداة للتغلغل الثقافى فى العالم العربى الحديث ، والبداية كانت فى بلاد الشام.

وكـــان أمرا طبيعيا أن يتجه المثقفون فى بادئ الأمر للنواحى الأدبية والتاريخية لأنها أسهل تناولاً، فقد بدأت المدارس والمطابع والصحف مسيحية تبشـيرية تسـعى لنشر الثقافة الدينية بين المسيحيين العرب وأيضاً لتعرف المسـلمين بمـا لـدى المسيحيين من ثقافة وقيم، لذا كان الاتجاه الأول لدى المبشـرين هـو تنصـير العربية وتعريب النصرانية[٢] ولعبت المنافسة بين الإرسـاليات دورًا كـبيرًا فى الـتحول الفكـرى، فقـد كانت الحافز الأول فى إيقـاظ الحياة الفـكرية، ونال النـصارى مـن سـكان الشام قسطاً مـن هـذه الـثقافة، فأصـبحوا فى الـبداية أول من تبنى الفكر القومى[٣]

---

(١) بدأ الاستشراق بدراسة اللغة العربية والإسلام وعادات الشرق وتقاليده وجغرافيته وأشهر لغاتـه والآداب العـربية والحضارة الإسلامية ، وجاء التبشير ليرث دور الاستشراق ويكمله ، وليصبح أهم المبشرين من كبار المستشرقين ، والهدف الدينى واضح تماما فى الحالتين . راجع محمد بن ناصر الشترى (دكتور) : التنصير فى البلاد الإسلامية ، دار الحبيب ، ١٩٩٨ ، ص٥٢ .

(٢) عبدالكريم غرايبة، مرجع سابق، ص١٩٤ .

(٣) القوميـة بالمعيـار الإسلامى ما هى إلا دعوة إلى عصبية ، وهى مرفوضة إسلاميا لقول الرسول الكريم : "دعوها فإنها منتنة" ، وعمل التبشير على الاهتمام بالدعوة إلى القومية ، فحـين تكـون القومية هى أساس التجمع لا يكون هناك مانع من تقبل ما يرد من الغرب من أفكار وعادات وتقاليد دونما نظر إلى ما كان منها موافقا للإسلام أو مخالفا لـه . وقـد اهتمت الإرسالية الأمريكية بالدعوة إلى الفكر القومى ودائما كانت = =الإرسـالية اليسوعية تأتى من بعدها فى الدعوة لنفس الفكرة ، فى الوقت ذاته ارتبط

وانطلقت جذوة العلوم الطبيعية والرياضيـــة والطبيـــة مـــن الكليـــة الإنجيلية السورية [الجامعة الأمريكية فيما بعد] وساعد على ذلك فى البدايـــة أن التعليم كان يدرس باللغة العربية أولا، وأن عدد مـــن أســاتذتها الأوائـل مثل فانديك ويوحنا ورتبات وجورج بوست ألفوا الكتب العديدة باللغة العربيـــة مما أدى لإثرائها.

وبذلك لعب هؤلاء الأساتذة جهدا فى انتقاء المصطلحات العربية التـى تناسب مثيلتها فى اللغة الإنجليزية، وساعدهم على ذلك معرفتهم بدخائل اللغـة العربية وولعهم بها، ولع يحاكى اللغويين مـــن أبنائـــها الذيـــن عاشـــروهم وصادقوهم وتتلمذوا عليهم[٢] وقدم هذا خدمة جليلة للغة العربية .

ونجحت الإرسالية الأمريكية فى بلاد الشام، فى تخريج أجيـــال مـــن المرتبطين بهم والذين تنشأوا على أيديهم، وقاموا بالتأليف فى كافة مجـــالات المعرفة، فقام أحمد فارس الشدياق، وناصيف اليـــازجى وبطـــرس البســتانى وغيرهم كثيرون بالتأليف وإنشاء الصحف والجمعيات وهو ما ســـاعد علـــى بداية النهضة فى المدن الشامية[٣].

وبدأت حركة التحديث الفكرى فى بلاد الشام فى الأساس على النمـــط الغربى، وذلك راجع لكثرة عدد النصارى فيه وارتبـــاط معظمـــهم بالثقافـــة الغربية ، بعكس الازدواجية التى حدثت فى الدولة العثمانية ومصـــر أثنـــاء القرن التاسع عشر. وقامت هذه النهضة على عدة أسس نحـــاول أن نعـــرض لها بالتفصيل وهى:

- الطباعة. – الترجمـــة.
- التأليف. – توزيع الكتب وإقامة المكتبات.
- الصحافة. – الجمعيـــات.

=الإرسالية اليسوعية تأتى من بعدها فى الدعوة لنفس الفكرة ، فى الوقت ذاته ارتبـــط النشاط اليسوعى بطائفة الموارنة وانصب عليها جل اهتمامه . لمزيد مـــن المعلومـــات راجع : محمد قطب : مذاهب فكرية معاصرة ، دار الشروق ، القـاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ١٧٧.

(١) فليب حتى (دكتور): مرجع سابق، ص٥٥١ .

(٢) أحمد شوكت الشطى مرجع سابق، ص٢٨٨ .

(٣) جميل صليبا (دكتور): الاتجاهات الفكرية فى بلاد الشام وأثرها فى الأدب الحديث، معـــهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٥٨، ص٧٣ .

أولا- الطباعة :

تلعب الطباعة أكبر الأثر فى أى تحول فكرى ، فعن طريقها يتم نشر الكلمة المكتوبة لتصل إلى أى مكان نائى داخل البلاد(*) وبها تزدهر المعارف من ترجمة وتأليف وصحافة، وحول هذه المعارف تنشأ الجمعيات العلمية والأدبية والسياسية وما يحدث من مناظرات وجدال فى الرأى وسجالات حول الأفكار الجديدة.

ولم تكن الطباعة معروفة على مدى واسع فى الشام طوال القرون ١٦،١٧،١٨ وحتى بداية القرن التاسع عشر باستثناء بعض آلات الطباعة الحجرية الموجودة فى بعض الأديرة مثل "دير قزحيا" المارونى، ولم تلعب هذه المطابع الصغيرة أى دور يذكر خارج الطوائف التى تمتلكها وأيضاً على أضيق نطاق، حتى كانت الانفراجة الكبيرة بنقل المطبعة الأمريكية (**) من مالطة إلى الشام، فلعبت أخطر الأدوار فى التحول الفكرى الذى شهدته بلاد الشام آنذاك - كما سيتبين من العرض التالى.

أنشئت المطبعة الأمريكية فى مالطة عام ١٨٢٢م بعد أن صارت هذه الجزيرة تحت حكم الإنجليز(١) وكانت هذه المطبعة تهتم بطبع الكتب الدينية

(*) يذكر القس صموئيل زويمر- وهو من أشهر المبشرين الأمريكيين فى القرن التاسع عشر- قوله عن الطباعة "الطباعة والمطبوعات هى الصوت الحر والقوة العامة فى الحياة السطحية والنفس الداخلية، هى قوة فى العالم الإسلامى اليوم، وتأثيرها لا يحصر فإن أصواتنا لا تقدر أن تصل إلى أماكن عديدة وتلك الميزة الأولى للطباعة، فالمطبوعات يتعدى تأثيرها الأفراد والجماعات لأنها تصل إلى بيوت نائية وعائلات بائسة – هى المبشر الحاضر فى كل زمان ومكان. صموئيل زويمر : مرجع سابق، ص٧١ .

(**) يذكر أحد التقارير الخاصة بالإرسالية الأمريكية "بخصوص انتشار المعارف المسيحية عن طريق الطباعة والرحلات والتعليم فقد لوحظ أن الطباعة قد حققت بالفعل درجة من التأثير تفوق المتوقع، كما أن عدد اللغات التى من خلالها قد أصبح هناك مصدر ذو أثر طيب أصبح موجود، فقد أصبحت الكتب والكراسات المتنوعة فى متناول الأيدى فعلا، وهذا العمل– الطباعة فى تقدم مستمر وهى تقدم خدمات جليلة لنا

-Missionary Herald, Feb, 1830. Operations Of The church missionary, socity in The Mediterranean. Pp. 55 – 57.

(١) الأب لويس شيخو: تاريخ فن الطباعة فى المشرق، العدد ١١، المجلد ٣، حزيران ١٩٠٠.انظر أيضا: نور الدين حاطوم - مرجع سابق، ص٢٥ .

للإرساليات الأمريكية فى البحر المتوسط، الشام،اليونان، الدولة العثمانية وعندما ثار سؤال لماذا لا تنقل المطبعة إلى اليونان أو إلى بيروت بحيث تكون قريبة من الذين أسست الإرسالية والمطبعة لخدمتهم، جاء رد القائمين عليها أن مكان المطبعة فى مالطة دائما مكان مؤقت، وأن المكان الطبيعى لها بالفعل بيروت أو سمرنا "Smyrna" فى اليونان، ولكن ذلك غير مناسب لعدة أسباب هى: أن نقلها للأماكن السابقة سوف يجلب معارضة شديدة لها، وسوف تتدخل السلطات ضدها، وهو ما يؤدى لعرقلتها أو توقف عملها، كذلك هناك نزاعات داخلية فى الدولة العثمانية قد توقف عملها، ويخشى منها على عمل المطبعة إذا ما نقلت لأحد المكانين السابقين بعكس مالطة التى يوجد بها حكومة مستقرة ومكان آمن للعمل[١].

وكانت مطبعة مالطة ومنذ البداية توجه كل جهودها لإصدار الكتب الدينية وكذلك الكتب المدرسية اللازمة لمدارس الإرساليات الأمريكية فى حوض البحر المتوسط، وامتلكت المطبعة منذ بدايتها أطقم حروف مطبعية متميزة للكتابة والطباعة بالإيطالية، واليونانية الحديثة، والأرمينية والعربية التى بدأت فيها بحروف لندن منذ عام ١٨٢٩م[٢]. وكانت الكتب العربية تصل من مالطة لبلاد الشام لتوزع فيها، ففى عام ١٨٣٢م وقبل نقل المطبعة لبيروت أرسل المبشرون يطلبون ٢٠٠٠ كتابا للشام[٣] وهى كمية كبيرة لا ينبغى الاستهانة بها بمقاييس تلك الأيام.

ومنذ عام ١٨٣٣[*] بدأ التفكير فى نقل القسم العربى من المطبعة الأمريكية فى مالطة إلى بيروت بعد أن تغيرت الأحوال، فقد أصبح الشام

---

(1)Missionary Herald - Jan, 1831, Extract Of a letter from Mr. King, Vol. 27 (1831) pp. 42 - 44.

(2)Missionary Herald, Jan 1829, western Asia : stations. Pp 8.9.

(3)Missionary Herald, Oct 1832, Mediterranean pp. 17 – 19.

- انظر أيضا: ميخائيل مشاقة (دكتور): الدليل إلى طاعة الإنجيل، المطبعة الأميركانية، بيروت، ١٨٨٧م، ط٣،ص٨.

(*) منذ نقلت المطبعة الأمريكية من مالطة لبيروت وفى إطار المنافسة مع الإرساليات الأخرى والطوائف الشامية فقد زاد عدد المطابع ففى عام ١٨٧٢م أصبح عدد المطابع ١١ مطبعة، أما المسلمون فقد أسست أول مطبعة لهم ١٨٧٤م، أسسها عبدالقادر القبانى صاحب جريدة ثمرات الفنون. راجع: إلياس ديب مطر: مرجع سابق، ص١١٩. انظر أيضا: لويس شيخو: مرجع سابق، ص١٩٩.

تحت حكم محمد على "وهى حكومة علمانية وفى نفس الوقت مستقرة وتوفر الأمان للعمل، بالنسبة للمبشرين لذا استعدت المطبعة للرحيل[١]، وفى ٨ مايو ١٨٣٤ نقل القسم العربى من المطبعة إلى بيروت[٢] ولكن بقى جزء منها فى مالطة حتى عام ١٨٤٢م، أى بعد التنظيمات العثمانية (١٨٣٩) ، ففى هذا العام -١٨٤٢- نقل تماما إلى بيروت[٣] وربما كان السبب فى بقاء هذا الجزء فى مالطة استكشاف الجو الجديد فى الشام، فبالرغم من سياسة حكم محمد على إلا أن مخاوف الإرسالية كانت ما تزال مستمرة بعض الشئ.

واستقرت المطبعة فى البداية فى قبو مدرسة البنات الأمريكية، ولكن فى عام ١٨٧١ شيد لها بناء خاص بها بجانب الكنيسة الإنجيلية فى بيروت[٤].

ولقد توقفت المطبعة لفترة من الوقت: وذلك بسبب الحروف التى كانوا يستخدمونها، فسافر عالى سميث للقاهرة والأستانة حيث جمع خطوط أمهر خطاطى العصر، وسافر إلى ليبزج، وهناك تم له صنع الحروف العربية الجديدة ذات الحركات[٥] ونقلت هذه الحروف الطباعة العربية نقلة جديدة فى مجال الرقى النوعى.

وكان الهدف من رسالة المطبعة[*] واضحا تماما فى أذهان القائمين عليها، فقد كان هدفهم فى البداية أن تكون مطبعة صغيرة حتى لا تلفت أنظار

---

(1)Missionary Herald, Dec 1833, Printing Establishment for The Mediterranean p443.

(٢)خليل صابات(دكتور):تاريخ الطباعة فى الشرق العربى،دار المعارف القاهرة،١٩٥٨، ص٤٥ .

(٣) أبو الفتوح رضوان : تاريخ مطبعة بولاق ولمحة فى تاريخ الطباعة فى بلدان الشرق الأوسط، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٣، ص٢٥ .

(٤) عبد الكريم غرايبة: مرجع سابق، ص١٧٨ .

(٥) شمس الدين الرفاعى: مرجع سابق، جـ١ ص٣٦ .انظر أيضا: يوسف قزماخورى: مرجع سابق، ص٢٨ .

(*) من المفيد أن نلقى بعض الضوء على الطباعة فى الدولة العثمانية حيث سبقت الآستانة غيرها من بلدان المشرق فى أخذ فن الطباعة عن أوربا فقد قامت فيها أول مطبعة فى الشرق كله. وكانت هذه المطبعة عبرية الحروف لرجل اسمه إسحق جرسون، وأنشئت هذه المطبعة فى أواخر القرن ١٥، كما شهدت الآستانة إنشاء ثانى مطبعة عربية فى الشرق فى العشر الثانى من القرن الثامن عشر، أى بعد مطبعة حلب بحوالى عشر سنوات، ووافق السلطان أحمد الثالث وأصدر الفرمان العالى موقعا عليه بالخط الشريف فى سنة ١١٢٩هـ-١٧١٢م مرخصا بطبع جميع أنواع الكتب إلا كتب التفسير والحديث=

الكارهين لها، وبالرغم من أن الطلب على الكتب لم يكن كبيرا إلا أنه كان يتزايد بدرجة قليلة، فقرر القائمون على أمر المطبعة فى تقرير للإرسالية "أننا ننظر إلى مطبعتنا كواحدة من ثلاث فى العالم كله يصدر منها أى شئ لتنصير السلالة العربية"[١]، والتى ظهر منها المؤيدون الأساسيون للدين الإسلامى، وهناك حاجة لتلك المطبعة التى نشأت بين المسلمين أنفسهم"[٢] لذا سعت المطبعة لنشر الكتب المدرسية" وفى نفس الوقت عملت على إنجاز الأعمال المطبوعة الصغيرة والبسيطة التى تشرح وتقوى المبادئ الجوهرية للمذهب الإنجيلى"[٣] وبذلك فهنا فهم كامل لطبيعة المطبعة" أنها لإرسالية تنصيرية تطبع ما يتفق مع أهدافها فى الأساس وليس مجال لربح مادى.

ومن المفيد أن نذكر أسماء الكتب المطبوعة فى عام ١٨٣٨م وكمياتها حتى يمكننا أن نتبين مجال هذه الكتب، وحجم عمل المطبعة وهى ما تزال فى سنواتها الأولى ففى عام ١٨٣٨ طبعت ٩,٥٠٠ نسخة بعدد صفحات ١,٠٠٤,٠٠٠ ، وهى كلها تشمل الكتب الدينية والكراسات الصغيرة التى كانت توزع على طلبة المدارس التابعة للإرسالية، وأيضا أجزاء صغيرة من التوراة[٤].

وبعد أن كانت المطبعة الأمريكية تعنى بالكراسات الدينية الصغيرة، أخذت فى التوسع فى الكتب سواء لمواجهة حاجة المدارس التابعة للإرسالية، أو من أجل طبع الكتب التى ألفها أعضاء الإرسالية أو التابعون لهم، الذين ارتبطوا بالإرسالية مثل البستانى واليازجى وإبراهيم الحورانى.

أما عن حجم الكتب المطبوعة فى المطبعة فمن خلال ذكر بعض البيانات عن المطبعة يمكننا أن نتبين كم الأعمال التى أخرجتها المطبعة ونوعية الكتب أيضا.

=والفقه والكلام بعد أن أصدر شيخ الإسلام عبدالله باشا أفندى فتوى بجواز ذلك. لمزيد من المعلومات راجع: أبو الفتوح رضوان: مرجع سابق، ص٩:ص١٢.

(1)Missionary Herald, Sep, 1845. Papal seuts in Syria. Pp. 314 – 319.

(2)Missionary Herald, Nov, 1836 Extract from ageneral letter of the missionary, pp.458-967.

(3)Missionary Herald, Nov, 1836, Report of the station at Bayroot for the year 1835, pp. 919-921.

(4)Missionary Herald, Nov, 1839, Report of the mission dated Dec. 1st 1838, pp. 401-405.

الكتب المطبوعة للإرساليات من مطبعة بيروت

عناويــــن الكتــــب	الصفحات	النسـخ	مجموع للصفحات
- الهجائية العربية.		٢٠٠	
- كتاب التراتيل Hymn Book	٢٤	٢٠٠	٤,٨٠٠
- كتاب دينى على طريقـة السـؤال والجواب walt,s cale. Chlsm		١,٠٠٠	١٦,٠٠٠
- أوليات من قواعد اللغة العربية	١٦٨	١,٠٠٠	١٦٨,٠٠٠
- كتاب ابنة بائع اللبن، كرسوسـتوم عـن القـراءة Dalryman,s Daughter, chryso stonon reading	٩٦	٢,٠٠٠	١٩٢,٠٠٠
الكتب المقدسة	١٦٥	٢,٠٠٠	٣٣٠,٠٠٠
المجموع		٦,٤٠٠	٧١٠,٨٠٠[1].

وفى التقرير الذى يليه مباشرة عن أعمال المطبعة يذكر عدد النسـخ بلغ ٩,٥٠٠ نسخة وبلغ عدد الصفحات ١,٠٤٤,٠٠٠[2].

ومن هنا يتضح عدة حقائق:

أن حجم المطبوع كان فى ازدياد شديد مما يعنى زيادة الطلب، وكثرة الرغبة فى القراءة التى بدأت فى الانتشار.

- أن معظم الكتب التى طبعت فى البداية هى كتب دينية تستخدم فى التبشير الإنجيلى للإرساليات الأمريكية سواء فى الشام أو البحر المتوسط.
- أن هذه الكتب لم تكن قاصرة على الشـام فقـد كـانت المطبعـة تمـد الإرساليات الأمريكية فى البحر المتوسط بحاجتها من الكتب.

ومن العرف التبشيرى أن يتم ذكر كمية الطباعة بالاستشهاد بـالعدد الكلى للصفحات التى تم طباعتها، وهذه الطريقة لا توضح ما هو جديد فعليـا

---

(1) Missionary Herald, June 1838, Books printed for The missionary of The Board. p40.

(2)Missionary Herald, Nov 1839, Report of The mission dated – Dec 1st, 1838. Pp 401 – 405.

وما تمت إعادة طبعة مرة أخرى، وهناك أحجام مختلفة لهذه الصفحات يمكن أن نصنفها فعليا فى ثلاثة نماذج.

- كان المعظم بحجم كتيبات صغيرة، وكان عدد كبير بحجم مذكرة جيب مثل كتاب "المرعى على البير" "Al. Mariah Ali al Bir" وهو عبارة عن ١٦ صفحة بمعدل ٥٠ كلمة فى الصفحة.
- كتاب ذخيرة الإيمان، بيروت، ١٨٤٣، وهو ٤٦ صفحة، بمعدل ١٠٠ كلمة فى الصفحة.
- كتاب تعاليم القراءة، بيروت، ١٨٤٦، وهو ٤٨ صفحة بمعدل ١٢٠ كلمة فى الصفحة[١].

وبلغ عدد الكتب التى نشرت فى المطبعة الأمريكية ببيروت من كتب علمية وأدبية ودينية ومدرسية وجدلية بروتستانتية خمسين كتابا قبل عام ١٨٦٠م[٢]، وكان لهذه الكتب أثرها على الحياة الفكرية فى بلاد الشام خصوصا أن هذه الكتب كانت تحمل أفكارا ورؤى جديدة ومختلفة عما هو موجود فى بلاد الشام حتى فى المجال الدينى المسيحى جاءت بمثابة ثورة على كل القديم القائم الذى يدافع عنه رجال الدين المسيحى، فجاءت الإرسالية الأمريكية لتزعزع جدران الفكر الدينى المسيحى القائم ، وهزه من الثوابت التى تحمله[٣] .

ويذكر تقرير للإرسالية فى عام ١٨٤٩م أن هناك العديد من الأسباب التى دعت للارتقاء بأحوال المطبعة وهى.

- الأسس العلمانية للحكومة العثمانية التى ترسخت تماما بعد التنظيمات١٨٥٦م.
- التنوير العام للناس الذى دفعهم لرغبة متزايدة فى المعرفة.

---

(1)A.l. Tibawi , Op. Cit, pp. 198.199.

(٢) الأب لويس شيخو: تاريخ بيروت مرجع سابق، ص١٠١ .

(٣) ومن هذه الكتب : أوستن فلبس وكتابه "نور التعليم فى أخبار العهد القديم" ، وكذلك كتاب يوحنا ورتبات "دليل الصواب إلى صدق الكتاب " ، وكتاب جمس أنس الأمريكانى المسمى "خلاصة الأدلة السنية على صدق أصول الديانة المسيحية " . راجع المقتطف ، الجزء الثامن من المجلد الثانى ، ١٨٧٧ ، ص ١٩٢ . الجزء الخامس ، ١٨٨٠ ، ص ١٣٥ .

- التصادمات بين الكنائس المحلية وأتباعها نمى الاستعداد للتفكير والقراءة[١].

واستفادت المطبعة الأمريكية من النقائص التى عانت منها المطابع الأخرى فى الشام حتى يظل لها قصب السبق على بقية المطابع، مثل مطبعة الموارنة فى دير قزحيا "Kuzheiga" فمعظم الكتب التى كان يتم طبعها فيه للاستخدام داخل الأكليروس، كما أن أسعارها مرتفعة جدا "ذلك أنه فقط الأديرة والكنائس وأغنياء الأكليروس وأغنياء سواد الناس هم الذين يستطيعون تحمل شراء تلك الكتب كما يعترف تقرير للإرسالية[٢] وبذلك فقد كانت المطبعة الأمريكية ذات قدرات عالية فى طباعة الكتب أنهم اعتبروا المطبعة جاهزة تماما لأى عمل يطلب إتمامه كمساعدة فى العمل الكبير لتنصير السلالة العربية"[٣].

وأهم كتاب طبع فى المطبعة الأمريكية على الإطلاق هو ترجمة الكتاب المقدس الذى خرج من الشام لبقية البلاد الناطقة بالضاد[*]، وبلغت المطبعة الأمريكية من التطور حدا جعل مديرها يقول: "إن لدينا تنوع كبير فى العمل أكثر من أى دار نشر أخرى فى الشرق، فقد كان يعمل بها أكثر من ٥٠ شخص، وكان بها قسم للنشر والتجليد، والطبع الحجرى، والمرسية الطباعية الكهربائية، وأعمال الطباعة، وأعمال التخريم، ونقش الخرائط، ونقش الخشب والطباعة بعدة لغات[٤] وهنا أصبحت هذه المطبعة أهم مطبعة فى بلاد الشام كله، وأهم طابع للكتب فى العالم العربى ومصدر لها؛ وطبعت الصحف الخاصة بالإرسالية وكذلك الأطالس، وكانت المطبعة لجانب ذلك من

---

(1)Missionary Herald, June, 1849- Report from the Beirut Station.

(2)Missionary Herald, Sep, 1845. Papal seuts in Syria. Pp. 314 – 319.

(3)Missionary Herald, June 1854, Beirut Annual report. Pp 232-236.

(*) عندما أقامت الإرسالية العربية فى الخليج أول مكتبة أمريكية للكتاب المقدس فى البصرة فى عام ١٨٩٢، فقد حصلت الإرسالية على شحنة كتب كمساعدة من مطبعة الإرسالية الأمريكية فى بيروت، وضمت هذه الكتب أناجيل وتوراة وإسرائيليات وكتب دينية وتعليمية. ومؤلفات ناصيف اليازجى وغيرها راجع محمد فؤاد محمد خليل: مرجع سابق، ص١١٦ .

(4)A.L. Tibawi, op. Cit. Pp 249-250.

أهم مصادر إمداد المطابع التى أنشئت فى مصر والشام فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بالحروف العربية التى أصبحت تعرف باسم الحروف الأمريكية[١].

ثانيا –الترجمة :

لما بدأت الإرسالية الأمريكية فى ممارسة نشاطها التعليمى فى بلاد الشام وأنشأت العديد من المدارس كانت المشكلة الأساسية التى واجهتهم هى الكتب المدرسية والنقص الذى تعانى منه اللغة العربية فى كتب العلوم الحديثة، وكان الحل الوحيد هو "الترجمة، فقام بهذا العمل فى بدايته مجموعة من المبشرين الأمريكيين الذين حذقوا اللغة العربية وأمنوا أن الترجمة أحد أهم الوسائل المساعدة لهم فى ممارسة عملهم التبشيرى، من هؤلاء كرنيليوس فانديك وجورج بوست ويوحنا ورتبات، وهم أساتذة فى الكلية الإنجيلية السورية، وجاء من بعدهم مجموعة من تلاميذيهم الذين ساروا على نفس النهج فى ترجمة الكتب وخصوصا من الإنجليزية للعربية. وعن طريق الترجمات وصلت للقارئ العربى أخر الإنجازات العلمية فى المجالات المختلفة من الطب للهندسة للكيمياء، كذلك أحدث المذاهب الفكرية.

وكانت حركة الترجمة عامة فى الدولة العثمانية آنذاك وليس فى الشام وحده، وقد أثرت هذه الترجمة فى التحول الفكرى فى الدولة العثمانية بصفة عامة وأخطر الترجمات كانت عن الآداب الفرنسية التى عرفت العثمانيين كيف تصنع الثورات وعرفتهم بأفكار الثورة الفرنسية والفلسفات الوضعية، كذلك كتب الطب والفيزياء التى جعلتهم يتعرفون على الأفكار المادية[٢].

ويمكننا القول أن مشروع الترجمة الذى قامت به الإرسالية الأمريكية قد انقسم المشروعين هما:

أ- ترجمة الكتب فى كافة المجالات.

ب- ترجمة الكتاب المقدس للغة العربية - فيما يعرف الآن بترجمة فانديك.

---

(١) أبو الفتوح رضوان : مرجع سابق ، حيث يذكر أن مطبعة بولاق قد اشترت حروف الطباعة من المطبعة الأمريكية ، وأن هذه الحروف عرفت باسم الحروف الأمريكية .

(٢) لمزيد من المعلومات راجع: أكمل الدين إحسان أوغلى: (إشراف وتقديم) الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، جـ٢، استانبول، ١٩٩٩، جـ٢، القسم الخاص بالترجمة.

أ- ترجمـــــة الكتـــــب :

بدأت الترجمات بتوجيه فكرى فى نوعية الاختيار، فالإرسالية كـــانت تختار الكتب التى يتم ترجمتها ، لأنها تحمل أفكارا وتوجهات تريـــد غرســـها فى النفوس والدعوة إليها من خلال الكتب. كذلك بدأت الترجمة بالكتب الدينية أو المرتبطة بالنواحى الدينية فى البدايات على الأقل. فالترجمة هنا صاحبـــة هدف ورسالة فى جذب أبناء الطوائف الأخرى إليهم والتأثير عليهم بما يترجم وحشو أذهانهم بالأفكار التى يريدون بثها.

فمن أوائل الكتب التى ترجموها كتاب "روبنصن كـــروزو" ترجمـــة بطرس البستانى وذكر أن أسباب الترجمة هى:

أولا : أنها مبنية على أساس صحيـــــح وروايـــات صادقـــة.

ثانيا : أن ما بها من الأخبار والحوادث ممكن عقلا ومقبول نقلا.

ثالثا : أنها مهذبة ومنزهة عــــــن كـــلام السفاهة والخلاعـــة.

رابعا : أنها محتوية على حكم وأدب ونكت كبيرة الفائدة تحســـن للخاصـــة والعامة[١]. ولعلهم ترجموه ووزعوه على الناس فـــى تلـك الفـترة المبكرة لأنه يبرز النزعة الإنجيلية، ويعكس فهم الطبقـــة الوســطى، وبذلك عملت الإرسالية على أن تكون بدايات الترجمـــة فيـــها بـث الأفكار التى يؤمنون بها يتضح ذلك أكثر من المثـــال التـالى وهـــو رواية ابن حور التى ألفها بالإنجليزية ليوولص" وترجمـــها للعربيـــة الدكتور كرنيليوس فانديك أهم ما تريد الرواية بثه فى النفوس هـــو أن اليهود نموذج للمروءة وعزة النفس والعفة والوداعة بينما المصريـــون أهل خبث ودهاء، وبالتالى، فالمصريون ظلموا اليهود فى خروجهم[٢] وهنا بدأت دعوة الإرسالية الأمريكية المبكرة لتمكين اليهود شـعب الله المختار كما يؤمنون من العودة لفلسطين باعتبارها وطنـــهم تمـــهيدا لعودة المسيح عليه السلام وهى أفكار تنبـــع مـــن إيمانـــهم بـــالعقيدة الألفية.

---

(١) التحفة البستانية فى الأسفار الكروزية. أو رحلة روبنصن كـــروزى، ترجمـــة وهذبه وناظر طبعه المعلم بطرس البستانى، المطبعـــة الأمريكيـــة، بـــيروت ١٨٦١، ص١ من المقدمة.

(٢)ليوولص: ابن حور، ترجمة كرنيليوس فانديك، المطبعة الأمريكانية، بـــيروت، د/ت .

وعلى نفس النهج وجريا وراء ترسيب نفس الفكـرة السـابقة ترجـم كتاب "أصداء التوارة الذى يتناول الاكتشافات الأثرية فى فلسطين(*)، والتـى جاءت متفقة مع ما ورد فى التوراة كالكتابات والآثار التـى تشـير للخلـق والطوفان واستعباد بنى إسرائيل وهم فى مصر وخروجهم منها[١].

"الترانيم الروحية" وقام القسسان صموئيل جسب وجورج فورد وهمـا من الإرسالية الأمريكية بترجمة مائة وثمانين لحنـا موقعـة بـها ترنيمـات العربية على علامات الموسيقى الغربية[٢] وطلبت الإرسالية مـن الوطنييـن البروتستانت التعاون مع الإرسالية فى نظم ترنيمات جديدة، وفى هذا تشـجيع لهم على الإبداع ومحاكاة الترانيم الغربية، وهنا اسـتفادة كبـيرة جـدا مـن الترجمة التى أصبحت ذات أثر فعال فى الإبداع.

ومن قبيل نفس الاهتمام بالأمر الدينى ترجم بطرس البستانى قصـة "سياحة المسيحى" وهى تبث نفس الأفكار التـى حملتـها قصـة روبنصـن كروزى السابقة من التأكيد على سلامة الحياة الروحية، واحتمال الصعاب فـى

(*) فى عام ١٨٧٠م تم تأسيس الجمعية الأمريكية لاستكشاف فلسـطين "The American Palestine Explorationsoci" وذلك على غـرار صنـدوق استكشاف فلسطين البريطانى، وقام الصندوق ببعض الحفريات فى الضفـة الشرقية للأردن وإعداد خريطة للمنطقة. أمين عبدالله محمـود (دكتـور) مشاريع الاستيطان اليهودى منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهايـة الحـرب العالمية الأولى، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٤، ص٤٤، وفى احتفال مدرسة البنات الأمريكية بطرابلس ١٨٩٢ – ذكر د/ بوست فى خطابه عن جغرافية سورية وفلسطين بعد أن حدد فلسطين على الخريطة التى رسمـت "أن الله سبحانه اختار هذه البلاد مهبطا للوحى ومسكنا لشعبة المختار لأن فيـها جميع الصفات الشاملة للمسكونة كلها" وهناك العديد من الاكتشـافات الأثرية التى اكتشفها أعضاء الإرسالية الأمريكية فى رحلاتهـم لفلسـطين وإطلاق الأسماء التوراتية على الأماكن الجغرافية. المقتطف، الجزء التاسـع، العام السادس عشر، يونيو ١٨٩٢، ص٦٣٢.

(١) المطران ولش: أصداء التوراة، ترجمة أسعد أفندى شدورى، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٨٩٠م.

(٢) المقتطف – الجزء الثامن – السنة العاشرة، مايو ١٨٨٦م، ص٥٠٨.

– انظر أيضا: نور الدين حاطوم: مرجع سابق، ص٢٦.

سبيل الهدف الذى يؤمن به الإنسان كل ذلك فى سبيل الحياة الأبدية التى يجب أن يعمل لها الإنسان[١].

وهناك العديد من الكتب الدينية التى ترجمت باللغة العربية مثل "لماذا تجسد الكلمة" وهو من تأليف أسلموس اللاهوتى رئيس أساقفة كنتربرى وترجمة المعلم بروث وطبع فى المطبعة الأمريكية ببيروت[٢] وكذلك "أمثلة الكتاب "ومواعيد الكتاب" مؤلفهما القس تتردنيوتن، وترجمتهم الإرسالية الأمريكية وطبعا فى المطبعة الأمريكية ببيروت[٣].

ولم تقتصر الترجمات على الكتب الدينية فقط فهناك العديد من الكتب العلمية التى نشرت بعد ترجمتها من لغاتها الأصلية ومن النماذج الدالة على ذلك.

"مبادئ التشريح والفسيولوجيا والهجين" "تأليف د/ كنتر الأميركانى وترجمه للعربية د/ جورج بوست، وبه مائة رسم للتشريح والفسيولوجيا وطبع فى المطبعة الأميركية ببيروت[٤] وفى الجغرافيا" شذرات فى مثيو رولوجية سورية وفلسطين" وهى مقالة تليت فى جمعية بريطانيا الفلسفية ألقاها ثم ترجمها د/ جورج بوست[٥].

وأيضا هناك كتب ترجمت فى القوانين مثل كتاب رسالة تشتمل على ثمانية فصول فى الشرع والقانون والمحاكم وحق الملك فى شريعة الدولة والأراضى الخراجية والعشورية والرهن والوقف ووضعها بالإيطالية الدكتور كاتسكى وترجمه د/ أدورد فانديك[٦]. وكتاب سر النجاح لمؤلفة صموئيل صميلز الإنكليزى وترجمه للعربية د/ كرنيليوس فانديك الذى ذكر فى مقدمة الترجمة العربية قوله "أننى طالعت هذا الكتاب بما يستحقه من التروى فوجدته من أنفع الكتب التى يحتاج إليها كل فرد من أهل هذه البلاد وغيرها

---

(١) جون بنيان : سياحة المسيحى، ترجمة المعلم بطرس البستانى، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٨٧٣، المقدمة.

(٢) ثمرات الفنون : ١٨ رجب ١٣١٥، العدد ١١٥٩، ص٤ .

(٣) المقتطف: الجزء الثانى عشر، العام العاشر، سبتمبر ١٨٨٦، ص٧٥٨ .

(٤) المقتطف: الجزء العاشر، العام الثالث عشر، يوليو ١٨٨٩، ص٧١٨ .

(٥) المقتطف الجزء الثانى عشر، العام العاشر، سبتمبر، ١٨٨٦، ص٧٦٠ .

(٦) المقتطف : الجزء العاشر، العام التاسع، يوليو ١٨٨٥، ص٦٣٩ .

وقد رأى ذلك قبلى كثيرون من علماء أوربا وترجموه إلى أكثر لغاتها فسعيت أنا أيضا فى ترجمته للعربية وطبعه فيها أملا أن ينتفع بها أهلها"(١).

ومما سبق يتضح أن حركة الترجمة، بدأت فى بلاد الشام فى بادئ الأمر على أيدى الإرسالية الأمريكية التى اقتصرت على الكتب الدينية، ثم وجهت بعد ذلك إلى الكتب العلمية .

أتاحت هذه الترجمات الأساس الفكرى الذى أحدث التحول فى بلاد الشام حيث تنامت الأفكار، القومية والفلسفية والدعاوى الوطنية وأطلع الشوام على منجزات الحضارة الغربية فى العديد من المجالات.

- وجدت العديد من الترجمات فى مجالات الطب والكيمياء وغيرهما من العلوم الحديثة مما يعنى قدرة العربية على نحت المصطلحات الحديثة، وقدرتها على استيعاب العلوم وهم بذلك لا يقصدون مصلحة اللغة العربية بل يهدفون لخدمة أهدافهم وأفكارهم هم.
- بدأت حركة الترجمة بأعضاء الإرسالية الأمريكية مثل د/ فانديك وورتبات وجورج بوست ثم تبعهم تلامذتهم من طلبة الكلية الأمريكية.

ب- ترجمة الكتاب المقدس :

ومن المشاريع التى قامت بها الإرسالية الأمريكية فى الشام، ترجمة الكتاب المقدس بعهديه القديم والحديث(*)، وما زالت آثار هذا المشروع حتى اليوم. فبالإضافة للقيمة الأدبية الجميلة لهذا العمل الحضارى، فقد ساعد على

---

(١) المقتطف: الجزء الثالث، آب ١٨٨٠، المجلد الخامس، ص٨٠ .

(*) المرجح أن الإنجيل والتوراة كانا مترجمين للعربية قبل الإسلام فقد وجد النصارى بكثرة فى بلاد العرب، ولغتهم العربية فاهتم قسوسهم بترجمتها للعربية، ومن المحقق أن يوحنا أسقف أشبيلية ترجم التوراة للعربية سنة ٧٥٠م وفى القرن التاسع للميلاد ترجم "الحاخام سعد جد وعان" التوراة للعربية فى مدرسة بابل الشهيرة وطبع جزءا من هذه الترجمة فى الآستانة عام ١٥٤٦م وفى باريس ١٦٤٥م، وفى عام ١٦٢٠م جمع المطران" سركيس الرزاى" مطران دمشق نسخا عربية كثيرة من التوراة وقابلها على النسخ العبرانية واليونانية ونقح نسخة منها وطبعت فى روما ١٦٧١م.
لمزيد من المعلومات عن هذه الترجمات راجع:
- ثروت قادس (دكتور قس): الكتاب المقدس فى التاريخ العربى المعاصر، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٩، ص٢٤ .
- انظر أيضا: المقتطف: الجزء الثانى، العام العشرون، فبراير ١٨٩٦، ص١٤١ .

تنشئة أجيال من رجال الدين العرب الذين يتلون الصلوات والمواعظ باللغة العربية، بعد أن كانت تتلى فى الكنائس الوطنية بلغات غير عربية، مثل اللغة اليونانية فى الكنائس الأرثوذكسية وانتشرت هذه الترجمة فى العالم العربى كله، وما زالت متداولة حتى الآن[١].

فمن مبادئ المذهب البروتستانتى أن يتلى الإنجيل باللغة التى يفهمها الناس، وأن لكل أمة أن تقرأه بلغتها، وقد اتجهت الإرسالية إلى دراسة اللغة العربية وآدابها تحقيقا لهذا الغرض[٢].

منذ نزل المبشرون الأمريكيون فى مالطة وهى المحطة التبشيرية الأولى التى اتخذوها مركزا لهم فى البحر المتوسط عملوا على تعلم اللغات التى يجب أن يخاطبوا بها الناس الذين يسعون إليهم مثل اللغة العربية والتركية، والأرمينية، لاستخدام هذه اللغات فى الترجمة. سواء للكتاب المقدس أو الكراسات الدينية الصغيرة[٣] وبدأوا فى ترجمة العهد الجديد للأرمينية أولا: وهذا راجع لرغبة الإرسالية فى إثارة الدعاوى القومية بين الأرمن فى الدولة العثمانية للدعوة لانفصالهم عنها، وطبع بعد أن تمت مراجعته خمس مرات لضمان سلامة الترجمة وعملوا أيضا على التصدى لطباعة العهد القديم لإكمال المهمة[٤] وبعد أن انتقلت المطبعة لبيروت عام ١٨٣٤م، واضحت بيروت أهم مركز تبشيرى للإرسالية الأمريكية فى الشام كان التفكير فى ترجمة الكتاب المقدس بعهدية القديم والجديد.

ومنذ عام ١٨٤٧م تكونت لجنة لترجمة الكتاب المقدس برئاسة المبشر عالى سميث وكانت الآمال تحدو الإرسالية فى أن يصل الكتاب المقدس باللغة العربية للفرات والنيل والنيجر وشمال أفريقيا، ويذكر تقرير للإرسالية وهناك أحلام كبيرة وحماسة قوية لتوصيل كلمة الله إلى الخاطئين الهالكين، ليكتبوا تعليقاتهم، وفهارسهم ومواعظهم، باختصار لإعطائهم أدب مسيحى. ولا مكان للشك فى أن التوراة يجب أن تأخذ مكان القرآن. وأن

---

(١) ثروت قادس : مرجع سابق ، ص ٢٧-٣٠ .

(٢)محمد بديع شريف: مرجع سابق، ص٧٧ .

(3)Missionary Herald, Jan. 1830, western Asia: station, pp. 8.9.

(4)Missionary Herald, Dec., 1827, Extract form Mr. Coodell,s correspondence.

- Missionary Herald , April 1831. Pliny fisk, pp 133 – 134.

شعار الدولة العثمانية الهلال يجب أن يخفت أمام الصليب" ، ويوضح هذا التقرير الأهداف التبشيرية والرغبة في إسقاط الدولة العثمانية كهدف أساسي وأصيل لهم(١).

واختار عالي سميث لمساعدته بطرس البستاني وناصيف اليازجي، وهم من أعلام العربية في عصرهما، فكان البستاني يكتب المسودات ويدفعها لسميث الذي يقابلها على الأصل وبعد ذلك يراجعها عدد من ثقات العربية لتنقيح الأسلوب ثم تعود كلها بعد ذلك لسميث فيقابلها ويعتمد ما يراه ويأمر بالطبع. وكرس سميث جهده في الترجمة حتى إنه في صيف ١٨٥١م قد أنهى أسفار موسى الخمسة، وبدأ في العهد الجديد فوصل لمنتصف إنجيل مرقص(٢) وعندما انتهى سميث من أسفار موسى الخمسة طبعت المطبعة الأمريكية "سفر التكوين وذلك لامتحان الطلبة فيه في نفس الوقت لنشره بين الناس في طبعة جيب صغيرة، بعيدا عن الطبعات الضخمة التي لا تجد إقبالا وكانت في الوقت ذاته غالية الثمن(٣).

وابتداء من عام ١٨٥٧م تولى د/ فانديك أعمال الترجمة بعد وفاة عالي سميث ، وبدأ منذ عام ١٨٦٠م في طباعة العهد الجديد بالأناجيل الأربعة في حجم صغير – حجم الجيب – ففي هذا العام كان قد تم طباعة ٢٥٢ صفحة من العهد الجديد وطبع منها حينذاك ٣٥٠٠ نسخة(٤).

---

(1)Missionary Herald , June. 1847, Appeal for Missionaries.

- انظر أيضا: مذكرات كرنيليوس فانديك – الهلال، الجزء الخامس، مجلد ١٤، عام ١٩٠٦، ص٢٧٩ .
- نور الدين حاطوم – مرجع سابق، ص٢٦ .

(2)Missionary Herald, July, 1852, Beirut Annual report, Vol. 49, 1853. Pp193-200.

- انظر أيضا: جورجي زيدان: تراجم مشاهير الشرق في القرن ١٩، مكتبة الحياة، بيروت، جـ٢ ص٥٧ .
- جورجي زيدان: آداب اللغة العربية مرجع سابق، جـ٤، ص٢٠٢ .

(3)Missionary Herald, May, 1852, Beirut Annual report, 48,1853.

(4)Missionary Herald , June 1860, station reports. Vol. 56, 1860. Pp. 164-171.

وبعكس السائد أن فانديك استعان بالبستانى واليازجى فى الترجمة، نجد أنه قد استغنى عنهما ذلك أن عقد البستانى مع عالى سميث ينص على أن العقد ينتهى بوفاة أى منهما، أما فيما يتعلق بناصيف اليازجى فقد رأى د/ فانديك أنه غير أمين فى عمله، لذلك استعاض عنه بالشيخ يوسف الأسير خريج الأزهر(١).

وتقدمت أعمال الترجمة فى العهد القديم فحتى عام ١٨٦٤م وصل المزمور الأربعون إلى الفصل الثانى والعشرين من "Isaiah"، هذا بالرغم من الظروف الصحية التى كان يمر بها فانديك(٢) وفى نهاية العام انتهت أعمال الترجمة، وطبع الكتاب سنة ١٨٦٧م، ولم تثبت فيه الأسفار المعروفة بالقانونية الثانوية(*)، وصار لهذه الترجمة رواج كبير، وجاءت هذه الترجمة من الدقة والوضوح والفصاحة بحيث تتقبلها جميع الطبقات وكل الطوائف(٣).

وبذلك نجحت الإرسالية فى إخراج الكتاب المقدس باللغة العربية فيما يعرف حتى الآن بترجمة فانديك، وهذه الترجمة تتمشى مع أهداف الإرسالية فى تأكيد النزعة الفردية التى يؤمنون بها، وكذلك فى إلغاء الكهنوت الذين كانوا يعتقدون بأنهم الوساطة بين الناس والرب، وهو ما كانت تحرص عليه الطوائف الكاثوليكية، وأتباعهم من الإرسالية اليسوعية. وهنا كان الاهتمام باللغات الأصلية للكتاب المقدس وللمسرح الذى جرت عليه أحداثه، وهنا بدأت ظاهرة جديرة بالاهتمام وهى "القومية العربية" التى بدأت عن طريق التعريب فى لغة الصلوات داخل الكنائس وفى لغة الكتاب

---

(١)يوسف قزماخورى: مرجع سابق، ص٦٤ .

(2)Missionary Herald, April, 1864, Annual report of The Beirut station, Vol. 60, 1864. pp 105-110.

(*) يتكون العهد القديم حسب عقيدة البروتستانت من ٣٩ سفرا بخلاف ملحق يعرف بالأبوكريفا (الأسفار المحذوفة) على حين تضيف الطوائف الأخرى مثل الكاثوليك والأرثوذكس تلك الأسفار المحذوفة وعددها ١٤ سفر للعهد القديم.

- راجع أحمد عبدالوهاب: المسيح فى مصادر العقائد المسيحية، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٧٨، ص١٣ .

(٣) الأب لويس شيخو اليسوعى: الآداب العربية فى القرن التاسع عشر، المشرق، المجلد الحادى عشر، العدد الثانى، شباط، ١٩٠٨، ص١٤٩ .

المقدس، وامتد هذا الأثر للأروام الأرثوذكس الذين كانوا يتعاملون باليونانية داخل كنائسهم فطالبوا؛ بالتعريب، وكان لهم ما أرادوا.

وفى إطار التنافس القائم بين الإرسالية الأمريكية والإرسالية اليسوعية قام اليسوعيون بترجمة الكتاب المقدس فى عام ١٨٩٠[١] وذلك للحفاظ على أتباعهم من قراءة نسخة للكتاب المقدس تختلف عما يؤمنون به من أفكار. وفى عام ١٨٩٧م صدر الأمر من البابا فى روما "أنه لا يجوز للكاثوليكى أن يطالع مثل هذه النسخ - يقصد الترجمة الأمريكية - أو يتخذها للتدريس فى المكاتب ما لم ير توقيع الرؤساء الشرعيين عليها، كما يحظر على الكاثوليك أن يطبعوا دون رخصة السلطة الكنسية ليس فقط الأسفار المقدسة لكن أيضا أى كتاب اشتمل على صلوات أو تعاليم اعتقادية أو آداب روحية"[٢].

وكانت اللغة العربية هى المستفيد الأساسى من هذه المنافسة فى الترجمات، فقد أصبح الكتاب المقدس متاحا بالعربية، وأصبح هناك تطور فى الآداب المسيحية باللغة العربية، وزادت المجالات الفكرية التى تعتمد بشكل أساسى على الكتاب المقدس فى الحصول على البراهين والحجج.

وبذلك يمكننا القول إن التحول الفكرى قد بدأ فى العالم العربى، بداية بالشام، معتمدا فى الأساس على الترجمة. ومن بعدها جاءت التأليفات فى كافة المجالات الدينية والأدبية والعلمية[*].

ثالثا- المؤلفات :

بعد الطباعة والترجمة كانت الخطوة الثالثة هى ظهور المؤلفات باللغة العربية فى مجالات عديدة وجديدة، وفى مختلف العلوم الحديثة. بدأ هذه المؤلفات أعضاء الإرسالية الأمريكية مثل كرنيليوس فانديك وجورج بوست وهنرى جسب، وتبعهم فى ذلك الأهالى الشوام الذين ارتبطوا بالإرسالية مثل بطرس البستانى ويوحنا ورتبات. وغيرهم كثيرون.

---

(١) ثروت قادس: مرجع سابق، ص٧٨ .

(٢) المشرق: السنة الأولى، العدد الأول، ١٨٩٨، ص٤٨ .

(*) لمزيد من المقارنات بين الطبعة اليسوعية والطبعة الأمريكية راجع الهلال : المجلد الثانى. العدد ١٩، يونية ١٨٩٤، ص٥٩٣ : ص٤٩٧ .

ويلاحظ على هذه المؤلفات عموماً الاهتمام بالجانب العلمي والتعريف بالعلوم الحديثة وتقديمها للقارئ العربي بشكل مبسط للغاية مثل كتب فانديك "النقش فى الحجر" التى تناولت مختلف العلوم الحديثة.

- كما أنها شملت مجالاً جديداً على الفكر العربى عموماً وهو كتب الأطفال التى بدأها المبشر هنرى جسب وحاول استخدامها فى تمرير العديد من المفاهيم التبشيرية لأذهان الأطفال.
- لم ينس أعضاء الإرسالية يوماً أنهم جاءوا كمبشرين لهذه البلاد، لذا فهذه الكتب – فى غالبها– تشمل العديد من النقد الموجه سواء للإسلام وكذلك للطوائف المسيحية الأخرى.

وفيما يلى نعرض لأهم نماذج من المؤلفين التابعين للإرسالية الأمريكية ولأعمالهم ثم لأهم نموذجين من المرتبطين بهم ممثلين فى بطرس البستانى ويوحنا ورتبات – وأخيراً عرضاً موجزاً لأهم الأعمال التى ألفها أما أعضاء الإرسالية أو المرتبطون بهم من الشوام.

كرنيليوس فانديك[*] :

كان عالماً فى الرياضيات واللغات، وقد شغل منصب أستاذ فى علم الباثولوجيا، ومنصب أستاذ فى علم الفلك فى الكلية السورية الإنجيلية، وكانت معرفته الجيدة باللغة العربية تؤهله أن يؤلف بها، ما كان أشد لزوماً للطلبة من الكتب الطبية، وجمع ما تفرق من شتات العلوم العصرية[1].

(*) ولد د/ كرنيليوس فانديك فى ١٣ أغسطس ١٨١٨م فى قرية كندر هوك من أعمال ولاية نيويورك بأميركا، كان أبوه طبيباً فجعله يدرس الطب فى صباه، وأتقن فن الصيدلة فيها علماً وعملاً، وأتم دروسه الطبية فى مدرسة "جفرسن" بمدينة فيلادلفيا من مدن الولايات المتحدة حيث نال الدبلوما والدكتوراه فى الطب، وفى الحادية والعشرين من عمره وصل لسورية مرسلاً من قبل مجمع المرسلين الأميركيين، وحل فى بيروت فى ٢٠ أبريل ١٨٤٠، وشرع فى دراسة العربية بمساعدة بطرس البستانى والبازجي والشيخ يوسف الأسير. وأصبح من أشهر الشخصيات العامة فى بلاد الشام، فقد كان له أثر كبير فى التعليم والصحافة والنهضة العلمية فى بلاد الشام عموماً.

– يعقوب صروف: مرجع سابق، ص١٨٠ .

(١) فليب حتى: مرجع سابق، ص٥٦٤ .

ويلاحظ أنه بدأ بتأليف مجموعة من الكتب العلمية المبسطة، وذلك بعد أن كثر إنشاء المدارس وواجهت هذه المدارس صعوبات شديدة بسبب الجهل التام لكل أنواع المعارف، لذا سد فانديك هذا النقص الشديد عن طريق مجموعة من الكتب التى أسماها النقش على الحجر، وكان كل كتيب حاو علم من العلوم المختلفة، وهى أول محاولة لتبسيط العلوم فى اللغة العربية[١].

ولقد ألف كرنيليوس فانديك فى عدة مجالات تتضح من هذا الجدول، الذى جمعناه من العديد من المصادر:

م	عنوان الكتاب	مكان وتاريخ الطبع
١	كشف الأباطيل في عبادة الصور والتماثيل	بيروت ١٨٥٣
٢	محيط الدائرة فى علمى العروض والقوافى	بيروت ١٨٥٧
٣	رسالة فى مرض الجدرى والحصبة للرازى	لندن ١٨٦٦، بيروت١٨٧٢
٤	المرآة العرضية في وصف الكرة الأرضية	بيروت ١٨٦٩
٥	الأصول الجبرية	بيروت ١٨٦٩
٦	أصول الكيمياء	بيروت ١٨٦٩
٧	في اللغارتمات بالأنساب	بيروت ١٨٧٣
٨	الأصول الهندسية	بيروت ١٨٧٤
٩	أصول التشخيص الطبيعى للفحص الطبى	بيروت ١٨٧٤
١٠	أصول علم الهيئة	١٨٧٤ بيروت
١١	السهم الطيار	١٨٨٢
١٢	أرواء الظماء في محاسن القبة الزرقاء	١٨٨٨ بيروت
١٣	تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر	مجهول تاريخ الطبع
١٤	النقش فى الحجر وهو ثمانية أجزاء كما هو مبين في الجدول التالي	(٢).

(١) يوسف قزماخورى: مرجع سابق، ص١٠٧ .

(٢) محمد كرد على: المعاصرون، تحقيق وتعليق محمد المصرى، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣، ط٢، ص٣١٣ .

- انظر أيضا: جورجى زيدان: تراجم، مرجع سابق، جـ٢،ص٦٦ .
- نجيب العقيقى: مرجع سابق، جـ٤،ص١٣١ .

كتاب النقش فى الحجر

م	الكتاب وتخصصه	مكان وتاريخ الطبع
جـ١	كتاب عام افتتاحي في الطبيعة والعلم	بيروت ١٨٨٦
جـ٢	كتاب فى علم الكيمياء	بيروت ١٨٨٦
جـ٣	كتاب في الطبيعيات	بيروت ١٨٨٦
جـ٤	كتاب في الجغرافيا الطبيعية	بيروت ١٨٨٧
جـ٥	كتاب في الجيولوجية	بيروت ١٨٨٧
جـ٦	كتاب في علم الهيئة	بيروت ١٨٨٨
جـ٧	كتاب في علم النبات	بيروت ١٨٨٨
جـ٨	كتاب فى علم المنطق	١٨٨٩ بيروت [(١)].

ويتضح من الجدولين السابقين عدة حقائق هى:

١- أن هذه المؤلفات دارت فى فلك علوم مختلفة فى الطب، الفلك والرياضيات، والطبيعة والكيمياء، الجغرافيا والتاريخ، وفى علوم اللغة.

---

(١) المقتطف، الجزء الأول. أكتوبر ١٨٨٦ - ص٦٢ اللطائف: الجزء الخامس ١٥ سبتمبر ١٨٨٩ .

- راجع أيضا: المقتطف، الجزء الرابع، ١١ يناير ١٨٨٧، ص٢٥٤، ص٢٣٩ .
- المقتطف، الجزء العاشر، يوليو ١٨٨٧ ص٦٤٠ - ثمرات الفنون: بيروت.
- المقتطف، الجزء الثانى، نوفمبر ١٨٨٧ ص١٢٧ - الأثنين ٣ رمضان ١٣٠٥.
- المقتطف، الجزء الثامن، ١٢ مايو١٨٨٨ ص٥٢٠: العدد ٦٨٢، ص١ .
- المقتطف - الجزء الأول، أكتوبر ١٨٨٨م ص٧٠ .
- المقتطف، الجزء الثانى عشر، سبتمبر ١٨٨٩م ص٨٤٤ .

٢- قام د/ كرنيليوس فانديك بدور كبير ورائد فى التحول الفكرى فى بلاد الشام، وهو هنا موسوعى المعرفة، شأن علماء ذلك الوقت الموسوعيين فى كافة التخصصات العلمية وهو ما يعنى إيمانه بالهدف الذى أتى من أجله ونجاحه فيه لحد كبير .

كان فانديك يحاول تعريب الإصطلاحات العلمية التى لا يوجد لها مرادف فى اللغة العربية، إيماناً منه بالقول: إن المترجمين فى زمن الخلفاء العباسيين اقتبسوا العديد من الكلمات الأجنبية فيقول "إنه فى إدخال العلوم الحديثة فى اللغة العربية صعوبات من عدم وجود اصطلاحات مناسبة لها ولا يعد ذلك نقصاً أو خللاً فى اللغة ذاتها وإنما قد حصل من عدم الاعتناء بها ومن تقدم جميع الفنون وإهمال اللغة[١].

ولو عرضنا لكتاب أرواء الظماء من محاسن القبة الزرقاء، يظهر لنا أنه يكاد يكون الكتاب الأول فى اللغة العربية الذى ألف فى علم الجغرافيا الحديث فهو يتحدث عن أسماء صور النجوم وأبراجها ذكر فيه أوجه التمييز بين السيارات والثوابت، واستطرد إلى البحث عن سبب تقسيم النجوم، وعن الاصطلاحات المتبعة عند العلماء فى الإشارة إليها، ورصد النظام الشمسى وذوات الأذناب، وأسهب فى وصف ورصد القمر بكل ما فيه من السهول وسلاسل الجبال والأودية والجداول[٢]، وهو فى هذا الكتاب يذكر العديد من الخرافات التى كانت سائدة عن القمر، كما أنه يستعين بالعديد من أبيات الشعر العربى فى كتابه[٣].

وبهذا فقد كان فانديك رجلاً جاء للشام حسب غرض خاص وهو العمل للتبشير بين الناس، ونراه نجح فيما جاء لأجله (*).

---

(١) يوسف قزماخورى: مرجع سابق، ص١٠٨ .

(٢) المقتطف – الجزء الحادى عشر، العام السابع عشر، أغسطس ١٨٩٣، ص٨٨٢ .

(٣) كرنيليوس فانديك : إرواء الظماء فى محاسن القبة الزرقاء ، المطبعة الأمريكانية ، بيروت ، ١٨٨٨ ، ص ١٥ وما بعدها .

(*) كرم الشوام كرنيليوس فانديك تكريما رائعا، ففى ١٢ أبريل ١٨٩٠ احتفل الشوام بإتمام خمسين سنة على قدوم كرنيليوس فانديك للشام وألفت لجنة لذلك، وكانت تضم أعضاء من كافة المذاهب والطوائف الشامية المختلفة، راجع اللطائف، الجزء الرابع، من السنة الرابعة، ١٥ أغسطس ١٨٨٩م ص٥٦٦. بل أن الأرثوذكس الشوام أقاموا تمثال لمناسبة تكريما لخمسين أعماله فى الشام – وهى المرة الأولى التى ترى فيها مثل هذا الأمر : الجامعة العثمانية: الجزء الأول، ١٥ مارس ١٨٩٩، الإسكندرية، ص١٣ .

جـــورج بوســـت(*):

قدم للشام فى ١٨٦٣م، ونزل بطرابلس، وأتقن اللغة العربية، وعيـــن أستاذاً لعلم النبات والجراحة والمواد الطبية فى الكلية الإنجيلية الســـورية[1]، وله العديد من المؤلفات التى يمكننا أن نقسمها لمجالين:

أولـهما : فى المجال الطبى وعلوم النبات والجغرافيا٠

ثانيهما: فى المجال الدينى٠

المؤلفات العلمية لجورج بوست[2]

م	عنوان لمؤلف	مكان وتاريخ الطبع
١	علم الحيوانات ذوات الثدى	١٨٦٩ بيروت
٢	مبادئ علم النبات	بيروت ١٨٧١
٣	مبادئ التشريح والهجين والفسيولوجيا	١٨٧١ : ١٨٨٩ بيروت
٤	المصباح الوضاح فى صناعة الجراح	١٨٧٣،بيروت
٥	علم الطيور	١٨٨٢، بيروت
٦	جغرافية سورية وفلسطين النباتية	١٨٨٩، بيروت
٧	الأقرباذين [المواد الطبية]	د/ت بيروت

ومما سبق يتضح أن جورج بوست من أول من ألف فى علم النبـــات الحديث باللغة العربية، فله كتاب "نبات سورية وفلسطين ومصر" وفيـــه ٤٩ رتبة من الشقيفة "إلى الكورنيه" وهو قيم فى تصنيف النباتات فـــى

(*)ولد جورج بوست فى نيويورك ١٨٣٨، ابنا لجراح أمريكـــى شـــهير، ودرس الطب واللاهوت فى نيويورك، وقدم الشام مبشرا عـــام ١٨٦٣، وســـكن طرابلس، وعند تأسيس الكلية السورية عين أول أستاذ للنبـــات فى كليـــة الطب عام ١٨٦٧م راجع عبدالكريم غرايبة، مرجع سابق، ص١٩٦ ٠

(١) نجيب العقيقى : مرجع سابق، جـــ٤، ص١٣٣ ٠

(٢) فليب دى طرازى: تاريخ الصحافة العربية، المطبعة الأدبية، بـيروت، ١٩١٣، جـــ٢، ص١١٧ ٠

- انظر أيضا: على محافظة: مرجع سابق، ص٢١٥ ٠
- جان مرهج: (دكتور): النبات – ضمن كتاب نشاط العرب العلمـــى فى مائة سنة، هيئة الدراسات العربية، بيروت، ١٩٥٩، ص١٢٠ ٠
- جورج بوست : مرجع سابق، ص٣٢٣ ٠
- المقتطف: الجزء التاسع، العام الثامن، حزيران، ١٨٨٤، ص٥٧٥ ٠

البلدان المذكورة بطريقة علمية ظاهرة التفوق وبلغة عربية فصحى، وهو مرجع عظيم الأهمية[١] وهذا الكتاب شرح فيه مؤلفة ١٤٠٠ نوعا من النباتات الموجودة فى هذه البلاد، وجمع فيه مؤلفة أسماء النباتات العربية القديمة وضبط الأسماء كلها بالعربية واللاتينية ورسم فيه أشكالا كثيرة من النبات مما لا وجود له فى غيره من الكتب[٢].

وهناك العديد من المقالات التى كتبها جورج[*]، بوست فى المجلات مثل المقتطف، ومجلة الطبيب وهذه المقالات تدور فى معظمها حول موضوعات علمية بلغة عربية سهلة ومبسطة.

وللتدليل على ما ذكرناه نعرض بشكل بسيط لكتابة "المصباح الوضاح فى صناعة الجراح" وهو يذكر أنه حاول تأليف هذا الكتاب بشكل مبسط ومناسب لاحتياجات تلامذة الجراحة وممارسيها، والكتاب يبلغ حجمه ٧٠١ صفحة، وهو كتاب سهل اللغة حتى فى المصطلحات الطبية، فمثلا استخدم مصطلحات الكلوروفورم، باثولوجية التقرح، لفظة الآفة كاصطلاح للدلالة على عاهة حاصل فى سبب ميكانيكى كضرب أو ضغط أو جذب أولى، وهى تعريفات سهلة وبسيطة. والكتاب يحوى ٢٨ فصلا وكل فصل يحوى ما بين ٥ مباحث إلى ١٢ مبحثا. ويوجد بالكتاب ملحقات أولهما عن السيملفرون العضال وثانيهما – استعمال الكهرباء فى الطب والجراحة[٣].

أما المؤلفات الدينية :

فقد ألف د/ جورج بوست كتابة الهام "قاموس الكتاب المقدس" وفى هذا الكتاب فسر أقوال التوراة تفسير لا يناقض الحقائق العلمية وإذا رأى فى التوراة ما يخالف العلوم الطبيعية ولم يستطع لتأويله سبيلا آبان أوجه المخالفة وتركه على حالة إلى أن تتغير قضايا العلم فتطابقه أو يهتدى لطريقة لتأويله وتطبيقه[٤]، ويضم هذا الكتاب العديد من الصور والرسوم، وهذا الكتاب مرتب على حروف المعجم.

---

(١) جان مرهج : مرجع سابق، ص١٢٢. ١٣١ .

(٢) المقتطف: الجزء التاسع. العام الثامن، جزيران، ١٨٨٤، ص٥٧٥ .

(*) جورج بوست: نبات الشاى فى سورية، المقتطف، الجزء التاسع، العام السابع، نيسان، ١٨٨٣، ص٥٥٠ .

(٣) جورج بوست: المصباح الوضاح فى صناعة الجراح، بيروت، ١٨٧٣ .

(٤) المقتطف : الجزء الثالث من السنة العشرين، مارس ١٨٩٦، ص٢٠٥ .

والمقالة الأخرى "شذرات فى ميثولوجية سورية وفلسطين" وهى مقالة باللغة الإنجليزية فى جمعية بريطانيا الفلسفية، وترجمها بعد ذلك ونشرها فى بيروت ١٨٨٦[١]، ويلاحظ على هذه المقالة أنها تتفق مع السياق العام للإرسالية الأمريكية من حيث الاهتمام الشديد بفلسطين وذلك حسب العقيدة الألفية التى يؤمنون بها.

وهذه المؤلفات تدل على طابع موسوعى اهتم به "جورج بوست"، ولكن من وجهة أخرى فبالرغم من إفادة هذه المؤلفات فى التحول الفكرى فى الشام إلا أنه ينبغى ألا يغرب عن أذهاننا الهدف الأساسى لهم وهو ما يظهر من أعمال بوست الدينية.

هنرى جسب (*) :

من المهم أن نعرض لبعض أعمال هذا المبشر لأنه تخصص فى الكتابة للأطفال فى وقت لم يكن هناك أى كتاب فى هذا المجال باللغة العربية. وكتبه فى الأساس كانت لأغراض تبشيرية وليس بغرض تثقيف الأطفال ، فمن خلالها يسعى لغرس أفكارهم داخل أذهان الأطفال فهم بمثابة الأرض الخصبة التى تتقبل ما يزرع فيها .

ففى كتابة "أرز لبنان أو الكلام المختار للأولاد الصغار" وهو عبارة عن مجموعة من القصص القصيرة إحداها بعنوان قصة نجاة قسيس هندى إنجيلى من ثلاثة نموره، فبعد أن يذكر أن النمر الهندى المخطط هو أشرس وأصرم من جميع الحيوانات الضاربة، فهو يقتل سنويا فى الهند نحو ٣٠٠ شخص ولكن فى عام فى عام ١٨٦٨ كان قسيس إنجيلى ذاهبا فى الأحراش لدعوة بعض الهنود للإيمان الإنجيلى فرأى ٣ نمور على الطريق، ولم يكن هناك طريق للفرار منها فخاف زملاؤه أما هو فقد ركع للرب يسوع قائلا "إن كان لك بعد خدمة روحية لى لأتمها لأجل خلاص الهنود اخوتى حسب الجسد

---

(١) المقتطف : الجزء الثاني عشر، العام العاشر، سبتمبر، ١٨٨٦م ص٧٥٨ .

* كان جسب من أشد المبشرين تعصبا ضد الإسلام وعملا على تقويض دعائمه ، ومما كان يقوله فى هذا الشأن : "إن الإسلام مبنى على الأحاديث أكثر مما هو مبنى على القرآن ، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الإسلام شيء" ، وكان يقول أيضا : "الإسلام ناقص ، والمرأة مستعبدة" . راجع : مانع بن محمد الجهنى (إشراف) : الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، دار الندوة العالمية ، الرياض ، ١٤١٨ هـ ، جـ٢ ، ص ٦٧٩ .

أطلب إليك أن تنجينى من النمور وأن كانت أرادتك أنها تفترسنى فأقبل نفسى فى راحتك السماوية، ثم فتح عينيه ورأى النمور واقفة ساكنة فذهب فى طريقه ولم يصبه أدنى ضرر لأن الرب ربط أفواهها كما ربط أفواه الأسود فى الجب الذى طرح فيه النبى دانيال[١].

ويلاحظ هنا عدة أمور لعل أبرزها وأهمها:

١-محاولته إلقاء الإيمان المسيحى فى قلوب الأطفال وأنه ينجى من المهالك ومن الوحوش القاتلة.

٢-العمل من أجل الدعوة للإنجيلية بين الناس لأنها أساس النجاة فى طرق الحياة.

وهناك العديد من القصص الأخرى مثل قصة : "قوة الحق" ، التى حاول فيها المؤلف تصوير العربى فى صورة مغايرة فمثلا يأتى بالشيخ فى صورة قديس فى حين أنه فى القصة شيخاً عربياً متدينا مسلما، وربما كان هذا بهدف تقريب المعانى للأطفال وتذكيرهم بأن صورة القديس دائما قوية مثالا للنظافة والأمانة والصدق[٢].

وعند حديثه عن يافا حاول ترسيخ عدة مفاهيم منها الأسماء التوراتية للمدن مثل أورشليم واريحا وبحر لوط، وحاول أن ينسب للإفرنج عامة أسباب الخير والتقدم فى هذه المدن ، مثل الحروب الصليبية وغرضها الدينى وتعمير ريتشارد قلب الأسد ليافا بعد أن خربها صلاح الدين ، وكذلك تخريب سلاطين المماليك لها[٣].

يلاحظ أن القصص التى ترد فى نصف الكتاب ونهايته أكثر وضوحا فى الدعوة للأفكار المسيحية مثل أن الموت هو عبور من عالم الخطيئة للسماء حيث الرب، وعن دور المسيحية فى إنقاذ المعذبين وأصحاب الخطايا ودائما يظهر القس وهو فى حالة منقذ للجميع[٤].

---

(١) هنرى جسب: أرز لبنان أو الكلام المختار للأولاد الصغار، المطبعة الأميركانية. بيروت ، ١٨٧٤، ص١ وما بعدها.

(٢) نفسه. ص٩/ص١٠ .

(٣) نفسه ، ص ١٥-١٦ .

(٤) نفسه ، ص ٢٠-٢٥ .

تعمل هذه القصص على تكريس العادات المسيحية عن طريق قصص مشوقة مثل الاهتمام بتقديس يوم السبت وإلقاء الرعب في قلوب المخالفين للديانة المسيحية وإلقاء الضوء على شهداء المسيحية. ويستعين هذا الكتاب بالعديد من الصور والرسوم المشوقة لتشويق الأولاد على قراءتها. مع استخدام العديد من آيات الكتاب المقدس في وسط الحديث. ومن أهم ما يلاحظ على هذه القصص أنها تأتي بصفات مقززة عن العربي، حتى أنه يصفهم بالسلب والنهب، وأنهم يفضلون خيلهم عن كل ما يملكونه حتى على نسائهم وأولادهم. ويلاحظ أنه يأتي بهذه الصفات في أثناء حديثة، ويذكر أيضا أن سبب قدوم المبشرين إلى الشام هو تهذيب أخلاقهم (أي العرب) ليزول عن أذهانهم برقع الجهل والغباوة، وتزول عن قلوبهم القساوة ومحبة الغزو[١].

وبذلك يمكننا القول أن هذه المؤلفات حاولت زرع المفاهيم المسيحية داخل عقول ونفوس الأطفال، وهنا لم يبعد هؤلاء عن الهدف الأصلي الذي جاءوا من أجله للشام.

ولنفس المؤلف كتاب أخر "الروض النضير لبهجة كل ولد صغير"[٢].

وبعد أن عرضنا لثلاثة من كبار المؤلفين وهم أعضاء في الإرسالية الأمريكية نحاول أن نعرض لنموذج من أبرز الوطنيين المرتبطين بالإرسالية، والذى اعتنق المذهب البروتستانتي وهو : يوحنا ورتبات، وذلك لكي نظهر أثر الإرسالية على المرتبطين بها في إحداث التحول الفكري في بلاد الشام .

---

(١) هنري جسب : مرجع سابق ، ص٢٥- ٣٠ .

(٢) المقتطف – الجزء الثالث العام السابع، ١٨٨٢ .

يوحنـــا ورتبات[*] :

بعد أن تلقى تعليمه فى الكلية الإنجيلية السورية أصبح ورتبات مـــن أشهر المؤلفين فى مجال الطب فى بلاد الشام، وكتـــب أيضـــا فـــى الأديـــان والتاريخ.

المؤلفات الطبية ليوحنا ورتبات

م	عنوان الكتاب	مكان وتاريخ الطبع
١	التوضيح فى أصول التشريح	بيروت ١٨٧١
٢	أصول الفسيولوجيا	بيروت ١٨٧٧
٣	كفاية العوام فى حفـــظ الصحـــة وتدبـــير الأسقام[*]	بيروت ١٨٨١
٤	أصول التشريح – وهو كتاب فيه مئات من الرسوم كان عليه معولة فى إقراء وتدريس هذا العلم بالكلية	.[1]

(*) ولد فى لبنان وهو من أصل أرمنى، وتعلم فى الكلية الإنجيلية الســـورية ونـــال شهادة الطب من ادنبرة، وعين أستاذا للتشريح والأحياء والباثولوجيا فى الكلية الإنجيلية السورية.
راجع لمزيد من المعلومات – نجيب العقيقى: مرجع سابق، جـــ٤ ص١٣٣ .

(*)تعرض ورتبات فى هذا الكتاب لعدة مسائل عدها المسلمون هجوما على دينهم فأثارهم من ذلك قوله" عند البحث فى مرض الجذام، اختلفوا فى هذه الأيلم فى كونه معديا، وعندى أنه غير معد ولو جاء فى الحديث أهرب من المجذوم هربك من الأفعى" فرد عليه أحد المسلمين أن ورتبات حرف فى الحديـــث، وأخذ يرد عليه بالعديد من الأدلة التى تدل على عدم فهم ورتبات للحديـــث النبوى الشريف.
راجع لمزيد من المعلومات – ثمرات الفنون، بيروت، الاثنين ٢٠ربيع الثـــانى ١٣٠٣ هـــ/ العدد ٥٦٥، ص٢ .

(١) عبدالكريم غرايبة: مرجع سابق، ص١٩٦ .
- انظر أيضا: جورجى زيدان: مرجع سابق، ص٣١٨ .
- على محافظة: مرجع سابق، ص٢١٥، ص٢١٦ .

أما مؤلفاته الأخرى فهى كالتالى:

- "الحكم الفارسية والمصرية والعبرانية" وهو كتاب جمع فيه كثير من الحكم والأمثال العربية(١).
- "الأديان الشائعة فى سوريا: وهو بحث اعتقادى ويشتمل على أكثر من ١٢ بحثاً فى المذاهب المختلفة(٢).
- القاموس العربى الإنكليزى بالاشتراك مع وليم طمسن وهو يحتوى على ٧١٦ صفحة، تحتوى على أكثر الكلمات العربية المستعملة فى الكتب والجرائد مع مشتقاتها المختلفة(٣).

ويلاحظ هنا مدى تأثير الإرسالية على هذا الإنتاج الوفير ليوحنا ورتبات الذى ألم فيه بالعلوم الطبية وكذلك بالعلوم الأدبية المختلفة، وأن كان أهم ما يلاحظ عليه أن تعرض بالهجوم الصريح للعديد من القضايا الإسلامية(*) التى تمس المهين فى صلب عقيدتهم، فقد استخدم العلوم وسيلة للطعن فى مسائل عقدية تخص المسلمين.

أهم الأعمال المرتبطة بالإرسالية الأمريكية :

وهناك العديد من المؤلفات التى ألفها أعضاء الإرسالية أو ممن يرتبط بهم من الوطنيين الذين انضموا للإرسالية، ولعبت هذه المؤلفات بجانب المؤلفات السابقة دورًا كبيرًا فى التحول الفكرى فى بلاد الشام فى القرن التاسع عشر وهى فى الأساس تدور حول العلوم الدينية المسيحية (اللاهوتية)، وغيرها من العلوم الأخرى مثل الجغرافيا.

---

(١) يعقوب صروف: مرجع سابق، ص٢٣٦ .

(٢) جورجى زيدان: مرجع سابق، ص٣١٨ .

(٣) المقتطف – الجزء الثانى عشر العام الثانى عشر، سبتمبر ١٨٨٨، ص٧٦٦ .

(*) تعرض فى كتابة "أصول الفسيولوجيا" لمسألة تعدد الزوجات وكذلك حجاب النساء والطلاق، ورد عليه أحد المسلمين مستخدماً العديد من الأدلة العقلية والفقهية وعن الضرورات التى أباحها الإسلام للزواج بأكثر من واحدة وعن حق هؤلاء الأزواج فى الطلاق فى حالات معينة أباحها الإسلام .

راجع ثمرات الفنون، بيروت، الاثنين ١٩ جمادى الأولى، ١٣٠٣، العدد ٥٦٩، ص٣ – وبذلك أتاحت هذه الكتابات نوع من السجال الفكرى أشبه بالمناظرات .

جدول رقم ١ – الكتب فى المجال الدينى[١].

م	اسم الكتاب	المؤلف	مكان وتاريخ الطبع
١	البرهان على ضعف الانسان	ميخائيل مشاقة	بيروت/ ١٨٦٧م
٢	قوت النفس	الإرسالية الأمريكية	المطبعة الأمريكية/ بيروت/ ١٨٧٢
٣	الترنيمات والمزامير	الإرسالية الأمريكية	المطبعة الأمريكية/ بيروت/ ١٨٧٢
٤	القواعد السنية فى تفسير الأسفار الإلهية	جمس أنس الأميركاني	المطبعة الأمريكية/ بيروت ١٨٨١
٥	تاريخ يسوع المسيح للأحداث	ريتشارد نيوتون	المطبعة الأمريكية/ بيروت/ ١٨٨٢
٦	خلاصة الأدلة السنية على صدق أصول الديانة المسيحية	جمس أنس الأميركانى	المطبعة الأمريكية/ بيروت/ ١٨٧٧
٧	سير الأبطال والعظماء الأقدمين	جمس أنس الأميركانى	المطبعة الأمريكية/ بيروت/ ١٨٨٣
٨	نظام التعليم فى علم اللاهوت	جمس أنس الأميركانى	المطبعة الأمريكية / بيروت/ ١٨٨٤
٩	مناهج الحكماء فى نفى النشوء والارتقاء	إبراهيم أفندى حورانى	المطبعة الأمريكية/ بيروت/١٨٨٤
١٠	الأغانى الروحية	صموئيل جسب/ وجورج فورد	المطبعة الأمريكية / بيروت/ ١٨٨٦
١١	نور التعليم فى أخبار العهد القديم	أوستن فلبس	المطبعة الأمريكية/ بيروت/ ١٨٨٤
١٢	لا تسرق	دانيال بلس	المطبعة الأمريكية/ بيروت/ ١٨٨٤
١٣	دليل الصواب إلى صدق الكتاب	يوحنا ورتبات[٢]	بيروت/ ١٨٧٦[٣].

(١) النشرة الأسبوعية: الاثنين ٣ تشرين الثانى ١٨٨٤، عدد ٤٥ ص٣٦ .

- انظر أيضا: النشرة الأسبوعية: ٢١ كانون الثانى ١٨٨٤ العدد ٤ – ص٢٦ .
- الطبيب – ٣١ تموز ١٨٨٤، ص٢٠٠ .
- المقتطف – الجزء الثامن المجلد الثانى، العام الثانى، ١٨٧٧، ص١٩٢ .
- المقتطف الجزء الثالث العام الثامن، كانون أول ١٨٨٣، ص١٩١ .
- المقتطف الجزء الخامس، المجلد الخامس، ١٨٨٠، ص ١٣٥ .

ويلاحظ من الجدول السابق ما يلى :

١- أن التأليف فى المجال الدينى لم يكن قاصراً على أعضاء الإرسالية الأمريكية فقط بل انضم إليهم فى هذا المجال عدد من المؤلفين الشاميين الذين انضموا إليهم واصبحوا مخلصين فى الدفاع عن مذهبهم الجديد.

٢- حدثت العديد من المبارزات الفكرية التى ساعدت على النهضة الفكرية فى البلاد الشامية مثل كتاب إبراهيم الحورانى "مناهج الحكماء فى نفى الارتقاء" وهو رد على نظرية الارتقاء لدارون.

٣-هناك العديد من الكتب التى وضعت فى الأساس للدفاع عن الديانة المسيحية والمذهب البروتستانتى خصوصاً. وفى الغالب أن واضعيها كانوا من الشوام الذين انضموا للإرسالية الأمريكية.

٤-ظهر فى هذه الكتب الدعوة لاستخدام العقل والتفكير ومن ذلك دعوة يوحنا ورتبات" لأنه بدون العقل لا يمكن أن تقوم الديانة أن ذلك ضرورى فى كل درجة من البحث فى أدلة الوحى وتفسير معانيه وقبول تعاليمه"(١) وبذلك تكاتفت هذه الجهود فى إحداث التحول الفكرى ولكنها موجهة لهدف واحد وأن اختلفت الوسائل وهو الهدف التبشيرى.

ثانياً الكتب العلمية :

هناك العديد من المؤلفات العلمية فى المجالات المختلفة، نعرضها فى الجدول الآتى:

المؤلفات العلمية فى الإرسالية الأمريكية

م	الكتاب	المؤلف	م وتاريخ الطبع
١	العروس البديعة فى علم الطبيعة	أسعد الشدورى	المطبعة الأمريكية/ ١٨٧٣
٢	خارطة الكرة الأرضية	الإرسالية الأمريكية	المطبعة الأمريكية/١٨٨٣
٣	أطلس الكتاب المقدس	الإرسالية الأمريكية	المطبعة الأمريكية /١٨٨٣
٤	النهج القويم فى التاريخ القديم	هارفى بورتر	المطبعة الأمريكية /١٨٨٦
٥	خريطة بر الشام	الإرسالية الأمريكية	المطبعة الأمريكية/١٨٨٧

(*) سبق ذلك كتاب جيمس أنس "نظام التعليم فى علم اللاهوت القويم"الذى حاول فيه الرد على نظرية دارون" وأن دارون كافر لا يؤمن بالمسيح ولا بالآخرة وأن غاية أبحاثه العلمية نفى المسيح فى كل دائرة الطبيعة والعلم.

(١) يوحنا ورتبات: دليل الصواب إلى صدق الكتاب، الجمعية البريطانية، بيروت، ١٨٧٦، ص١٠.

م	الكتاب	المؤلف	م وتاريخ الطبع
٦	خريطة أواسط أفريقيا	الإرسالية الأمريكية	المطبعة الأمريكية /١٨٨٧
٧	الأيات البينات في غرائب الأرض والسموات	د/ ابراهيم الحوراني	المطبعة الأمريكية/١٨٨٣
٨	قاموس عربي إنكليزي	يوحنا ورتبات وهارفي بورتر	مطبعة المقتطف
٩	قاموس إنكليزي عربي	يوحنا ورتبات وهارفي بورتر	مطبعة المقتطف
١٠	اكتفاء القنوع(*)	أدورد فانديك	المطبعة الأمريكية(١).

نتج عن هذه المؤلفات ما يمكن أن نسميه حركة فكرية في بلاد الشام وصار معها مواكباً إياها عدد من الاكتشافات فعلى سبيل المثال، استطاع "إبراهيم ثابت" وهو الذى تلقى التعليم فى المدرسة الكلية الأمريكية أن يكشف دواء "لدوار البحر وقيئ الحبالى" ، وأطلع عليه عدد من كبار الأطباء فى إنجلترا وفرنسا، ونجح الدواء(٢) . وعلى المستوى الأخر فقد نجحت الإرسالية فى رسم عدد من الخرائط لبلاد الشام وهم فى ذلك متسقون مع أنفسهم فهم فى الأصل يسعون للتبشير ولهم أهداف محددة وفى الطريق لا مانع من خدمة العلم – فبعد رسم الخرائط، عملوا على اكتشاف الآثار فى

(*) هذا الكتاب جمع أسماء الكتب العربية المطبوعة منذ أقدم العهود لوقت المؤلف فى القرن التاسع عشر وأماكن طبعها وترجمة لمؤلفيها، كما أضاف إليه فهرسين على حروف المعجم ذكر فى أولهما المصنفات التى وردت أسماؤها فى الكتاب، وفى الثانى مصنفيها.

- المقتطف – الجزء السادس العام الواحد والعشرون، يونيو ١٨٩٧م ص ٤٥٩ .

(١) المقتطف: العام السابع، آذار ١٨٨٣، الجزء الثامن، ص٥١٠ .

- انظر أيضاً: المقتطف : الجزء العاشر، من العام العاشر، يوليو ١٨٨٦، ص٦٣٨ .
- المقتطف: الجزء الثامن، العام الحادى عشر، مايو، ١٨٨٧، ص٥١٢ .
- ثمرات الفنون: الاثنين ٧ شعبان ١٣٠٣، العدد ٥٨٠/ ص ١ .
- المقتطف: الجزء الرابع العام التاسع عشر، إبريل ١٨٩٥، ص٣٠٠ .

(٢) المقتطف : الجزء الثانى، ٢١ فبراير ١٨٩٧، ص١٤٩ .

العلم – فبعد رسم الخرائط، عملوا على اكتشاف الآثار فى فلسطين تحقيقا للوعود التوراتية التى يؤمنون بها[١].

وفى المجمل العام نتج عن هذه الكتب حركة فكرية حديثة فى بلاد الشام ونجحت هذه الحركة فى تغريب الشام عموما، لا سيما وأنها فى بدايتها كانت غربية ولم تخرج من جذور التراث العربى للمنطقة.

وكان المسيحيون الشوام هم أكثر من استفاد من هذا التحول سواء فى التلقى أو الكتابة بعكس المسلمين السنة الذين سيطرت على أذهانهم فكرة الخوف من الأخر، نتيجة ما ترسب فى أذهانهم من ذكريات الحروب الصليبية، وأدى هذا بالفعل لتعريب النصرانية ، على الأقل حتى الربع الأخير من القرن العشرين عندما تحولت القيادة للمسلمين مرة أخرى .

رابعاً : توزيع الكتب والمكتبات :

عملت الإرسالية الأمريكية على الاهتمام بالمكتبات وتوزيع الكتب كجزء من المشروع التبشيرى الأمريكى فى بلاد الشام، فعن طريق المكتبة من الممكن اكتساب الأصدقاء، ومحاولة بث مجموعات من الكتب التى تحمل أفكار خاصة، وعن طريق الكتب تصل الأفكار للأماكن النائية والبعيدة التى لا يستطيع أن يصل إليها مجموعة من المبشرين لممارسة العمل التبشيرى، ومن وسائل الإرسالية الأمريكية عموماً دعوتها للقراءة ولتأسيس المكتبات العامة، وتزويدها بمجموعة من الكتب للمطالعة فى شتى أنواع العلوم والآداب المختلفة، وبذلك تعتبر المكتبة موجه لأفكار المترددين عليها، وهذا ساعد فيما بعد على انتشار حب القراءة والمعارف والثقافة بين الناس، وبالتالى جزء مهم جداً من النهضة الفكرية التى شهدتها بلاد الشام.

ويصف تقرير للإرسالية الأمريكية – كانت المطبعة ما تزال فى مالطة – أنه "قد حدثت إعاقة لتوزيع الكتب، فعدد كبير منها كان مكدساً فى المستودعات فى مالطة"[٢]، وفى العام التالى كانت نفس الشكوى حتى أن الكتاب المقدس نفسه لم يكن يوجد عليه طلب، وكان الحل الذى أوجدته الإرسالية هو أن توظف لديها موظف خاص لبيع الكتب فى الأطراف النائية

---

(١) المقتطف : الجزء الثامن العام الثامن عشر، مايو ١٨٩٤، ص٥٧٣ .

(2)Missionary Herald, Nov 1830, Extrct from Aletter from Mr Temple, Pp 242-250.

من البلاد، فهو هنا بمثابة مكتبة متنقلة، فى الوقت ذاته الذى يعمل فيه كمبشر بين أولئك الذين يبتاعون منه الكتب[١].

وبدأت الرغبة فى القراءة واقتناء الكتب تزيد لدى الناس خصوصا بعد انتشار المدارس، وأيضا كيفية عرض الكتب، فاقتبس الأمريكان التجربة التى طبقت فى أيرلندا من قبل وهى أن يكون المدرس فى المدرسة بائع وعارض للكتب وهم- المدرسون، سوف يؤدون مصالح كثيرة ليس فقط كمدرسين ولكن كموزعين وناشرين لكلمة الرب وأيضا موزعين للكتب والكراسات الدينية، وأيضا أن يعملوا كقارئين، بنفس الخطة التى طبقت فى أيرلندا[٢] في الوقت ذاته عملوا على توزيع الكتب بين الحجاج فى القدس خصوصا أنهم من جنسيات مختلفة ولغات شتى ونجحوا فى ذلك لحد بعيد لدرجة أن تقرير للإرسالية يعترف أنه فى الفترة من ٢٠ مارس وحتى مايو ١٨٣٥م بيع عدد ٣٥٤ كتاب وهى عبارة عن كتب مقدسة، وكتب مدرسية، وكراسات[٣] . وهو يدلنا على تقدم القراءة والرغبة فى اقتناء الكتب، وعلى نجاح أسلوب الإرسالية الأمريكية فى توزيع كتبها التى لم تقف عند حد الشام فقط بل والبلاد الأخرى من خلال الحج إلى بيت المقدس.

ونتيجة لأن المطبعة الأمريكية فى الشام كانت أكبر طابع وموزع للكتب، خصوصا فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، ولنجاح أسلوبهم فى توزيع الكتب عن طريق شبكة المدارس والمحطات التبشيرية، لذا كان الطلب على الكتب يزداد حتى فى إطار المنافسة مع الطوائف الأخرى التى لم تتردد فى طلب الكتب من الإرسالية الأمريكية.

ففى تقرير من مستر طومسون "Thomson" يذكر فيه "تسلمت خطابا من قس يونانى ومدرس من المدرسة البطريركية اليونانية فى دمشق، يطلبون منى أن أرسل إليهم ١٠٠ كتاب من المزامير باللغة العربية

---

(1)Missionary Herald, May 1831. A jaint letter from messrs. Bird and Whiting pp 208-212.

(2)Missionary Herald, Sep, 1834., Journal of Mr. Thomson. Pp 321-326.

(3)Missionary Herald, Feb. 1836. Letter from Mr. Whiting, Dated May 1 St 1835, at Jerusalem.

وحوالى ٥٠ كتاب باللغة اليونانية وأيضا وصل خطاب من أسقف حلب يطلب إمداده بكل الكتب العربية التى لدينا"[١].

وبدأ الطلب على الكتب فى الزيادة خصوصا فى القدس والقرى المحيطة بها، ووصلت الكتب للأماكن البعيدة ليافا وغزة ورملة واللد والكروك ونابلس وجنين "Jenean" وإلى عدد من القرى فى المناطق الجبلية غرب وشمال نازاريث "Nazareth" ويعترف التقرير بقوله "وقد فتح لنا مجالا مغريا للمجهود التبشيرى فى تلك القرى المسيحية فى جبال نابلس وغيرها من البلاد النائية"[٢].

وذكر تقرير للإرسالية أن عدد الكتب التى وزعت فى عام ١٨٣٨م بلغ ٥٧٠٧ نسخة من الكتب والكراسات، وهى عبارة عن ٧٦١و٢٩٥ صفحة، من بينها ٢٦٠ نسخة من الكتاب المقدس[٣] بينما فى تقرير أخر لعام ١٨٤٠م بلغ التوزيع ٦,٩٣٤ نسخة من الكتب فى بيروت فقط، غير القدس وغير الأماكن النائية فى الشام، مع الأخذ فى الاعتبار أن السفر لتوزيع الكتب خلال هذا العام كان أقل من الأعوام السابقة.." وهذا يوضح أنه كان هناك رغبة متزايدة بين الناس للحصول على كتب الإرسالية"[٤].

وفى غالب الأحيان كانت الكتب توزع مجانا، وفى حالات كثيرة إن لم يكن فى كل الحالات كانت الكتب توزع بأقل من التكلفة الحقيقية لها، ففى تقرير لمستر طومسون يذكر "هذا الصباح طلب اثنان من الرجال من حاصبيا أن يحصلا على كتب، وبعد حوار طويل أعطيتهما حوالى ٦٠ من الكراسات والكتب الصغيرة... وعندما طلبا التوراة طنبت الثمن وبعد إلحاح ومسلومات دفعا ٤,٥ قرش وعندما أعطيتهما كتب التوراة...ولم يكن تصميمى على

---

(1)Missionary Herald, July, 1837. Journal of Mr. W- M. Thomson. P. 100.

(2)Missionary Heraldm. Oct, 1838. Report of The station at Jerusalem for the year ending. March 1838. Pp 420-423.

(3)Missionary Herald, Dce, 1838. Report of the Beyroot station. Report of the year. 1838 Pp 471-475.

(4)Missionary Herald, Sep,1840. Annual report of The Beyroot station. Dec, 31 1 St, 1839.

الحصول على نقود سوى جعلهما أكثر حرصا عليه - فكتاب التوراة بشكل مجلد كبير ويكلف دولارات عديدة"[١].

ولم يكن موزع الكتب يكتفي بالتوزيع فقط، بل كان في الغالب مبشرا أيضا، وأثيرت العديد من المناقشات مع المخالفين في المذهب الديني، وولدت هذه المناقشات الأفكار الجديدة، ورغبت الناس أكثر في القراءة، وحب التعلم والثقافة، خصوصا وأن هذه الكتب كانت توزع في القرى الداخلية والأصقاع البعيدة[٢] وبدأت الكنائس الوطنية في التنبه لخطر انتشار الكتب البروتستانتية بين أتباعها، فعملوا على مقاومة ذلك الأمر بكل شدة، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل حتى في ظل وجود مطابع خاصة بهذه الطوائف لغلاء أسعار كتبهم، وكذلك لأنها أقل في المادة المؤلفة نفسها، وأيضا لعدم تنوع مجالات هذه الكتب[٣].

وكنوع من زيادة الاستقرار في بيع الكتب وتوزيعها فقد أخذت الإرسالية في تأسيس المكتبات المستقرة لبيع الكتب، وتعيين أحد أعضاء الكنيسة الإنجيلية كموظف بها مثلما حدث في حاصبيا[٤].

وكان لنشاط الإرسالية في توزيع الكتب عدة نتائج منها :

١-ترغيب الناس في القراءة واقتناء الكتب، مما أدى لنشر بعض المفاهيم الجديدة مثل المشاركة الثقافية لعوام الناس الذين يعيشون داخل البلاد النائية.

٢- في ظل المنافسة بين الإرسالية الأمريكية والإرساليات الأخرى وكذلك الوطنيين، زادت أعداد الكتب المؤلفة والموزعة مما ولد العديد من المجادلات والمناقشات التي أثمرت في النهاية عن

---

(1)Missionary Herald, Oct 1839, Journal of Mr. W. M. Thomson at Beyroot. Pp 369-382.

(2)Missionary Herald, July 1841, Report of the station at Beyroot, Jan 1 St, 1841. Pp 301-404.

(3)Missionary Herald, Aug. 1842, Report of the Jerusalem station for the year 1841. Pp 322 – 325.

(4)Missionary Herald, May 1857, Station Reports. Pp 146 – 153.

حركة فكرية، وإطلاع على الأفكار الجديدة، وآخر تطورات العلوم فى الغرب، والتى كانت كتب وصحف الإرسالية تحرص عليه تماما .

ولم تكتف الإرسالية بتوزيع الكتب فقط بل شجعت على إنشاء العديد من غرف القراءة- المكتبات العامة فى زماننا حاليا - وأكثرت منها وكانت تلقى فيها الخطب الأدبية والعلمية وتقام بها احتفالات توزيع الجوائز على المتسابقين، وبهذا تكتسب الصداقات للإرسالية وأنشطتها المختلفة[١].

وبذلك بدأت فى بلاد الشام جذوة لحركة فكرية أقامتها الإرسالية الأمريكية وأشعلتها المنافسة بين الإرساليات المختلفة. ويعتبر توزيع الكتب وإقامة المكتبات إحدأهم أسس النهضة الفكرية فى بلاد الشام .

خامسا- الصحافة:

أدركت الإرسالية الأمريكية قيمة التفكير فى إنشاء الصحف لخدمة الأفكار التى تؤمن بها، بعد أن أدركت أهمية الصحافة ، والنقص الذى يعانيه الشام فى الصحف ؛ لذا كان التفكير فى إنشاء الصحف والمجلات، ومن أمثلة ذلك ما يلى:

أ- مجموعة فوائد :

وهى باكورة المجلات الشامية، صدرت فى ١٨٥١م كأول مجلة فى الشام فى العصر الحديث، أنشأها مجموعة من المبشرين الأمريكيين، وطبعت فى المطبعة الأمريكية فى بيروت، وكانت الغاية من إصدارها نشر العلوم الدينية لما لها من اتصال وثيق بالسياسة التبشيرية الأمريكية فى الشام، ولقد نشرت لجانب العلوم الدينية العلوم التاريخية والجغرافية[٢].

(١) لمزيد من المعلومات حول غرف القراءة راجع.
- انظر أيضا: الإصلاح: الاثنين ٢١ تموز ١٩١٣، العدد ١٤٥٦ ص٣ .
- الكلية - العدد الثالث، يناير ١٩١٢، ص٩٣ .
- فلسطين - العدد ٢٥٨ - ١٧ تموز ١٩١٣ - يافار ص٢ .

(٢) جورجى زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، مرجع سابق، جـ ٤ ص٥٣ .
- انظر أيضا: نور الدين حاطوم: مرجع سابق، ص٢٦ .
- محمد كرد على: خطط الشام، مرجع سابق، جـ ٤ ص٨٨ .

وصدرت المجلة بالتقويمين الشمسي والقمري، واستمرت في الإصدار حتى عام ١٨٥٥م ، أي لمدة أربعة أعوام ، وقد بلغ مجموع عدد صفحاتها ١٤٤ صفحة، وتعتبر المجلة في كليتها أجنبية، لأنه لم يشارك فيها أي مفكر شامي[١].

ورغم أن هذه المجلة كانت تصدر في بدايتها مرة كل عام، ثم بعد ذلك مرة كل أربعة أشهر، إلا أنها بالغة الأهمية، فهي- وبالرغم من كونها مجلة دينية تبشيرية، وبالرغم من كونها مجلة تابعة لإرسالية أجنبية -الإرسالية الأمريكية- إلا أنها صاحبة الريادة في المجال الصحفي في بلاد الشام، فهي أول صحيفة باللغة العربية في الديار الشامية كاملة، وكانت "مجموع فوائد" بداية لإرهاصات الصحف فقد تبعها إنشاء بعض الصحف الصغيرة التي يمكن اعتبارها نشرات صغيرة ومقدمة للصحف الكبيرة. مثل النشرة الأسبوعية.

ب- أخبار عن انتشار الإنجيل :

وهي نشرة شهرية أنشأها د/ كرنيليوس فانديك في غرة مارس ١٨٦٣م، وكانت تهتم في الأساس بإذاعة أخبار المرسلين البروتستانت في أقطار العالم، وتعميم انتشار الإنجيل بين القبائل المختلفة في الشرق الأدنى، وكانت هذه النشرة تصدر في البداية في صفحتين، وبعد صدورها بثلاثة أشهر أي في يونيو ١٨٦٣م أصبحت أربع صفحات[٢] وكانت رسومها مطبوعة بإتقان ويؤتى بقوالبها محفورة من أمريكا، ويظهر مما نشر فيها خلال خمس سنوات أنها كانت نشرة دينية، حتى يكاد الباحث لا يجد فيها سوى أخبار عن أعمال المبشرين البروتستانت في أفريقيا والهند واليابان والصين، وما كان يجرى من اضطهاد للإنجيليين في أسبانيا وفرنسا وإيطاليا[٣].

---

(١) شمس الدين الرفاعي: مرجع سابق، جـ١،ص٤٨ .
- انظر أيضا: فليب دى طرازى: مرجع سابق، جـ١،ص٥٣ .
- تيسير خليل محمد الزواهرة، مرجع سابق، ص١٦٧ .
(٢) فيب دى طرازى: مرجع سابق، جـ ١ص٦٦ .
(٣) يوسف قزماخورى: مرجع سابق، ص٦٦ .

جـ- كوكب الصبح المنير :

وهو عنوان نشرة شهرية دينية مصورة، عبارة عن أربع صفحات متوسطة، أصدرتها الإرسالية الأمريكية فى غرة يناير ١٨٧١م، لتوزيعها مجانا على تلامذة مدارسهم، وهى تتضمن أخبارا وحكما وألغازا روحية وترانيم دينية وفوائد أدبية، وكان شعارها الآية "المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة" وكان عنوانها مكتوبا بشكل كوكب تتبعث أشعته على بيروت وإلى طرفى العنوان رسمان يمثل أحدهما بناية الكنيسة الإنجيلية، والأخر برج الساعة الأمريكية فى بيروت أيضا[١].

د- النشرة الشهرية :

هو اسم لمجلة دينية شهرية ذات ثمانى صفحات صغيرة، أنشأها الدكتور كرنيليوس فانديك، ظهر عددها الأول فى غرة يناير ١٨٦٦م بعد الصحيفة المسماة "أخبار عن انتشار الإنجيل فى أماكن مختلفة"، وكانت الغاية من إصدار هذه المجلة بث تعاليم المذهب البروتستانتى مع إذاعة أخبار المبشرين به[٢] وكان يحرر بها المبشرون الأمريكيون وعدد من الأهالى الشوام الذين ارتبطوا بهم.، وكانت المجلة تمتلئ فى سنواتها الأول بالعديد من المقالات التى غايتها الظاهرة تهذيب النفوس ، وغايتها الباطنة نشر الفكر البروتستانتى بين الناس[٣].

---

(١) فليب دى طرازى: مرجع سابق، جـ ٢ ص١٨ .
(٢) فليب دى طرازى: نفسه، جـ ٢، ص٦٩ .
(٣) يوسف قزماخورى: مرجع سابق، ص٦٦ .

وتعتبر النشرة الشهرية الخطوة الأخيرة فى التمهيد لنشأة الصحف الأكثر استقرار واستمرار وأيضا الأكثر تأثيرا التابعة للإرسالية الأمريكية، هذا بالرغم من أن المجلة استمرت خمس سنوات كاملة. وبالرغم من أنها اهتمت بالمجادلات الدينية مع اليسوعيين، إلا أنها كانت الدافع الأول لإنشاء العديد من الصحف الشامية الأخرى ، والتى كانت أيضا طائفية، ويلاحظ عليها أيضاً الاهتمام بالمسائل الدينية والطائفية . وبعد هذه المجلة ظهرت مجلة النشرة الأسبوعية التى تعتبر المجلة الأساسية للإرسالية لفترات طويلة(*).

هـ- النشرة الأسبوعية :

صدرت النشرة الأسبوعية فى ١ يناير ١٨٧١م خلفا لمجلة النشرة الشهرية(**) وكان شعارها عبارة عن كتاب مفتوح مكتوب فى إحدى صحيفتيه فتح كلامك وفى الأخرى ينير" وأشعة الشمس تنطلق من الكتاب لتنشر الضوء، ولكن ابتداء من عام ١٨٨٣ استبدلت الشمس بمجموعة من النخل المثمر والأشجار.

وتعتبر هذه المجلة ذات أهداف دينية خالصة، فقد عملت على نشر المذهب البروتستانتى والتعريف به بشتى الطرق، وذكر العديد من العظات لدفع الناس للانضمام للكنيسة الإنجيلية، وذكر تأثير الإنجيل فى علماء

(*) على حين تجمع المراجع على أن نشأة النشرة الشهرية كانت فى غرة يناير ١٨٦٦ يذكر يوسف قزماخورى أنها أنشأت فى يونيو ١٨٦٨م، ولكن لا نوافقه على ذلك لأنه لم يوضح دليله فى ذلك، فى حين أن إجماع المصادر التى اعتمدت عليها لا توافقه أيضا فى هذا الرأى.

- لمزيد من المعلومات راجع يوسف قزماخورى: مرجع سابق، ص٦٦ .

(**) كان إنشاء هذه المجلة داعيا لنشر جريدة كاثوليكية أنشأها الآباء اليسوعيون فى انسنة نفسها وسموها المجمع الفاتيكانى" ثم أعقبها "البشير" فى سبتمبر من تلك السنة، وأصبحت البشير ذات شأن لما كانت تتناوله من مواضيع اجتماعية وأخبار سياسية - وكان شعار البشير المطبوع فى أعلى الصفحة الأولى "وتعرفون الحق والحق يحرركم" وظل البشير يصدر حتى ١٩٤٧ - لمزيد من المعلومات راجع.

الأب لويس شيخو اليسوعى: الآداب العربية، مرجع سابق ص١٤٥ .

- انظر أيضاً: فليب حتى: مرجع سابق، ص٥٦٦ .

الصين، والدعوة لبذل المال فى سبيل العمل الإنجيلى وتقديم العديد من القصص لتحبيذ ذلك كذلك العمل على الدعوة للتبشير بالخلاص، من ذلك مقال كتب فى هذا المعنى مما جاء فيه" وهكذا أنت أيها القارئ أن كنت تصير إناءً حامل الراحة من راس نبع النعمة إلى نفس ذابلة وفانية فى فقر الخطية والشر تحفظ روحك مرتاحة وحياتك دائماً جديدة، بينما تجتهد أن تبارك الآخرين تفاض على روحك بركة عظيمة وترتاح دائماً وتتقوى المياه المقبولة التى تسكبها على الغرس الذابل والعطشان ترتفع إلى فوق وتنزل عليك أيضاً كالندى المريح اللطيف"(١).

ولا يخلو عدد من النشرة تقريباً دون ذكر لأخبار عن الإرساليات الإنجيلية فى العالم وخصوصاً أواسط أفريقيا واليابان، فعن جزيرة مدغشقر تذكر فى نهاية خبر عن أعمال المبشرين الأمريكيين هناك" فليتنا كنا نشاهد بيننا فى الكنيسة الإنجيلية السورية رغبة نظير رغبتهم فى تقديم عطايانا لأجل انتشار الإنجيل ومصاريف كنائسنا"(٢).

وتظهر فى النشرة العديد من المقالات العلمية فى مختلف العلوم الحديثة كالطب والكيمياء، وهى تكتب بلغة سهلة التناول، مما يسهل معه على القارئ المتوسط فهمها، وهناك العديد من المقالات فى التاريخ والجغرافيا، ولكنها موضوعات تخرج من الأساس التوراتى. وهذه الموضوعات فى مجملها تساعد على إثارة الفكر والتثقيف.

ويمكننا أن نوضح أهم ما قدمته المجلة فى مجالين مختلفين هما:

- إثارة القضايا الفكرية سواء دينية أو تاريخية.
- الهجوم على الطوائف الأخرى.

فمن حيث إثارة القضايا الفكرية تبنت المجلة الحديث عن تاريخ الإصلاح الدينى فى أوربا، مبينة الفساد الذى كان يسيطر على الحياة الدينية قبل الإصلاح، ودخول أنواع الفساد فى الإيمان والأعمال بين الأكليروس والعوام، وفى القرنين ١٥،١٦ نهض إناس ذوو تقوى وغيرة لأجل الإصلاح

---

(١) النشرة الأسبوعية: ١٦ كانون الثانى، ١٨٧٢، ص٢٠.

(٢) النشرة الأسبوعية: ٩ كانون الثانى ١٨٧٢، ص٣.

وحدثت العديد من التغييرات على أيديهم[١] ونتج عن هذا الإصلاح من وجهة نظر المجلة:
١-هدم السور الحاجز بين الإنسان وربه.
٢-أن الإصلاح يجعل الله والإنسان يتقابلان وجها لوجه، بعد أن كانت البابوية تفصل بينهما ولكن الإصلاح جمعهما.
٣-أن الإصلاح أرجع المسيح للإنسان وبذلك فتح طريقا سهلا يقدر أن يصل بالإنسان لخالقه[٢].

كما حدثت مناقشات ساخنة على صفحات "النشرة الأسبوعية" حول تحرر النساء وهل لهن حق المساواة بالرجال فى الهيئة الاجتماعية، حيث هاجم "أسعد داغر" التحرر النسائى معتبرا أن ليس لهن الحق فى المساواة بالرجال، فرد عليه كاتب أخر هو "عبدالله جبور" مفندا آراؤه، ولكن النقاش فى هذه القضية ضم أطراف أخرى فقد شاركت إحدى منتهيات مدرسة البنات السورية الإنجيلية مفندة آراء "أسعد داغر" مستعينة بالعديد من الآراء والأدلة مثل أن المرأة لها صوتا فى الانتخابات بأمريكا كالرجال تماما" وفى نهاية مقالها ذكرت" فمن أنكر عليهن بعد ذلك القدرة على القيام بأعمال الرجال فليتول بنفسه تلك الأمور البيتية ويكل أعماله إلى المرأة ويرى هل تقدر على القيام بها أولا"[٣].

القضية الأخرى التى أثارت العديد من النقاش هى قضية التطور لداروين، فقد كتبت العديد من المقالات والمحاورات حول هذا الموضوع، منتصرين لكل الآراء التى ضد داروين متهمين إياه وأتباعه بالجهل وعدم الانتصار للعلم[٤]، وأن غاية ما يريده داروين الهجوم على المسيح والمسيحيين فهو وأتباعه ضد الديانة المسيحية، وابتداء من عام ١٨٨٥م أخذت المجلة فى نشر العديد من المقالات "لإبراهيم الحورانى" حول داروين تحت عنوان "الحق

---

(١) النشرة الأسبوعية: ٦ شباط ١٨٧٢، ص٤١ .
(٢) النشرة الأسبوعية: الثلاثاء، ١٢ أذار، ١٨٧٢ ص٨٣ .
(٣) النشرة الأسبوعية: ٢ شباط ١٨٨٥، عدد ٥ ص
(٤) النشرة الأسبوعية: محاورة بين درويني ومسيحي فى أهما يحترم العلم، ٣ تشرين الثانى، ١٨٨٤م، عدد ٤٥ ص٣٥٥ .
- انظر أيضا: النشرة الأسبوعية، ٨ أيلول ١٨٨٤، عدد ٣٧،ص٢٩١ .
- النشرة الأسبوعية، ٥ تشرين ١٨٨٥، عدد ٤٠، ص٣١٤ .

اليقين فى الرد على بطل داروين"[١] وهذه المقالات نشرت بعد ذلك فى كتاب، وأدت هذه القضية لنقل الفلسفات المادية وغيرها للعالم العربى ونقل الفكر العلمانى.

ونرى أن أخطر قضية أثارتها المجلة فى خلال كل أعدادها هى الموقف من اليهود، حيث بدأت باستعمال الأسماء التوراتية للمناطق الجغرافية مثل حبرون[*]، "Hebron" وصورة لخروج بنات إسرائيل بالدفوف والمثلثات للقاء شاول وداود عند رجوعهم منتصرين على الفلسطينيين[٢]، وذلك تمهيداً لتثبيت حق اليهود فى الأراضى الفلسطينية.

وفى سلسلة من المقالات بعنوان "إتمام النبوات فى شعب اليهود "مما جاء فيه "ثم أن بعض النبوات على عهد الله مع إبراهيم وهو أن يهب لنسله أرض كنعان ملكاً دائماً ليس بمنتقص مما ذكر آنفا فأن بنى إسرائيل لابد من أن يتجمعوا من بين جميع الوثنيين، ومن كل الجهات ويأتوا إلى بلادهم ويتبوأوها كما تبوأتها آباؤهم من قبلهم ولو كان هذا الميثاق جعل لغير ذرية إبراهيم لتعذر الآن صحته وتحقيقه لأنه لا يوجد الآن من تلك الأمم الخالية ممن كان معاصراً لإبراهيم منذ ثلاثة آلاف سنة عين ولا أثر سوى اليهود"[٣]. وبذلك نجد الدعوة الواضحة من المجلة لإعادة اليهود للوطن المختار وهو فلسطين، وهذا نابع من إيمانهم بالعقيدة الألفية، ولقد تبع هذا الإيمان العديد من الخطوات الأخرى مثل الاستكشافات الأثرية فى فلسطين، ومحاولة كتابة العديد من الكتب عن جغرافية ونباتات وجو وآثار فلسطين، فكانت هذه الكتابات بمثابة استكشاف لفلسطين للعمل على توطين اليهود فيها من هنا علينا أن نتأكد أن السياسة الأمريكية تجاه إسرائيل حتى الآن تحكمها عوامل دينية فى الأساس[**] هذا عرض موجز للقضايا الفكرية التى أثارتها

---

(١) النشرة الأسبوعية : ١٢ تشرين الأول ١٨٨٥، العدد ٤١، ص ٣٢٥ .

(*) حبرون : الخليل.

(٢) النشرة الأسبوعية : ٢٢ كانون الثانى ١٨٨٣، ص ٢٩ .

(٣) النشرة الأسبوعية: ٦ شباط ١٨٧٢، ص٤٥ .

(**)والإنجيليون الأمريكان يؤمنون بعظمة التوراة وقبول المسيح منقذاً وبقدومه الثانى، وهم يؤمنون بضرورة دعم إسرائيل والدفاع عنها بكل الوسائل واعتبار مباركتها من رضى الله" الذى يلعن معارضيها ومنتقديها وهم يرون أن إقامة إسرائيل وتجميع اليهود فى فلسطين هو أعظم حدث فى التاريخ الحديث، ودليل على أن نبوءات التوراة صارت حقيقة=

المجلة لجانب العديد من القضايا الأخرى، أضف لذلك فقد قامت المجلة بتوجيه العديد من النقد والهجوم لبقية الطوائف مثل الموارنة - والمسلمين وكذلك كان النقد الشديد موجه ضد الإرسالية اليسوعية المنافس الرئيسى لهم.

فمن أمثلة الهجوم على اليسوعيين أنهم دعاة خراب فكل موضع حلوا فيه خربوه وكل عمل مدوا يدا إليه أفسدوه وتقول المجلة "وقد مدوا أيدهم إلى الطوائف الشرقية ولابد من إفسادهم إياها"(١) وفى عدد أخر تذكر "انتبهوا أيها الناس إلى تعاليم اليسوعيين السرية واعرفوا من هم الذين إلتجأوا إلى هذه الجهات إذ لم تحتملهم سائر البلدان، وانتبهوا أيها الرتب والطغمات من الرهبان وأهل الدين وأعرفوا مقاومتكم ومضاداتكم من أين وكيف وعلى أية طريقة ولأية غاية وإذا لبثتم متغافلين تمكن هؤلاء من خنقكم فمتى شعرتم بالحبل يشتد على أعناقكم لا تقولوا ما من أحد نبهنا"(٢) وهناك العديد من المجادلات بين الطرفين مثل هجوم اليسوعيين على الكلية الإنجيلية السورية ورد النشرة الأسبوعية على ذلك(*).

- =يوسف الحسن : (دكتور) البعد الدينى فى السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيونى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٠، ص١٢ .

وهذا يؤكد أن التغلغل التوراتى فى الحركة البروتستانتية أدى لظهور فكرة الصهيونية النصرانية قبل فكرة الصهيونية اليهودية وتبنيها لفكرة عودة اليهود لفلسطين تمهيدا لعودة المسيح.

لمزيد من المعلومات راجع. سفر بن عبدالرحمن الحوالى (دكتور): القدس - بين الوعد الحق والوعد المفترى مكتبة السنة، القاهرة، ١٤١٤هـ، ص٤٤.

(١) النشرة الأسبوعية: الثلاثاء ١٤ أيار ١٨٧٢، ص١٦٠ .

(٢) النشرة الأسبوعية: الثلاثاء ٢١ أيار ١٨٧٢، عدد ٢١، ص١٦٤ .

(*) ارتبط بهذا الهجوم المتبادل الموارنة المرتبطين باليسوعيين، فقد هاجمتهم النشرة من حيث تنكرهم أنهم يوما ما من أصحاب المشيئة الواحدة، وهم يدافعون عن ارتباطهم بروما منذ البداية، قائلة ولما خضعوا لرومية قبلوا على رقابهم رف العبودية وسلموا حريتهم وسمحوا للأجانب بالمداخلة فى أمورهم" النشرة الأسبوعية ٢٣ تموز ١٨٧٢م، العدد ٣٠، ص٢٣٧، انظر: النشرة الأسبوعية، ٨ تشرين ١٨٧٢، العدد ٤١، ص٣٢٣ .

أما هجوم النشرة على المسلمين فقد كان فى صورة الغمز واللمز من بعيد فمثلا "سئل قاضى الوهابيين ما هى الخطايا المميتة قال أكبرها شرب المخزى - التبغ - قال السائل وأين تذهب بالقتل والفسق والسرقة، قال الله رحوم، فحسب قاض الوهابيين من شرب تبغا يهلك لا محالة ولكن السارق والفاسق والقاتل يرجو رحمة الله، ومثل ذلك رأى البعض أن الكذب والمكر والحلفان وما يشبه ذلك يغفر بسهولة أو يطهر بماء مصلى عليه، ولكن من أكل لحما نهار الجمعة أو فى الصوم الكبير يذهب إلى جهنم مكوراً"[1].

وبالطبع لا يحتاج هذا الكلام لأى تفنيد، فهو كلام خاطئ أرادوا به تشويه صورة المسلمين فى أعين الناس، عن طريق نشر مثل هذه الأكاذيب ضد مخالفيهم.

وابتداء من شهر يناير ١٨٩٠م تعطلت النشرة الأسبوعية بأمر من الحكومة لمدة عام كامل لأنها نقلت عن الجرائد المحلية تلغرافات لا توافق مشرب الحكومة فى ذلك العهد[2]، ويبدو أنها خارجة على الدين وأثارت مشاكل دينية.

ويتضح مما سبق. أن هذه المجلة لعبت دوراً كبيراً فى تهيئة الأجواء لظهور العديد من المجلات الأخرى فى الشام لا سيما عند الطوائف الأخرى مثل اليسوعيين الذين أصدروا البشير.

قامت هذه النشرة الأسبوعية بدور كبير فى العمل التبشيرى للإرسالية الأمريكية ولنشر قواعد المذهب البروتستانتى. والهجوم على الطوائف والمذاهب الأخرى ولا سيما الموارنة والمسلمين واليسوعيين، مثال ذلك ما نشر فى.

بالرغم مما يقال عن الدور التبشيرى لهذه المجلة فأننا لا نستطيع أن ننكر الدور الذى لعبته "النشرة الأسبوعية" فى تثقيف المجتمع الشامى، وإثارة العديد من القضايا الفكرية ~~أثارت العديد من القضايا~~ الفكرية فى الوقت ذاته فقد فتحت أمام هذا المجتمع النافذة بل النوافذ على تيارات الفكر العالمى والنظريات الجديدة فى المجالات المختلفة، مثل العلمانية والمادية.

---

(١) النشرة الأسبوعية: ٣٠ ١٨٧٢نيسان، العدد ١٨، ص١٤٣.

(٢) فليب دى طرازى: مرجع سابق، جـ ٢ ص٢٠.

أخطر ما كانت تؤسس له هذه المجلة هو فكرة الوطن القومى لليهود فى فلسطين بوصفهم شعب الله المختار. ولعبت النشرة فى ذلك دور كبير فى تهيئة الأذهان لهذا الحدث.

و- الطبيب :

صدرت مجلة الطبيب كأول مجلة طبية متخصصة باللغة العربية، فى البلاد الشامية، وهى نقله نوعية للصحافة المتخصصة التى تقدم العلوم المختلفة ومنها الطب والصيدلة باللغة العربية، وإطلاع الناس على أحدث المخترعات فى الآلات الطبية لجانب أهم المؤلفات التى صدرت فى أوربا وأمريكا.

وصاحب امتياز الطبيب هو المبشر الأمريكى د/ جورج بوست، الذى أعلن عن رغبته فى أن يصدر مجلة الطبيب فى ست عشرة صفحة من القطع المتوسط، لتتضمن الأخبار المهمة عن الطب والجراحة وشرح الأدوية الجديدة وأحدث طرق العلاج، وكان مقرها فى الكلية الإنجيلية السورية[١].

وبين جورج بوست السبب وراء إنشاء المجلة فى:

١- محاولة نشر العلم فى بلاد الشرق بعد أن ذهب عنها وخيم الجهل- وذلك من وجهة نظره -.

٢- الرغبة فى التعريف بالعلوم الحديثة والاختراعات التى ظهرت فى الغرب[٢].

وساعد جورج بوست العديد من الكتاب والعلماء الذين برزت أسماؤهم فى البلاد العربية مثل يوحنا ورتبات، سليم جلخ، سليم موصلى، أمين مغبغب، شبلى شميل، ميخائيل انطون، يوسف كحيل، مراد بارودى، نقولا نمر.

وكانت مجلة الطبيب كثيرة التوقف لأسباب مختلفة حتى أنه ضمن عمرها الذى بلغ حوالى ٢٠ عاماً، لم تصدر إلا ست سنوات[٣]، كما تغيرت الإدارة أكثر من مرة.

---

(١) الجنان، الجزء الثامن، ١٥ نيسان ١٨٧٣، ص٢٦٠ .

(٢) الطبيب:، الجزء الأول، ١٥ أذار ١٨٨٤م.

(٣) المقتطف. الجزء السابع، العام التاسع عشر، يوليو ١٨٩٥ ص٥٤٠ .
-انظر أيضا: المقتطف، الجزء الثامن، العام الخامس، المجلد الخامس، كانون الأول، ١٨٨٠، ص٢٢٤، المقتطف، الجزء السابع، العام الثامن نيسان ١٨٨٤، ص٤٤٨ .

وفى يناير ١٨٨٤م أسند جورج بوست صاحب الامتياز إدارة المجلة- الطبيب- لـ الشيخ إبراهيم اليازجى والدكتورين بشارة زلزل وخليل سعادة، متعللا بكثرة مشاغله[١].

وفى العدد الأول الذى خرج للنور تحت إدارة المجموعة الجديدة أعلنوا أنهم سيحولون هذه المجلة من مجلة طبية متخصصة مقصورة الفائدة على عدد معين من الأطباء لمجلة تهم كل الفئات "فقد عزمنا على أن نوسع فيها بما تدعو إليه حاجة كل مطالع ما تكون فيه فائدة للعالم والصانع والتاجر والزارع والصيدلى والطبيب والشاعر والأديب والمترسل والخطيب إلى ما ينتظم فى هذا السلك من فنون الجنان واللسان"[٢].

وبالفعل بدأت الموضوعات الأدبية فى الظهور مثل - "الإنشاء" والجرائد الأدبية" و"أمالى اللغوية" وظهرت عروض للكتب الأدبية، وأيضا الموضوعات الجغرافية، والرحلات، وموضوعات عن المدراس[٣] ولكن الإدارة الجديدة لم تستمر أكثر من عام وأعلنت بعده توقف المجلة، وكان السبب أزمة مالية عانت منها "الطبيب" وعدم دفع الاشتراكات[٤].

وعلى الرغم من الأزمات العديدة التى قابلت مجلة الطبيب إلا أنها أفادت فى عدة نقاط.

١- فتحت أمام القارئ العربى أحدث الإصدارات العلمية فى كافة المجالات عن طريق عروض الكتب الحديثة. وكان بها باب أخر عن أحدث الاختراعات .

٢- ترجمت العديد من الموضوعات العلمية فى كافة مناحى العلوم مما ساعد على التقدم الفكرى والإلمام بالجديد أمام الشوام.

٣- توقفت هذه المجلة وقل الاهتمام بها ؛ بعد أن تحولت لغة التعليم الطبى فى المدرسة الكلية السورية ، وكذلك القصر العينى لتصبح اللغة الإنجليزية.

---

(١) الطبيب، الجزء الأول، السنة ١٥ أذار ١٨٨٤، ص١ .

(٢) الطبيب: الجزء الأول، ١٥ آذار ١٨٨٤م، ص٣ .

(٣) الطبيب: الجزء الثالث ١٥ نيسان ١٨٨٤، ص٤١ .
- الطبيب: الجزء التاسع، ١٥ تموز ١٨٨٤، ص

(٤) النشرة الأسبوعية: الاثنين ١٦ آذار ١٨٨٥، عدد ١١، ص٨٧ .

جـ- المقتطـف:

أسسها يعقوب صروف وفارس نمر ، وصدر العدد الأول منها في بيروت في أول أيار / مايو سنة ١٨٧٦ ، ثم انتقلت إلى مصر في عام ١٨٨٨م . وتعتبر مجلة المقتطف من أهم المجلات العلمية التي صدرت باللغة العربية في ذلك الوقت ، وقد كانت المقتطف وثيقة الصلة بالإرسالية الأمريكية في الشام ؛ وذلك بحكم ارتباط أصحابها بالتعليم ، ثم العمل ثم اعتناق المذهب البروتستانتي ، حتى أن اختيار الاسم "المقتطف" كان من اختيار د/ كرنيليوس فانديك، واعتبرت المقتطف هي الناطقة بلسان الإرسالية لاسيما في مصر[١].

والمقتطف مجلة شهرية علمية صناعية زراعية، وكانت تشتمل في البداية على ٢٤ صفحة، ثم اتسع نطاق الصفحات تدريجيا حتى بلغ عدد صفحاتها ١٠٤ بحرف دقيق، وكانت من أوسع المجلات العربية انتشارا[٢].

وكان السبب الداعي لإنشاء "المقتطف" – حسبما قال مؤسسها – هو شدة احتياج الوطن إلى ما يتسهل به الوصول إلى العلم والصناعة وفي العدد الأول إشارة لفضل المدرسة الكلية الأمريكية وأساتذتها على المقتطف ووعود هؤلاء الأساتذة بالمساعدة والمساهمة في إنجاح هذه المجلة[٣].

---

(١)يذكر يعقوب صروف أحد مؤسسي هذه المجلة قوله "ورأينا أنه يستحيل علينا أن نجاري الأمم الغربية في العلوم والمعارف إذا اقتصرنا على ما يترجم ويؤلف من الكتب لأن العلوم الحديثة جارية ولابد من جريدة تقتطف ثمار المعارف والمباحث العلمية شهرا فشهرا وتذيعها في الأقطار العربية، فعقدنا النية على إنشاء المقتطف ورسمنا خطته ... و لم نختر له اسما وذهبنا إلى أستاذنا الدكتور فانديك وكان في المرصد الفلكي حيث كان يقضي أكثر أوقاته فاستشرناه فيما عزمنا عليه وسألناه أن يختار لنا أسماله فأبرقت أسرته وجعل يشدد عزائمنا ... وقال سمياه "المقتطف" ثم كتب إلى صاحب السعادة خليل أفندي الخوري وكان مديرا للمطبوعات في سورية يطلب إليه أن يسعى لنا في جلب الرخصة السلطانية.

- يعقوب صروف: مرجع سابق، ص١٨٤ .

(٢) فليب دي طرازي: مرجع سابق، جـ٢ ص٥٢ .

(٣) المقتطف- العدد الأول- أيار / مايو عام ١٨٧٦م ، ص١ .

والمقتطف من أهم المجلات العربية التى ناقشت الموضوعات العلمية وأخـذت تعرض لها بلغه سهلة مبسطة منذ عددها الأول، حيث تحدثت عن عمـل الزجاج" وعن سطح القمر" والميكروسكوب"، فى الوقت الذى لم تهمل فيه الدعوة للأخذ عن الغرب الأوربى الذى أصبح أكثر حضارة وتمدنا، من هنا امتلأت المجلة بالموضوعات عما وصل إليه الغرب والمذاهب الفلسفية الجديـدة، بينما كان نصيب العرب وفى ذلك أيضاً كثيراً - كما سيتضح فيما يلى:

سـعت المقـتطف للدعوة للفرقة بين العرب والعثمانيين فالأخيرين أقـل فى مضـمار الحضارة من العرب، وكانت تعمل من طرف خفى على أضـعاف النعرة الدينية والوطنية بما تنشر من آراء تشكك فى العقيدة، وبما تدعـو إليـه من نزعات عالمية لا يراد بها إلا تقريب الفوارق بين العرب والأوربيين المستعمرين -، وهى تترجم لعظماء الرجال من الغربيين، ولا تكـاد تجد فيها ترجمة لرجل من أبطال الإسلام[١]،ومن أهم ما كانت تدعو إليه هذه المجلة كان محاولة نشر اللغة العامية واستخدامها بديلا عن الفصحى[٢]. ولهذا دلالة واضحة فى الرغبة فى القضاء على واحدة من أهم مقومات الوحـدة بين المسلمين ، وهى المرمى الذى وجهوا إليه سهامهم بغية تحويل الوحـدة الفكرية عند المسلمين إلى أخلاط فكرية متباينة ، كما حاولوا التقليل من قدرة اللغة العربية على مسايرة ركب التطور .

وعندما ضاقت بيروت بأصحاب المجلة هاجروا بها لمصر وذلك لأن السـلطات بـدأت تضيق بهم وبنشاطهم سواء الصحفى أو غيره أضف لذلك رغبـتهم فى الخروج إلى جو أرحب، وطمعاً فى المجد الشخصى[٣] والملفت للـنظر أنـه بعـد هجـرتهم إلى مصـر سمحت لهم السلطات المصرية ثم

---

(١) محمـد محمـد حسين (دكتور): الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٥٤، جـ١ ص٢٤٣ .

(٢) راجـع هـذه الدعوة فى أعداد المقتطف عام ١٩١٢ ، وانظر أيضا : نفوسة زكـريا : تـاريخ الدعـوة إلى العاميـة وآثارها فى مصر ، دار الثقافة ، الإسكندرية ، ١٩٦٤ .

(٣) أحمـد طاهر حسنين (دكتور): دور الشاميين المهاجرين إلى مصر فى النهضة الأدبية الحديثة، دار الوثبة، دمشق، ١٩٨٣، ص٢٧ .

الإنجليزية بإصدار الصحف المختلفة سواء المقطم أو المقتطف وأصبحوا أبواقا للحضارة الغربية.

فقد رأى كرومر أن يتخذ له بطانة من الصحفيين ؛ للدعوة للوجود الإنجليزى ومسئولية الرجل الأبيض ، ولمقاومة الأهرام التى كانت تحمى النفوذ الفرنسى، فتقدم يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس لإدارة المطبوعات فى ١٨ إبريل ١٨٨٨م يرجون الترخيص لهم بإنشاء جريدة سياسية تجارية غرضها خدمة الوطن واسمها المقطم وتكون يومية. وبالفعل صدرت "المقطم" التى أصبحت من أهم أبواق الدعوة للوجود البريطانى وما استفادته مصر من وجود الإنجليز.[*]

وبالرغم من علاقة المقتطف بالإرسالية الأمريكية فى الشام، ثم علاقتها بالاحتلال البريطانى ؛ إلا أنها قد لعبت دورا فى تعريب الموضوعات العلمية، وفى التعريف بكل جديد فى مجال العلم والمذاهب الفلسفية الجديدة. وأهم ما يميز هذه المجلة هو البحث فى النشاط العلمى عند العرب السابقين فى المرحلة الحضارية الأولى. فكانت المجلة تبشر عن هذا التراث العلمى وتخرجه فى صورة مقالات للنور، وذلك لتغذية الشعور القومى عند العرب فى مواجهة الدولة العثمانية.

ومن خلال دراسة مقارنة أجراها أحد الباحثين[1] بين المقتطف و١٢ مجلة أخرى من حيث عدد المقالات التى تتناول تاريخ العلم عامة وعند العرب خاصة تمثلت الأرقام التالية :

(*) إبراهيم عبده (دكتور): تطور الصحافة المصرية وأثرها فى النهضتين الفكرية والاجتماعية، مطبعة التوكل، القاهرة، ١٩٤٤، ص١٧٥.

(١) قدرى طوقان: تاريخ العلوم - بحث منشور ضمن كتاب نشاط العرب العلمى فى مائة سنة،هيئة الدراسات العربية، بيروت، ١٩٥٩، ص١٨.

عنوان البحث	عدد المقالات فى المقتطف	عدد المقالات فى المجلات آل ١٢
الجغرافيا عند العرب	٩	١
الكيمياء والنبات والحيوان عند العرب	١٨	١٣
الفلك عند العرب	١٣	٢
الرياضة عند العرب	٢٠	١٧
الفيزياء عند العرب	١٠	١٤
الطب والجراحة عند العرب	١٦	-
البيطرة عند العرب	١	-
تاريخ الحضارات بما فيه الحضارة العربية	٨	١٥
تاريخ العلم [عند غير العرب]	١١	٥

ومن هنا يتضح زيادة عدد المقالات فى تاريخ العلم والعلوم المختلفة عند العرب وفى العالم عموما أكثر مما ورد فى ١٢ مجلة علمية عربية فى نفس الفترة. هذا يمكننا من القول أن المقتطف سعت لتحقيق هدف سياسى بطريق علمي، وهو العمل للقومية العربية عن طريق إحياء مجد العرب وتراثهم الغابر .

وبذلك لعبت الصحافة دورا كبيرا فى تكوين اتجاه فكرى قومى معاد للعثمانيين ، ونشر تيارات الفكر الغربى . فعن طريقها دارت العديد من المساجلات الفكرية بين الأطراف المختلفة، سواء كانت هذه المساجلات دينية أو فكرية مثل أزمة الردود على "دارون" ونظريته، والمساجلات مع الموارنة والمسلمين [١].

عن طريق الصحف تم الدعوة للعديد من الأفكار الجديدة مثل الدعوة لإحلال الوطنية محل الدين، والرغبة فى المساواة بين جميع الطوائف فى الوطن الواحد[٢] - وكذلك الدعوة لتعليم المرأة وتحريرها من القيود التى

---

(١) راجع فى ذلك : النشرة الأسبوعية : محاورة بين دوريى ومسيحى فى أيهما يحترم العلم ، ٣ تشرين الثانى ١٨٨٤ ، ص.ص ٣٥٥ ، ٣٥٧ . والنشرة الأسبوعية ، ١٢ تشرين الأول ١٨٨٥ ، العدد ٤١ ، ص ٣٢٥ . والنشرة الأسبوعية فى ١٤ أيلر ١٨٧٢ ، ص ١٦٠ .

(٢) راجع سليم البستانى : الحكام ، الجنان ، الجزء السادس عشر ، آب ١٨٧٠ ، ص ٤٨١- ٤٨٣ . وأيضا : سليم البستانى : لماذا نحن فى تأخر ، الجنان ، الجزء السادس ، آذار ١٨٧٠ . وأيضا : حنين حورى : الدين والوطن ، الجنان ، الجزء الرابع عشر ، تموز ١٨٧٠ ، ص ٤٣٦

تقيدها – وهنا حدثت العديد من المساجلات بين المؤيدين والمعارضين للفكرة [1].

وأخطر ما قامت به الصحف التابعة للإرسالية الأمريكية هو العمل على ترسيخ العديد من المفاهيم الخاصة باليهود شعب الله المختار، ووجوب عودتهم لأرض فلسطين "أرض الميعاد"، وإطلاق الأسماء التوراتية على الأماكن المختلفة فى فلسطين٠

سادسا- الجمعيات :

فى إطار التحولات الفكرى التى شهدتها بلاد الشام ظهرت الجمعيات الأدبية والعلمية ثم الجمعيات ذات الأهداف السياسية لأول مرة فى هذه الديار، وأدت لتجمعات المثقفين وهو ما أدى فى النهاية لتطوير الأفكار ولتوليد المزيد من الأفكار الجديدة والفلسفات المادية والعلمانية ولعبت الإرسالية الأمريكية فى هذا المجال الدور الأبرز حيث كانت نشأة أول جمعية أدبية فى بلاد الشام – وهى جمعية الآداب والفنون – على أيديهم، وبتشجيع كامل منهم٠

وخدمت هذه الجمعيات التحول الفكرى فى بلاد الشام لأنها عملت على تنمية المعارف بما يلقى من خطابات دورية بين الأعضاء فى شتى مجالات المعرفة الإنسانية، وفيها كان يتم التعريف بالأفكار والمذاهب الجديدة التى ظهرت فى الغرب، غير أنه ينبغى إلا ننسى أن الهدف الأساسى لم يكن الرغبة فى نشر الثقافة والعلم إنما هو التبشير بالأفكار البروتستانتية . وعن طريق مكتبات هذه الجمعيات انتشرت القراءة بين الناس، وحدثت فيها العديد من المناظرات الفكرية ما بين مؤيد ومعارض. وبذلك لعبت الجمعيات دوراً كبيراً فى النهضة الفكرية التى ظهرت فى تلك البلاد فى القرن التاسع عشر ويجب إلا يغيب عن أذهاننا أن هذه الجمعيات لم تظهر إلا فى مدينة بيروت أولاً ثم انتشرت بعد ذلك فى بقية البلاد الشامية وذلك راجع بالأساس لأنها المركز الأساسى للإرسالية الأمريكية، وهى أيضاً ميناء الشام الأساسى

---

(١) راجع هجوم أسعد داغر على تحرر النساء ورد عبد الله جبور عليه فى النشرة الأسبوعية ، ٢ شباط ١٨٨٥ ، عدد ٥ ، كما حفلت الأعداد التالية بنقاش واسع حول تلك القضية . كذلك راجع هيلانة بارودى : الأخلاق والعوائد ، المقتطف ، الجزء السادس ، السنة السابعة ، تموز ، ١٨٨٢ ، ص ١١٢ .

والعاصمة التجارية للشام كله، وابتداء من عام ١٨٨٨م جعلت ولاية بمفردها فنالت بذلك الامتياز على بقية المدن الشامية الأخرى.

أهم ما يميز الجمعيات عموما أنها حاولت التأسيس للمنهج الجماعى فى الفكر والثقافة بمعنى بذل جهد جماعى فى محاولة لإيجاد تيار فكرى.

أ- جمعية الآداب والفنون :

تشكلت كأول جمعية فى بلاد الشام عام ١٨٤٧م ، وكانت فى البداية بمثابة ناد أدبى أمريكى أسسه المبشرون قبل افتتاح أى من المدارس الكبيرة المعروفة[١] . وكان الساعى فى تأسيسها منذ البداية هو ناصيف اليازجى وبطرس البستانى ، اللذان قدما هذا الاقتراح لأصدقائهما من المبشرين الأمريكيين منذ عام ١٨٤٢م . وتم تعيين لجنة لتنفيذ هذا الاقتراح حتى ظهرت للنور عام ١٨٤٧م ، ورأسها المبشر عالى سميث، وكانت هذه الجمعية تعقد اجتماعا كل أسبوعين يتحدث فيه أحد الأعضاء عن موضوع أدبى ، وبلغ عدد جلسات هذه الجمعية ٥٣ جلسة ، وكانت تعنى بإلقاء الخطب والمناظرات والمناقشات فى مسائل علمية وأدبية[٢].

وضمت هذه الجمعية مكتبة كانت تشتمل منذ البداية على خمسمائة وستة عشر مخطوطا عربيا وعلى أحد عشر مخطوطا تركيا، وعلى عدد هائل من الكتب المطبوعة فى شتى اللغات، وهى تتناول الدين والفلسفة والشعر والطب والفلك والرياضيات والتاريخ واللغة، وقد تبرع بها أعضاء الجمعية[٣].

وابتكرت هذه الجمعية فى عضويتها ما يسمى بالعضو المراسل، أى الذى لا يسكن فى بيروت، مثلا صيدا، ودمشق، وطرابلس وغيرها من المدن الشامية الأخرى، ومن خلال مراجعة أسماء أعضاء الجمعية حتى عام ١٨٥٢م وهو تاريخ نهاية آخر جلسة لها، يتضح أنها لم تضم فى عضويتها

---

(١) محمد بديع شريف: (دكتور) مرجع سابق ص٨٠ انظر أيضا: عبدالكريم غرايبة: مرجع سابق، ص٢١٥ .

(٢) جورج أنطونيوس: مرجع سابق،ص١١٦ .

- شاهين مكاريوس: مرجع سابق، ص٣٩١ .

(٣) فيب دى طرازى: خزائن الكتب العربية فى الخافقين، وزارة التربية الوطنية – لبنان، د/ت، جـ٢ ص٤١٥ .

أى فرد من المسلمين ولا من الدروز بل كانت تضم المبشرين الأمريكيين، ومن ارتبط بهم من الوطنيين الشوام، ورجل إنجليزى هو تشرشل[١].

ورأس الجمعية المبشر عالى سميث وكان له ثلاث من النواب هم، النائب الأول الخواجة هنرى دى فرست، النائب الثانى، الخواجة نعمة ثابت، النائب الثالث، الخواجة جرجس هويتن، والكاتبان كاتب الوقايع، الخواجة بطرس البستانى وكاتب الرسايل الخواجة نوفل نعمة الله نوفل ولها أمينان هما أمين الصندوق وهو الخواجة ميخائيل شحاذة، وأمين المكتبة الخواجة أنطونيوس الأميونى[٢].

وكان القانون الأساسى للجمعية يتكون من ١٥ مادة: توضح تنظيمات للجمعية ، والهدف منها ، والرسوم التى يدفعها الأعضاء ، وكذلك تنظيم أعمالها[٣].

ب- الجمعية العلمية السورية :

لا ريب أن الإرسالية الأمريكية هى التى لعبت الدور الأكبر فى نشأة "جمعية الآداب والفنون" والتى أغلقت أبوابها فى عام ١٨٥٢م وكان لهذه الجمعية دور كبير سواء فى إحداث تطور فكرى كما قدمنا سابقا، أو فى إغراء الطوائف الأخرى بتكوين جمعيات جديدة.

فى عام ١٨٧٥ تقدم عدد من المسلمين باقتراح يتضمن موافقتهم على الاشتراك فى تأليف جمعية جديدة تتحد فيها جهود أهل العقائد الدينية جميعها لخدمة العلد، على شرط ألا يكون للمبشرين فيها أى أثر، وبذلك نشأت "الجمعية العلمية السورية، فى ١٨٧٥م، وبلغ عدد أعضاؤها ١٥٠ عضوا،

---

(١) جلال يحى : مرجع سابق ، جـ١ ص١٨٨ .

(٢) أعمال الجمعية العلمية السورية، إشراف بطرس البستانى، بيروت، ١٨٥٣ ص٨ من المقدمة.

(٣) ونص البند الثالث على أن "أعضاء الجمعية يكونون :مستوطنين ومراسلين وإكراميين – يقصد أعضاء الشرف – والذى يرغب الدخول فى هذه الجمعية يجب عليه أن تصرح باسمه أولا العمدة العاملة فى إحدى الجلسات القانونية ثم يستقر الانتخاب عليه فى الجلسة التالية ولا يتم الانتخاب إلا باتفاق ثلثى الأعضاء الحاضرين"، كما نصت المادة الخامسة عشر على عدم مشروعية إجراء أى تغيير فى نظم الجمعية، ما لم يذكر ذلك جهارا فى جلسة سالفة . انظر أعمال الجمعية العلمية ، المصدر السابق ، المقدمة .

والعاصمة التجارية للشام كله، وابتداء من عام ١٨٨٨م جعلت ولاية بمفردها فنالت بذلك الامتياز على بقية المدن الشامية الأخرى.

أهم ما يميز الجمعيات عموما أنها حاولت التأسيس للمنهج الجماعى فى الفكر والثقافة بمعنى بذل جهد جماعى فى محاولة لإيجاد تيار فكرى.

أ- جمعية الآداب والفنون :

تشكلت كأول جمعية فى بلاد الشام عام ١٨٤٧م ، وكانت فى البداية بمثابة ناد أدبى أمريكى أسسه المبشرون قبل افتتاح أى من المدارس الكبيرة المعروفة[١] . وكان الساعى فى تأسيسها منذ البداية هو ناصيف اليازجى وبطرس البستانى ، اللذان قدما هذا الاقتراح لأصدقائهما من المبشرين الأمريكيين منذ عام ١٨٤٢م . وتم تعيين لجنة لتنفيذ هذا الاقتراح حتى ظهرت للنور عام ١٨٤٧م ، ورأسها المبشر عالى سميث، وكانت هذه الجمعية تعقد اجتماعا كل أسبوعين يتحدث فيه أحد الأعضاء عن موضوع أدبى ، وبلغ عدد جلسات هذه الجمعية ٥٣ جلسة ، وكانت تعنى بإلقاء الخطب والمناظرات والمناقشات فى مسائل علمية وأدبية[٢].

وضمت هذه الجمعية مكتبة كانت تشتمل منذ البداية على خمسمائة وستة عشر مخطوطا عربيا وعلى أحد عشر مخطوطا تركيا، وعلى عدد هائل من الكتب المطبوعة فى شتى اللغات، وهى تتناول الدين والفلسفة والشعر والطب والفلك والرياضيات والتاريخ واللغة، وقد تبرع بها أعضاء الجمعية[٣].

وابتكرت هذه الجمعية فى عضويتها ما يسمى بالعضو المراسل، أى الذى لا يسكن فى بيروت، مثلا صيدا، ودمشق، وطرابلس وغيرها من المدن الشامية الأخرى، ومن خلال مراجعة أسماء أعضاء الجمعية حتى عام ١٨٥٢م وهو تاريخ نهاية أخر جلسة لها، يتضح أنها لم تضم فى عضويتها

---

(١) محمد بديع شريف: (دكتور) مرجع سابق ص٨٠ انظر أيضا: عبدالكريم غرايبة: مرجع سابق، ص٢١٥ .

(٢) جورج أنطونيوس: مرجع سابق،ص١١٦ .
- شاهين مكاريوس: مرجع سابق، ص٣٩١ .

(٣) فليب دى طرازى: خزائن الكتب العربية فى الخافقين، وزارة التربية الوطنية – لبنان، د/ت، جـ٢ ص٤١٥ .

أى فرد من المسلمين ولا من الدروز بل كانت تضم المبشرين الأمريكيين، ومن ارتبط بهم من الوطنيين الشوام، ورجل إنجليزى هو تشرشل[١].

ورأس الجمعية المبشر عالى سميث وكان له ثلاث من النواب هم، النائب الأول الخواجة هنرى دى فرست، النائب الثانى، الخواجة نعمة ثابت، النائب الثالث، الخواجة جرجس هويتن، والكاتبان كاتب الوقايع، الخواجة بطرس البستانى وكاتب الرسايل الخواجة نوفل نعمة الله نوفل ولها أمينان هما أمين الصندوق وهو الخواجة ميخائيل شحاذة، وأمين المكتبة الخواجة أنطونيوس الأميونى[٢].

وكان القانون الأساسى للجمعية يتكون من ١٥ مادة: توضح تنظيمات للجمعية ، والهدف منها ، والرسوم التى يدفعها الأعضاء ، وكذلك تنظيم أعمالها[٣].

ب- الجمعية العلمية السورية :

لا ريب أن الإرسالية الأمريكية هى التى لعبت الدور الأكبر فى نشأة "جمعية الآداب والفنون" والتى أغلقت أبوابها فى عام ١٨٥٢م وكان لهذه الجمعية دور كبير سواء فى إحداث تطور فكرى كما قدمنا سابقا، أو فى إغراء الطوائف الأخرى بتكوين جمعيات جديدة.

فى عام ١٨٧٥ تقدم عدد من المسلمين باقتراح يتضمن موافقتهم على الاشتراك فى تأليف جمعية جديدة تتحد فيها جهود أهل العقائد الدينية جميعها لخدمة العلم، على شرط ألا يكون للمبشرين فيها أى أثر، وبذلك نشأت "الجمعية العلمية السورية، فى ١٨٧٥م، وبلغ عدد أعضاؤها ١٥٠ عضوا،

---

(١) حلاق يحيى : مرجع سابق ، جـ١ ص١٨٨ .

(٢) أعمال الجمعية العلمية السورية، إشراف بطرس البستانى، بيروت، ١٨٥٣ ص٨ من المقدمة.

(٣) ونص البند الثالث على أن "أعضاء الجمعية يكونون :مستوطنين ومراسلين وإكراميين – يقصد أعضاء الشرف – والذى يرغب الدخول فى هذه الجمعية يجب عليه أن تصرح باسمه أولا العمدة العاملة فى إحدى الجلسات القانونية ثم يستقر الانتخاب عليه فى الجلسة التالية ولا يتم الانتخاب إلا باتفاق ثلثى الأعضاء الحاضرين"، كما نصت المادة الخامسة عشر على عدم مشروعية إجراء أى تغيير فى نظم الجمعية، ما لم يذكر ذلك جهارا فى جلسة سالفة . انظر أعمال الجمعية العلمية ، المصدر السابق ، المقدمة .

ويلاحظ أن قانونها ونظامها ووسائلها وغاياتها وأنظمتها كان كلها على غرار الجمعية السابقة، ونالت هذه الجمعية اعتراف الدولة العثمانية في عام ١٨٦٨م[١].

وبذلك نلاحظ أن العناصر الغالبة والمسيطرة على هذه الجمعية كانت هى التابعة للإرسالية الأمريكية مثل: أبناء اليازجى وأبناء بطرس البستانى، ولكن غلب الطابع السياسى القومى على نشاط هذه الجمعية وهو ما كان مطلوبا من الإرسالية الأمريكية أنذاك.

وكان تأسيس الجمعية العلمية السورية مهدا للحركة السياسية الجديدة، فقد جاء أول صوت أرسلته حركة العرب القومية فى جلسة سرية عقدها بعض أعضاء هذه الجمعية[٢].

وأدت الجمعية لظهور تيار ثقافى تربوى يمكن أن نصفه بأنه تيار وطنى علمانى، وهو ما يتفق مع غايات الإرسالية الأمريكية، ويتميز بما يلى:

أولا : العناية بإحياء اللغة العربية وجعلها أداة طبيعية لاستيعاب المفاهيم الحديثة.

ثانيا : تقبل مبدأ العبادة كشأن شخصى وذلك بتأثير من الحركة البروتستانتية.

ثالثا : اعتماد المبدأ الوطنى بديلا للرابطة الدينية وإطراح الطائفية مع المحافظة على التعليم الدينى كأساس للتهذيب والأخلاق.

رابعا : العناية بإدخال العلوم الحديثة ونشرها فى البلاد، وكذلك العناية، بالتعليم الصناعى والمهنى من أجل تقدم البلاد[١].

---

(١) جورج أنطونيوس: مرجع سابق، ص١١٩.
- انظر أيضا: جلال يحى (دكتور): العالم العربى الحديث، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦، ص١٩٧.
- جورجى زيدان: مرجع سابق، جـ٤، ص٦٩.

(٢) عبدالعزيز رفاعى: (دكتور) : أصول الوعى القومى العربى، مؤسسة المطبوعات الحديثة، القاهرة، ١٩٦٠، ص٥٦.
-انظر أيضا: محمود صالح منسى: (دكتور): حركة اليقظة العربية فى الشرق الأسيوى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٧٥، ط٢، ص٥٦.

وتعود الأهمية الحقيقية لهذه الجمعية أنها حولت النقاش في الموضوعات الثقافية إلى حوار سياسى جماعى الهدف منه التخلص من الحكم العثمانى للديار الشامية من هنا كان تبنى الدعوة القومية كوسيلة للقضاء على الدولة الحاكمة، وبعد ذلك فى بدايات القرن العشرين تم التخلص من الدعوة القومية لصالح دعوات إقليمية.

ففى هذه الجمعية تغنى إبراهيم اليازجى بالقومية العربية وألقى العديد من القصائد التى أشاد فيها بمجد العرب وحضارتهم، وسمو لغتهم وتراثهم الأدبى، وحذر العرب من أضرار التفرق والتخاصم الدينى وندد بحكم الأتراك العثمانيين ودعا للاتحاد لرفع نيرهم عن عاتق العرب، وانتشرت هذه القصائد الحماسية فى مختلف بلدان الشام ومن أقوال اليازجى: أهداف سامية لا يتم إدراكها إلا بحد السيف فإن شئت بلوغها فتش عن السيف(٢).

وقد عقدت الجمعية ٥٣ جلسة فيما عدا الجلسات المفتوحة التى بلغ عددها أكثر من عشرين جلسة تناولت شتى الموضوعات وهى فى مجملها تدعو لأفكار محددة مثل موضوع فى "لذات العلم وفوايده " الذى ألقاه كرنيليوس فانديك والذى اختتمه بقول الإمام على:

ما الفضل إلا لأهل العلم أنهم *** على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه *** والجاهلون لأهل العلم أعداء
فقم بعلم ولا تبغى به بدلا *** فالناس موتى وأهل العلم أحياء(٣).

كما نشرت موضوعات فى كافة مناحى العلوم الحديثة، وكذلك ألقى الضوء على العديد من الاختراعات الحديثة، وكذلك كان هناك اهتمام بالنساء والمطالبة بتعليمهن، وإلقاء العديد من الأضواء حول علوم العرب قديما.

ولقد لعبت هذه الجمعية دوراً فى نشر الثقافة والفكر فى كافة المجالات الأدبية والعلمية، كما كان لمكتبتها دوراً آخر فى نشر المعرفة بين

---

(١) نعيم عطية: معالم الفكر التربوى فى البلاد العربية فى المئة سنة الأخيرة، منشور ضمن الفكر العربى مرجع سابق، ص٤٧٧ .
(٢) الأمير مصطفى الشهابى: مرجع سابق، ص٤٥، ص٤٦ .
(٣) بطرس البستانى: أعمال الجمعية العلمية مرجع سابق، ص١٠ .

ويلاحظ أن قانونها ونظامها ووسائلها وغاياتها وأنظمتها كان كلها على غـوار الجمعية السابقة، ونالت هذه الجمعية اعتراف الدولـــة العثمانيـــة فـــى عـــام ١٨٦٨م[١].

وبذلك نلاحظ أن العناصر الغالبة والمسيطرة على هذه الجمعية كـانت هى التابعة للإرسالية الأمريكية مثل: أبناء اليازجى وأبناء بطرس البســـتانى، ولكن غلب الطابع السياسى القومى على نشاط هذه الجمعية وهـــو مـــا كـــان مطلوبا من الإرسالية الأمريكية أنذاك.

وكان تأسيس الجمعية العلمية الســـورية مـــهدا للحركـــة السياســـية الجديدة، فقد جاء أول صوت أرسلته حركة العرب القومية فى جلسة ســـرية عقدها بعض أعضاء هذه الجمعية[٢].

وأدت الجمعية لظهور تيار ثقافى تربوى يمكن أن نصفه بأنـــه تيـــار وطنى علمانى، وهو ما يتفق مع غايات الإرسالية الأمريكية ، ويتمـــيز بمـــا يلى:

أولا : العناية بإحياء اللغة العربية وجعلـــها أداة طبيعيـــة لاســـتيعاب المفاهيم الحديثة.

ثانيا : تقبل مبدأ العبادة كشأن شخصى وذلك بتـــأثير مـــن الحركـــة البروتستانتية.

ثالثا : اعتماد المبدأ الوطنى بديلا للرابطة الدينية وإطراح الطائفيـــة مع المحافظة على التعليم الدينى كأساس للتهذيب والأخلاق.

رابعا : العناية بإدخال العلوم الحديثة ونشرها فـــى البـــلاد، وكذلـــك العناية، بالتعليم الصناعى والمهنى من أجل تقدم البلاد[١].

---

(١) جورج أنطونيوس: مرجع سابق، ص١١٩ .
- انظر أيضا: جلال يحى (دكتور): العالم العربى الحديث، دار المعـــارف، القاهرة ١٩٦٦، ص١٩٧ .
- جورجى زيدان: مرجع سابق، جـــ٤، ص٦٩ .

(٢) عبدالعزيز رفاعى: (دكتور) : أصول الوعـــى القومـــى العـــربى، مؤسســـة المطبوعات الحديثة، القاهرة، ١٩٦٠، ص٥٦ .
-انظر أيضا: محمود صالح منسى: (دكتور): حركة اليقظـــة العربيـــة فى الشرق الأسيوى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٧٥، ط٢، ص٥٦ .

وتعود الأهمية الحقيقية لهذه الجمعية أنها حولت النقاش في الموضوعات الثقافية إلى حوار سياسي جماعي الهدف منه التخلص من الحكم العثماني للديار الشامية من هنا كان تبني الدعوة القومية كوسيلة للقضاء على الدولة الحاكمة، وبعد ذلك في بدايات القرن العشرين تم التخلص من الدعوة القومية لصالح دعوات إقليمية.

ففي هذه الجمعية تغنى إبراهيم اليازجي بالقومية العربية وألقى العديد من القصائد التي أشاد فيها بمجد العرب وحضارتهم، وسمو لغتهم وتراثهم الأدبي، وحذر العرب من أضرار التفرق والتخاصم الديني وندد بحكم الأتراك العثمانيين ودعا للاتحاد لرفع نيرهم عن عاتق العرب، وانتشرت هذه القصائد الحماسية في مختلف بلدان الشام ومن أقوال اليازجي: أهداف سامية لا يتم إدراكها إلا بحد السيف فإن شئت بلوغها فتش عن السيف[٢].

وقد عقدت الجمعية ٥٣ جلسة فيما عدا الجلسات المفتوحة التي بلغ عددها أكثر من عشرين جلسة تناولت شتى الموضوعات وهي في مجملها تدعو لأفكار محددة مثل موضوع في "لذات العلم وفوايده " الذي ألقاه كرنيليوس فانديك والذي اختتمه بقول الإمام علي:

ما الفضل إلا لأهل العلم أنهم *** على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه *** والجاهلون لأهل العلم أعداء
فقم بعلم ولا تبغي به بدلا *** فالناس موتى وأهل العلم أحياء[٣].

كما نشرت موضوعات في كافة مناحي العلوم الحديثة، وكذلك ألقى الضوء على العديد من الاختراعات الحديثة، وكذلك كان هناك اهتمام بالنساء والمطالبة بتعليمهن، وإلقاء العديد من الأضواء حول علوم العرب قديما.

ولقد لعبت هذه الجمعية دوراً في نشر الثقافة والفكر في كافة المجالات الأدبية والعلمية، كما كان لمكتبتها دوراً آخرا في نشر المعرفة بين

---

(١) نعيم عطية: معالم الفكر التربوي في البلاد العربية في المئة سنة الأخيرة، منشور ضمن الفكر العربي مرجع سابق، ص٤٧٧.

(٢) الأمير مصطفى الشهابي: مرجع سابق، ص٤٥، ص٤٦.

(٣) بطرس البستاني: أعمال الجمعية العلمية مرجع سابق، ص١٠.

الناس فلا ريب أن تكون هذه الجمعية الأساس لبقية الجمعيات التى قامت بعد ذلك .

وانبثق من الجمعية العلمية السورية "الجمعية السرية" التى عملت على تقويض السلطة العثمانية، فى الوقت ذاته تحولت الجمعية من غرض ثقافى لأغراض سياسية. وكان القضاء على الحكم العثمانى من الأهداف العزيزة المنال لدى الإرسالية الأمريكية فى بلاد الشام[١].

وعلى هذا يمكننا القول أن الجمعية العلمية السورية كانت بمناظراتها الفكرية والأدبية فى كافة مجالات المعرفة بالإضافة للتعريف بالأفكار والمذاهب الجديدة، ومبادئ الحرية وغيرها دافعا للأعضاء للتحول من الأثر الثقافى الفكرى للعمل السياسى السرى وهو ما كان له أخطر الأدوار فى تاريخ الشام الحديث .

د- جمعية بيروت السرية :

بدأت هذه الجمعية على يد مجموعة ممن تعلموا فى "المدرسة الكلية الأمريكية" وكانوا ضالعين فى كافة أنشطة الإرسالية الأمريكية وهم فارس نمر ويعقوب صروف، وشاهين مكاريوس"، وإبراهيم اليازجى" وإبراهيم الحورانى، وكان بينهم وليم فانديك، وقد أسسوا "جمعية بيروت السرية" فى عام ١٨٧٥م[٢] وكانوا يجتمعون فى بناية "كولدج هول" فى حرم الجامعة الأمريكية ببيروت، وكان هدفهم الأسمى السعى لسلخ لبنان وسوريا عن جسم السلطنة العثمانية، وهنا لجأوا للمحافل الماسونية كى يتستروا فيها لإخفاء نشاطهم[٣].

وبذلك يرى البعض أن أول عمل منظم ظهر لحركة القومية العربية يجب أن يعزى لهذه الجمعية السرية، والتى كان لها فروع فى دمشق

---

(١) كمال اليازجى : إبراهيم الحورانى ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .
(٢) أسد رستم (دكتور): لبنان فى عهد المتصرفية، دار النهار، بيروت، ١٩٧٣، ص٢٤٨ - ٢٥٣ حيث يذكر أسدرستم أنه استقى هذه المعلومات من فارس نمر نفسه خلال لقاء معه فى ديسمبر ١٩٣٠ وأن وليم فانديك وآخرين أيدوا له صحة ما رواه فارس نمر.
(٣) ميشال جحا: إبراهيم اليازجى، دار رياض الريس، لندن، ١٩٩٢، ص٦٣
- انظر أيضا: عبدالكريم غرايبة: مرجع سابق، ص٢٢٣ .

وطرابلس وصيدا، واهتزت السلطات العثمانية لهذه الجمعية وسرت الشائعات بأن مدحت باشا يشجع أيضا الجمعية لذا استدعاه السلطان من ولاية الشام[١].

كانت اجتماعات هذه الجمعية سرية للحفاظ على أرواحهم من الإعدام على يد الإدارة العثمانية التى كانت تبحث عنهم بشتى الطرق، فى إطار مقاومة الدولة للتيارات الانفصالية ولم تخلف لنا هذه الجمعية إلا ثلاث منشورات فقط[*] هى التى يمكننا من خلالها أن نتبين ملامح فكر الجمعية وأعضاءها وحقيقة ما كانت تدعو إليه.

احتوى المنشور الأول على تأنيب لاذع لأهل الشام لخضوعهم للأتراك ولتفرقهم، ودعا للاتحاد بين كافة الطوائف لوضع حد للأطماع فى الشام، ولوقف الاستبداد التركى، أما النشرة الثانية فقد هاجمت الحكم العثمانى بشكل سافر ونفت عليه شهادته فى تنفيذ الإصلاحات التى طالما وعد بها، وطالب المنشور بالحكم الذاتى لبلاد الشام[٢] أما المنشور الثالث وهو أهمها فهو يتضمن أول بيان مدون عن برنامج العرب السياسى وقد وصف انتحال السلطان للخلافة بأنه اغتصاب لحق العرب، وأن الأتراك كثيرا ما خالفوا شريعة الإسلام وورد فيه" أنه بعد التشاور مع زملائنا فى جميع أنحاء البلاد فقد تم وضع برنامج سننفذه ولو بحد السيف إذا اقتضى الأمر" وأهم هذه النقاط هى منح سورية الاستقلال متحدة مع جبل لبنان، الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية فى البلاد، رفع الرقابة والقيود التى تحد من حرية التعبير ونشر التعليم، استخدام القوات المجندة من أهل البلاد فى المهام العسكرية الداخلية فيها فقط[٣].

---

(١) نادر العطار: مرجع سابق ص٢٤٦ .
- انظر أيضا: الأمير مصطفى الشهابى: مرجع سابق، ص٤٧ .

(*) أرسل لها قنصل بريطانيا فى بيروت لحكومته فى لندن.

(٢) نادر العطار: المرجع سابق، ص٢٤٦ .
- انظر أيضا: على محافظة: مرجع سابق، ص١٣٠ .
- عبدالعزيز رفاعى: مرجع سابق، ص٦٠ .
- شمس الدين الرفاعى: مرجع سابق، ص١٢٩ .

(٣) جورج أنطونيوس: مرجع سابق، ص١٥٤، ص١٥٥ ويؤرخ هذا المنشور بـ ٣١ ديسمبر ١٨٨٠م.

ويبدو ان الجمعية توقفت فيما بين عامى ١٨٨١ : ١٨٨٢م[١] . وهى الفترة التى تتواكب مع هجرة يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس إلى مصر، ربما خوفاً من القبض عليهم فى ظل القبضة الحديدية للسلطان عبدالحميد الذى حاول بكل السبل معرفة أعضاء الجمعية، وفى سبيل ذلك زج بالعديد من رجاله لمعرفة الأسماء، وذلك فى إطار محاولاته للحفاظ على الدولة العثمانية متماسكة ضد الفكر الانفصالى عنها- فى إطار فكرة الجامعة الإسلامية.

وما يهمنا هنا ليس المنشورات برغم ما لها من أهمية بالغة فى مولد الحركة القومية العربية وتحولها من مجرد فكرة فى الأذهان لواقع عملى، بل لأن هذه الجمعية كانت نموذج واقعى للاتجاهات الفكرية التى نجحت الإرسالية الأمريكية فى بثه فى "نفوذ المرتبطين بها من أبناء الشام، وما معنى أن يوجد أمريكى "وليم فان ديك كعضو فى هذه الجمعية إلا إذا كان هناك تشجيع من الإرسالية التى كان أبوه من أبرز أعضاءها على هذا العمل.

هـ- جمعية شمس البر :

بدأت فكرة الجمعيات فى الانتشار فى بيروت على أيدى الإرسالية الأمريكية صاحبة ومؤسسة الفكرة فى بلاد الشام لأول مرة ، بل فى العالم العربى كله، ولم تكتف الإرسالية بجمعية واحدة بل تعددت الجمعيات وتعددت الأغراض التى تقوم فى الأساس على هدف واحد تؤمن به الإرسالية وتعمل على نشره من خلال هذه الجمعيات المختلفة.

قامت جمعية شمس البر فى بيروت عام ١٨٦٩م كفرع لاتحاد الشبان المسيحيين فى إنجلترا، وكان عدة وعمدة الجمعية من طلبة المدارس الأمريكية فى الشام ومن المبشرين الأمريكان والمرتبطين بهم من الشوام[٢].

وبالرغم من أن هذه الجمعية كانت أدبية خطابية، ولكن اشترط فى المنضمين إليها بعض الشروط الدينية، لذا كان معظم المنضمين من نصارى الشام بالإضافة لأعضاء الإرسالية الأمريكية، ومن أعضاءها فارس نمر، ويعقوب صروف، ويوحنا ورتبات، وجورجى زيدان، وقد انتشرت روح هذه

---

(١) نفسه ، ص ١٥٧ .

(٢) عبدالكريم غرايبة: مرجع سابق، ص٢٢٢ .

الجمعية بانتشار أعضائها فى أنحاء سوريا ومصر، وبنيت لها العديد من الفروع مثل دمشق تحت اسم "رباط المحبة" وأنشئ هذا الفرع عام ١٨٧٤م[١].

ويلاحظ على هذه الجمعية أنها كانت ذات أغراض دينية ظاهرها الأعمال الخيرية، بجانب النشاط الثقافى الذى قامت به، فقد اتحدت مع جمعية السيدات للامتناع عن المسكرات" فى محاربة المسكرات بكل أنواعها وافتتاح العديد من النوادى التى بها مكتبات، ليتردد عليها الشباب بدلا من التردد على الحانات وأماكن اللهو، وزودت المقر الجديد بمكتبة[٢].

والمتابع لأنشطة جمعية شمس البر الثقافية يلاحظ أنها قامت بدور كبير جدا فى نشر الفكر المادى العلمانى الأوربى ، وكذلك المذاهب الأوربية الحديثة .

ففى الاحتفالات التى كانت تقيمها الجمعية بين وقت وآخر وكانت تقام المناظرات المختلفة، ففى ٩ مايو ١٨٨٤ جرت المناظرة بين أنطون أفندى شحيبر واثناسيوس أفندى صيقلى فى "هل العلوم اللغوية ألزم للإنسان من العلوم الطبيعية[٣] كما جرت المناظرة بين نسيب أفندى عبدالله وبين نجيب أفندى انطانيوس وكان موضوع المناظرة هل العادات الأوربية أكثر فائدة من العادات السورية، وحكم بين الطرفين نقولا أفندى نمر رئيس الجمعية الذى قضى بملائمة انتقاء الأفضل من عوائد البلدين، بمعنى أن يختار من العوائد الأوربية أحسنهما، ومن العوائد السورية خيرها بما يحصل معه خليط عوائد رشيدة مفيدة[٤].

---

(١) جورجى زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، مرجع سابق، جـ٤ ص٧٠ .
- انظر أيضا: جورجى زيدان: مذكرات جورجى زيدان، الهلال، المجلد ٦٢، عدد يونية ١٩٥٤، ص٤٥ .
- كمال اليازجى: مرجع سابق، ص٣٦ .

(٢) ثمرات الفنون: الاثنين ١١ ذى القعدة، ١٣١٧هـ، عدد ١٢٧٢، ص٥ .

(٣) المقتطف: الجزء الأول، السنة السادسة ١٨٨١، ص٦٤ .
- انظر أيضا: النشرة الأسبوعية: الاثنين ١٩ أيار ١٨٨٤، عدد ٢١ ص١٦٧ .

(٤) المقتطف: الجزء التاسع العام التاسع، يونيو ١٨٨٥، ص٥٦٩ .

المجمع العلمى الشرقى :

أنشئ هذا المجمع فى بيروت عـــام ١٨٨٢م علـــى يـــد الإرســالية الأمريكية، ومن ارتبط بهم من الشوام مثل يعقوب صـــروف وفــارس نمــر ووليم فانديك ويوحنا ورتبات وميخائيل مشـــاقة وســليم بطــرس البســتانى وغيرهم، وتولى رئاسة دورته الأولى د/ كرنيليوس فـــانديك وكــان كــاتب المجمع هو وليم فان ديك[1] ولم يطل بقاء هذا المجمع بعد هجــرة أصحــاب المقتطف لمصر .

وكان الهدف من هذا المجمع عند تأسيسه أحيـــاء العلــوم، وتقويــة الأسباب الدافعة لتعميم المعارف فى الوطن، وعقد النية على بلوغ هذه الغاية، وجمع المعلومات عن الشام فى كافة المظاهر والنواحى الجيولوجية والجويـة، ومعرفة أنواع الحيوانات والنباتات، ومعرفة الأمراض الغالبـــة والأمــراض الوافدة، وجمع الأمثال العامية والاصطلاحات بين أهل المدن والقرى والبـــدو والحضر، وجمع الآثار[2] فقد كانت الأهداف أشبه بالقيام بمسح شامل للبيئـــة والإنسان داخل الشام، وهو ما تلجأ إليه الآن المراكز الأجنبية داخل البلـــدان العربية لمعرفة كيف يفكر الناس، وتبين الوسائل للســيطرة عليــهم . وهــذه الدراسات تتم لخدمة الاستعمار ، فالعلاقة وثيقة بين الاستشـــراق والتبشــير والاستعمار[3] .

ومن خلال إلقاء نظرة على الموضوعات التى عرضت فى جلســات عام ١٨٨٢م وهو أنشط الأعوام فى حياة المجمع يلاحظ أنها تناولت العديـــد من مجالات المعرفة، وأيضا التعريف بما تحويه بلاد الشام من أثـــار. ففـــى جلسة نوفمبر ١٨٨٢م تكلم "جرجى ينى" عن آثار الكورة" التى تعود لعصـــر الفينيقيين وفى نهاية حديثة يذكر قوله "وهى تدل على عظمة السلف وأســـأله

ولمزيد من التفاصيل راجع – ثمرات الفنون، ١٧ جماد الثانى ١٣٠٦، العـــدد ٧٢١ ط .

(١) جورجى زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، مرجع سابق، جـــ٤ ص٧٣ .

(٢) المقتطف: الجزء التاسع من السنة الثامنة، حزيران ١٨٨٤، ص٥٣٠ .

(٣) لمزيد من المعلومات حول ارتباط التبشير بالاستعمار راجع : محمد بن نـــاصر الشثرى : مرجع سابق ، ص ٧٩ .

تعالى أن ينعم على سورية المحبوبة برجال يعيدون لها شيئا من باذخ مجدها ورفيع سؤددها[١].

وفى جلسة يناير ١٨٨٢م ألقى يعقوب صروف خطبة عن تاريخ الجبر والمقابلة[٢] وفى جلسة ٨ مارس ١٨٨٢ خطب فارس نمر فى علم الهيئة القديم والحديث ويعقوب صروف فى "قناطر زبيدة" ووليم فان ديك فى "الكلورفل فى الحيوانات"[٣].

وبعد نهاية العام الأول من عمر المجمع خطب كرنيليوس فانديك رئيس المجمع فى "بيان كيفية نجاح المجامع العلمية" وطلب من الأعضاء الحفاظ على هذه العوامل وهى - العمل على أن يكون تكوين المجمع محكما لمن سيأتى بعدهم، اختيار الأعضاء الجدد إلا ممن يتفق معهم فكريا ويأتلف معهم روحيا ويكون مستعد لبذل المتاعب وطلب العلم، وأن يكون لكل منهم وجهة خاصة به فى العلم يبذل فيه قصارى جهده للوصول لغاية القمة فيه مع وجوب أن يثقف العضو نفسه فى المجالات الأخرى[٤].

وانطلاقا من هدف المجمع فى نشر الأهداف القومية والتبشيرية بين الناس أعلنوا فى عام ١٨٨٥م عن الجائزة البستانية تخليدا لذكرى بطرس البستانى، وكانت تدور حول "الوسائل لترقية المعارف فى سورية"[٥].

ويتضح من أعمال المجمع العلمى الشرقى أنه كان باعثا على نشر الأفكار الجديدة فى الجلسات التى كان يعقدها ويحضرها الأعضاء وكذلك توجه الدعوات لغير الأعضاء للحضور، فى الوقت نفسه ألقيت بعض الأعمال حول أصل الحضارة الفينيقية[٦]، وهو ما يظهر الدافع وراء الدعوة

---

(١) المقتطف: الجزء الخامس، العام السابع، ك١ ١٨٨٢، ص٢٨٤ .
(٢) المقتطف : الجزء السادس من السنة السابعة ك٢ ١٨٨٢م ص٣٣٣ .
(٣) المقتطف: الجزء الحادى عشر من العام السادس، نيسان، ١٨٨٢، ص٧٠٤ .
(٤) المقتطف: الجزء الحادى عشر، السنة ٧، حزيران ١٨٨٣، ص٦٤١ .
(٥) المقتطف: الجزء التاسع، العام التاسع، يونيو ١٨٨٥م، ص٥٦١ .
(٦) بذل المبشرون ومن قبلهم المستشرقون جهدا فى بعث العصبيات القديمة فعنوا بإحياء الحضارات القديمة من فينيقية وبابلية وفرعونية ؛ بهدف تجسيد عوامل الفرقة بين المسلمين فى مختلف المجالات الجنسية والقومية والجغرافية =

للإقليمية الضيقة فى مواجهة الدولة الإسلامية العثمانية. ومن جهة أخرى يلاحظ على ما ألقى من موضوعات فى المجمع أن بعضها يشيد بمجد العرب التالد وحضارتهم القديمة وهى امتداد لدعوة عملت الإرسالية الأمريكية على تبنيها منذ فترة سابقة وهى الدعوة للقومية العربية وهنا قمة التناقض الفكرى حينما تتبنى جهة واحدة فكرتين متناقضتين، ولكن يبدو أن الهدف الأساسى للإرسالية وما انبثق عنها من جمعيات وصحف وغيرها لم يكن الدعوة لهذه الأفكار بهدف نشرها وتبنيها بل كان الهدف الأساسى هو العمل على تقويض أركان الدولة العثمانية العائق الأساسى أمامهم - رغم الضعف الذى تعانيه - فقد كان سقوط الدولة العثمانية أمامهم يمثل سقوط رمز .

جمعية باكورة سوريا :

نالت المرأة اهتماما خاصا من الإرسالية الأمريكية ، وذلك للدور الذى تلعبه المرأة فى حياة الأسرة ، لذا كان الاهتمام بترويج النمط الغربى للنساء بين نساء الشام ، ومن هذا المنطلق اهتمت الإرسالية بإنشاء الجمعيات النسائية .

أنشئت هذه الجمعية فى غرة ١٨٨٠م برئاسة السيدة مريم مكاريوس وهى زوجة د/ شاهين مكاريوس، فقد اتفقت مع بعض صديقاتها على إنشاء هذه الجمعية وتوجيه اهتمامها لنشر الثقافة والفكر بين السيدات وتهذيبهن بشتى العلوم(١)، وعند نشأة هذه الجمعية فى بيروت صاحبها ضجة شديدة فقد كانت أول جمعية نسائية تقام فى بيروت، ونالت الرخصة من إدارة المعارف فى الولاية عام ١٨٨٩م لنشر الخطب والمناظرات التى كانت تعقد فيها(٢).

ويلاحظ أن الخطب والمناظرات التى كانت تلقى فى هذه الجمعية كانت ترمى لأهداف عديدة غرضها البدء بترقية أحوال المرأة الشامية، ودفعها للقراءة والاستزادة من العلوم، ثم بعد ذلك دفع المرأة للمطالبة

= ولذبذبة الولاء بين الإسلام وتلك الحضارات . راجع فى ذلك : سيد رزق حجر (دكتور) : حاضر العالم الإسلامى ، مكتبة الأنصار ، أبها ، ١٤١٦هـ ، ص ١٢٣ .

(١) المقتطف: الجزء السابع، ١٢ أبريل ١٨٨٨، ص٤٣٦ .

(٢) اللطائف: الجزء العاشر، ١٥ فبراير، ١٨٨٩، ص٤٤٣ .

بالمساواة مع الرجل وبالتزين وترك الحجاب، فهى أهداف ولكن على مراحل متعددة[١].

فقد كتبت إحدى عضوات الجمعية ذاكرة أن المعاملة للمرأة كانت فى غاية الانحطاط وأنها كانت مستعبدة ولا يعتبرونها أكثر من جارية وحرموها التمتع بلذة الحرية، وهذه الأمور ما زالت مستمرة فى الشام آنذاك ، وذلك من وجهة نظرها هى ، لذا تطالب بالمساواة بين الرجل والمرأة وذلك بما تقتضيه حقوق العدالة الإنسانية[٢].

وتدرجت بعد ذلك حيث طالبت الجمعية بأن تأخذ المرأة زينتها وبأن يترك الرجال للنساء حرية تجميل أنفسهن وإبراز جمالهن واختيار الألوان الخاصة فى الملابس وكيفية ستر المرأة لعيوب جسدها حتى لا تظهر أثناء الحديث أو المشى وتذكر فى ذلك "أن الشعر والوجه والعنق من أعظم آيات الحسن فى المرأة" وتدعو المرأة بعد ذلك لكشفها والسفور بها لإبراز جمال هذه الأعضاء[٣]، ونحن نعلم أن النقاب كان هو السائد فى ذلك الوقت وعند كل الفئات وباختلاف الطوائف فلم يكن قاصرا على المسلمين فقط . فهى دعوة لأن تتبنى المرأة النمط الغربى .

وبدأت الدعوة لعمل المرأة بحجة النفع العام والنفع الخاص، وهى أول دعوة توجه للمرأة الشامية للعمل والخروج من المنزل[٤]، وهذه الدعوة وأن بدأت على استحياء فقد تلتها نفس الدعوة ولكن بقوة أكثر فى العام التالى مباشرة، حيث ألقى سليم البستانى خطابه الشهير" التى تهز السرير بيسارها تهز الأرض بيمينها" ففيها دعوة لأن تشارك المرأة الرجل فى بناء المجتمع وتقدمه فهى نصف القوة البشرية وهنا عليها أن تأخذ المجال للعمل

---

(١) فريدة حبيقة : الذوق فى الملبس والجمال ، المقتطف ، الجزء الثانى ، السنة السابعة ، تموز ١٨٨٢ ، ص ١١٣ وما بعدها .

(٢) المقتطف: الجزء الحادى عشر، العام السادس، نيسان، ١٨٨٢م.

(٣) فريدة حبيقة: مرجع سابق ، ص١١٢ .

(٤) هيلانة بارودى: الأخلاق والعوائد، المقتطف، الجزء السادس، السنة السابعة، ١٨٨٣،ص٣٦٨ .

ولإعلان المساواة الكاملة بين المرأة والرجل[1]، ودعت الجمعية بل ركزت على إبراز النماذج الغربية للنساء حتى يمكن أن يتخذن قدوة لنساء الشام، فتحدثن عن مدام سكاربلينى" التى وصلت لدرجة عالية من العلم حتى قلدتها إيطاليا النيشان الذهبى عام ١٨٧٢م[2]، والهدف من هذه النماذج إقناع المرأة أنها ليست أقل من الرجل لا فى الملكات العقلية ولا فى الكفاءة الشخصية لذا فالمساواة هى قمة العدالة بين الطرفين.

ولم تكتف الجمعية بنشر الأفكار التى تؤمن بها فى مجال الثقافة والفكر فقط بل كان لها دور فى التبشير من خلال الأعمال الخيرية حيث كانت تقام فى بيوت بعض العضوات دروس بسيطة تناسب مستوى المعوزات من النساء وتوزع عليهن بعض الكساوى والنقود التى جمعت لهن من عضوات الجمعية[3].

وعندما هاجرت بعض عضوات الجمعية إلى مصر أنشأن فروعا للجمعية منها "جمعية زهرة مصر" التى أنشأت بين بنات المدارس الأمريكية بالقاهرة[4].

وأول ما يلاحظ على هذه الجمعية أن عضواتها المؤسسات كن تلميذات فى مدارس الأمريكان، وكن زوجات لأشخاص مرتبطين بالأمريكيين مثل شاهين مكاريوس وياقوت صروف، مما يدل على الارتباط بين الإرسالية الأمريكية وبين الجمعية.

عملت الجمعية على المناداة بالأفكار الغربية مثل: تعليم المرأة، والمساواة بين الرجل والمرأة، ثم خروج المرأة للعمل، والدعوة لترقية أحوال المرأة، وهى المرة الأولى التى تذكر فيها مثل هذا الأفكار فى تاريخ بلاد الشام كله، وكان لها أثر كبير. حتى أننا نرى أن النساء اللاتى قمن بالترويج

(١) سليم البستانى: التى تهز السرير بيسارها تهز الأرض بيمينها، الجزء الأول، العام الثامن، آب ١٨٨٣م، ص٧:ص١٢.

(٢) ياقوت صروف: النساء الفلكيات، المقتطف: الجزء السادس العام العاشر، مارس. ١٨٨٦،ص٣٧٣.

(٣) عبدالرحمن بك سامى:مرجع سابق، ص٣٢٨.

(٤) المقتطف: الجزء الحادى عشر، السنة الثالثة عشرة، أغسطس، ١٨٨٩، ص٧٦١.

لهذه الأفكار فى مصر كن شاميات[*]، ممن تأثروا بهذه الجمعية وبالتعليم الأمريكى فى الشام عموما.

وقد لعبت هذه الجمعيات دوراً كبيرا فى تشجيع الطوائف الأخرى على تكوين جمعيات على غرارها ، وكالعادة كان اليسوعيون أول من احتذى هذا المثال ، فأسسوا فى عام ١٨٥٠م "الجمعية الشرقية" فى بيروت [١]، وكانت تعقد اجتماعات دورية تلقى فيها المحاضرات فى العلوم المختلفة[٢] أما المسلمون فقد أنشأوا "جمعية المقاصد الخيرية" فى بيروت أيضا ، وقد لعبت دوراً كبيرا فى تأسيس المدارس الإسلامية ، ونشر العلم بين المسلمين ، ومواجهة خطر الإرساليات التبشيرية، وتشجيع الفكر والثقافة ، كأحد أهم المقومات للوقوف فى وجه الأخطار التبشيرية[٣] ورداً على ظهور جمعية باكورة سوريا للنهضة بالمرأة فقد واجه المسلمون ذلك بإقامة جمعية نهضة الفتاة المسلمة التى نصت فى برنامجها أنها جمعية نسائية إسلامية مقصدها تعليم الفقيرات اليتيمات من البنات المسلمات، وإلقاء المحاضرات لتثقيفهن[٤].

وبذلك فقد كانت هذه الجمعيات أحد أهم مقومات نشر الفكر والثقافة الغربية فى بلاد الشام فى القرن التاسع عشر بما نشرته من أفكار ، وبما نقلته من أخر إبداعات الغرب الأوربى فى كافة المجالات.

لم يقتصر أثر هذه الجمعيات على بلاد الشام فقط، بل امتد أثره ليشمل مصر أيضا عن طريق المهاجرين والمهاجرات من أعضاء الجمعيات الذين أقاموا فى القاهرة وطنطا، وأنشأوا العديد من الجمعيات فيهما.

(*) مثل زينب فواز وغيرها ، لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع راجع حلمى النمنم: زينب فواز الرائدة المجهولة، دار النهر، القاهرة، ١٩٨٧ .

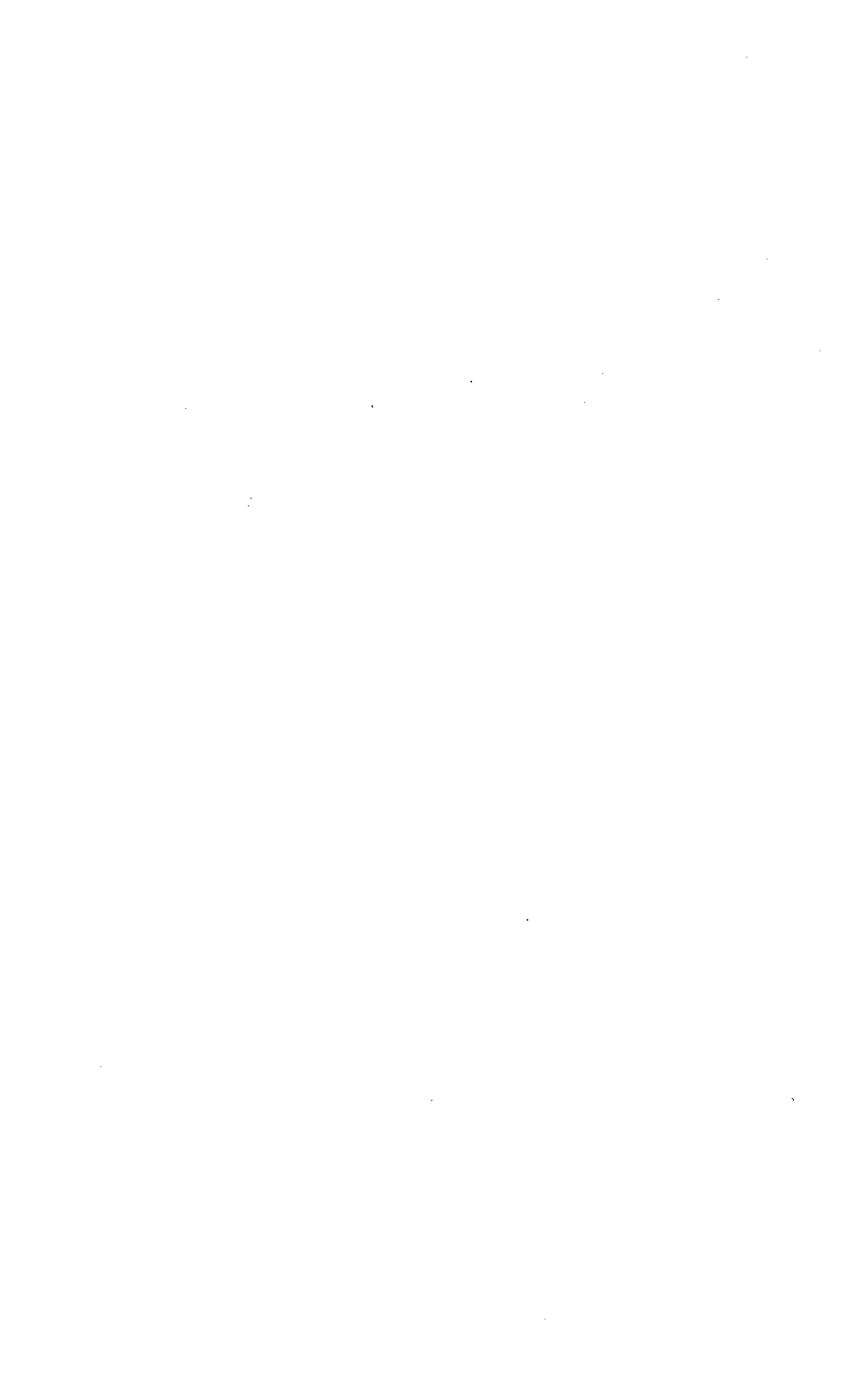
(١) راجع جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ١٨٨ .

(٢) جورج أنطونيوس: مرجع سابق، ص١١٨ .

(٣) محمد عبدالرحمن برج (دكتور): محب الدين الخطيب ودوره فى الحركة العربية ١٩٠٦ : ١٩٢٠، هـ - م - ع - القاهرة، ١٩٩٠، ص١٠ .
-انظر أيضا: المقتطف : الجزء الثالث، العام السادس آب ١٨٨١، ص١٩١.

(٤) فتاة لبنان: العدد ٧، تموز ١٩١٤، ص١٤٩ .

وبذلك فقد استخدمت الإرسالية الأمريكية كافة الوسائل الفكريـــة فـــى نشر الفكر العلمانى والقومى بغية التوصل لهدفها الأساسى وهو القضاء علـــى الدولة العثمانية ، كما أن الرغبة فى نشر الثقافة لم تكن هدفا فى حد ذاتها بـــل كانت إحدى وسائل التبشير .



الفصل السادس

موقف الإدارة والشوام من التبشير الأمريكى فى الشام



أولاً - موقف الدولة العثمانية

- الامتيـــازات الأجنبية .
- التنظيمـــات الخيرية .
- الموقف من التعليم الأمريكى .
- الاعتـــراف بالبروتستانت .



تعاملت الدولة العثمانية مع رعاياها من أهل الذمة كدولـــة إســلامية تحافظ على الإسلام وتنطلق سياستها منه، لذا كان من الطبيعـــي أن تعــامل المسلمين وغير المسلمين معاملة واحدة حسب ما نظمه الشرع الإسلامي فقــد كانت الدولة فى معاملتها مع أهل الذمة تطبق عليهم عهود الذمة [١] .

كان المسيحيون الذين عاشوا تحت الحكم العثماني فـــي كثـير مــن الأوقات أفضل حالا مما كان عليه المسيحيون فى بعض الدول الأوربيـــة، إذ أن المسلمين والمسيحيين استطاعوا أن يعيشوا جنبا إلى جنب لمئات الســنين بدرجة كبيرة من الهدوء والسكينة أكثر من الشعوب المسيحية فـــي أوربــا، بتطاحنهم الديني الذى لا يحصى، وهذا لا بد وأنه يعزى إلى التسامح الدينـــي الذى دائما ما تميزت به الدولة العثمانية[٢].

ووقفت الدولة العثمانية موقفا شـــديداً إزاء الإرســاليات الكاثوليكيـــة الهادفة لتحويل الأرثوذكس للكاثوليكية ففى عام ١٨١٨م صدر أمــر شــريف همايوني لوالى حلب بوقف نشاط الرهبان الأوربيين الذيـــن يقومـــون بـــهذا النشاط[٣].

نفس هذا الموقف حدث بعد ذلك فى عـــام ١٨٣٨م عندمـــا أصـــدر السلطان مرسوما إلى محمد على باشا والقاضى والعلماء ينبه فيه لمنع نشــاط الإرساليات الكاثوليكية التى تعمل على تحويل الأرثوذكس "للكاثوليكية" ديـــن الأفرنج" [٤].

---

(١) عبدالعزيز رفاعى (دكتور): أصول الوعى القومى العربى، المطبوعات الحديثـة، القاهرة، ١٩٦٠، ص٥٣ .

(2) Philippaneth; turkey, Decadence and Rebirth, London, p18.

(٣) وقد نص هذا الفرمان على أن "الذين يتبعون دين الإفرنج من رعايا طايفـــة الروم يرتدون إلى رتبتهم القديمة وأن يحصل التنبيه المحكم بهذا الخصوص والذين يتحركون خلافه ما لهم يؤخذ لجانب الميرى وهم ينفوا ويتبــاعدوا إلى ديـــار أخرى " . عبدالعزيز نوار: مرجع سابق، ١٢٣٣ هــ/ ١٨١٨م، ص٢٣٤ .

(٤) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٨٠، صورة فرمان رقم ٧٠ أواســط ربيع الأخر ١٢٥٤هـــ، يولية ١٨٣٨م. وهو يقصد بالإفرنج هنا الأوربيـــين عموما ، وهى لفظة قديمة ترجع لعصر الحروب الصليبية .

وبذلك وقفت السلطات العثمانية ضد النشاط الكاثوليكي لتحويل رعاياها الأرثوذكس ذلك أن الدولة كانت في قوتها ولا تجسر تلك الإرساليات على العمل في وسط المسلمين بالصورة التي حدثت فيما بعد، في الوقت نفسه وقف علماء الدين الإسلامي من هؤلاء المبشرين موقفا سلبيا، ولم يساعدوا على وقف نشاط هذه الإرساليات باعتبار أنها ليست موجهة ضد المسلمين وأن الكفر ملة واحدة يستوى فيه الأرثوذكس مع اليهود مع البروتستانت(١) . ولم يرد بخلد المفتيين أن المسلمين سوف يتعرضون بعد قليل لنفس الموقف حينما تعمل الإرسالية الأمريكية بكثافة في وسطهم. ومما يلفت النظر مخالفة المفتي هنا لمرسوم السلطان العثماني.

وفي القرن التاسع عشر اختلف الأمر فقد ازداد ضعف الدولة العثمانية الإسلامية وزاد نشاط الإرساليات التبشيرية- في القرن التاسع عشر خصوصا بعد التنظيمات ١٨٣٩ - ١٨٥٦م- ودخل الأمريكان مجال التبشير(*) ولم تكن الدولة قادرة على الوقوف في وجوههم ، وذلك بمقتضى القوانين التي أجبرت على إصدارها بمقتضى التنظيمات . كما أنها لم تكن لترضى بالسكوت على نشاطهم خصوصاً وقد بدأوا في العمل بين المسلمين، ويمكننا تلمس موقف الدولة العثمانية من خلال عدة أمور هي:

١-الامتيازات الأجنبية.
٢- التنظيمات الخيرية.
٣- الموقف من التعليم الأمريكي.
٤- الاعتراف بالبروتستانت.

---

(١) يتضح ذلك من الفتوى التي صدرت في الشام في منتصف القرن الثامن عشر وهي: "عندما رفع بطرك الأرثوذكس سؤال في صورة فتوى للشيخ سليمان المنصوري الحنفي عن حكم من يترك الأرثوذكسية للكاثوليكية واختلطوا بالأفرنج الحربيين" في محاولة لاستعدائه عليهم لأن الأفرنج محاربين ضد المسلمين وجاءت فتوى المفتي" أن الكفر ملة واحدة فإن تدين النصراني بما تدين به اليهودي أو تدين اليهودي بما تدين به النصراني أو ما تدين به الأفرنج فلا يكون ذلك ناقضا لعهودهم... ولا يجوز لأحد يؤمن بالله واليوم الأخر أن يتعرض للفرقة الذميين سواء كانوا حلبيين أم شاميين أم غيرهم أو يأمروهم بامتثالهم للبطرك أو المطران المشهورين بالكفر" .وبذلك وقفت الفتوى ومن صار على نهجها موقفا سلبيا من التبشير الأوربي . عبدالعزيز نوار: مصدر سابق، ص١٢٨

(*) عمل الغرب على التدخل في الشئون العثمانية بحجة الدين الذي استخدم كعباءة يغطي الطمع المحض لهذه الدول في الدولة العثمانية ;Philip paneth op, cit. P18

١- الامتيازات الأجنبيـــــة :

مـــنحت الدولـــة العثمانية العديد من الامتيازات لرعايا الدول الأوربية للاســـتفادة مـــنها فى مجـــالات التجارة، خصوصاً وأن الدولة كانت فى قوتها مـــرهوبة الجانب، ولكن بعد ضعف الدولة تحولت هذه الامتيازات لسيف مسلط على رقبتها، فقد استغلت الدول الأجنبية هذا الضعف لنيل المزيد من الامتيازات والحقـــوق، فى نفس الوقت، كانت تفسر هذه الامتيازات بما يتفق مع مصالحها وأهوائها، وأصبح للقناصل نفوذ قوى داخل ولايات الدولة العثمانية، وأصبح من حقهم التدخل لمنع تنفيذ قرارات أصدرتها الدولة، بل أن السفراء فى الأستانة فى القـــرن التاســـع عشر تعدوا دورهم الحقيقى وأصبحوا رقابة على الدولة نفسها، وبذلك استفحل خطر الامتيازات الأجنبية.

وبيـــنما كانت الولايات المتحدة الأمريكية(*) تعيش تبعا لمبدأ "مونرو" الداعى لعزلتها، ولم يكن لها أطماع سياسية فى الدولة العثمانية ولا فى ولاياتها، ولكـــن مـــنذ ثلاثيـــنات القرن التاسع عشر بدأ يظهر النشاط الثقافى- والدينى والتعـــليمى الأمريكى فى الشرق العربى وخصوصاً بلاد الشام- نتيجة لخروج أمـــريكا عـــلى مـــبدأ مونرو- وهنا قصدت أمريكا الحصول على الامتيازات الأجنـــبية حفاظـــاً على مصالحها وحقوق رعاياها وخصوصاً من الإرساليات التبشـــيرية، فى الوقـــت نفســـه كانت أمريكا تبغ الحصول على جزء من تركة الرجل المريض التى تعتمل الصراعات على تركته بين الدول الأوربية.

(*) ارتـــبطت أمريكا كغيرها من الدول الغربية بمعاهدة امتيازات مع الدولة العثمانية فى عام ١٨٣٠م فى عهد السلطان محمود الثانى ويستفاد من مآل هذه المعاهدات أنها إنما منحت للدول الأجنبية رفقاً برعاياهن واستجلاباً لراحتهم وإصلاحاً لحريتهم، ولكنها أصبحت مع توالى الزمن واستفحال أمر تلك الدول عثرة فى طريق عمال الدولة العثمانية وإغلالاً لأيديها وقد توسع السفراء والقناصل فى استخدامها حتى صاروا يضعون حمايتهم على من شاؤوا من رعايا الدولة بحجة كونهم من تراجمتهم أو قواستهم الهلال: المجلد ١٤، ١٩٠٥، ص٢٠٨.

عملت أمريكا على عقد اتفاقية[*] تجارية مع الدولة العثمانية وذلك لتنشيط التجارة مع الولايات العثمانية، فمنذ عام ١٨٢٩م وجه الرئيس الأمريكى "جاكسون ١٨٢٩م" بعثة للأستانة بغية توقيع المعاهدة الأمريكية العثمانية الأولى، وكان رئيس البعثة هو "بيدل" وهو قائد أسطول المتوسط الأمريكية و"دافيدا اوفلى" واتشلدريند" عن التجار [١] وتم فعلا عقد الاتفاقية فى ٧ مايو ١٨٣٠، ونصت تلك المعاهدة على عبارة الأمة الأكثر تفضيلا وعلى مبدأ المواطنين الخارجيين عن نطاق التشريع الوطنى وعلى بند سرى يطلب العثمانيون فيه مساعدة من الوزير الأمريكى لتنفيذ اتفاقيات لصناعة السفن فى أمريكا، وبالفعل تمت موافقة مجلس الشيوخ على المعاهدة عدا البند السرى واختار الرئيس جاكسون العميد البحرى دافيد بورتر" ليكون ممثلا لأمريكا لدى الباب العالى [٢].

فقد نصت هذه المعاهدة [٣] فى المادة ٤٥ والتى استفاد منها المبشرون الأمريكان وهى. إذا حصل خلاف أو قضية بين رعايا الدولة العلية وأفراد الأمريكيين فلا يجوز النظر فى تلك القضية أو ذلك الخلاف ولا الحكم فيها إلا بحضور الترجمان الأميركى والقضايا التى تتجاوز قيمتها الخمسماية قرش يصير رفعها إلى الباب العالى ليحكم فيها حكما عادلا وكل أمريكى عائش بسلام ولم تقم عليه دعوى جنائية أو لم تثبت عليه لا يجوز إساءة معاملته حتى وإذا ارتكب أحدهم جناية فلا يجوز للحكومة المحلية إلغاء القبض عليه ومحاكمته لأن ذلك من خصائص وزير أو قناصل هاتة الولايات

(*) كانت السياسة الأمريكية فى العالم العربى وممتلكات الدولة العثمانية وفى أفريقيا وفارس تلتزم إلى حد كبير بمبدأ مونرو – ولذا وبشكل واضح قامت أسس هذه العلاقات على أساس تجارى وتبشيرى وتعليمى دون التدخل فى أمور هذه المناطق من النواحى السياسية والإدارية ومنذ وقت مبكر اتجهت أمريكا نحو عقد اتفاق تجارى مع الدولة العثمانية، وكان ذلك منذ ١٧٨٤م عبدالغفار محمد حسين : (دكتور) مبدأ مونروا ومتغيرات السياسة الأمريكية من سنة ١٨٦٠ وحتى سنة ١٩٠٠، طنطا ١٩٩٢، جـ٢ ص٥ .

(١) بوندار يفسكى: سياستان إزاء العالم العربى، ترجمة خيرى الضامن، دار التقدم، موسكو، ١٩٧٥،ص٢١٨ .

(٢) توماس بريسوت : مرجع سابق، ص٥٥ .

(٣) بدأت الامتيازات فى الدولة العثمانية بالمعاهدة التى عقدت بين الدولة وفرنسا فى فبراير ١٥٣٦م ، وصدر لها خط شريف بمنح بعض الامتيازات لرعايا ملك فرنسا النازلين بأراضى الدولة العثمانية ، وتبعت الدول الأوربية فرنسا فى عقد المعاهدات مع الدولة العثمانية . محمد فريد تاريخ الدولة العلية العثمانية ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ٩٢-٩٥ .

ليعاقبوه بحسب ما تستحقه جنايته وطبق العادة الجارية مع الأفرنج"[١] وبذلك فقد نال الأمريكيون الإعفاء من التقاضى حسب القوانين العثمانية ليتقاضوا حسب قوانينهم هم، وهو ما يؤدى لإطلاق أيديهم.

ونصت المعاهدة كذلك على معاملة الولايات المتحدة معاملة الدولة الأكثر رعاية، ومعاملة الأمريكيين كرعايا الدول الصديقة وإعطائهم حرية التجارة فى أملاك الدولة وألا يحاكموا إلا إمام محاكمهم القنصلية. كما أعطت المعاهدات الولايات المتحدة حق تعيين القناصل ونواب القناصل فى الأملاك العثمانية كلما وجدت ضرورة لذلك، وقامت الإرساليات البروتستانتية بنشاط كبير فى أعقاب عقد هذه المعاهدة[٢].

وكثير ما كانت تحدث خلافات حول تفسير بعض المواد والتى كان المبشرون يصرون على أنها تضمن الحقوق القضائية بشكل كامل [٣].

وفى عام ١٨٦٢م عقدت معاهدة بين أمريكا والدولة العثمانية وكانت صالحة لمدة ٢٨ عاما، ونصت على أنه لكل من الدولتين المتعاهدتين حقا بأن تخبر الأخرى بعد مضى أربع عشرة سنة (وهى مدة تكون قد نفذت فى خلالها جميع أحكام هذه المعاهدة) إذا كانت ترغب مراجعة هذه المعلهدات أو نقضها، ونصت على أن تسرى تلك المعاهدة على جميع ولايات الدولة العثمانية [٤].

وبحكم تلك المعاهدات حصلت أمريكا على كثير من الامتيازات ، ففى عام ١٨٧٥م أرادت الدولة العثمانية زيادة الضرائب من ٨ : ١١% على الواردات واحتاجت لموافقة الدول صاحبة الامتيازات ومنها أمريكا التى استخدمت ذلك فى نيل مطالب دبلوماسية حول شئون التمييز فى المعاملة للمدارس الأمريكية والإرساليات، وبذلك رفعت الرسوم على الواردات لتحقيق أهداف ومصلحة المبشرين[٥].

---

(١) فليب جلاد: قاموس الإدارة والقضاء، المطبعة التجارية، الإسكندرية، ١٨٩٠، جـ١ ص٢٦٥.

(٢) فؤاد المرسى خاطر (دكتور): مرجع سابق، ص٨٠ .

- بونداريفسكى – مرجع سابق، ص٢١٨ .

(٣) توماس بريسون: مرجع سابق، ص٧٧ .

(٤)فليب جلاد: مصدر سابق، ص٢٦٩ .

(٥)توماس بريسون: مرجع سابق، ص

ويرتبط بنظام الامتيازات، الإعفاءات الجمركية التى استفادت منها الإرسالية الأمريكية فى الشام، وصدرت فى الدستور العثمانى الذى أعطى للرهبان على اختلاف أنواعهم مجموعة من الإعفاءات الجمركية هى:

- المواد المستخدمة فى تزيين الكنائس وإجراء الأمور المذهبية ونص على أن الإعفاء يكون جارى بحسب قيمة هذه المواد لسنة واحدة لإدارة الرهبان والراهبات الموجودين فى كل دير وبمكاتبهم ومدارسهم والأماكن الخيرية التى يديرونها[١].

وعلى هذا الأساس فقد أعفيت الأشياء التى يريد إدخالها المبشرين مستفيدة من هذه الإعفاءات.

وبسبب زيادة نفوذ البروتستانت وتدخلهم فى شئون البلاد عزمت الحكومة العثمانية على إخراجهم من أراضيها، ولكن تدخل الحكومة الأمريكية[٢] حال دون ذلك فقد احتج "تيريل" السفير الأمريكى لدى الباب العالى واستطاع بالتعاون التام مع السفير البريطانى أن يلغى ذلك الأمر[٣].

وبذلك لم تعد الدولة العثمانية تستطيع أن تتخذ إجراء حاسم وقوى إزاء نشاط الإرسالية الأمريكية ولتمسك أمريكا بكل نصوص الامتيازات، فعن طريق هذه الامتيازات أحبط السفير الأمريكى فى الآستانة قرار الحكومة.

وهنا نجد أن هذه المعاهدات التى عقدتها الدولة العثمانية مع الولايات المتحدة الأمريكية لمصالح اقتصادية فى الأساس استفادت منها أمريكا فى المجالات الأخرى ولا سيما فى المجال التبشيرى، وهنا قدمت الدولة مواقف إيجابية للتبشير الأمريكى تمكن المبشرون من ترجمتها لصالحهم.

---

(١) الدستور العثمانى: ترجمة نوفل أفندى نعمة الله نوفل، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٣٠١هـ، ط٢، جـ٢ ص٥٤٣.

(٢) تيسير أحمد حسن وهابية: مرجع سابق، ص٢٥٨.

(٣) توماس بريسون: مرجع سابق، ص٨٥.

كما استفادت الأملاك التابعة للإرسالية الأمريكية فـــي الشـــام مـــن الامتيازات والإعفاءات الجمركية(*) التى قررتها الدولـــة العثمانيـــة للرهبـــان وللأعمال الخيرية[١].

التنظيمات العثمانية وأثرها على التبشير الأمريكي :

عانت الدولة العثمانية منذ منتصف القرن الثامن عشر مـــن الضعـــف الذى ضرب أطنابه فى كافة منـــاحي الحيـــاة، وبـــدأت بعـــض المحـــاولات الإصلاحية والتنظيمات فى الدولة نتيجة للهزائم العسكرية التى أجبرت الدولـــة على تقديم التنازلات للدول الأوربية ولا سيما لروسيا العدو اللدود الذى كـــان يتربص بالدولة للحصول على أى مكسب من أملاك الدولة العثمانية ولا ســيما المضايق والبلقان.

يمكننا أن نقسم التنظيمات لمرحلتين :

الأولى: وهى التى مهدت للتنظيمات بالشكل الرسمى والقانونى والتـــى قام بها السلطان ســـليم الثـــالث (١٧٨٩ :١٨٠٧م) والتـــى انتـــهت بالإطاحة به وبإصلاحاته، بعد موافقة شيخ الإســـلام علـــى عزلـــه ، وتولى بعده السلطان مصطفى الرابـــع[٢]، وانتـــهت هـــذه المرحلـــة بالقضاء على الانكشارية فيما عرف "بالواقعة الخيرية" .

والثانية : وهى المرحلة التى بدأت فيها التنظيمات رســـميا ، والتـــى لعبت الأثر الأكبر فى التبشير الأمريكى فى الشام ، والتبشـــير فـــى جميع أرجاء الدولة العثمانية عموما . وبدأت بخط شـــريف كلخانـــة ١٨٣٩ ، ثم خط شـــريف همـــايون ١٨٥٦م ، وانتـــهت بالدســـتور العثمانى ١٨٧٦م.

أ- خط شريف كلخانة : ١٨٣٩م :

عندما اعتلى السلطان عبدالمجيد (يوليـــو ١٨٣٩- يونيـــة ١٨٦١) العرش العثمانى ، كانت الدولة تمر بأزمة خطيرة حيث انـــهارت الجيـــوش

(*) كان فى الممالك العثمانية عدد غير قليل من المؤسسات الأجنبية، الاقتصاديـــة والثقافية والدينية والخيرية... وطبيعى أن هذه المؤسسات كانت تستفيد مـــن الامتيازات الأجنبية، وتنال ضروبا من التشجيع والتوجيه والحماية من الـــدول التى تنتسب إليها وتساهم مساهمة كبيرة فى توسيع وتقويـــة نفوذهـــا مـــن الوجهتين المادية والمعنوية- راجع لمزيد من المعلومات ساطع الحصرى: البـــلاد العربية والدولة العثمانية. دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٠، ط٢ ص١٤٧ .

(1) list of American Educational, op. Cit, p.14.

(٢) عبد الكريم رافق : العرب .. مرجع سابق ، ص ٣٧٨ .

العثمانية أمام قوات محمد على فى موقعة نزيب ١٨٣٩" وأصبح الطريق مفتوحا أمام القوات المصرية للعاصمة نفسها. ومن هنا فقد أجبر السلطان تحت ضغط الدول الأوربية ، وكذلك وزيره مصطفى رشيد باشا ذو التعليم والثقافة الفرنسية ، على اتباع سياسة إصلاحية ترضى الدول الأوربية [١].

كانت الثورات التى قام بها رعايا الدولة من غير المسلمين – مثل ثورة على باشا والى ياننة ، وثورة اليونان – قد أدت لمضاعفات سريعة فى العلاقات السياسية الدولية ومهدت الطريق للدول الأوربية أن تتفق على ضرورة فرض نظام إدارى على الحكومة العثمانية يسمح بضمان الأمن للرعايا المسيحيين وكان فى وسع الحكومات الأوربية أن تفيد من هذه الحالة لكى تضمن على حساب هؤلاء أو أولئك مزايا أخرى أو حتى لكى تتسبب فى انهيار الدولة العثمانية[٢].

وبذلك تم الاتفاق بين العثمانيين والدول الأوربية على إعلان التنظيمات الخيرية التى عرفت باسم خط كلخانة" لإعطاء الامتيازات للمسيحيين لإرضاء الدول الأوربية حتى تقف بجانب الدولة فى محاربة القوات المصرية بالشام وهو ما حدث بالفعل.

ونص خط كلخانة على نصوص أفادت المبشرين عموما ، حيث أعلنت المساواة لأول مرة بين كافة الطوائف فى الدولة العثمانية ، فلقد نص هذا الخط على إعلان الحريات العامة والممتلكات والأشخاص ، دون النظر للمعتقدات الدينية ، كما نص على أحقية غير المسلمين من أهل الذمة فى ترميم كنائسهم ومعابدهم ومقابرهم حسب هيئتها الأصلية ، وإجراء الحريات الدينية كاملة ، وحذف كل الألفاظ والتمييزات التى كانت تستخدم فى الكتابات الرسمية وتميز صنف على صنف آخر من الناس لاختلاف دينهم[٣] . وهنا كان الإعلان الرسمى عن بداية تحول قوانين الدولة للنهج العلمانى الأوربى. وبذلك بدأت إلغاء الفوارق بين الطوائف فى الدولة العثمانية وهو ما يمثل تقدم كبير لصالح المسيحيين فى الدولة العثمانية الذين اتجهت أنظارهم تماما

---

(١) جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ١٩٠-١٩١ .

(٢) وفاء أحمد البستاوى: فكرة الإصلاح فى تذاكر أحمد جودت، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب عين شمس،١٩٩٥، ص٥٤ .

(٣) محمد فريد : مرجع سابق ، ص ٢٥٤-٢٥٦ .

نحو أوربا لمزيد من التدخل لتنفيذ الإصلاحات بـدلا مـن تطلعـهم للدولـة نفسها[١].

فى هذا الخط وقع التناقض ما بين القديم والجديد وعدم القدرة التامـة على المزج بينهما فقد نص "يعلم العالم كله بـأن التعـاليم القرآنيـة الجليلـة وقوانين الإمبراطورية كانت قواعد محترمة فـى السـنوات الأولـى وبـهذا تزايدت قوة وسطوة الدولة وتمتع جميع رعاياها دون استثناء بأقصى الرفـاة والنعيم"، كذلك الحال كان السلطان عبدالمجيد قد وقع علي البيان مكرها وكان هذا المصلح رغم أنفه" يعتبر التنظيمات دوما كتنازلات وافق عليـها خلافـا لإرادته، وحالما كانت تتاح له الفرصة، كان يعمل كل ما فى وسـعه لعرقلـة تنفيذها[٢].

أما المسلمون فبوجه عام لم يرحبوا بهذه التنازلات التى حصل عليـها أهل الذمة عموما، ورأوا فيها أنها أجريت تحـت ضغـط الـدول الأوربيـة المسيحية لصالح المسيحيين فى الشرق[٣].

وفى المجمل فقد أفادت مواد هذا الخط، الإرسالية الأمريكية بشـكل كبير ومنحها حرية الحركة والعمل فى جو أكثر ملائمة بعد ما نص عليه مـن امتيازات عديدة، وبذلك كانت التنظيمات هى الإعلان القانونى لعلمانية الدولـة العثمانية .

ب- خط شريف هايون ١٨٥٦ :

كما أعلن خط كلخانة تحت ضغوط الدول الأوربيـة ؛ أعلـن خـط شريف همايون لطلب مساعدة الدول الأوربية للدولة العثمانية فى حربها مـع

---

(1) Shaw, S., E., op cit, pp59-61.

(٢)لوتسكى: تاريخ الأقطار العربية الحديثة، ترجمة عفيفة البستانى - دار التقـدم، موسكو، ١٩٧١، ص١٤٨ وص١٥٠.

(٣) جلال يحيى : مرجع سابق ، جـ١ ، ص ١٩٥.

روسيا-حرب القرم- وقبل عقد مؤتمر باريس(٢٥فبراير١٨٥٦)(*) بأسبوع ، وهذا يعنى أن الدولة أعلنت الخط الهمايونى تحت الضغط الواقع عليها.

فقبل المؤتمر بفترة قليلة نجح اللورد ستراتفورد "Lord Strat Ford" بعد مجهودات طويلة، فى استخلاص الخط الهمايونى للإصلاح بخصوص الرعايا المسيحيين، وتمت الإشارة له فى معاهدة باريس كدليل على نوايا السلطان الطيبة (*)، وفى مثل هذه الحالة، فإن القوى الموقعة على المعاهدة رأت أن السلطان ينوى القيام بالعديد من الخطوات الإصلاحية(١).

وأقر السلطان عبد المجيد فى خط همايون سنة ١٨٥٦م ، المبادئ التى وردت فى خط كلخانة سنة ١٨٣٦م ، وأكد على مبدأ المساواة لكافة رعاياه، ويمكن إجمال أهم النقاط التى وردت فيه فيما يلى:

إقرار امتيازات الطوائف غير الإسلامية بعد إعادة النظر فى تنظيماتها على أن تتقدم كل طائفة للباب العالى بمقترحات الإصلاح التى تتفق

(*) فى مؤتمر باريس عقدت الدولة العثمانية معاهدة بوخارست التى أجبرت فيها على تقديم العديد من التنازلات لحساب روسيا ، فعلى سبيل المثال جرد البحر الأسود من قوة تأثير الدولة العثمانية عليه وأصبح مفتوحا للتجارة البحرية لكل الدول ومنعت الدولة العثمانية من الاحتفاظ بأى ترسانة بحرية على سواحله .
. Sirvalentine chirol: op. Cit. P306.

(*) فقد جاء فى المادة ٩ من المعاهدة أن : "سلطان الدولة العثمانية لعنايته بخير رعاياه جميعا قد تفضل بإصدار منشور غايته إصلاح ذات بينهم وتحسين أحوالهم بقطع النظر عن اختلافهم فى الأديان والجنس وأخذ فى ذمته مقصده الخيرى نحو النصارى القاطنين فى بلاده ، وحيث كان من رغبته أن يبدى الآن شهادة جديدة على نيته فى ذلك عزم على أن يطالع الدول المتعاهدة بذلك المنشور الصادر عن طيب نفس منه فتتلقى الدول المشار إليها هذه المطالعة بتأكيد ما لها من النفع والفائدة ولكن المفهوم منها صريحا أنها لا توجب حقا لهذه الدول فى أى حال كان على أن تتعرض كلا أو بعضا لما يتعلق بالسلطان ورعاياه أو بإدارة سلطنته الداخلية" . محمد فريد : مرجع سابق ، ص ٢٧٨ .

(1)Sirvalentine Chirol: Turkish Empire, forn1288 to 1914. London p307.

مع ما طرأ على الدولة العثمانية من رقى وتقدم السماح لهذه الطوائف بالحرية فى ممارسة شعائرها الدينية وبناء معابدها[١].

أعطاهم الحق فى إلحاق أبنائهم بالمدارس الحكومية والعسكرية والمدنية بشرط أن يستوفوا الشروط المطلوبة للقبول بهذه المدارس، هذا بعد أن وجدت الدولة شكلا رسميا فى إطار التنظيمات[٢].

أهم ما نص عليه المرسوم الجديد هو تأكيد حق الدولة فى تجنيد المسيحيين للخدمة العسكرية مع تخويلهم الحق فى دفع البدل النقدى للإعفاء من أداء الخدمة[٣].

ولم يعد من الممكن إجبار المسلمين الذين يعتنقون النصرانية على الارتداد عنها ، [٤] وخلافا لخط كلخانة فقد اعتبر خط همايون من قبل الدول كإلتزام دولي، وهذا ما ورد فى المادة ٩ من معاهدة صلح باريس، ولم يكن باستطاعة السلطان إلغاءه ولا تغييره بدون موافقة الدول. على عكس كلخانة[٥].

وكان خط همايون أكثر دقة في تحديد التغييرات الواجب إجراؤها، ولم يبد فيه انقسام الشخصية الذى اتضح فى خط شريف كلخانة، كما أن

---

(١) محمد فريد: مرجع سابق، ص٢٥٦ : ص٢٥٩ .
- انظر أيضا: هند فتال - رفيق شكرى : تاريخ المجتمع العربى الحديث والمعاصر، جروس برس، بيروت، ١٩٨٨، ص١١٩ .
(٢) . محمد فريد : مرجع سابق ، ص ٢٥٩ .
(3) Sir valentine chirol . op. Cit. P307.
- عبدالعزيز الشناوى : مرجع سابق ، جـ١ ص٩٦ .
(٤) محمد فريد : مرجع سابق ، ص ٢٥٨ حيث ورد فى المرسوم "لا يمنع أي شخص من تبعتنا الملوكية من إجراء رسوم الدين المتمسك به ولا يؤذى بالنسبة لتمسكه به ولا يجبر على تبديل دينه ومذهبه" . وانظر أيضا : كارل بروكلمان : الإسلام فى القرن التاسع عشر، ترجمة نبيه أمين فارس - منير البعليكى، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٥٠ص ٤٦، - وفاء أحمد البستاوى: مرجع سابق، ص١٠٠ .
(٥) لوتسكى: مرجع سابق، ص١٥٩ .

صيغته كانت أكثر عصرية وأكثر اقتباسا بآية قرآنية أو بقوانين الدولة القديمة وأمجادها، وكان ذلك أمرا مؤثراً من الناحية النفسية[١].

في الوقت نفسه ينبغي الإشارة إلى أن الفئة من العثمانيين الذين كانوا وراء هذه الإصلاحات قد تلقوا تعليمهم في أوربا وتأثروا بالأفكار العلمانية الغربية وأصبحوا أكثر اقتناعا بها فأندفعوا نحو هذه الأفكار دون مراعاة لأصول الاقتباس مما أوقع الدولة العثمانية في مشاكل كثيرة .

د- أثر التنظيمات :

لعبت التنظيمات العثمانية - وهي الإعلان الرسمي لعلمانية قوانين الدولة - دوراً كبيراً في تشجيع التبشير وذلك بمنح المبشرين حريتهم كاملة في نشر أفكارهم الدينية والترويج لها، وكان قمة الامتيازات التي حصلوا عليها في خط شريف همايون هو عدم تطبيق "حد الردة" وأبطاله، فلم يعد من حق الدولة عقاب من يترك الإسلام ليعتنق مذهب مسيحي، وهذا في حد ذاته كفل للمبشرين الأمان اللازم لهم لممارسة أعمالهم. هذا في الوقت الذي لا نستطيع أن نغفل فيه أثر هذه التنظيمات في ازدياد حدة الصراعات بين المسلمين والمسيحيين ، ذلك لأن المسلمين اعتبروا امتيازات النصارى التي حصلوا عليها بموجب التنظيمات انتقاصا من حقوقهم ، وخروجا على عهد الذمة . وهو ما لعب دوراً كبيراً في إعطاء الفرصة للدول الأوربية للتدخل لحماية المسيحيين وبالتالي كفالة الحماية اللازمة للمبشرين وهنا ساعدت فترة التنظيمات التبشير في ضمان الأمان والحرية اللازمان له، وهذه المساعدة وأن كانت بغير قصد إلا أنها أتت نتائجها الكاملة للمبشرين.

فقد ازداد غضب المسلمين[٢] من المساواة التي أعلنت في التنظيمات مما أدى لحدوث حالات هياج شديد ففي حلب رصد "سكين" قنصل إنجلترا

---

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٣، ص٢١٠ .

(٢) أسعد خياط قنصل انكلترة إلى الكونت دى كلارندون عن يافا ١٣ كانون الثاني ١٨٥٨م، فليب وفريد الخازن مرجع سابق، جـ١ ص٢٩٠ .

- يذكر شارل أوبانل عن مذابح دمشق ص١٩٠ تموز ١٨٦٠ قوله: جاءت جماعة من المسلمين بخمسة كلاب وأطلقت عليهم أسامي الملوك المسيحيين الخمسة موقعي معاهدة باريس ١٨٥٦م" وذلك نقمة عليهم بسبب صدور التنظيمات الخيرية التي اعتقد الناس أنها صدرت بضغوط أوربية،فليب وفريد الخازن مرجع سابق جـ٢، ص٢٠٧ .

العام حدوث هياج بسبب تحريضات غير واحد من أعيان المسلمين الذين يعتقدون أن الحكومة جارت عليهم بانتقاصها من شئونهم الخاصة، وبذلك ثارت العداوة بين المسلمين والمسيحيين وولدت روح العداء والثورة على الحكومة[١] كما كتب القنصل جمس فين للكونت دى ملسبورى فى ٨ يوليو ١٨٥٨م قائلا" أن أحد سائقى الجمال السذج وهو بدوى يشتغل بنقل الملح من البحر الميت قد أكد فى الأسبوع المنقضى إلى المستر مينتولام" أن البلاد لا تخص سلطان تركيا لأنه منح المسيحيين امتيازات مضادة للشرع وعليه فلابد لسيوف المؤمنين الصادقين من أن تدنس بدم المسيحيين[٢] ويبدو لنا من خطابات القناصل فى المدن الشامية المختلفة والتى كانوا يرسلونها للقناصل العامة أن التنظيمات لم تكن مرعية الجانب دائما من جانب الحكومات المحلية- حسب درجة اقتناع القائمين عليها بها - وأن الحكومة العثمانية نفسها كانت تغض الطرف عن العديد من الشكاوى التى تصل إليها عن مخالفة التنظيمات بل ربما كانت تقوم من طرق خفى بالعمل على تخويف الأجانب والمبشرين من الاستمرار فى الشام، ففى رسالة لأحد القناصل أنه ذهب للناصرة والتقى بقاضى يسمى الشيخ أمين ووجد رجل يدعى "إلياس الصفورى" وهو بروتستانتى ويفتح بيته للاجتماعات الليلية التى تتلى فيها الكتب المقدسة ويحضرها رجل مسلم من القرية فأنبه القاضى وهدده فتدخل القنصل قائلا "أن جلالة السلطان كتب فرمانا - يقصد التنظيمات - يولى كل فرد من تبعته أن يدين بما أراد بحيث يحق لكل من شاء تغيير مذهبه عن اعتقاد أن يفعل وإنما يحظر إجباره على جحد دينه" وكانت إجابة القاضى أن السلطان يأكل بطيخا أصفر" وهى عبارة عن أن السلطان يتكلم عن عجز أو عدم فطنة[٣] وبذلك نجد كيف أن المبشرين بدأوا فى استغلال التنظيمات فى أعمالهم التبشيرية.

---

(١) رسالة من سكين قنصل إنجلترا العام فى حلب إلى اليسون ٣١ تموز ١٨٥٨م، فليب وفريد الخازن - مجموعة المحررات السياسية جـ١، ص٣٢٥ .

(٢) رسالة من القنصل جمس فين للكونت دى ملسبورى ٨ تموز ١٨٥٨، فليب وفريد الخازن: مصدر سابق، جـ١، ص٣٢٢ .

(٣) رسالة من الفيس قنصل رو جرس إلى القنصل فين عن حيفا ١٨ حزيران ١٨٥٨م، نقلا عن فليب وفريد الخازن: مرجع سابق، جـ١ ص٣١٨ .

وفى خطاب للقنصل "مور" فى ٣ سبتمبر ١٨٥٩م يشكوا من أن بعض الوطنيين الذين اعتنقوا المذهب البروتستانتى فى قضاء المتاولة[*] يتعرضون للصعاب والتعذيب والمبشرين الأميركيين المقيمين فى صيدا يشكون أيضا، وصدرت الأوامر لخورشيد باشا حاكم الأيالة بأن يرفع هذه المظالم ولكنه لم يفعل واستمرت نفس الصعاب برغم صدور التوصيات من الآستانة لحاكم الأيالة[١].

وبذلك نجد أن التنظيمات لعبت دورا قويا فى توفير الجو المناسب لقيام الإرسالية الأمريكية التبشيرية بأعمالها، ولكن من وجهة أخرى يكشف العرض السابق أن الدولة العثمانية التى أعلنت هذه التنظيمات لإرضاء دول أوربا ولطلب مساعدتها سواء ضد محمد على فى الشام أو روسيا فى حرب القرم لم تكن مقتنعة بهذه التنظيمات فكانت تضع العراقيل أمام تنفيذها عن طريق إيعازها للموظفين بذلك .

ارتبط بالتنظيمات الخيرية ما قدمته الدولة العثمانية من الامتيازات للدول الأجنبية ترضيه لها، واستفادت الإرساليات التنصيرية من هذه الامتيازات، وبحق فلم تكن الدولة تبغى مساعدة التبشير ولكن استفيد من امتيازاتها فى ذلك من أهم هذه الامتيازات منح الأجانب المقيمين فى الدولة العثمانية حق الملكية، فقد نص مرسوم التنظيمات ١٨٥٦م بالسماح للأجانب بالتملك فى الدولة العثمانية" وبما أن القوانين الكائنة بحق قضايا بيع الأملاك والتصرف فى العقارات متساوية بحق تبعتى الملوكانية كافة فبعد أن تعمل الصور التنظيمية فيما بين سلطنتى السنية والدول الأجنبية تعطى المساعدة للأجانب أن يتصرفوا فى الأملاك أيضا بحسب اتباع قوانين دولة العلية

(*) وقد لقى سعى المبشرين فى الشام نجاحا حيث أن كثير من المذاهب فى الشام كانت تهيئ لهذا باستثناء أهل السنة.

(١) خطاب من مور القنصل العام إلى السير بولفر ١٣ أيلول ١٨٥٩م فليب وفريد الخازن، جـ١ ص٣٧٨ .

- تنصر رجل مسلم دمشقى على المذهب البروتستانتى، و لم يستطع حاكم سوريا فعل شئ لأن التنظيمات تنص على حرية العقيدة، نفس الأمر حدث مع امرأة أخرى فى شمال بيروت.

- Mission ary Herald, Augut, 1870. KeBes Shima moslems religionus Liberty . Pp244.Z 46.

وامتـــثال نظامـــات الضــــابطة البلدية وإعطائهم أصل التكاليف التى يعطيها الأهالى الوطنيون"[١].

وفى عـــام ١٨٦٩م أصدر السلطان فرمانا بأحقية تملك الأجانب فى جميع أنحاء الدولة باستثناء الحجاز ، وصدر معه أيضاً امتياز جديد استفادت مـــنه الإرســـالية الأمـــريكية وهو ينص على عدم أحقية الإدارة المحلية ولا مـــأمورى الضابطة أن يدخلوا المنازل التى يمتلكها الأجانب وكذلك حدائقها المتصلة بها ألا بحضور القنصل أو حضور معتمد من جهته[٢] وهكذا أصبح الأجانب لهم حق التملك والإعفاء الضريبى وعدم الخضوع لقضاء الدولة كل ذلـــك نـــتيجة للامـــتيازات الأجنبية التى تعلي من شأن الأجنبى فى مواجهة الرعية العثمانية، وصبت كل هذه الامتيازات فى كنف الإرساليات التبشيرية وفى مقدمتها الإرسالية الأمريكية فى بلاد الشام.

وفى تقريـــر لمجـــلس الإرســـاليات الأجنبية التابع للكنيسة المشيخية بالولايـــات المـــتحدة ١٩٠٦ يذكـــر أنه أصبح هناك ملكية خاصة للإرسالية الأمـــريكية فى بلاد الشام تدفع من أجلها ضرائب كلية أو جزئية وهى التقييم الكلى لولاية بيروت

التقييم الكلي لولاية بيروت	١٥٨,٠٥٠	دولار
التقييم الكلى لمتصرفية لبنان	١٠٥,٧٠٣	دولار
التقييم الكلى سوريا	١٥,٧٠٠	دولار
الإجمالي	٢٧٩,٤٥٣	دولار[٣].

ومن خلال هذه الأرقام يتضح لنا تركز الملكية فى بيروت أكثر من بقيـــة البلدان الشامية وفى المرحلة الثانية لبنان حيث تركز النشاط التبشيرى البروتستانتى فى جبل الدروز ويأتى فى المرحلة الأخيرة سورية.

---

(١) عبدالعزيز عوض: مرجع سابق، نقلاً عن الوثائق التركية، ص٢٨ .

(٢) الجنان: الجزء الثالث عشر، بيروت تموز، ١٨٧٢، ص٤٤٨ .

(٣)The Board of foreign missions of the presbyterian chuch in U.S.A. op. Cit, p.13.

ملكية الإرسالية فى ولاية بيروت كمثال

السنجق	قضاء	المكان	نوع الملكية	القيمة	مملوكة منذ
	بيروت	بيروت	مدرسة عليا للبنات، كنيسة، مطبعة صالة للأعضاء، مستوصف، ٩محلات مدرسة لاهوتية عليا	٧٢٣٠٠ دولار	١٨٦٦ت
			مسكن أرض	١٦٠٠٠دولار	١٩٠٤ ت
		الجديدة	كنيسة – منزل قس مدرسة	١٠٠٠ دولار	١٨٧٣
	الجديدة مرجع عيون	الجديدة	مدرسة عليا للبنات، مسكن	٣٣٠٠دولار	١٨٨٣ت
		دير مماس	كنيسة ومدرسة	١٤٠٠دولار	١٨٦٤
		إبل السقر	كنيسة ومدرسة	١٤٠٠ دولار	١٨٦٦
		الخيام	كنيسة ومدرسة	١٣٠٠دولار	١٨٦٤
		الخربة	مدرسة	١٠٠دولار	١٨٦٤ت
	صيدا	صيدا	مدرسة بنات	١٢٠٠ دولار	١٨٧٥ت
		صيدا	كنيسة وستوديو	٢٥٠٠٠ دولار	١٨٦٤
		صيدا	مدرسة بنين	١٢٥٠٠دولار	١٨٨٢ت
	صور	علما	كنيسة وستوديو	٨٠٠ دولار	١٨٥٨
	-	قانا	كنيسة وستوديو	٣٥٠دولار	١٨٦٤
	طرابلس	طرابلس	مدرسة بنات وكنيسة	٢٥٠٠ دولار	١٨٧٦
		الميناء	مستوصف	١٢٥دولار	١٨٧٦
		الميناء	مستشفى	٣٠٠٠دولار	١٨٨٣ت
	الحصن	عماد	كنيسة ومنزل قس	٨٣٠دولار	١٨٨٣ت
		الخربة	مدرسة	١٥٠دولار	١٩٠١ت
	عكار	بينو	كنيسة صغيرة ومنزل قس كنيسة صغيرة	١٣٠٠ دولار	١٨٨٣ت
	صافيتا	المينارة	كنيسة صغيرة	٨٠٠دولار	١٨٨٨٣ت
		الشيخ محمد	كنيسة ومنزل قس	٤٤٥دولار	١٨٨٠
		إبرج صافيتا	كنيسة ومنزل قس	١٤٥٠دولار	١٨٨٠ [1]

(1)List of American Educational, op.Cit. p.13.

يتضح لنا من الجدول السابق عدة حقائق أهمها:

١-استفادت الإرسالية الأمريكية من صدور قوانين السماح بتملك الأجانب في الديار العثمانية استفادة بالغة.

٢-أن نشاط الإرسالية انتشر في كافة البلاد الشامية حتى الصغيرة منها وغير المشهورة – كما يتضح من الجدول السابق أسماء هذه البلدان.

٣-انتشرت الكنائس البروتستانتية– وملكيتها للإرسالية الأمريكية بصورة كبيرة مما يعني النجاح في الأعمال التبشيرية.

٣-موقف الدولة العثمانية من التعليم الأمريكي:

لم تكن الدولة العثمانية قبل القرن التاسع عشر تشرف على أمور التعليم داخل البلاد التابعة لها ، ولا حتى داخل الآستانة نفسها ، وتركت الإشراف والإنفاق عليه للأوقاف التي يرصدها أهل الخير والمحسنون . وكان التعليم في غالبيته تعليما دينيا ، ولكن في القرن التاسع عشر اختلفت الأمور فقد بدأت التأثيرات الأوربية في الظهور، ولم يكن للدولة أن تستمر على نهجها القديم في ترك أمور التعليم للأوقاف فتدخلت وأخذت على عاتقها الإشراف عليه منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر[1].

وكانت الدولة العثمانية تمنح كل طائفة من الطوائف الدينية والمذهبية من غير المسلمين – امتيازات خاصة في كل ما يمت للشئون الدينية، ومنها شئون التعليم، وكانت هذه الامتيازات الخاصة تشتمل "لغة التعليم" فكان يحق لكل جماعة أن تعلم أبناءها باللغة الشائعة بينهم، ولم يتمتع المسلمون بشئ من التنظيمات والامتيازات التي كان يتمتع بها إخوانهم المسيحيون في أمور المدارس والتعليم[2].

---

(١)راجع شربل داغر (دكتور): التعليم العصري موحدا في الافتراق الملي، منشور ضمن كتاب العلم والمعرفة، مرجع سابق، ص١٧٧ .

(٢) ناصر الدين الأسد (دكتور): الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٥، ص٢٥

إسماعيل حقي: مرجع سابق، جـ٢ ص٥٩٤ .

- أحمد عبدالرحيم مصطفى (دكتور): مرجع سابق، ص٢١٧ .
- أحمد سراج الدين: مرجع سابق، ص٣٣٥ .

وفى عام ١٨٦٩م ظهر القانون الذى عرف بنظام إدارة المعارف وكان الهدف من وضعه أقامه العديد من العراقيل أمام إنشاء المدارس التبشيرية ولا سيما الأمريكية، ووضع هذا القانون عدد من الشروط لابد من توافرها قبل إنشاء أى مدرسة وهذه الشروط هى:

١- يجب الحصول على رخصة رسمية من إدارة المعارف والوالى قبل فتح المدرسة الخاصة.

٢- يجب عرض جداول الدروس وكتب التعليم على إدارة المعارف كى لا تدرس فى هذه المدارس دروس مغايرة للآداب والسياسة.

وبمقتضى هذا القانون راقبت الحكومة مناهج الدراسة فى المدارس التبشيرية[١] ولقد أدى هذا القانون لاستياء الإرساليات الأنجلو سكسونية بشدة، واحتج المرسلون الأمريكيون على ما أسموه العداء العثمانى (التنوير) التى تؤدى من وجهة نظرهم لفتح مدارس الدولة كدفاع عن النفس واعتبروا الدولة بمثابة العدو الميت "its deadly foe"[٢].

وبالرغم من ضيق الإرسالية الأمريكية من هذا القانون إلا أنها احترمته وكانت ترسل قائمة بالدراسات ونسخ من كل الكتب التى تدرس فى مدارسها فى الشام عموما لإدارة المعارف، حتى تحصل على رخصة الاستمرار[٣].

وعندما صدر الدستور العثمانى سنة ١٨٧٦م أقر فى المادة ١٢٩ على أنه لابد قبل تأسيس المدارس الخاصة من الحصول على رخصة من إدارة معارف الولاية وتصديقا منها على جداول الدروس وكتب التعليم بها "كيلا تطالع فى هذه الكتب دروس مغايرة للآداب ولا للسياسة وإذا كانت توجد أوراق شهادات فى أيادى المعلمين الذين تعينهم فاتحو هذه المكاتب فيلزمهم أن صادقوا عليها من إدارة المعارف"[٤].

واحتمت المدارس الأمريكية بالامتيازات الأجنبية حتى ضد القانون العثمانى الصادر ١٨٦٩، ولكن تحت ضغط المسلمين بدأت الدولة العثمانية

---

(١)عبدالعزيز عوض: مرجع سابق، ص١٧٧ .

(2)A.l. tibawi – op. Cit. P 258.

(٣)الدستور: مصدر سابق، ص١٧٤ .

(٤) عبدالعزيز عوض: مرجع سابق، ص١٧٦ - الأمريكية.

وهى دولة الإسلام الكبرى فى الوقوف فى وجه المبشرين وترسل لموظفيها بعدم إعطاء التسهيلات للمبشرين والوقوف فى وجوههم، وفى الحقيقة فقد كانت الدولة مضطرة إلى التنظيمات وما منحته من حقوق لغير المسلمين.

فمن دلائل ذلك أن الدولة أخذت منذ عام ١٨٨٣ ترسل أوامرها لمتصرف القدس تحذره من السماح بتشييد الأبنية المخصصة للعبادة أو التعليم أو الأعمال الخيرية دون تصريح مسبق من الباب العالى، ولكن الإرسالية الأمريكية - وغيرها من الإرساليات - كانت تلجأ لسياسة فرض الأمر الواقع أمام الدولة، وكل ما كانت الحكومة تستطيع فعله هو حرمانها من التمتع بالإعفاءات الجمركية -لبعض الأدوات المستخدمة فى المدارس- التى نالتها المدارس التى حصلت على فرمان تأسيسها[١] كذلك يبدو أن حكومة بيروت وهى المركز الرئيسى للمبشرين الأمريكيين فى الشام أخذت تضايقهم فيعترف تقرير للإرسالية أنه على الرغم من كل الالتماسات والشهادات وقوائم الكتب، والنسخ النموذجية منها التى جددت مرتين فإن حكومة بيروت لم تصدر أى تصاريح[٢].

- وفى عام ١٨٨٨م أغلقت الدولة العثمانية مدارس المبشرين الأمريكيين لأنها فتحت أبوابها دون الحصول على رخصة من الحكومة، ولكن قنصل أمريكا فى بيروت ووزير الولايات المتحدة المفوض فى الآستانة تدخلا فى الأمر حتى سمح الوالى" على رضا باشا" بأن تعود تلك المدارس لفتح أبوابها على إلا تقبل إلا التلاميذ المسيحيين، ولكن الوزير والقنصل ما زال يسعيان حتى حملا الوالى على إلغاء هذا الشرط[٣] كما أغلقت الدولة العديد من المدارس الأمريكية فى "مينارة" "والحاكورة" "ويبنون" "وجبرائيل" "وتل عباس" وذلك لأن هذه المدارس أسست بدون إذن الحكومة"[٤].

وانطلقت الآراء التى تطالب الدولة العثمانية بزيادة الاهتمام بالتعليم فى بلاد الشام على أساس أن كثرة المدارس الأجنبية فيها، وأن الدولة لن

---

(١) عبدالعزيز عوض: مرجع سابق، ص١٧٦ - الأمريكية.

(2)Missionary Herald.feb. 1890. Missional the church Missionary souty Vol -63-1890. Pp. 68-71.

(٣) مصطفى الخالدى - عمر فروخ: مرجع سابق، ص١٢٢.

(٤) رفيق التميمى - محمد بهجت : ولاية بيروت - القسم الشمالى - طرابلس الشام واللاذقية، مطبعة الولاية، بيروت، ١٩٣٣، ص٢٦٧.

تستطيع بمفردها مزاحمة هذه المدارس ولكنها تستطيع أن ترصد بعض المساعدات للمدارس الأهلية لمساعدتها على الإكثار من عدد طلابها[١].

كما عملت السلطات العثمانية على افتتاح المدارس الحكومية للوقوف في وجه المدارس الأمريكية من ذلك افتتاح مدرسة صناعي ليلي للأنات[٢] في مواجهة المكتب التي افتتحه الأمريكيون لتعليم الفتيات في صيدا.

عملت الدولة العثمانية على زيادة الاهتمام بالتعليم في بلاد الشام لمواجهة الخطر التبشيري واهتمت بالتعليم العالي لمواجهة هذا النشاط التعليمي، ففي سنة ١٩٠٣م أصدرت الحكومة العثمانية أمرا بإنشاء معهد الطب في دمشق وكان أساتذته في غالبيتهم أتراكا وكانت لغة التدريس التركية أما الطلاب فكانوا من بلاد الشام ومن بلاد الأناضول[٣].

كما سمحت الدولة العثمانية للنساء في ممالكها بأن يشتغلن في صناعة الطب وذلك لأن الأمريكيين قد فتحوا مدارس الطب للنساء فعملت الدولة على مواجهة هذا النشاط بنشاط متشابه[٤] كما افتتحت المدرسة السلطانية في بيروت لتعليم اللغات العربية والتركية والفرنسية والحساب والهندسة والجغرافيا والقانون وعلوم التشريعة[٥] والدولة في إنشائها لهذه المدارس سواء المدارس الابتدائية أو العليا مدفوعة بروح عقيدية في مقاومة هذا النشاط التعليمي لم تكن تمتلك القدرة على الاستمرار في هذا التقدم

---

(١) الإصلاح: ١١ تشرين الثاني ١٩١٣، العدد ١٠٤٧، بيروت، ص١.

(٢) ثمرات الفنون : ١٥ محرم ١٣١٨، العدد ١٢٨١، بيروت، ص٥.

(٣) نقولا زيادة (دكتور) مرجع سابق، ص٢٤٦.
- الطبيب – الجزء الحادى عشر/ السنة الأولى، بيروت ١٥٠إلى ١٨٨٤، ص٢١٦.
- ثمرات الفنون الاثنين ١٢١٢ شوال ١٣١٧– العدد ١٢٦٨، ص٦
- ثمرات الفنون الجزء الحادى عشر الاثنين ٢٠ رمضان ١٣١٧ العدد ١٢٥٦، ص٤.

(٤) راجع: محمد بشير الكاتب: المدرسة الطبية فى دمشق وأثرها فى ابتداء التعليم الطبى فى سوريا، منشور ضمن كتاب العلم والمعرفة فى العالم العثمانى، مرجع سابق، ص١٤٧ : ص١٥٠، انظر أيضا: أنيس الجليس، الجزء التاسع، السنة الأولى، ٣٠ سبتمبر ١٨٩٨، القاهرة ص٢٩١.

(٥) ثمرات الفنون، الاثنين، ١٥ ذى الحجة ١٣٠٣، ص٣.

لأسباب عديدة . أضف لذلك الأزمة المالية الحالكة التى كانت تمر بها الدولة.

وارتبط إنشاء هذه المدارس بالموظفين العثمانيين فى ولايات الشام، فبدأ بعض الولاة فى تشجيع التعليم الحكومى للوقوف فى وجه التعليم الأمريكى فنجد متصرف اللاذقية يطلب تمثيل رواية "حمدان" لينفق من إيرادها على لوازم المدرسة التى أقيمت فى اللاذقية[١] كذلك مدحت باشا عندما وصل دمشق سنة ١٨٦٨م عمل على رفع شأن التعليم والإصلاح فى نظمه بعد ما رأى أنه ليس للحكومة سوى بعض مدارس ابتدائية ضعيفة[٢] وبالرغم من هذه الجهود إلا أنها لم تكن لتستمر لأنها مرتبطة بشخصيات الولاة والمتصرفين وإيمانهم بالتعليم وقيمته فقد قدمت العديد من الشكاوى مما وصلت إليه أحوال التعليم الحكومى من ذلك الشكوى التى قدمت لمدير المعارف فى ولاية سورية فى عام ١٩٠٠م ، بسبب خراب مكتب الإناث الكائن فى صالحية دمشق المتعطل لعدة أشهر بسبب ما حدث فى سقفة، وعدم توفر مال لإيجار مبنى أخر أو لإصلاح المبنى القديم[٣] وفى اللاذقية تخربت المدارس الحكومية التى أنشئت لمواجهة خطر الإرسالية الأمريكية فى وسط النصيريين حتى وصفت بـ "أما الآن فترى تلك المعاهد التى نشأت عن اندفاع ملى جدير بالإجلال والإكرام مهملة تداعى أكثرها واندثر"[٤] وعندما قام مفتش عام معارف ولاية بيروت بالتفتيش على المدارس وجد أن أكثرها متهالك وغير قادر على تربية النشئ تربية تغنيهم عن مدارس الأجانب[٥] وفى عهد الاتحاد والترقى سنة ١٩٠٩ كانت الخلافات السياسية والانتماءات الحزبية تؤثر على العلاقة ما بين رجال الإدارة وهو ما يترك أثره بالتالى على كيفية أحوال المدارس فى الشام من ذلك ما حدث من خلاف بين وال بيروت الذى قطع العلاقة الرسمية مع مدير إدارة المعارف الذى ينتمى للحزب الاتحادى، فى حين أن إدارة المعارف بولاية بيروت كانت تشرف على عدد من المدارس لا يوجد ما يضاهيه فى أى مكان أخر بالدولة

---

(١) الإصلاح: ٣ حزيرات ١٩١٣، العدد ١٤٠٧، ص٣ .

(٢) عدنان الخطيب: مرجع سابق، ص١٠٥ .

(٣) ثمرات الفنون: الاثنين ١ شعبان ١٣١٤هـ، العدد ١١١٠، ص٣ .

(٤) رفيق التميم – محمد بهجت: ولاية بيروت. القسم الشمالى، مرجع سابق ص ٢٦٣ .

(٥) الأقبال: الاثنين، ٢٥ إيار ١٩١٤، العدد ٥٤٨، ص٦، بيروت.

العثمانية، وهذا الخلاف "يترتب عنه محاذير كثيرة لكثرة المدارس الأجنبية[1].

٤- الاعتراف بالكنيسة الإنجيلية:

حتى بداية النشاط التبشيرى الأمريكى البروتستانتى فى بلاد الشام ١٨١٩م، لم يكن فيها طائفة بروتستانتية، ولكن نتيجة لظهور نتائج لهذا النشاط بدأت تتكون جالية بروتستانتية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، وعملت هذه الجالية على نيل الاعتراف الرسمى بها كطائفة دينية، وبذلت الدول البروتستانتية وعلى رأسها بريطانيا وأمريكا وألمانيا دور كبير فى نيل هذا الاعتراف من جانب السلطات العثمانية .

وفى عهد السلطان "عبدالمجيد الأول" ، وبموجب التنظيمات ، بدأ منح الحقوق للمذاهب الدينية المسيحية، فقد أرسل الباب العالى رسالة وزارية للسفارة البريطانية فى ١٥ نوفمبر ١٨٤٧م يعترف بالبروتستانت كطائفة مستقلة فى الدولة العثمانية[2] ونتيجة لمساعى أخرى نالت هذه الطائفة نفس الامتيازات التى كان معترفا بها للطوائف المسيحية من الدولة العثمانية، بواسطة فرمان سلطانى بتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٨٥٠م ١٤ محرم ١٢٦٧هـ وقد اعترف هذا الفرمان بحق هذه الطائفة فى انتخاب وكيل لها يكون له سلطة النظر فى دعاوى أحوالهم الشخصية (زواج – طلاق – ميراث، وصاية) [3] وكان اسطفان أغا أول وكيل للطائفة البروتستانتية فى الآستانة، كان مكتبة معروفا لدى الباب العالى، كما كان له مركزه الأدبى الرفيع[4].

وفى ١١ مارس ١٨٧٨ نشر الباب العالى لائحة لتنظيم هذه الطائفة على مثال الطوائف الأخرى، ولكن البروتستانت رفضوا هذه اللائحة وأعدوا

---

(١) أبابيل: يوم الاثنين ٢٤ ذى القعدة، ١٣٣٠هـ، بيروت العدد ١٨٧ .
(٢) نوفل نعمة الله نوفل: كشف اللثام عن محيا الحكومة والأحكام فى إقليمى مصر وبر الشام، تحقيق ميشال أبى فاضل، جان نخول، طرابلس، لبنان ١٩٩٠، ص٣٥١ .
(٣) أرنست سمعان : (دكتور): الطوائف المسيحية فى مصر، مجلة صديق الكاهن، القاهرة، أكتوبر، ١٩٧٩، ص١٧٢ .
(٤) أديب نجيب سلامة: مرجع سابق، ص١١٣ .

لائحة أخرى تقابلها فى ١٩ أبريل ١٨٨٠م وقد رفضت الحكومة العثمانية بدورها هذه اللائحة[١].

وبعد الانقلاب العثمانى ١٩٠٨ ، وسيطرة الاتحاد والترقى على مقاليد الحكم فى الدولة العثمانية ساروا شوطا كبير فى إرضاء الطوائف فمنحتها عدة امتيازات كانت فى معظمها موجودة من قبل ، وإن كان الاتحاديون قد أضافوا إليها بعض الامتيازات ومنها :

- يحق لكل جماعة انتخاب رئيسها من بينها ماعدا كنيستى اللاتين وبعد الانتخاب يعطى براءة، والرؤساء الثانوية تعين من قبل الرئيس الأول.
- أن لهؤلاء الرؤساء الروحانيين ألقاب تكريم وأثار تعظيم خاصة بهم، وقد يقبل نظاما (لا عرفا) الرؤساء الحائزين براءات عالية ووكلاءهم الرسمية أعضاء لمجالس الإدارة ومن الأصول قبول الرؤساء بعد الانتخاب لحضور السلطان المعظم.
- كل طائفة حرة بإجراء مراسم دينها كما تشاء.
- للطوائف حق إدارة الكنائس والديور والمقابر والمستشفيات والمارستنات ودور الأيتام الموجودة بدون مداخله.
- يحق لهم تأسيس المدارس وفقا لمنهاج نظارة المعارف. والرخصة تكون باسم الرئيس ويسوغ لهم التدريس بلسانهم.
- إذا لزم تحليف الراهب أو الحاخام. بحضور المحاكم فيحرر تذكرة لرئيسه الروحى وهو يحلفه وتكتفى المحكمة بذلك، وإذا اقتضى توقيفهم بناء على مظنونية فقط فيقرر لهم محل خاص مثل سائر الممتازين.
- إذا أراد غير المسلد الاهتداء بالدين الحنيف فلا يقبل إسلامه حالا، بل يبعث به إلى أبويه وأقرباءه ثم إلى الرؤساء الروحيين وهؤلاء ينصحون له، فإن أصر يؤت به إلى مجلس الإدارة ويلقن كلمة الشهادة[٢].

وبذلك نالت الكنيسة الإنجيلية الاعتراف الرسمى من الدولة العثمانية كما نالت الامتيازات التى كانت تتمتع بها الطوائف الأخرى، ومن الملفت للنظر أن الاتحاد والترقى كانوا يمنحون الطوائف المسيحية الامتيازات كسبا لود الدول الأوربية، ولعل خير دليل على ذلك أنه غير مسموح لغير المسلم

---

(١) أر نست سمعان: مرجع سابق ص١٧٢ .

(٢) حسنى عبدالهادى: أصول الإدارة المذهبية فى الدولة العثمانية، النبراس، الجزء الثامن، المجلد الثانى، ٣٠ تشرين ١٩١٠، ص٣٢١ : ص٣٢٣ .

بالدخول فى الإسلام مرة واحدة بل لابد من عودته لأبويه ثم لرؤساءه الروحيين، وكلنا يعلم مدى ما فى هذا الشرط من الإجحاف بل ومخالفة الشريعة الإسلامية[١].

(١) وفى هذا يقول ابن القيم أن إسلام الطفل يصح إذا عقل الإسلام وهذا هو ما اتفق عليه أبو حنيفة ومالك وأحمد وأصحابهم ، أما الشافعى فقال لا يصح إسلامه ولأصحابه وجهان آخران : أحدهما أنه يوقف إسلامه فإن بلغ واستمر على حكم الإسلام كان مسلما . والوجه الثانى أنه يصح إسلامه ولكن لو ارتد لا يقتل حتى يبلغ ، فإن رجع إلى الإسلام وإلا قتل . ويؤكد الشافعى على ضرورة أن يحال بينه وبين أهله الكفار لئلا يفتنوه فإن بلغ ووصف الكفر هدد وطولب بالإسلام . فإن أصر رد إليهم . ابن القيم الجوزية : أحكام أهل الذمة . تحقيق صبحى الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦١ ، جـ ٢ . ص.ص ٤٩٣ . ٤٩٧ .

ثانياً – موقف الإدارة المصرية مـــن التبشير الأمريكى فى الشـــــــــام

أ – الموقف من أهل الذمـــــة .

ب – الموقف مـــن المرتـــدين .



بالـــرغم مـــن قصر عمر الوجود المصرى فى بلاد الشام (١٨٣١-١٨٤٠) ؛ إلا أنـــه لعـــب دورا كـــبيرا فى تاريخهـــا، فمنذ استيلاء القوات المصـــرية عـــلى الشـــام عملت الإدارة الجديدة على بسط الأمن بين ربوعه ومحاولة بسط إدارة جديدة ومنظمة[١].

فقد شجعت إدارة محمد على الإرسالية التبشيرية الأمريكية على بداية نشـــاطها الفعـــلى ونقـــل مطبعـــتها من مالطة لبيروت، وهو ما دفع أيضاً الإرساليات الكاثوليكية الأخرى مثل الإرسالية اليسوعية على زيادة أنشطتهم كجزء من المنافسة مع الإرسالية الأمريكية وأيضاً استغلالاً للسماح والحرية الدينية ثم الدبلوماسية التى حصل عليها الجميع من حكم محمد على.

جدير بالذكر أن إدارة محمد على عملت على كسب ود ورضا الدول الأجنبية المسيحية فى محاولة لطلب مساندتها ضد الدولة العثمانية فى نزاعه معهـــا. فقـــد كان المستفيد الأول من هذا الصراع هو الدول الأوروبية التى عمـــلت على كسب الامتيازات لرعاياها بمن فيهم من المبشرين وكذلك نيل الحقوق للمسيحيين الوطنيين من رعايا الدولة - وهو فى النهاية ما ضخم من نفوذ القناصل الأجانب وفى مقدمتهم القنصل الأمريكى فى الشام[٢].

- أمـــا عـــن موقـــف الإدارة المصرية من التبشير فيمكننا فهمه من خلال نقطتين هما :

١-الموقف من أهل الذمة.
٢-الموقف من المرتدين.

١ - موقف الإدارة المصرية من أهل الذمة فى بلاد الشام:

ارتبط تاريخ الشام فى العصر الحديث بالطائفية الدينية التى سيطرت على مقدرات الأمور فى هذه البلاد، واختلف موقف هذه الطوائف من الدولة

---

(١) لطيفـــة محمـــد ســـالم : الحكم المصرى فى الشام (١٨٣١-١٨٤٠) ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٠ ، ص ٦٥-٧٠ .
(٢) نفسه ، ص ٢٦٥-٢٦٧ .

العثمانية من طائفة لأخرى تبعا لاتجاهها العقائدى والفكرى فى الوقت ذاتـــه تعاملت معهم الدولة العثمانية انطلاقا من شروط الذمة[*].

ومنذ القرن التاسع عشر ونتيجة للتدخـــل الأوربـــى الـــذى حـــرَّض الطوائف على الانفصال عن الدولة العثمانية لم تشعر الأكثرية من نصـــارى الشام بأى ولاء تجاه الحكم العثمانى، وكانوا دائماً ما يرنون بأبصارهم للغرب حيث الدول الأوربية ومحاولة الارتباط بها، وبعد دخول إبراهيم باشا الشـــام أعلن المساواة- حسب المفهوم الذى جاءت به الثورة الفرنسية وهـــو مفـــهوم علمانى- بين الطوائف المختلفة بغض النظر عن المذاهب الدينية فوجد فيـــه النصارى واليهود فرصة تتيح لهم التخلص من الحكم العثمانى، ومما شـجعهم على ذلك ما لمسوه من تصرفات الإدارة المصرية التى مـــن شـــأنها تزايـــد الامتيازات الممنوحة للنصارى وفى المقابل كسر شوكة المسلمين من أهـــالى الشام[١].

ومنذ البداية عمل الحكم المصرى علـــى تقريـــب النصـــارى إليـــه وخصوصاً الموارنة وذلك لموازنة النفوذ مع الدروز الذيـــن وقفـــوا موقـــف العداء من حكم محمد على منذ البداية، ورفعوا راية العصيان ضده، فى حيـــن

(*) شروط أهل الذمة هى التى ضمنت لغير المسلمين حماية الدولة العثمانية لهم ، ويلزم للإمـــام – وهو هنا السلطان العثمانى أو نائبه – أخذ أهل الذمة بحكم الإسلام فى ضمـــان النفـــس والمال والعرض وإقامة الحدود عليهم فيما يعتقدون تحريمه كالزنا ، وما يعتقدون حله كـالخمر ، لأن عقد الذمة لا يصح إلا بالتزام أحكام الإسلام ، ولكن يلزمهم التمييز عن المســلمين فى المقابر ، فتباعد مقابرهم عن مقابر المسلمين ، وشد الزنار ولا يركبون الخيل ولا يتصـــدرون المجالس ، ويمنعون من إحداث كنائس وبيع ، كما يمنعون من بناء ما تهدم منها ، ويمنعون مـــن إظهار الخمر والخنزير ويمنعون من إظهار الأكل والشرب فى نهار رمضان .لمزيد من التفـاصيل انظر : ابن قيم الجوزية :مرجع سابق ، صفحات مختلفة . وانظر أيضا عبد الرحمن بن محمـــد بن قاسم العاصمى : حاشية الروض المربع بشرح زاد المستقنع ، الرياض ، ١٤١٦ هـــ ، ط ٦ ، ص ٣٠٢-٣١٧ . وانظر أيضا : أبو الحسن على بن محمد بن حبيب المصرى: الأحكـام السلطانية، القاهرة، ١٣٢٧هـــ/ ١٩٠٩، ص١٢٨. وأيضا: أبو يعلى محمد بـــن الحســين: الأحكام السلطانية، القاهرة، ١٩٣٨، ص١٣٨ .

(١) أحمد فهد بركات الشوابكة : حركة الجامعة الإسلامية منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٠٩، رسالة ماجستير، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٨٢، ص١٠١.
وانظر أيضا : نقولا زيادة: مرجع سابق، ص٢١٦ .

أنه فى يونيو ١٨٣٢م أعلن البطريرك يوسف حبيش(*) أمر الموارنة بالانضمام للحكم المصرى، وطلب منهم حمل السلاح والتوجه لمساعدة إبراهيم باشا(١)، وكان دافع الموارنة لذلك هو علاقة الطرفين بفرنسا ورغبة فى الحصول على مكاسب جديدة.

ولقد زعزع حكم محمد على لبلاد الشام من عهد الذمة مع الطوائف غير المسلمة ، وسمح لهم بمخالفة كل الشروط التى أخذت عليهم منذ عهد عمر بن الخطاب ، فسمح لهم بركوب الخيل ولبس العمامة وبناء الكنائس وتولية الوظائف الإدارية (٢)، وهنا كانت بداية التحول من النهج الدينى للدولة العثمانية إلى النهج العلمانى فى الحكم تحت إدارة محمد على .

فقد كتب إبراهيم باشا فى أوائل فترة حكمه للشام إلى متسلم اللاذقية يقول "والتعرض إلى الرعايا وعدم مؤاساتهم هذا مخالف لرضانا لأن الإسلام والنصارى جميعهم رعايانا وأمر المذهب ماله مدخل بحكم السياسة فيلزم أن يكون كل حاله المؤمن يجرى إسلامه والعيسوى كذلك ولا أحد يتسلط على أحد(٣)، وبذلك ظهرت لأول مرة فى بلاد الشام على أيدى إدارة محمد على ، التى عملت على إلغاء الفوراق القائمة على أساس الدين.

كما أصدر إبراهيم باشا منذ بداية دخوله الشام أمرا بإلغاء كافة العوائد والمرتبات التى كانت تفرض على الأديرة والمعابد، وكان يوزع جزء

(*) نفس هذا البطرك هو الذى أعلن الحرمان ضد من لا يشارك فى الثورة ضد الحكم المصرى فى عام ١٨٣٩م" فكل من تجاسر وخالف أمرنا هذا فليكن محروما من بيعه الله ويحل عليه الغضب والنقمات الإلهية كاينا من كان فنسأل مراحمة تعالى أن يعطيكم يد العناية ببلوغ مقاصدكم" عبدالعزيز نوار: مرجع سابق، ص٣٢٤ .

(١) عن وثائق بكركى، نقلا عن أنطون كتافاكو: مصدر سابق، ص١٣ .

(٢) فليب حتى وادورد جرجى وجبرائيل جبورة: تاريخ العرب، دار غندور للطباعة، بيروت، ١٩٩٤، ط٩،ص٨٤٥ .

(٣) أسد رستم (دكتور): إدارة الشام روحها وهيكلها وأثرها فى عهد محمد على، منشور ضمن كتاب فى ذكرى البطل إبراهيم باشا، الجمعية التاريخية المصرية، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٩٠، ط٢، ص١١٣ .

منها كمرتبات على بعض موظفى الإدارة مثل القضاة، كما أمر بدفع هذه المرتبات لمن كانوا يحصلون عليها من خزانة الدولة[١]، وعندما اشتكى قاضى القدس بأنه لم يحصل على عوائده من هذه الأديرة منذ أمر إبراهيم باشا، دفعت له من خزانة الدولة بعد أن حرر بها دفترا [٢]، ورفض إبراهيم باشا كافة العرائض المقدمة ممن كانوا يحصلون على هذه العوائد بإعادتها لإبقاء القديم على قدمه، وبناء على هذا وردت عرائض الشكر من هذه الطوائف تتضمن شكرهم على إلغاء هذه العوائد، وعلى ما نالوا من الحماية والرعاية [٣].

ونال النصارى واليهود فى بلاد الشام كثير من الامتيازات التى سارت بهم عدة خطوات نحو إعلان المساواة بين كافة الطوائف وهو ما يعتبر خطوة نحو إعلان الدولة المدنية وإلغاء السيادة الدينية[٤]، ولم يقتصر الأمر على ذلك فعندما طلب النصارى من أهالى "حماة" توسيع كنيستهم لأنها صغيرة وفى أغلب الأعياد والأحد يبقى المتقدمون منهم داخل الكنيسة والفقراء خارج الكنيسة من شدة الضيق، فأجابهم إبراهيم باشا "أن يصرح لهم بتوسيعها"[٥].

فى الوقت نفسه أمرت إدارة محمد على بعدم تسخير دواب الأديرة[٦]، وعندما طلب رهبان دير الروم المقيمون فى القدس رفع الجمارك عن الصابون والهدايا" الذى يرسلونه لذوى المراحم والإحسان لاستجلاب الدعاء ، فأجابهم بعدم أخذ جمارك على هذه الهدايا [٧]، وفرض إبراهيم باشا

---

(1)Afab Jutbi, Al. Sayyid Mersot Egyptian the reign of Muhammad Ali, Cambridge, 1990.p 222.

(٢) دار الوثائق: محافظ الأبحاث محفظة رقم ٦٦٠ جرنال وقايع المصلحة بطرف كاتبة يوحنا بحرى، رقم ٨٨، الاثنين ٢٤ شوال ١٢٤٧، ٢٨ مارس ١٨٣١م.

(٣) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٨٥، ترجمة التقرير الوراد من محمد منيب كاتب تقارير الجيش المصرى لمحمد على باشا رقم ١/٩٥ الأحد ٢٨ رجب ١٢٤٧هـ، يناير ١٨٣٢م.

(٤) دار الوثائق : محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٧٤، وثيقة رقم ١٣٩ .

(٥) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٨١، وثيقة رقم ٢٧١ ربيع الثانى ١٢٥٤هـ.

(٦) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٨٦، تقرير عربى رقم ٤/٣٣، ٧ ذى الحجة ١٢٤٧هـ، ٩ مايو ١٩٣٢ .

(٧) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٧٧، وثيقة ٢٧/٢٣/٩٠ صفر ١٢٥٢هـ، ١٥ يونية ١٨٣٦ .

الحمايةعلى الأديرة ومنع التعدى عليها [١]، وكان إبراهيم يقول عن النصارى "أنهم رعية سعادة أفندينا ولى النعم المعظم واجب لهم الصيانة والحماية والرعاية"[٢]، ولأول مرة فى تاريخ الشام يتم ترقية أحد النصارى لرتبة "بك" وهو حنا بحرى الذى أصبح مدير حسابات إيالات الشام، ويبدو من خلال الوثائق أنه كان قريب جدا لمحمد على وإدارته، وعلى العموم فقد قدم المسيحيين بمعارفهم وأيضا صلاحيتهم بل حذقهم للحسابات خدمات لا تقدر بثمن لإدارة محمد على ، وكان لهم أن يأخذوا الثمن [٣].

وبذلك فقد أفسح إعلان العلمانية المجال أمام الإرساليات التبشيرية الغربية، وبذلك أتاح مجال العمل لقوتين: إحداهما فرنسية والأخرى أمريكية[٤].

كما أن إعلان المساواة بالمفهوم الغربى العلمانى بين الرعايا قد ملأ المسلمين هما، فهذا أمر لم يقبله مسلمو الشام، وعندما ذهب عدد من علماء الشام يشكون إلى إبراهيم باشا انقلاب الأوضاع ، ويبسطون أمامه حزنهم من استعلاء الذميين وركوبهم الخيل كالمسلمين ، فلم يكن من إبراهيم باشا إلا أن سخر منهم سخرية مرة وردهم كاسفى البال، إذ نصحهم أن يركبوا الجمال من اليوم حتى يصيروا أعلى من النصارى كافة، ثم أحزنهم أكثر بحضوره حفلا من حفلات النصارى، وشهد طقوسهم [٥]. وهذا يفسر لنا الموقف العدائى الذى وقفه المسلمون من الإدارة المصرية فى بلاد الشام، وقد ساعدت هذه السلبية المبشرين على ممارسة نشاطهم فى جو مثالى .

---

(١) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٧٠، صورة الوثيقة العربية رقم ٢٣،٢٣٦ ربيع أخر ١٢٤٨هـ، ٢١ سبتمبر ١٨٣٢ .

(٢) دار الوثائق : محافظ الأبحاث محفظة رقم ٧٠، جرنال ديوان محروسة دمشق يوم الاثنين ٢٢ ربيع الثانى ١٢٤٨ هـ، ٢٠ سبتمبر ١٨٣٢م.

(3)A.A. paton, f.R.G.S.: History of the Egyptian Revolution From the period of the Mamelukes to the death of Mohammed Ali. London,1870. VolII , Second edition. P. 113.

- دار الوثائق: محافظ الأبحاث محفظة رقم ٧٨ وثيقة رقم ٢٤/٢٦٧، ٢٧ رجب ١٢٥٢هـ، ٩ نوفمبر ١٨٣٦ .

(٤) جورج أنطونيوس: مرجع سابق، ص٩٧ .

(٥)حسين مؤنس (دكتور): مرجع سابق ، ص٢٧٥ .

- A.A. paton.op. Cit. Pp113.114.

الأمــر الآخر الذى فعلته الإدارة المصرية فى الشام وانعكس بشكل مباشر على الإرسالية الأمريكية هو تجنيد الدروز فى الجيش المصرى وهو مــا كــان ثقيل الوطأة عليهم، وتخلصاً من ذلك تنصر عدد كبير من الدروز وبقى بعض أولادهم على نصرانيتهم وارتبطوا بالكنيسة واشتركوا فى مناولة القربان المقدس [١].

وعــلى هذا نجد أن الحكم المصرى فى الشام هو الذى أفسح المجال للإرســاليات التبشــيرية عمومــا لــلعمل فى البلاد بعد الاتجاه نحو الإدارة العــلمانية بــإعلان المساواة بين الطوائف فى إطار فصل الدين عن الدولة والاتجاه نحو الدولة المدنية ، وهو ما شهدته للمرة الأولى فى تاريخها.

وفى تــلك الأثناء عمل محمد على على كسب ود الدول الأجنبية في نــزاعه مع السلطان العثمانى وسعيه لبسط نفوذه على الشام، من هنا لجأ إلى مــنح التسهيلات لهذه الدول، وهو ما سهل لها التغلغل فى كافة مناحى الحياة فى بــلاد الشــام وســمح لهــم بفتح القنصليات داخل البلاد، وأيضاً بتوسيع النشاطات التعليمية والثقافية والاقتصادية لهذه الدول[٢].

ومــن أهم الأحداث التى حدثت فى فترة حكم محمد على للشام حلول القناصــل الأجــانب بــالقدس وبيــروت ودمشق، وكان وصول أول قنصل بــريطانى فى القــدس ســنة ١٨٣٨م [٣]، كذلك دخول أول قنصل بريطانى لدمشــق فى ٣ فبراير ١٨٣٧م ، ذلك بعد أن لبث فى بيروت لمدة أربع سنين ممــنوع مــن دخول دمشق حيث كانت التقاليد القديمة تمنع ركوب الأفرنج لــلخيل، احتراماً لدمشق ومكانتها ، ولم يستطع هذا القنصل دخول دمشق إلا بسطوة حكومة محمد على فى الشام[٤].

وفى مــارس ١٨٣١م أرسل قنصل أمريكا فى بيروت وساحل الشام لمحمد على يطلب منه أن يرسل لكافة الموظفين فى الإدارات المختلفة ببلاد

(١)مذكرات د/ كرنيليوس فانديك، الهلال، مجلد، ١٤، ١٩٠٦م، ص١٩٩ .
(٢) دار الوثــائق القومية ، محافظ أبحاث الشام ، محفظة رقم ٧٦ ، الوثيقة العربية رقم ٢٢٣ .
(٣) الكزاندر شولش : مرجع سابق، ص٦١ .
(٤)مجهول: مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، تحقيق أحمد غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق، د/ت، ص٦٨، ص٦٩ .

الشام أن يقدموا له المساعدات. وهو بذلك أول قنصل لأمريكا في بلاد الشام[١].

واعتمادا على الترحيب والتسهيلات التي قدمتها إدارة محمد على في الشام للقناصل، نجد هؤلاء قد استغلوا الموقف لأبعد الحدود حتى تعدو الأدوار الدبلوماسية لحدود مناصبهم، وبدأت تظهر الشكوى من تدخلهم المستمر في البلاد، ووقفت إدارة محمد على عاجزة أمام تصرفاتهم، وكانوا يدخلون من شاءوا في حمايتهم. وهنا كان القناصل عموما بما فيهم قنصل أمريكا أداة فعالة لحماية الإرساليات التبشيرية التابعة لدولهم في الوقت الذى تدخلوا فيه لحماية من نجحت هذه الإرساليات في جذبه لمذهبهم الديني[*].

وتدخل قنصل أمريكا لحماية أتباعه ومن دخل تحت نفوذه وحمايته حتى لو خالفوا قواعد القانون المحلى المعمول بها، وكان يحمي في بيته الفارين من العدالة بحجة أنهم من أتباعه[٢].

بل أن نائب القنصل الأمريكي في بيروت لم يكتف بذلك بل كان يعين نوابا له في المدن والسواحل الشامية، حتى تلك التي لا يوجد بها أمريكان من الأصل، مما كان سببا في شكوى محمد على من مثل هذه الأفعال[٣]، وهذا ما دعا المبعوث الأمريكي جورج جليدون للقول "أن القنصليات الأمريكية في الشام اشتهرت بإهسال الصفة العامة ومخالفة

---

(١) ومما جاء في رسالته "الرجا من مكارم سعادتكم تكرموا علينا بصدور شريف أمركم كتاب لتسلمكم الأكبر المقيم لهنا بالتوصية حكم المرسوم بشأن صيانة وحماية من يكون بوظائف خدماتنا وتحت سلطتنا باعتنائهم الشروط والعهود حكم طريق القناصل الأحباب . دار الوثائق: محافظ عابدين، محفظة رقم ٥ وثيقة رقم ١١٠/٢ مكرر ١١ شوال ١٢٤٧هـ، ١٥ مارس ١٨٣٢ .

(*) للتدليل على ذلك راجع:

- درا الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٧٥ وثيقة رقم ٧٧ .

(٢) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٨٠، الوثيقة العربية رقم ٢٧٣/٢٥ شوال ١٢٥٤/ ١٣ يناير ١٨٣٩م.

(٣) تقرير وليم هود جسون للإدارة الأمريكية عن القنصليات الأمريكية في الشرق، نقلا عن فؤاد شكرى (دكتور): بناء دولة مصر محمد على، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٨ص٢٨٨ .

الواجبات القنصلية" ، وقد احتج محمد على على سلوك القنصليات الأمريكيـة فى سوريا فى أثناء المقابلات التى عقدت فى أكتوبـر ١٨٣٦م بالإسـكندرية بينه وبين الليوت" قائد القوات البحرية الأمريكية فى البحر المتوسط، وأعلـن الباشا غضبه من الحمايات الكثيرة وغير القانونية التى يعطيها قنصل أمريكـا للرعايا العثمانيين [١].

ولما كانت الحمايات الأجنبية الممنوحة لرعايا الدولة العثمانية تجعلهم يفيدون من نفس الوضع القانونى الذى ينص علـى اسـتثناء الأجـانب مـن القوانين المحلية ، فقد عمد القناصل ونوابهم ووكلاؤهم إلى بيع هذه الحمايـات وهذا ما فعله قنصل أمريكا فى الشام ووقفت الإدارة المصرية عـاجزة أمـام ذلك الأمر [٢].

ومن مظاهر زيادة نفوذ القنـاصل وعجـز الإدارة المصريـة عـن مواجهتهم أنه عندما عين "دوابين" قنصلا لأمريكا لم يحترم ما كـان ساريا على القناصل قبل ذلك - وكانت العادة من قبل تقضى بأن يقيم القنصل فـى يافا ويعين وكيلا له فى القدس - وأقام فى القدس ورفع شـارة دولتـه علـى القنصلية ، وهو ما استفز الأهالى بصفة عامة ورجال الدين بصفـة خاصـة وكتب عدد من العلماء إلى محمد على يحتجون على ذلك قائلين أنـه : "لـم يسبق منذ الفتـوح العمريـة لـلآن أن يكـون بـالقدس قونسـلوس لأحـد الدول٠٠٠وما قصده وإصراره الأكيد إلا تقليل شأن بيت الله المقدس الذى مـا تجاسر غيره من الدول بطلب مثل ذلك" . وختم على هذه الوثيقـة ٣٦ مـن كبار العلماء والأشراف بالقدس [٣]. وكان رد الحكومة المصرية فى القـاهرة دليلا على عجزها مواجهة القناصل ، فجاء فى ردها : "وأنه لما كان القنصـل المشار إليه رجلا قليل الأدب فإذا أراد فى المستقبل أن يرفع العلم أو يعمـل

---

(١) تقرير جورج جليدون للإدارة الأمريكية عن القنصليات الأمريكية فى الشـرق، نقلا عن أحمد الحته (دكتور): البعثات المصرية إلى الولايات المتحدة فى القـرن التاسع عشر، المجلة المصرية للقانون الدولى، ١٩٥٧، ص٩١ ٠

(٢) أحمد فريد على مصطفى: توسع مصر فى الشام وأثره على موقف الدول مـن المسألة السياسية فى عصر محمد على ١٨٣١ : ١٨٤١، رسالة ماجستير غـير منشورة، آداب القاهرة. ص١٢٩ ٠

(٣) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٧٤، وثيقة ٧٥- ٤ صفر ١٢٤٩ ٠

شيئا أخر يجافى الأدب يشار إلى المتسلم سرا ليوعز إلى الأهلين بطرده من البلد..." (١) . وهنا نرى أن الإدارة لجأت للأهالى ليقفوا هم ضد القناصل.

نفس الموقف حدث بعد ذلك عندما طلب القناصل بيع أملاك المسلمين لدفع التعويضات ليهود صفد(*) فأرسل محمد على أمرا لبوغوص بيك" ما دام أصدقاؤنا القناصل أجروا وصمموا على ذلك فتخلصا من هذه الغائلة قد صدرت الأوامر خطابا لسليمان باشا بمبيع أملاك وعقارات هؤلاء الفقراء لتقسيم أثمانها على المدعيين كذبا (٢).

هذا فى الوقت الذى صدرت فيه الأوامر من محمد على لشريف باشا للاستعلام من قاضى القدس والعلماء حول ما عرضه قنصل أمريكا "قليدون" بخصوص قطعة الأرض التى اشتراها الراهب الأمريكى جرجس هوتين" بجوار قبر النبى داود وأراد جعلها مقبرة، وصدر الحكم الشرعى "فقد صرح الفقهاء العظام بأنه لا يجوز إحداث بيعه أو كنيسه أو صومعة أو مقبرة فى دارنا(**) ولا يعاد المتهدم"(٣).

هذا ما دفع إبراهيم باشا للقول "أن هؤلاء القوم" القناصل، هم مصدر المى أنهم يعرقلون كل خطوة تخطوها الحكومة، أن والطاعون لا يعد شيئا بالنسبة لحضرات القناصل أننا نستطيع أن نتخذ الحيطة حيال السلطان أما القناصل فإنهم يزعجوننى ولا أستطيع الدفاع عن نفسى أمامهم (٤).

---

(١) دار الوثائق: محفظة رقم ٧٤ ترجمة الوثيقة رقم ١٧٤، ربيع الأول ١٢٤٩هـ، يولية ١٨٣٣م.

(*) عن هذه الأحداث راجع

- A.A. paton, op. Cit. 116-117.

(٢) الأوامر والمكاتبات الصادرة من عزيز مصر محمد على باشا ثم من ولده العزيز إبراهيم إلى وفاته. المخطوطات المصرية بدار الكتب رقم ٢٨٦٠٩، جـ٢ ص٣٥٨.

(**) لم نستطع أن نعرف رد محمد على على هذا الأمر رغم بحثنا فى الوثائق عن هذا الرد.

(٣) أسد رستم : (دكتور) الأصول العربية لتاريخ سورية فى عهد محمد على باشا، الجامعة الأمريكية، بيروت، مجلد٣، ٤ خطاب من قاض القدس إلى محمد شريف، باشا ٢٥ محرم ١٢٥٢هـ، ١٣ مايو ١٨٣٦، ص٣٠.

(٤) أحمد فريد على مصطفى: مرجع سابق، ص١٢٧.

وأرسل محمد على لبوغوص بك فى ١٣ أكتوبر ١٨٣٧م يخبره بما أرسله شريف باشا من إنشاء قنصل أمريكا لكنيسة على أنها منزل، ويطلب منه مخاطبة قنصل جنرال أمريكا، ثم مخاطبة محمد على بما يترأى له من ملحوظات [١] وأرسل محمد شريف باشا لبوغوص بك يسأله فى ١٦ مايو ١٨٣٧م قائلا" هل من الأصول المقررة أن يقتنى القناصل ووكلاؤهم وسائر المستأمنين أراضى وأملاكا فى البلاد الإسلامية، وأن لم يكن ذلك من الأصول فى شئ فماذا يجب أن يعمل به؟ وهل من الأصول أيضا أن يحمى هؤلاء القناصل أو وكلاؤهم العمال الذين يعملون فى حدائقهم وأراضيسهم؟[*] ولقد ضرب ترجمان وكيل قنصل أمريكا "فى سويدية" قهرمان أفندى ضربة واحدة، كما أن الخواجة "جاليس كايسون" وكيل قنصل أمريكا المار الذكر يحاول أن يحمى من يوجد فى خدمته من التجار المعتبرين وأصحاب الأملاك" [٢].

يتضح مما سبق أن إدارة محمد على شجعت ورحبت بالقناصل الأجانب وعلى رأسهم قنصل أمريكا. فى الشام كسباً لود دولهم ولكن هؤلاء لم يراعوا التقاليد وأصبحوا شوكة فى حلق الإدارة التى رحبت بهم فى البداية ووقفت موقف العاجز أمامهم بعد ذلك.

شجع القناصل النشاط التبشيرى للإرساليات التابعة لبلادهم، كما فعل قنصل أمريكا بمحاولته بناء كنيسة على أنها منزل ومحاولته الحصول على إذن ببناء مقبرة على قطعة أرض اشتراها راهب أمريكى فى القدس.

من الطبيعى أنه إذا كان القنصل الأمريكى يحمى عددا كبيراً من الرعايا العثمانيين- كما ذكر محمد على - فمن الطبيعى أن يتولى حماية

---

(١) الأوامر والمكاتبات: مصدر سابق. جـ٢٢ ص٣٥ .

(*) لمزيد من التفاصيل عن تدخل القناصل فى أمور الإدارة وأنهم أصبحوا صداع للإدارة المصرية راجع دار الوثائق : محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٧٩، وثيقة رقم ٢٥/٦٩ .

- انظر أيضاً: الأوامر والمكاتبات: مصدر سابق، جـ٢ ص٣٥٩/جـ٣٢ ص٣٥ .

(٢) دار الوثائق محفظة رقم ٧٩ ترجمة الوثيقة رقم ٢٥/٦٩من٩ صفر ١٢٥٣ .

الإرسالية الأمريكية فى الشام ومن يعتنق المذهب البروتستانتى - وكذلك حماية المؤسسات الدينية والتعليمية الأمريكية فى الشام.

يدلنا هذا بما لا يدع مجالاً للشك أن النشاط التبشيرى الأمريكى الفعلى بدأ فى عهد حكم محمد على نتيجة لهذا التشجيع أو بمعنى أصح للاستفادة من الامتيازات التى منحتها إدارة محمد على للأجانب فى بلاد الشام كسباً لود دولهم.

يمكننا أن نؤرخ بدايات الوجود الأجنبى والتغلغل فى المجالات الاقتصادية والتعليمية والثقافية فى بلاد الشام بهذه الأزمة التى حدثت بين التابع والمتبوع - محمد على - والسلطان العثمانى - حيثِ حرص كلاهما على منح العديد من الامتيازات للأجانب ولقناصلهم كسباً لود دولهم فى محاربة كل طرف للآخر(*) .

٢- موقف إدارة محمد على من المرتدين :

وقف حكم محمد على للشام موقفاً مزدوجا من المرتدين عن الإسلام وهو موقف ساند وساعد التبشير واعتبر إيجابيا من وجهة نظر المبشرين، وعكس مدى عجز الإدارة المصرية فى مواجهة التبشير الذى تقوى وأصبح يمارس نشاطا فعليا حتى بين المسلمين ، وهو ما كان ممنوعاً ولا يجرؤ على العمل به قبل الحكم المصرى للشام .

فقد وقفت الإدارة المصرية موقفاً سلبياً من المسيحيين الذين أسلموا وارتدوا بعد ذلك عن إسلامهم للمسيحية مرة ثانية رغم أنهم فى ذلك مرتدين تطبق عليهم قوانين الردة الإسلامية. وذلك من منطلق الإدارة العلمانية التى تبنتها الإدارة فى عهد محمد على .

فقد أبلغ إبراهيم باشا المعية السنية لإبلاغ محمد على باشا أن متسلم بيروت أبلغه أن ثلاثة ذميين من سكان بيروت كانوا أسلموا من قبل وأنهم

(*) على سبيل المثال تدخل القناصل فى حماية بعض المجرمين ومنع الحكام من القبض عليهم. كما تدخل القناصل لنيل العديد من الامتيازات الاقتصادية لتجار بلادهم، وكذلك الحصول على امتيازات قضائية.

- راجع تقرير جورج جنيدون: مصدر سابق، ص٦٥، وما بعدها.

ارتدوا الآن ووقفت الإدارة فى الشام عاجزة عن فعل شئ إزاء هذه القضية[١] نفس الموقف حدث فى غزة عندما كتب عشرة من العلماء والمفتون لمتسلم غزة الذى رفع الأمر لإبراهيم باشا عن إسلام رجل ذمى يسمى إسكندر ثم عودته للمسيحية مرة ثانية وأنه بذلك ارتكب فى دين الإسلام أمراً قبيحاً استحق به القتل بإجماع المسلمين لقول سيد المرسلين "من بدل دينه فاقتلوه[٢] وأيضا وقفت الإدارة المصرية موقفا سلبياً من هذه القضية. وهو ما دفع قناصل الدول الأوربية وأمريكا للتدخل لحماية هذا المرتد[٣] وهو ما قوى المسيحيين والإرساليات التبشيرية التى استفادت من هذه الامتيازات التى كفلتها لهم التنظيمات العثمانية سنة ١٨٥٦م فى مواجهة المسلمين .

وبذلك نلاحظ الآتى:

أن الإدارة المصرية فى الشام وقفت موقفا سلبياً تجاه من يرتد عن الدين الإسلامى مما شجع المبشرين على العمل فى هذا الجو، فبالرغم من توسلات علماء المسلمين فى الشام لمعاقبة المرتدين لم تحرك الإدارة المصرية ساكنا. ويتضح من خلال هذه القضايا عدم قدرة الموظفين المصريين على اتخاذ أى رأى وكل منهم يحاول أن يلقى التبعة على غيره إلى أن تصل لمحمد على فى مصر.

ولم يقف الأمر عند هذه الحالة بل امتد لأكثر من ذلك من مراحل أخرى فعندما أرادت فتاة مسيحية اعتناق الإسلام وذهبت أمام القاضى وأعلنت إسلامها تدخل القناصل لمنع ذلك بحجة أنها صغيرة وأنها أجبرت على

---

(١) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٧٩، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٢١٣/٢٥ /٢٤ شعبان ١٢٥٣هـ، ١٦ مايو ١٨٣٧م.

(٢) محافظ الأبحاث – محفظة رقم ٨٠، الوثيقة العربية ٢١٤/١٦ /٦ جماد الثانى/ ١٢٥٤ هـ، ٢٩ يولية ١٨٣٨م.

(٣) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٨٠، المكاتبة العربية رقم ٢١٤، ١٥شعبان ١٢٥٤هـ، ٥ نوفمبر ١٨٣٨م.وانظر أيضا محفظة رقم ٤٠ ترجمة الوثيقة رقم ٢١٣/٢٥. وأيضاً محفظة رقم ٤٠ وثيقة رقم ١٩٩/٢٥ . وأيضا محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٧٩ وثيقة رقم ١٩٩/٥، ٥ شعبان ١٢٥٣، ٥ نوفمبر ١٨٣٧م.

الإســـلام مما أدى للتأثير على الفتاة وإنكارها الإسلام بعد ذلك [١] ويمثل هذا موقفاً سلبياً وأيضاً جواً مثالياً للعمل التبشيرى.

كمــا تنصــر الأمير بشير وهو من أقرب أصدقاء ومعاونى الإدارة المصرية فى الشام ، وتشجع بقية الشهابيين على التنصر مثله ويذكر مصدر معاصر قوله[٢] " ثم إنه بعد ارتداده جمع كبار الشهابيين إلى ناديه وأبان لهم جــلية قصده من التنصر- وهو الحصول على مكاسب من الدول الأوربية- مقــترحاً عــليهم أن يقتدوا به ويحذوا حذوه وقد أوضح لهم عن الفوائد التى تنجم لهم بترك الإسلام[٣].

ووقفــت الإدارة المصرية موقفاً متشدداً من وكيل أحد القناصل الذى اشــترى فتاة مسلمة، حتى أن إبراهيم باشا يقول".. الخاصة بالبنات المشتراة مــن طائفة النصارى عبدة الأصنام فى بر الشام...فوجهت إلى المختصين خطابــات مؤكدة لكى يحققوا هذه المسألة.. وأكدت عليهم قائلاً! إذا لم تحقق هــذه المسألة على وجه السرعة أرسلت من طرفى أشخاص لكى يحققوا هذه المسألة" [٤] وفى خطاب أخر يذكر" فكتبت كتابات شديدة لمن يلزم لهم ليكون التحقيق بصورة خفية ومن شتى الجهات[٥].

---

(١) دار الوثــائق: محــافظ الأبحاث، محفظة رقم ٧٤، وثيقة رقم ١٩٢، ١٢ ربيع الأخر ١٢٤٩، ٣٠٠ أغسطس ١٨٣٣م.

(٢) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٧٧، صورة مرفق المكاتبة رقم ١٦٦/ ٢٣ ٢٥ ربيع الثانى ١٢٥٢ هــ، ٢٣ أغسطس ١٨٣٦م.

(٣) يوسف خطار أبو شقرا :مصدر سابق، ص٨ .

(٤) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٧٩، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٢٤٧/ ٢٥ /٤ رمضان ١٢٥٣هــ، ٩ أغسطس ١٨٣٦م.

(٥) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٧٩، ١/١٥٦ وهى فى ملف من ربيع الأول إلى شــعبان ١٢٥٣هــ، ٣ ديسمبر ١٨٣٧م.وثيقة رقم ٢٥/٢٤٧ ٤ رمضان ١٢٥٣هــ.

وبذلك فقد وقف الحكم المصرى موقفا مزدوجا فبينما وقف بشدة تجاه تنصير الدروز[١]. نجدة يتقاعس تجاه المرتدين عن الإسلام، وهو يقف موقفا شديداً تجاه شراء النصارى للبنات المسلمات[*] فى الوقت الذى تساهل فيه تجاه الفتاة التى أسلمت وتدخل القناصل لاجبارها على العودة لدينها.

ووقف الحكم المصرى بذلك مشجعا للتبشير الذى استفاد من الحرب المصرية العثمانية فى نيل العديد من الامتيازات من كلا الطرفين.

(١)عندما بلغ محمد على تنصر بعض الدروز ، طلب من شريف باشا ومن الأمير بشير الشهابى الحيلولة دون ذلك ولو باستخدام القوة ، وقال "على أنه إن كان صحيحا فإن ضرره على الدين والملك أمر مسلم ، فيلزم قبل كل شىء النظر فى الحيلولة دون وقوعه" راجع دار الوثائق : محافظ الأبحاث ، محفظة رقم ٧٧ ، مجلد ٢ ، ص ٣٢٨ . وثيقة رقم ٣/١٤٤ ، فى ٩ جمادى الأول ١٢٥٢هـ.

(*) وهو موقف شرعى فالمسلم لا يكون عبداً لغير المسلم حتى وإن كان مشتريه من أهل الكتاب . وفى هذه الحالة يجب إبطال البيع وذلك لقوله تعالى "ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا" . كما أن بيع العبد غير المسلم لرجل غير مسلم لا يجوز على المشهور لرجاء إسلامه لو امتلكه سيد مسلم . عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمى : مرجع سابق ، ص ٣٧٤-٣٧٦ .

ثالثًا: موقف الشوام من الإرسالية الأمريكية

أ- جهود بطرس البستاني

ب- موقف المسلمون

جـ- موقف الطوائف السييحة



عندما نزلت الإرسالية الأمريكية بلاد الشام لأول مرة عـــام ١٨١٩ ، لم يكن بها أى طائفة بروتستانتية، لذا فقد جابهت صعوبات كثيرة فى البدايـــة إلى أن نجحت فى تكوين طائفة ترتكز عليها داخل الشام.

هذا فى الوقت الذى لاقت فيه الإرسالية مقاومة شديدة الوطأة ســـواء من المسلمين أو من بقية الطوائف المســـيحية، وامتـــدت المقاومـــة لإنشـــاء المدارس وإقامة الجمعيات والصحف فـــى محاولـــة الـــرد علـــى الدعايـــة البروتستانتية التى آثارتها الإرسالية الأمريكية هذا فى الوقت الذى ساند فيـــه اتباع الإرسالية من الشوام النشاط التبشـــيرى للإرســـالية بشـــتى الوســـائل وبمختلف الجهود.

ونعرض هنا لموقف المؤيدين للإرسالية[١] متخذيـــن مـــن بطـــرس البستانى نموذجا سواء فى جهوده التعليمية أو الصحفية ومؤلفاته وهى جـــهود مدعومة من الإرسالية، ثم عرضنا لموقف الطوائف المسيحية من الإرســـالية وكذلك لموقف المسلمين، وذلك فى محاولة لبيان رؤية الشوام من الإرســـالية وجهودها، وأنشطتها.

أولا: جهود بطرس البستانى فى التعليم:

أ- المدرسة الوطنية العليا :

بينما كانت الإرسالية الأمريكية البريسبترية فى بلاد الشام ذات السبق الأول والفريد فى إنشـــاء المـــدارس بمختلـــف درجاتـــها وأنواعـــها، كـــان البروتستانت الوطنيون المرتبطون بالإرسالية الأمريكية من أوائل من عملـــوا على نشر التعليم فى بلادهم، ومن أبرز هؤلاء المعلم "بطرس البستانى" وهـــو مؤسس المدرسة الوطنية العليا فى بيروت ١٨٦٣[*].

---

(١) آمن رجال الإرسالية بأنه "يجب أن يكون التبشير بين الشوام بواسطة رســـول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها" .
راجع مانع بن حماد الجهنى : مرجع سابق ، ص٦٧٩ .

(*) ولد بطرس البستانى فى قرية الدبية جنوبى لبنان عام ١٨١٩ وتعلم علـــى يـــد كاهنها الخورى مخايل البستانى مبادئ القراءة والسريانية وأصـــول العبـــادة المارونية، ثم أرسل لمدرسة عين ورقة وهى يومئذ المدرســـة الدينيـــة العاليـــة للمورانة وفى عام ١٨٤٠م انتقل لبيروت وكان قد بلغ ٢١ من عمره، ولتلك السنة أثر يذكر فى حياة البستانى الذى عمل مترجما مع الأسطول الإنجلـــيزى الذى جاء لإخراج إبراهيم باشا من الشام، وكانت المرحلة الحاسمة فى حيـــاة البستانى عندما تعرف على المبشرين الأمريكيين وتأصلت بينه وبينهم عـــرى المعرفة والصداقة فكان يعلمهم اللغة العربية ويعرب لهم ما يودون نشره مـــن=

كانت المدرسة الوطنية العليا تحوى قسمين أحدهما داخلى يقيم به الطلبة إقامة كاملة، والآخر يذهب الطلبة للمدرسة ويعودون لبيوتهم يومياً بعد إنتهاء اليوم الدراسى، وتستمر السنة الدراسية عشرة أشهر تمتد من اليوم الأول من شهر أكتوبر وآخرها ٣١ يوليو والإجازة لمدة شهرين وكانت تحصل المدرسة على مصاريف قدرها ٢٠ ليرة مجيدية عن القسم الداخلى، أما فى القسم النهارى فكانت كانت تحصل على ١٥ ليرة فقط[١].

وكانت المدرسة تضم ثلاثة مبان:

المبنى (أ) وهو محل نوم لصغار السن من التلاميذ وقاعة الاستقبال ومحل الاجتماعات الاحتفالية والاختبارات.

المبنى (ب) محل نوم كبار السن من التلاميذ.

المبنى (ج) محل نوم متوسطى السن ومحل الأكل؛ المدرسة العمومية والمدارس الخصوصية؛ دور اللعب الصيفية والشتوية. وكان المعلم بطرس البستانى وعائلته يقيمون مع التلاميذ فى نفس المبنى[٢].

وقد تلقى بطرس البستانى مساعدات مالية وكتبا من طبع الإرسالية الامريكية ، كما ارتبط بالأمريكيين وارتبطت بهم المدرسة ارتباطاً وثيقاً، كما أنه تلقى مساعدات مالية من السيدة وطسن Miss Watson الإنجليزية التى أنشئت العديد من المدارس فى بلاد الشام لتعليم البنات[٣] فلابد أن هذه المساعدات ذات مغزى.

=كتب ورسائل. ثم اعتنق مذهبهم البروتستانتى، وشارك كما سلف القول فى تأسيس مدرسة عبيه العليا كما أنه ألف العديد من الكتب التى درست فى المدارس العليا مثل "كشف الحجاب فى علم الحساب" و"بلوغ الأرب فى نحو العرب" وبذلك فقد كان البستانى أهم أهلى ساعد الإرسالية الأمريكية فى كافة المشاريع التى قامت بها. لمزيد من المعلومات راجع، أنيس المقدسى: الفنون الأدبية وإعلامها فى النهضة العربية الحديثة، دار الكاتب العربى، بيروت، ١٩٦٣،ص١٨٤.

(١) بطرس البستانى: المدرسة الوطنية. الجنان، الجزء الثامن عشر، بيروت، ١٥ أيلول، ١٨٧٣،٦٢٠.

(٢) بطرس البستانى: مرجع سابق. ص٦٢٩.

(٣)المقطم، الجمعة ٢٨ أغسطس ١٨٩١،ص٣.

ولا ريب أن إنشاء بطرس البستانى المدرسة الوطنية فى بيروت، فى أعقاب حركة ١٨٦٠م الطائفية. هو التجسيد العملى لما كان يدعو إليه من أهداف وهى ثلاثة نقاط أساسية ضمنها هذه المدرسة تختصر موقفه من سياسة التعليم العامة، وهذه النقاط هى: الابتعاد عن الطائفية وابتغاء الوحدة الوطنية، والحفاظ على اللغة العربية، وتعليم اللغات الأجنبية واقتباس علومها"[١] وبذلك يبدو من اسم المدرسة رغبة مؤسسها فى إعلاء شأن المواطنة، وجعلها الأساس وصاحبة الكلمة العليا فى الوطن، بعيداً عن الخلافات المذهبية التى كانت سببا فى العديد من المذابح. وبالمصطلحات الحديثة فقد كان البستانى المرتبط بالإرسالية الأمريكية يهدف لمجتمع مدنى لا مجتمع دينى.

وكانت هذه المدرسة تضم بعض الطلاب الذين ينتمون لطوائف شتى، من المسيحيين واليهود ولكنها لم تضم أحدا من المسلمين خصوصا أهل السنة، فى نفس الوقت الذى وجد خلاف بين بعض رجال الدين المسيحى وخصوصا الكاثوليك حول أهداف هذه المدرسة[٢] وربما تشككوا فى نواياها وأهدافها بحكم كون مديرها وصاحبها من البروتستانت المعروفين بتعاونهم الوثيق مع الإرسالية الأمريكية، فهو فى نظرهم مجرد واجهة لا أكثر.

أما عن المناهج فى هذه المدرسة فقد كانت تدرس اللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والتركية واليونانية واللاتينية، والصرف، والنحو، والعروض، والمعانى، والبيان، والبديع، والمنطق، والجغرافية، والتاريخ، والحساب، والجبر، والهندسة، والمساحة، والطبيعيات، والكيمياء، والفسيولوجيا، والجيولوجيا، والنبات، والفقه، والتأليف والخطب وعلم آلات الموسيقى، التصوير والحفر كمواد اختيارية[٣].

أما عن معلمى هذه المدرسة والمواد التى كانوا يدرسونها فهم كالتالى:

---

(١) نعيم عطية: معالم الفكر التربوى فى البلاد العربية فى المئة سنة الأخيرة، منشور ضمن كتاب الفكر العربى فى مائة سنة، هيئة الدراسات العربية، الجامعة الأمريكية - بيروت ١٩٦٧، ص٤٨٠ .

(٢) شاكر الخورى (دكتور): مجمع المسرات، مصر، ١٩٠٨، ص١١٥ .

(٣) بطرس البستانى : المدرسة الوطنية، مرجع سابق، ص٦٢٦ .

الرئيس المعلم بطرس البستانى	كان يعلم صفا اللغة الإنجليزية
نائب الرئيس ولده سليد	وكان يعلم الصف الأول اللغة الإنجليزية
سارة ابنة بطرس البستانى	كانت تعلم صفا اللغة الإنجليزية
الشيخ ناصيف اليازجى	كان يعلم الصف الأول اللغة العربية
إبراهيم اليازجى	كان يقوم مقام والده (ناصيف) إذا غاب
الشيخ يوسف الأسير	كان معلما لأحد الصفوف لمادة الصرف
الشيخ خطار الدحداح	كان يعلم الصف الأول اللغة الفرنسية
المعلم سعد الله البستانى	كان يعلم الصف الثالث اللغة الفرنسية
الشيخ قبلان الدحداح	كان يعلم الصف الثانى اللغة الفرنسية
المعلم شاهين سركيس	كان يعلم الصف الثانى فى العربية والحساب العربية
إبراهيم ناصيف	كان يدرس اللغة العربية
المعلم سليم نقلا	كان يعلم المبتدئين اللغة العربية[1].

لاقت المدرسة الوطنية التشجيع من رجال الإدارة، ففى يوم الاثنين ١٧ يناير سنة ١٨٧٠ ، زارها صاحب السعادة عبدالهادى باشا متصرف بيروت، الذى سعد بما وجده فى المدرسة من حسن استعداد الطلبة، الذين انشدوا قصائدهم بالعربية والتركية والفرنسية والإنكليزية واليونانية فى الدعاء والثناء لأجل السلطان العثمانى[2]. وبذلك فقد لعبت المدرسة دوراً كبيراً فى بث الأفكار الوطنية والدعوة للدولة المدنية ، فى مقابل إبراز مساوئ الحكم العثمانى والدعوة للتخلص منه .

وبعد تأسيس الكلية الإنجيلية السورية ١٨٦٦م، أصبحت المدرسة الوطنية بمثابة القسم الإعدادى التى تعد الطلبة للإلتحاق بها، فقد أقاموا معاً فى نفس المبنى لعدة سنوات[3] ولكن ابتداء من عام ١٨٧٦م أنشئت الكلية السورية دائرتها الإعدادية، فمنذ ذلك الوقت أغلقت المدرسة الوطنية أبوابها بعد أن ظلت تعمل لمدة ١٣ عاما فى ظل الرعاية الكاملة من الإرسالية الأمريكية، وهو ما يتماشى مع توجهاتها التى تهدف لخلق جيل من الوطنيين الذين يستخدمون كستار تعمل الإرسالية من خلالهم، فى البداية على الأقل، ثم

(١) شاكر الخورى: مرجع سابق، ص١١٥ .
(٢) الجنان: الجزء الثالث، شباط، ١٨٧٠م، ص٧٠ .
(٣) كمال الصليبى (دكتور): مرجع سابق، ص١٨٧ .
- أنيس المقدسى: مرجع سابق، ص١٩٢ .

بعد ذلك تعمل الإرسالية بواجهتها هى، ولا سيما بعد تثبيت جذورها وهذا ما حدث فى حالة المدرسة الوطنية.

ثانيا: جهود بطرس البستانى فى التأليف:

يعتبر بطرس البستانى من قادة الفكر فى عصر التحول الفكرى فى بلاد الشام، والتى عمت آثاره الفكرية العالم العربى كله فيما بعد، فأنشأ الصحف، وأنشأ المدارس مثل المدرسة الوطنية كما أنه ألف الكثير من الكتب الموسوعية التى تدل على علو باعه فى مجال العلم بكافة أنواعه، فهو يكتب فى العلوم والمعارف، والعلوم الدينية، وهو صاحب أول موسوعة علمية عربية على النظام الحديث، "دائرة معارف".

وبطرس البستانى من اكثر الوطنيين الشوام ارتباطا بالإرسالية الأمريكية، فقد وصل هذا الارتباط للامتزاج الروحى، حيث أصبح من العاملين على نشره والدعوة إليه بكل السبل.

ومن أهم مؤلفاته :

"محيط المحيط"، وهو معجم يفى بحاجات الكتاب ويجمع بين سهولة التناول وجودة الترتيب، مع ما يتطلبه تقدم العصر من إضافات فى بعض الأبواب ووضعه على الطريقة الأبجدية، ونشره عام ١٨٦٩م وقد ضمنه الإصلاحات العلمية، واستجمع فيه شتات اللغة واستدنى شواردها على أسلوب بسيط وسهل[١].

"دائرة المعارف": هى موسوعة فى العلم والأدب والتاريخ وسائر العلوم الطبيعية والرياضية والأدبية أصدر منها فى حياته ٦ مجلدات وأتم ابنه سليم السابع والثامن[٢].

"كشف الحجاب فى علم الحساب" وهو يذكر فى فاتحة الكتاب قوله أنه لما كانت شمس علم الحساب قد كادت تغيب عن أبناء العرب، وذلك لعدم وجود كتاب فى لغتهم واضح العبارات سهل الإشارات يتوصل به الطلاب إلى بلوغ الأدب... مع أن هذا العلم من أجل العلوم الرياضية وباب لما وراءه من العلوم التعليمية... ضنب إلى بعض ... أن أجمع فى هذا الفن كتابا

---

(١) أنيس المقدسى: مرجع سابق، ص٢١٧ .

(٢) جورجى زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، مرجع سابق،جـ٤ ، ص٢٦٩ .

أضم إليه ما تفرق من مسائله وأحل ما تعقد من مشاكله"[١] ويبلغ حجم الكتاب ٤٠٠ صفحة وهو ملئ بالرسومات التوضيحية، ويعتبر هذا الكتاب أول كتاب في اللغة العربية عن علم الحساب الحديث.

"قطر المحيط": وهو يوضح السبب فى تسميته بقطر المحيط فى قوله: "لأن نسبته إلى كتابنا المطول فى هذه الصناعة المسمى بمحيط المحيط توشك أن تكون كنسبة قطر دائرة إلى محيطها" وأهدى هذا الكتاب للخديوى سعيد حاكم مصر، والكتاب جزآن، يقع كل جزء فيما يزيد على ١١٠٠ صفحة[٢].

وهناك عدة ترجمات وبعض مقالات نشرها البستانى تدل على ما قدمه للغة العربية والأدب العربى عموما من معارف وعلوم حديثة.

ثالثا: جهود بطرس البستانى فى الصحافة:

لعب بطرس البستانى دوراً كبيراً فى الصحافة الشامية فهو من أهم مؤسسى الصحف فى القرن التاسع عشر، وهذه الصحف ارتبطت بالإرسالية الأمريكية لارتباط صاحبها- البستانى بالإرسالية كواحد من أهم الشوام الذين اعتنقوا المذهب البروتستانتى وارتبطوا بالإرسالية فى كافة أنشطتها التبشيرية والفكرية عموما - فى الوقت ذاته كان من أهم أهداف الإرسالية تشكيل عدد من المرتبطين بهم وتكوينهم للقيام بنفس الدور الذى تقوم به الإرسالية حتى يكونوا هم الواجهة.

ومن أهم المجلات التى أصدرها البستانى :

أ- نفير سوريا :

أنشأها بطرس البستانى فى ١٨٦٠م ، وهى من صفحتين، وكانت تنادى بالتآخى بين أصحاب المذاهب المختلفة، وضرورة تعاونهم فى

---

(١) بطرس البستانى: كشف الحجاب فى علم الحساب، مطبعة الأميركان، بيروت، ١٨٧٢م. طبعة رابعة، فاتحة الكتاب.

(٢) بطرس البستانى: قطر المحيط، جزآن، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٨٦٩ الافتتاحية.

بعد ذلك تعمل الإرسالية بواجهتها هي، ولا سيما بعد تثبيت جذورها وهذا ما حدث في حالة المدرسة الوطنية.

ثانيا: جهود بطرس البستاني في التأليف:

يعتبر بطرس البستاني من قادة الفكر في عصر التحول الفكري في بلاد الشام، والتي عمت آثاره الفكرية العالم العربي كله فيما بعد، فأنشأ الصحف، وأنشأ المدارس مثل المدرسة الوطنية كما أنه ألف الكثير من الكتب الموسوعية التي تدل على علو باعه في مجال العلم بكافة أنواعه، فهو يكتب في العلوم والمعارف، والعلوم الدينية، وهو صاحب أول موسوعة علمية عربية على النظام الحديث، "دائرة معارف".

وبطرس البستاني من أكثر الوطنيين الشوام ارتباطا بالإرسالية الأمريكية، فقد وصل هذا الارتباط للامتزاج الروحي، حيث أصبح من العاملين على نشره والدعوة إليه بكل السبل.

ومن أهم مؤلفاته :

"محيط المحيط"، وهو معجم يفي بحاجات الكتاب ويجمع بين سهولة التناول وجودة الترتيب. مع ما يتطلبه تقدم العصر من إضافات في بعض الأبواب ووضعه على الطريقة الأبجدية، ونشره عام ١٨٦٩م وقد ضمنه الإصلاحات العلمية، واستجمع فيه شتات اللغة واستدنى شواردها على أسلوب بسيط وسهل(١).

"دائرة المعارف": هي موسوعة في العلم والأدب والتاريخ وسائر العلوم الطبيعية والرياضية والأدبية أصدر منها في حياته ٦ مجلدات وأتم ابنه سليم السابع والثامن(٢).

"كشف الحجاب في علم الحساب" وهو يذكر في فاتحة الكتاب قوله أنه لما كانت شمس علم الحساب قد كادت تغيب عن أبناء العرب، وذلك لعدم وجود كتاب في لغتهم واضح العبارات سهل الإشارات يتوصل به الطلاب إلى بلوغ الأدب... مع أن هذا العلم من أجل العلوم الرياضية وباب لما وراءه من العلوم التعليمية... ضنب إلى بعض ... أن أجمع في هذا الفن كتابا

---

(١) أنيس المقدسي: مرجع سابق. ص٢١٧.

(٢) جورجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، مرجع سابق،جـ٤ ، ص٢٦٩.

أضم إليه ما تفرق من مسائله وأحل ما تعقد من مشاكله"[١] ويبلغ حجم الكتاب ٤٠٠ صفحة وهو ملئ بالرسومات التوضيحية، ويعتبر هذا الكتاب أول كتاب فى اللغة العربية عن علم الحساب الحديث.

"قطر المحيط": وهو يوضح السبب فى تسميته بقطر المحيط فى قوله: "لأن نسبته إلى كتابنا المطول فى هذه الصناعة المسمى بمحيط المحيط توشك أن تكون كنسبة قطر دائرة إلى محيطها" وأهدى هذا الكتاب للخديوى سعيد حاكم مصر، والكتاب جزآن، يقع كل جزء فيما يزيد على ١١٠٠صفحة[٢].

وهناك عدة ترجمات وبعض مقالات نشرها البستانى تدل على ما قدمه للغة العربية والأدب العربى عموما من معارف وعلوم حديثة.

ثالثا: جهود بطرس البستانى فى الصحافة:

لعب بطرس البستانى دوراً كبيراً فى الصحافة الشامية فهو من أهم مؤسسى الصحف فى القرن التاسع عشر، وهذه الصحف ارتبطت بالإرسالية الأمريكية لارتباط صاحبها- البستانى بالإرسالية كواحد من أهم الشوام الذين اعتنقوا المذهب البروتستانتى وارتبطوا بالإرسالية فى كافة أنشطتها التبشيرية والفكرية عموما – فى الوقت ذاته كان من أهم أهداف الإرسالية تشكيل عدد من المرتبطين بهم وتكوينهم للقيام بنفس الدور الذى تقوم به الإرسالية حتى يكونوا هم الواجهة.

ومن أهم المجلات التى أصدرها البستانى :

أ- نفير سوريا :

أنشأها بطرس البستانى فى ١٨٦٠م ، وهى من صفحتين، وكانت تنادى بالتآخى بين أصحاب المذاهب المختلفة، وضرورة تعاونهم فى

---

(١) بطرس البستانى: كشف الحجاب فى علم الحساب، مطبعة الأميركان، بيروت، ١٨٧٣م. طبعة رابعة، فاتحة الكتاب.

(٢) بطرس البستانى: قطر المحيط، جزآن، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٨٦٩ الافتتاحية.

سبيل الدراسة والتحصيل، وهاجم التعصب[١]، وشرح الروابط التى توحد بين أبناء الشام، وكانت النفير فى أعدادها الثلاثة عشر نفيرا يدعو إلى الوئام ويؤيد بين المواطنين المحبة والسلام[٢] وهذه المجلة وهى أولى المحاولات الصحفية للبستانى كانت عبارة عن خواطر وطنية أثارتها فظائع المذابح فى ١٨٦٠م وكان يدعو فيها لنسيان الضغائن والاتحاد بين أبناء الوطن الواحد. وهى دعوة مبكرة للوطنية وللتقليل من أثر الفكرة الدينية كتمهيد للفكرة القومية التى يمكننا القول أن مجلة نفير سوريا بذرت البذرة الأولى لها:

ب- مجلة الجنان[*]:

أسسها بطرس البستانى فى عام ١٨٧٠م فى بيروت وأدار شئونها هو وعائلته مدة ستة عشرة عاما، وفيها نقرأ : "إن الشرق كان مزدهرا ومتمدنا فى الماضى. ثم فقد ما كان عليه بسبب الحكم الفاسد، وأنه ليس من علاج لذلك إلا الحكم الصالح الذى لا يمكن أن يقوم إلا بفضل اشتراك الجميع فيه، وفصل الدين عن السياسة، وفصل السلطة القضائية عن التنفيذية" [٣]. وهنا كانت الدعوة الصريحة للهجوم على الدولة العثمانية بوصفها بالفساد ، والمطالبة بالاشتراك فى الحكم وإعلان الدولة المدنية ، وهى نفس أفكار الإرسالية الأمريكية .

وكانت الجنان ميدانا لأقلام كتاب العربية فى ذلك العصر فى السياسة والأدب والعلم والتاريخ والشعر والطب والزراعة والحقوق والرياضيات والفكاهة وغيرها، وهذه المجلة تشتمل على تاريخ الحركة العلمية والأدبية

---

(١) جلال يحى (دكتور): العالم العربى الحديث، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦، ص١٩٦ .

(٢)إبراهيم عبده مرجع سابق، ص٦٤ .

(*) والجنان أولى المجلات الأهلية (غير الحكومية) فى البلدان العربية فهى من قبيل تعد رائدة المجلات الوطنية، ومرآة صادقة لما كانت تفكر به، أو تشعر به الطبقة المتعلمة من الشعب. أنيس المقدسى مرجع سابق، ص١٩٦ . هذا فى الوقت الذى يمكننا فيه القول "أنها كانت تعمل لمصر كصحيفة مصرية ونالت من بر الخديوى إسماعيل الكثير من المال، وقد أشارت إلى ذلك بعض الوثائق المحفوظة فى قصر عابدين نقلا عن إبراهيم عبده: مرجع سابق، ص٦٥ .

(٣) البرت حورانى: الفكر العربى فى عصر النهضة - ١٧٩٨ - ١٩٣٩ - ترجمة كريم عزقول - دار النهار. بيروت ١، ص٣١٥ .

والسياسية فى العالم العربى يومئذ[١] ويلاحظ أن فى بدايتها كانت ركيكة اللغة مما يدل على أن منشئيها انصرفوا بكليتهم عن اللفظ للجوهر المعنوى[٢] ولكن ابتداء من السنة الثانية للجنان عمل الجنان على استخدام الألفاظ اللغوية الفصحى، وذلك إحياء" للألفاظ الكثيرة التى تزينت بها لغتنا الشريفة إحياء لها"[٣].

والجنان كان شعارها المكتوب هو "حب الوطن من الإيمان" وصدرت صفحاتها ببيتين من الشعر هما :

إليك صحيفة نشرت حديثا *** فأغنت بالسماع عن العيان
كفردوس حوى ثمرا شهيا *** لذاك دعوتها باسم الجنان

وهى مجلة نصف شهرية، كانت تطبع ٢٤ عددا فى العام، وأوضح بطرس البستانى السبب فى نشأة مجلته لعدة أسباب هى:

- أنها وسيلة لتنشيط المعارف العمومية وتقوية أركانها بين الجمهور.
- إحياء اللغة وتحسينها والمحافظة على الإتقان بين أهلها.

أن تكون بابا لأصحاب المعارف وميدانا يجول فيه قلم المهرة من أصحاب العلم[٤].

طالبت الجنان بالإصلاح فى كافة مناحى الحياة وهاجمت الأوضاع المتدهورة التى يعانى منها الشام – من وجهة نظرهم – وعملت على تذكير الناس بماضيهم العريق وذلك من خلال المقارنة بين ماضى البلاد صاحبة الحضارة التى أنعمت بها على العالم وبين ما آل إليه الشرق فى ذلك الوقت- حسب قول البستانى- من الجهل والغباوة والإنحطاط فى المعارف والصناعات والتجارة، فقد سيطر التخلف[٥].

---

(١) جورجى زيدان: مرجع سابق، جـ ٤ ص٦١ .

(٢) فليب دى طرازى – مرجع سابق، جـ ٢ ص٤٦ .

(٣) الجنان، الجزء السادس، ١٥ آذار ١٨٧١ – ص١٧٧ .

(٤) الجنان، المجلد الأول، كانون الثانى ١٨٧٠، صفحة الغلاف.

(٥) الجنان، المجلد الأول، كانون الثانى ١٨٧٠، ص١٥، مقال بعنوان الشرق .انظر أيضا: سليم البستانى: الصناعة، الجنان الجزء الثانى، كانون ١٨٧٠، ص٤٩.وأيضا :وليم ضمس الأمريكانى: فينيقية – الجنان، الجزء الثانى عشر، حزيران ١٨٧٠، ص٣٧٤ . والجنان، الجزء السادس، آذار ١٨٧٠، ص١٦٠ .

ودعت الجنان لوجوب إصلاح الأحوال فى البلاد بـــإصلاح النـــاس ومحاولة تهيئتهم للمطالبة بهذه الإصلاحات "فيا أيـــها الشـــرقيون إن ينبـــوع إصلاحنا هو همتنا وجدنا وكدنا فهل يسوغ أن نسير ســـيرا زميـــلا والدهـــر يركض فى المركبات النارية والأسلاك البرقية إليكم عـــن الفســـاد والرشـــوة والخداع ودونكم الصلاح والصـــدق والعـــدل والاتحـــاد والتعـــاون والألفـــة والمحبة"(١).

عملت على الدعوة للوطنية لتحل محل العصبيـــة الدينيـــة، فدعـــت لإعلان المساواة بين جميع الطوائف فى الاشتراك فى الحكم ، بغض النظـــر عن المذهب الدينى، وهنا إعلاء للدولة المدنية على حساب الدولة الدينية، مـــن وجهة نظر المجلة سبب التخلف فتقول "لأننا منذ انقسمنا إلى عصـــب دينيـــة وأخذ كل منا يحاول عضد عصبيته وتنكيس غيرها قد عمنا التأخر وخســـف ظلام الجهل بديارنا"(٢) ولا يخفى أن السبب الأقوى لعدم تقدمنا فى هذه البـــلاد ناشئ من التعصبات الدينية والأوهام الفاسدة التى تجعل البعض يظنون أنـــهم أجل قدرا أو أسمى ديانة من أن يأتلفوا مع من لا يوافقـــهم فـــى المعتقـــدات الدينية"(٣).وهذا هجوم صريح على الإسلام والدولة العثمانية ، ودعوة مباشرة للتخلص من الحكم العثمانى .

وخرجت الجنان بعد ذلك بنتيجة مؤداها، وجوب فصل الديـــن عـــن السياسة، وهى كما يذكر سليم البستانى، من الحسنات التى يجب الأخذ بها نقـــلا عن التمدن الأوربى الحديث، ومن شأن هذا المبدأ ترقيه البلاد وتقدم الـــثروة فى كافة مجالات العمل الاقتصادى. وهى دعوة لإحلال العلمانية محل الدعوة الدينية(٤) وبذلك فالجنان تقدم العديد من النقد الموجه للوضع القـــائم مطالبـــة بعدد من الإتجاهات الجديدة مثل الاتجاه العلمانى والإعلاء من شـــأن الفكـــرة الوطنية فى مواجهة الفكرة الدينية.

---

(١) سليم أفندى البستانى: الإصلاح. الجزء السابع، انيسان، ١٨٧١، ص٢١٠ .

(٢) سليم البستانى: لماذا نحن فى تاخر، الجنان، الجزء السادس، آذار، ١٨٧٠، ص

(٣) موسى طنوس: الألفة – الجنان، الجـــزء الخـــامس، آذار ١٨٧٠، ص١٣٦ – الجنان الجزء العاشر، أيار ١٨٧٠، ص٣٠٣ .

–انظر أيضا: حنين الخورى: الدين والوطن، الجنان، الجزء الرابع عشر، تموز ١٨٧٠،ص٤٣٦ .

(٤) سليم البستانى: الحكام – الجنان، الجزء السادس عشـــ آب ١٨٧٠م ص٤٨١ – انظر أيضا: موسى طنوس: الألفة، الجنان، الجزء الخـــامس، آذار ١٨٧٠، ص٣٠٤ .

والدعوة للوطنية جرت الحديث لمجال أخر أشد أهمية وهو الموقف من الدولة العثمانية حيث وجه النقد اللاذع للدولة وللمجالس التى أنشأتها متهمة إياها بالفساد، ولذا فالعدل لا يتحقق إلا إذا كانت الأمة الحاكمة كلها من أمة واحدة ذات مكانة حضارية وأدبية رفيعة لا من أمة ما زالت تعيش فى طفولية الآداب والمعارف[١] ، يقصد العثمانيين .

وهنا بدأت الجنان فى بذر البذرة الأولى لوجوب الانفصال عن الدولة العثمانية، فالعثمانيون حسب قول المجلة ليسوا عربا وهم ليسوا أهل حضارة قديمة بل أنهم ما زالوا أطفال فى سلم الحضارة.. وتطورت هذه الدعوة لأن يحكم العرب أنفسهم بأنفسهم، وهنا الدعوة للقومية العربية والانفصال عن الحكم العثمانى أو كما كانوا يسمونه فى الجمعيات السرية، الاستعمار التركى[٢].

ودعت الجنان لتحرير المرأة من أغلالها وإعلان المساواة بين الرجل والمرأة فى الحقوق، فللمرأة مثلما للرجل من الحقوق ولم يميز الخالق سبحانه وتعالى بين الذكر والأنثى من ناحية العقل والنطق وهما متساويان فى الخلقة البشرية[٣] ودعت الجنان لتعليم المرأة، وإطلاق الحرية لعقلها لتفكر وتتدبر فى الأمور، فهى ليست مجرد إنسانة تعيش فى المنزل كقطعة الأثاث فقط، بل لا يجب ترك المرأة مغلولة[*] فى قيود الخشونة القديمة"[١]. وهذه

---

(١) سليم البستانى: جملة سياسية – الجنان، الجزء الثالث عشر، تموز ١٨٧٤ ص٤٣٤ الجنان، الجزء الثامن عشر، ١٥ أيلول ١٨٧٧ ص٦١٣ .

(٢) نفسه ، ص٤٣٥ . وانظر أيضا : سليم البستانى : لماذا نحن فى تأخر ، مرجع سابق ، ص ٢١١-٢١٢ .

(٣) سليم أفندى صدقة: فى حقوق النساء، الجنان، بيروت، الجزء الثانى عشر ١ تموز ١٨٧٠، ص٤٠١ .

* نصح المبشرون أعوانهم على الاهتمام بالمرأة والعمل على ترويج النموذج الغربى عن طريق السير عبى هذه الأسس وهى :

١. إيجاد بيوت للطلبة والطالبات ، وإنشاء جمعيات للشبان والشابات .
٢. إيجاد الأندية والتشجيع على الاختلاط .
٣. الاعتناء بجلب النساء الأجنبيات اللاتى يعملن فى مجال التبشير ليتصلن بالنساء المسلمات .
٤. مهاجمة تقاليد وعادات المرأة المسلمة ووصفها بالأغلال التى تقيدها .

راجع : محمد بن ناصر الشثرى : مرجع سابق ، ص ٢٦ .

محاولة مزيفة لتصوير وضع المرأة وكأنها مقيدة فـــى الأغــلال ، ودعــوة لترويج النموذج الغربى بين نساء الشام وهو ما يتفق مع أهــداف الإرســالية الأمريكية .

على كل الأحوال فقد ساعد الجنان على نشر بعض النظريات الفكرية الحديثة فى البلاد الشامية، وكان عضداً قويا للتحول الفكـــرى التـــى بـــدأت بوادرها الأولى فى هذه البلاد فى نفس الفترة الزمنية.

عمل الجنان على نشر الآراء الداعية للتخلص من الحكم العثمـــانى، وإعلاء شأن الأفكار القومية، والإعلاء فى شأن العرب فى مقابل قيام المجلة بوصف الدولة العثمانية للانحطاط ومسئوليتها عن التخلف الذى صـــار إليـــه العرب.

عملت على الدعوة لإعلان المساواة بين الطوائـــف وإلغـــاء التمـــيز الدينى بين المذاهب.

ثانيا: موقف مسلمى الشام من الإرسالية الأمريكية :

من خلال المصادر والوثائق، الخاصة بالإرسالية الأمريكية فى الشـــام والتى أمكننا الإطلاع عليها يمكننا أن نرصد الفشل الـــذى منيـــت بـــه هـــذه الإرسالية فى العمل وسط المسلمين فحولت نشاطها التبشيرى وجهه أخـــرى للعمل بين المسيحيين من المذاهب الأخرى. ولكن ظـــل النشـــاط التعليمـــى للإرسالية الأمريكية يؤرق المسلمين(*) خصوصا فى ظـــل الانتشـــار الـــهائل

---

(١) فرنسيس أفندى فتح الله مراش : المرأة بين الخشونة والتمدن، الجنان، الجـــزء السابع عشر، بيروت، أيلول، ١٨٧٢ – ص٥٨٧ .
– انظر أيضا: سليم البستانى: نجيب ولطيفة، الجنان الجزء السادس، ١٥ آذار ١٨٧١، ص٢٠١ .

* يذكر القس صمويل زويمر – وهو أشهر مبشر أمريكى فى القـــرن العشـــرين – تعليقا على الفشل الذريع فى التبشير بين المسلمين ، موجها حديثه للمبشرين قائلا : "لكن مهمة التبشير التى ندبتكم لها الـــدول المســـيحية فى البـــلاد الإسلامية ليست فى إدخال المسلمين فى المسيحية ، فإن فى هذا هداية لهـــم وتكريما ، وإنما مهمتكم هى أن تخرجوا المسلم من الإسلام – عن طريـــق التعليم – ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ، وبالتالى لا صلة له بالأخلاق الـــتى تعتمد عليها الأمم فى حياتها . راجع مانع بن حماد الجهنى : مرجع ســـابق ، ص ٦٧٩.

للتعليم الأمريكي وانتشاره وسط المسلمين بشكل كبير، فكان العمل على مقاومة هذا النشاط عن طريقين:

١-إنشاء الجمعيات لنشر التعليم بين المسلمين.

٢- نقد النظام التعليمي الأمريكي في الشام والتحذير منه.

١- إنشاء الجمعيات الخيرية :

لم يكن المسلمون راضين عن مدارس الإرساليات، وكانوا يشكون في أهدافها ؛ وذلك لإلحاحها على التبشير وتعليم الدين المسيحي حتى للمسلمين من الطلاب ، ولشكهم بإخلاصها فهي في ظنهم لم تتجشم هذه المشاق، رحمة بالشرق. وإنما رغبت في أن تجعل لمشربها السياسي حزبا لها. وتجاه هذا كله، كانت حركة التجديد الإسلامية قد وصلت للشام[1] ودبت الغيرة والحمية بين نفوس المسلمين فظهرت جمعية المقاصد الخيرية في بيروت وصيدا، وظهرت الجمعية الخيرية في دمشق، وكانت خاتمة ذلك النشاط الكلية الإسلامية في بيروت، وبعض الجمعيات في المدن الأخرى.

ذلك أن النهضة العلمية التي قامت بها الإرسالية الأمريكية في الشام استفاد منها في الأساس المسيحيون الشوام، لذا فكر المسلمون في ترقية أحوالهم الثقافية والعلمية بإنشاء المدارس الإسلامية.

أ-جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية[*]:

هي أول جمعية إسلامية في الشام افتتحت في غرة شعبان ١٢٩٥هـ آخر يوليو ١٨٧٨م، بغرض نشر العلم بين المسلمين، فساهمت في نشأة

---

(١) نعيم عطية: معالم الفكر التربوي في البلاد العربية في المئة سنة الأخيرة، منشور ضمن كتاب. الفكر العربي في مائة سنة. هيئة الدراسات العربية، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٦٧، ص٤٧٥.

(*) عند تأسيسها كان النص التأسيسي لها" أنه بعد الإتكال على الله سبحانه وتعالى والاستمداد من فيوض روحانية صاحب الرسالة العظمى عليه الصلاة والسلام قد تعاهد واتفق كل من الموقعين فيه على أن يكون كل منهم عضدا واحدا متناصرين لمنافع الوطن العمومي والذب عن مضاره بكل إقدام بها في الوسع والإمكان والله المستعان" أحمد عارف الزين "مرجع سابق، ص١١٠.

مدرستين للبنين ومدرستين للبنات[١] وزاد نشاط هذه الجمعية بشكل كبير ففي عام ١٨٨٠ بلغ عدد تلميذات مدرسة البنات ٤٨٠ تلميذة بعد أن كن في العام السابق ١٥٠ تلميذة، وبلغ عدد الذكور في نفس العام ٢٤٠ تلميذ، كما أن هذه الجمعية سعت في إرسال خمسة طلاب للدراسة في مدرسة الطب بالقصر العيني، على نفقة الجمعية ذاتها، وأعلنت عن رغبتها لإنشاء مدرسة داخلية [٢].

واستفادت الجمعية من النهج الدعائي الذي أسسته المدارس الأمريكية في الشام بجعل امتحاناتها علنية، وإقامة الحفلات، ودعوة الناس إليها، من ذلك امتحان مدرسة الإناث التابعة لجمعية المقاصد الخيرية، والذي كان علنيا، ورحبت به كل الصحف الإسلامية لبراعة التلميذات في العلوم التي امتحن فيها[٣].

ونالت الجمعية تعضيد ومساندة الإدارة العثمانية على أساس أنها فرصة للوقوف في وجه التبشير الأمريكي ومدارسة[٤] وكان قمة النشاط العلمي لهذه الجمعية إنشاء الكلية الإسلامية في بيروت والتي رأسها أحمد عباس الأزهري وذلك كرد فعل على الجامعة الأمريكية في بيروت- الكلية الإنجيلية السورية[٥] وفي ظل هذا النجاح كانت الجمعية نموذجا للجمعيات الإسلامية التي أنشئت في المدن الشامية الأخرى[٦].

---

(١) نعمان أفندي قسا طلي : الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، بيروت ١٨٧٩، ص٢٠ . هشام نشابة: الشيخ عبدالقادر القباني وجريدة ثمرات الفنون، منشور ضمن كتاب "الحياة الفكرية في المشرق العربي ١٨٩٠ :١٩٣٩ مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، د/ ت، ص١٠٢ .

(٢) المقتطف – الجزء العاشر من السنة الرابعة، مارس ١٨٨٠، ط٢١، ص٢٧٨ .

(٣) أبابيل، الاثنين ٢٤ رجب ١٣٣٠، العدد ١٧١، بيروت.

(٤) الإصلاح. السبت ١٩ تموز ١٩١٣، العدد ١٤٥٥، ص٢ بيروت.

(٥) كمال الصليبي: مرجع سابق، ص١٨٢ .
– عبدالكريم غرايبه – مرجع سابق، ص١٧١ .

(٦) أبابيل: الاثنين ٢٩ شعبان ١٣٣٠، ١٩١٢، بيروت – ص٢ .

وبالرغم من نشاط الجمعية إلا أنها لم تستطيع أن تقف في وجه الإرسالية الأمريكية ولا أنشطتها المختلفة وذلك للعجز والقصور في النواحي المادية التي واجهت الجمعية(*).

ب- الجمعية الخيرية الإسلامية فى دمشق :

أنشئت في دمشق بأمر من واليها مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧١م) ودفعا لشبهة العمل السياسي أسميت الخيرية، وكان همها الأساسي العمل على توعية الناس وبث حبب العلم والرغبة في تحصيله بين الشباب المسلمين(١) وكان يوم ٥ فبراير يوما مشهودا في دمشق إذ خطت الجمعية الخطوط العملية الأولى في الرد على المبشرين الأمريكان، فقد افتتحت المدرسة الأولى في بناء جامع "السياغورشنة" وانتسب إليها ١١٦ تلميذا، وفي خلال عام ١٨٧٩ تم افتتاح المدارس التالية:

- في يوم ٣ مارس افتتحت مدرسة الحبال وقد انتسب إليها ١٠٠ تلميذا
- في يوم ٨ مارس افتتحت مدرسة السياهية وقد انتسب إليها، ١٤ تلميذا
- في يوم ١٦ مارس افتتحت مدرسة الشامية وقد انتسب إليها ١٥٢ تلميذا
- في يوم ١٨ مارس افتتحت مدرسة الخانكية وقد انتسب إليها ٩٨"تلميذا
- في يوم ١ إبريل افتتحت مدرسة الصاحبة وقد انتسب إليها ٥١"تلميذا

(*) فى نفس الوقت انطلقت الدعوى لنبذ الجهل ونشر التعليم وهي في حد ذاتها توضح العجز الشديد للجمعيات الإسلامية عن فعل شئ يذكر أمام نشاط الإرسالية الأمريكية من ذلك "ويشاهد المتجول قرى خالية من المعاهد العلمية والرجال المفكرين بالحياة الأبدية وأطلالا تندب أباء مضوا وأجداد درجوا مع الأيام السالفة، تلك حالة تدمي القلوب وتدمع العيون بينما نرى الأغيار تنشط من عقال الكسل والخمول وتخلع عنها جلاليب الجهل وترتدى حلل العلوم والمعارف"، أحمد الباشا - إلى مجلس عمومي سورية - الإقبال - بيروت / ١٦ آذار ١٩١٤، العدد ٥٣٨، ص٧ .

(١) على محافظة (دكتور): الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٧٩٨ : ١٩١٤ - الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧ .

وأخر مدرسة أعلنت الجمعية عن افتتاحها فى السنة كانت مدرسة "البزورى" وقد افتتحت يوم ١٦ يونيو ١٨٧٩م[١].

وهناك كثير من الجمعيات الخيرية الإسلامية الأخرى التى أنشئت للرد على الأعمال التبشيرية الإرسالية الأمريكية فى بلاد الشام، مثل الجمعية الخيرية الإسلامية فى لواء القدس[٢] وكذلك جمعية البر والإحسان فى يافا[٣] وأيضاً جمعية الدعوة والإرشاد التى عمل رشيد رضا [*] على تأسيسها منذ كان فى طرابلس يتلقى العلم فيها، ولكنه لم ينجح فى تكوينها إلا فى عام ١٩٠٩ فى القاهرة[٤].

٢- نقد المسلمين للنظام التعليمى الأمريكى فى الشام:

وقف المسلمون موقفا عدائيا إزاء التعليم الأمريكى وهاجموه بشدة ولكن هذا الهجوم أن كان قادر على الهدم- وهى مرحلة لم يصل إليها فإنه لم يكن يمتلك البديل الذى يقدمه للناس، فكان الضرر على المسلمين أكثر لأنهم تخلفوا عن ركب العلم الحديث، لفترة من الزمن.

---

(١) عدنان الخطيب: مرجع سابق، ص١٠٦ .

(٢) فلسطين، الأربعاء ١١ حزيران ١٩١٤، العدد ٣٣٠- يافا - ص٥ .

(٣) فلسطين، ٤ حزيران ١٩١٤، العدد ٣٢٨، يافا، ص٤ .

* رشيد رضا : ولد فى عام ١٨٦٥ فى طرابلس الشام ، وبدأ تعليمه على الطريقة التقليدية ، ثم تعلم الفرنسية وذهب إلى مصر وأمضى فيها بقية حياته يصدر جريدة المنار ، التى استمر صدورها ما بين عامى ١٨٩٨-١٩٣٥ . وقد تأثر رشيد رضا بتعاليم محمد عبده ، وأصبح رضا الزعيم الروحى للحركة السلفية ، له العديد من المؤلفات أشهرها كتاب "الخلافة" الذى وصف بأنه أحسن عرض موثق للنظرية الإسلامية فى الدولة الإسلامية منذ كتاب "الأحكام السلطانية " للماوردى . وفى عدد من مقالاته فى جريدة المنار وقف رشيد رضا إلى جانب العرب ضد العثمانيين ، وهاجم السلطان عبد الحميد الثانى متهما إياه بالاستبداد ، كما أيد الاتحاد والترقى ، ولكنه عارضهم بعد تنكرهم للعرب واتباعهم سياسة التتريك . راجع : عبد الكريم رافق : مرجع سابق ، ص ٥٢١-٥٢٢.

(٤) أحمد فهد بركات الشوابكة: مرجع سابق، ص٧٩ -ص٨٠ .

كان تعليم البنات الهدف الأول للنقد، فقد هاجم البعض تعليم البنات وانهن وأن كن يتعلمن اللغات الأجنبية والعلوم الحديثة فأنهن لا يتعلمن اللغة العربية ولا علم الأخلاق وواجبات الزوجة ولا إشغال المنزل وهى معلومات ضرورية لكل زوجة ولكنها مهملة فى التعليم الأجنبى[١].

وامتدت الدعوة بعد ذلك للقول أن التعليم الأجنبى الأمريكى فى الشام أصبح من أهم أسباب تأخر الزواج[٢]، وقد نقد أحد المعارضين بقوله: "وعندى أن المرأة تلد ولدا تعلمه التعليم الصحيح والتربية النافعة الدينية لهى خير من ألف امرأة تأخذ شهادة الليسانس على النظام الأوربى، ومما تقدم يعلم أن تعليم البنات اليوم كله فاسد ونظام مدارسها عقيم جدا[٣] ويخرج أخر بقوله" هل تعلمن ترتيب البيت ومساعدة والدتهن والاعتناء بأخواتهن وتكريم والديهن، أقول ولا أخاف اللوم أنهن لم يتعلمن شيئا من هذا، فماذا تعلمن إذا، والجواب المختصر أنهن تعلمن الموضة"[٤].

وفى مواجهة التعليم التبشيرى الأمريكى أصدر العلماء الفتاوى التى تحرم على المسلمين دخول مدارسهم ، ومن ذلك تلك الفتوى التى أصدرها علماء الدين فى الشام فى عام ١٩١٣ ردا على سؤال : "ما قول علماء الإسلام نفع الله بهم الخاص والعام فيمن يتدين الإسلام ثم يدخل ولده ذكرا أو انثى فى مدارس البروتستانت وهم موظفون من قبل رؤساء قومهم للدعوة إلى النصرانية ولهم على ذلك معاشات تقوم بجميع لوازمهم ونفقات يبلونها فى كل ما يروج الاستجابة إلى دعوتهم ويتظاهرون بأنهم معلمون وتصريحهد بأنهم بالنصرانية مبشرون فهل يجوز ذلك فى شريعة الإسلام، أفتونا بهذا المصاب جماعة من المسلمين" [٥]. وكانت الإجابة : لا يجوز لمن يؤمن بالله واليوم الأخر أن يسلم ولده ذكرا أو أنثى لغير المعلمين من

(١) نجيب الحاج: مدارس البنات وتعليمهن - أنيس الجليس ، الجزء السادس العلم الرابع. ٣٠ يونيو ١٩٠١، ص٦٨٤ .

(٢) نجيب الحاج: قلة الزواج - أنيس الجليس، الجزء الأول من السنة الخامسة ١ يناير ١٩٠٢ .

(٣) محمد الباطن. تعليم البنات، الإقبال، الاثنين، ١٢ كانون الثانى، ١٩١٩، العدد ٩٣٥ .

(٤) نجيب أفندى مشعلانى: تعليم البنات، الجامعة العثمانية، الجزء الثامن من المجلد الأول. يوليو ١٨٩٩، ص١٤٢ - ألقيت فى جمعية شمس البر البيروتية.

(٥) الإقبال: الاثنين ٩ حزيران ١٩١٣، العدد ٥٠٠، ص٣ .

يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسلم ولده ذكرا أو أنثى لغير المعلمين من المسلمين لا فى مدرسة ولا فى غيرها حتى مع أنها محققة بالمشاهدة فقد صار من المعلوم الضرورى عند كل من له تمييز وبصيرة أن المسلم فى هذه السنين الأخيرة قد يأمن جانب المسيحى الحبشى أو اليهودى أو جانب المجوس أو الوثنى ولا يمكنه أن يأمن جانب المسيحى الأوربى والأمريكى وعلى الخصوص هؤلاء المبشرين بالفساد[١].

وبالرغم من هذه الفتوى، بدأ المسلمون ينضمون بصورة كبيرة للمدارس الأمريكية وجاءت كل الجهود لمنعهم بأثر عكسى تماما. وذلك لعدة أسباب :

١- كانت مدارس الجمعيات الإسلامية من الفقر الشديد سواء فى مناهج وطرق التعليم أو فى الافتقار لسياسة تعليمية واضحة وطويلة ومخططة مثلما كان الحال عند الإرسالية الأمريكية.
٢- عمل المسلمون على توجيه سهام النقد للتعليم الأمريكى-خصوصا تعليم البنات -دون وضع أسلوب بديل، وبافتقار لروح العصر ومتغيراته مما أدى لأثر عكسى وإزداد انتشار التعليم الأمريكى بين المسلمين.
٣-عانت الجمعيات الإسلامية من الفقر الشديد فى النواحى المادية، لذا لم تكن قادرة على الاستمرار فى تقديم خدماتها، ولا نشر المدارس.

ثالثا: موقف الطوائف المسيحية الأخرى من الإرسالية الأمريكية فى الشام :

رأينا مما سبق أن الإرسالية الأمريكية فشلت فى أن تجد لها منفذ لتبشير المسلمين فعملت على التبشير بين الطوائف المسيحية الشرقية، مثل الموارنة والأورام الأرثوذكس، فى الوقت نفسه حدثت منازعات ومنافسات ما بين اليسوعيين الذين كانوا يساندون الكاثوليك وبين الإرسالية الأمريكية فى بلاد الشام.

فقد كان لمجىء الإرساليات التبشيرية أثر فى إذكاء الخلاف الطائفى بين المسلمين والمسيحيين وكذلك امتداد التبشير البروتستانتي أدى لردود فعل عنيفة من قبل الطوائف المسيحية الشرقية التى أحست وكأنها تهزم فى عقر دارها[٢].

---

(١)الإقبال: الاثنين ٩ حزيران ١٩١٣، العدد ٥٠٠، ص٤ .
(٢) نعيم عطية: مرجع سابق، ص٤٧٠ .

فما أن جاء المبشرون البروتستانت إلى سورية حتى وقف رجال المذهب المارونى والمذهب الأرثوذكس موقف الدفاع الشديد، فكان البطريرك المارونى يهدد كل ما رونى يقترب من البروتستانت أو يعاملهم أو يؤجرهم سكنا أو يزورهم أو يلبى لهم طلبا أو يساعدهم على البقاء فى البلاد بالحرمان(١).

وقاد بطرك الموارنة حربا شرسة ضد من يعتنق البروتستانتية من أتباعه، فقد رأى فى البروتستانتية عدوا كبيرا يواجه نفوذه ويعمل على تعويضه فمنذ بداية نزول الإرسالية الأمريكية الشام، أعلن البطرك الحرمان ضد كل الذين ارتادوا المدارس الإنجيلية، وقد استجابت الموارنة لنداء البطرك وكان من نتائجه إحراق أناجيل الأمريكان والإنكليز علنا لأنهم فى راية أكفر الكافرين(٢).

فعندما أعلن المعلم أسعد الشدياف انضمامه للإرساليات الأمريكية واعتناقه البروتستانتية، وترك العمل فى –الكنيسة المارونية فقد كان معلما للمبشر الأمريكى فسك ثم ببرد للغة العربية، وعندما عجز البطرك المارونى عن رده للمارونية ألقى فى غرفة من غرف الدير حيث مات تحت أثر التعذيب حوالى عام ١٨٣٠ وأعلنت الإرسالية الأمريكية أن أسعد أول شهيد للبروتستانتية فى الشام(٣).

وعلى هذا النهج سار الموارنة فى تعذيب كل من يعتنق المذهب البروتستانتى(*) واستخدموا كافة الوسائل والأساليب التى تحول دون ذلك، فعندما اعتنق أحمد فارس الشدياق "أخو سعد" البروتستانتية" مثل أخيه، عذبه الموارنة فهرب لمالطة يدعوه من المبشرين الأمريكيين وكان يقوم خلال

---

(١)مصطفى الخالدى وعمر فروخ – مرجع سابق، ص١٣٧ .

(٢) محمد أحمد ترحيني: الأسس التاريخية لنظام لبنان الطائفى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١، ص٢٣ .

(3) American Baard of Commissioners For Foreign mission op. cit. Pp. 2 :5.

(*) يذكر فانديك فى مذكراته كيف اختطف الأكبروس المارونى شابان مارونيان اعتنقا المذهب البروتستانتى، وكيف أنهم أوسعوا المبشرين الأمريكيين المتصاحبين لهما ضربا– كرنيليوس فانديك: مذكراته – الهلال. ٦–١٩، مجلد ٤ جـ٤، ص٢٠٤ .

الفترة التي قضاها معهم والتى بلغت أربعة عشر عاما بتدريس اللغة العربية للمبشرين[١].

ولم يكن الروم الأرثوذكس أقل عداء للإرسالية الأمريكية من الموارنة، فقد سعى رجال الإكليروس الأرثوذكس بشتى الوسائل لحماية رعيتهم من أثر الإرسالية الأمريكية[٢] . ففى حمص عذبت فتاة لمجرد زيارتها لزوجة المبشر ويلسن ، وغير ذلك من المواقف التى تدل على موقف رجال الإكليروس الأرثوذكس [٣].

وفى مواجهة النشاط التبشيرى الأمريكي عمل الأرثوذكس على الدعوة لإنشاء المدارس والكليات العالية لمواجهة نشاط الإرسالية الأمريكية المتزايد[٤] كما أنشأ عدد من المتعلمين الشباب الأرثوذكس "الجمعية السورية الأرثوذكسية" في بيروت وذلك للرد على دعاية الإرسالية الأمريكية فى التبشيريين الأرثوذكس[٥].

وفى مواجهة التعليم الأمريكى أصدر البطاركة الأرثوذكس فى استانبول والقدس أمر بأنه يجب على كل أطفال الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية ترك المدارس الأمريكية، وأنذر الناس بسحب أطفالهم وإلا يتم حرمانهم، ما منع المدرسين الأرثوذكس من العمل فى المدارس الأمريكية[٦] نفس هذا الموقف من التعليم الأمريكي وقفه الموارنة الذين عملوا على مقاومته، بل أنهم أغروا الأمير بشير الشهابى بإغلاق المدارس الأمريكية فى جبل لبنان ولما ذهب أحد كبار الدروز يحتج على ذلك ويفهم البطريريك أن هذه

---

(١) محمد الهادى المطوى: مرجع سابق، ص٧١ .
- جورجى زيدان: تراجم، مرجع سابق، جـ٢، ص١٠١ .
- د/ عبدالعزيز نوار: وثائق أساسية، مرجع سابق، ص٣٥٢ .

(٢) كمال الصليبي: مرجع سابق، ص٩٠ .

(٣) انظر تلك المواقف فى : مصطفى الخالدى وعمر فروخ، مرجع سابق، ص١٣٨ .

(٤) جورجى زيدان: الهلال، العدد ٢، عام ١٩٥٢، ص٥٨ .

(٥) عبدالكريم غرايبة: مرجع سابق، ص٢٢٣ .

(6) Missionary Herald – July, 1837. Journal of Nr W. m. Thomson an maunt Jebanon. Pp.97.

المدارس وهى مسيحية أصلا إنما جعلت لفائدة الطرفيـن فأجابـه المطـران المارونى ببيروت أنه سيبطش بكل درزى ويخضع الهراطقـة عـن قريـب لإرادته[١] ، وأنه سيغلق مدارسهم – أي مدارس الأمريكيين – فـى الجبـل بسبب تهديد وضغط [*] الدروز[٢].

وبذلك نرى كيف وقف المسيحيون الشـوام فـى وجـه الإرسـالية الأمريكية موقفا عنيفا، ولكن هذا الموقف لم يؤثر كثيرا على أعمال الإرسـالية الأمريكية سوى فى بدايتها، ولكن بعد أن ثبتت جذورها فقدت هذه المقاومـة معظم أسلحتها وخصوصا أن الإرسالية الأمريكية ووجهت معظـم نشـاطها للتعليم .

وأثار نشاط الإرسالية الأمريكية غيره البعثات الكاثوليكية التى أخـذت بدورها تعمل على نشر التعليم وإقامة المدارس وأصبح اليسوعيون(*) الذيـن عادوا منذ عام ١٨٣١م هم القوى الرئيسية المنافسة للإرسالية الأمريكية[٣].

---

(١) نادر العطار: مرجع سابق، ص١٩٠ .

(*) وقف الوزير الإنجليزى المشارك فى لجنة التحقيق الخاصة بأزمة ١٨٦٠ موقفـا مؤيدا للدروز فأرجع المورانة السبب فى ذلك لمقاومة الأكليروس المـارونى للإرسالية الأمريكية البروتستانتية. الأب لويس بلبيل اللبنانى : تبرير النصـارى مما نسب إليهم فى حوادث ١٨٦٠، المشـرق، المجلـد ٢٦ عـام ١٩٢٨، ص٦٤٣ .

(٢) مذكرات كرنيلبوس فانديك: الهلال، المجلد ١٤، الجزء الخـامس، ١٩٠٦، ص٢٧٤ .

(*)جاء اليسوعيين إلى بلاد الشام لأول مرة ١٦٢٥م، ورغم العديد من الصعوبات التى قابلتهم، فقد استطاعوا أن يحتفظوا بكيانهم وينجزوا أعمالهم بشـئ مـن النجاح، وألغيت جمعيتهم فى عام ١٧٧٣م فتفرقوا وأغلقوا معظم مؤسسـاتهم الشام ، و لم يعودوا مرة أخرى لممارسة نشاطهم فى الشام إلا ابتداء من عـام ١٨٣١م لمواجهة النشاط التبشيرى الأمريكـى : المجلـد ٢٥،عـام ١٩٢٧، ص٥٥٨ .

شمس الدين الرفاعى: مرجع سابق، جـ١، ص٢٨ .

(٣) محمود صالح منسى: مرجع سابق، ص٥٤ .

- سوسن سليم: مرجع سابق، ص١٥٣ .

كان الميدان الرئيسى للمنافسة بين الإرساليتين الأمريكية واليسوعية هو التعليم فيذكر الأب جوليان اليسوعى "إذا لم يدخل الآباء بعزم فى هذا السبيل فإن المبشرين الأمريكيين والأنكليز يوجهون تيار البروتستانتية بكامله، فحماية مسيحيى سوريا من إغواء البروتستانتية ومذهبها فى مهام مبشرينا الأولى وهدفاً وموضوعاً لجهودهم الثابتة"[١] وأخذ اليسوعيون فى إنشاء العديد من المدارس الثانوية والعالية أسوة بالبروتستانت[٢] وما أن أسس الأمريكيون كليتهم السورية الإنجيلية حتى أسرع اليسوعيون لنقل مدرستهم من قرية "غزير" لبيروت[**] وبدأوا يضعون أساس جامعة القديس يوسف لينافسوا بها الجامعة الأمريكية[٣].

ونتيجة للمنافسة الحادة بين الفريقين–الأمريكان، واليسوعيين–فقد اتسعت المعرفة بالثقافة الغربية، فقد غنمت الشام عدداً كبيراً من المدارس لتعليم جميع الطوائف بلا استثناء فقد قال أحد رؤساء البروتستانت: إن اليسوعيين فى سوريا لا يفعلون شيئاً سوى تقليدنا، فإذا أنشأنا مدرسة أنشأ اليسوعيين ما يماثلها، وقد أنشأنا جامعة بروتستانتية ، فحصلوا من روما على إذن بإنشاء جامعة فى بيروت ، وأنشأنا مطبعة باللغة العربية فأنشأوا مثلها[٤].

---

(١) نور الدين حاطوم: مرجع سابق، ص٨ .

(٢) أحمد سراج الدين: مرجع سابق، ص٣٣٢ .

(**)بالرغم من محاربة الفرنسيين للتربية اليسوعية داخل فرنسا، كان رئيس وزراء فرنسا يصرح "أن معاداة اليسوعيون ليست سلعة للتصدير" بمعنى أن اضطهاد فرنسا للتربية اليسوعية فى داخل فرنسا اتخذ طابعاً معكوساً فى الشام حيث أمدوهم بكل وسائل الدعم.

(٣) خليل صابات (دكتور): تاريخ الطباعة فى الشرق العربى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨، ص٥١.

– الطبيب: بيروت، الجزء الحادى عشر، السنة الأولى، ١٥ أب ١٨٨٤، ص ٢١٦ .

(٤) محمد افندى المطوى: مرجع سابق، جـ١ ص٣١ .

– علاء عز الدين: مرجع سابق، ص١٣١ .

وبذلك فقد أفادت هذه المنافسة فى إثراء الحياة الفكرية والعلمية فـــى بلاد الشام حيث التنافس على إصدار الصحف وإقامـــة الجمعيـــات وإنشـــاء المدارس، ولكنها أضرت بالشام حيث عمقت البعد الطائفى، وأعطت الأجـانب حجة وتكأة للتدخل الأجنبى، كما أنها جعلت من الشباب الشوام عدة مشـــارب تبعا لنظم تعليم كل منهم٠

الخاتمة

وجدت الكثير من دوافع التبشير الأمريكي في منطقة الشام لعل أهمها ـ في البداية على الأقل ـ الدافع الديني الذي دفع المبشرين للخروج من بلادهم لنشر المذهب البروتستانتي في بلاد الشام ، وتحقيقاً للنبوءات التوراتية التي يؤمنون بها مثل عودة المسيح قبل نهاية الألفية الثانية ، وتحقيقاً لهذا المبدأ الديني عملوا على محاولة تحقيق شروط هذا المبدأ وهو عودة اليهود ـ شعب الله المختار من وجهة نظرهم ـ لفلسطين ، من هنا كان الاهتمام المتزايد بمحاولة اكتشاف فلسطين ودراسة جغرافيتها وتاريخها ونباتها وكل ما يرتبط بها ، وهكذا كان البروتستانت أسرع من اليهود أنفسهم في الدعوة لإقامة وطن لهم في فلسطين .

لم تقتصر هذه الدوافع على العامل الديني فقط فسرعان ما أضيف إليها عوامل أخرى مثل العامل السياسي الذي سرعان ما سيطر على معظم أعمال الإرسالية التي أصبحت داعية للوجود السياسي الأمريكي في بلاد الشام وأصبح المبشر الذي جاء في زي القسيس هو كتيبة الغزو الاستعماري المبكر الذي سبق مرحلة الاستعمار .

وقد كشفت الأنشطة المختلفة التي قامت بها الإرسالية الأمريكية في بلاد الشام عن تدهور في الفكر القائم بين مختلف الطوائف المسيحية والطوائف الأخرى مثل الدروز والنصيرية والإسماعيلية والتي شابت الأساطير معظم تعاليمهم ومعتقداتهم الدينية ، وهنا كانت الحاجة ماسة لإعادة التفكير في تحديد البناء الفكري لهذه الطوائف .

استخدمت الإرسالية الأمريكية مختلف الوسائل لبسط نفوذها ونشر أفكارها التي تؤمن بها وكان التعليم أحد أهم الوسائل فمن خلال مناهج

التبشير في الأساس ، أما العامل الحضاري فما هو إلا قناع لإخفاء الحقيقة وراءه .

أصبحت الكلية الإنجيلية السورية ــ التي أصبحت فيما بعد الجامعة الأمريكية ــ في بيروت أهم جامعة في المشرق العربي وعن طريقها بذر الفكر القومي والمذاهب الفلسفية الحديثة والأفكار العلمانية التي لم تكن معروفة من قبل في بلاد الشام ، وعن طريق التنافس بين الإرساليات المختلفة أنشئت عدة جامعات أخرى مثل جامعة سان جوزيف التي أنشأها اليسوعيون في بيروت لمنافسة الكلية الإنجيلية السورية ، وبذلك ساد التعليم الغربي والثقافة الغربية وساعد على ذلك أن الأكثرية من سكان الشآم كانوا نصاري بعكس ما حدث في الدولة العثمانية ــ بعد التنظيمات ــ ومصر فقد أصابها الازدواجية الفكرية ما بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي التقليدي وذلك عائد لأن الأكثرية مسلمة .

عملت الإرسالية الأمريكية ــ ومن جانبها الإرساليات الأخرى التي تنافست معها في كل شيء ــ على القضاء على الدولة العثمانية بوصفها دولة الإسلام الكبرى والتي تقف حائل منيع أمام المخططات التبشيرية ، وأيضاً بوصفها رمز يجب القضاء عليه وهو ما نجحوا فيه في النهاية .

وفي سبيل القضاء على الدولة العثمانية كان الاهتمام المبكر بنشر فكرة القومية العربية لذا خرجت القصيدة الأولى في تمجيدها من إبراهيم اليازجي وداخل إحدى الجمعيات التي أسستها الإرسالية ، وبعد أن بدأ ساعد الفكرة يقوى عملت الإرسالية على القضاء عليه وهنا يتضح عدة عوامل أهمها : <u>أولاً</u> : أن الإرسالية عملت على تدعيم فكرة القومية العربية في مواجهة الدولة العثمانية وبعد أن تم القضاء عليها لم يعد هناك حاجة لهذه الدعوة ، <u>وثانياً</u> : تحولت ريادة الفكرة القومية العربية من المسيحيين للمسلمين الذي أصبحوا أكثر اهتماماً باللغة والأدب والتراث العربي ، كما أن

الإرسالية نفسها روجت للأفكار الإقليمية والقومية الأخرى لا سيما بين الأرمن .

عملت الإرسالية على استخدام اللغة العربية في التعليم في مدارس الإرسالية وفي الكلية الإنجيلية السورية وذلك للتقرب من الأهالي وإحياء الكتب العربية والأداب والتراث العربي وذلك أيضاً لتقوية فكرة القومية العربية ثم بعد ذلك تم التخلي عن اللغة العربية واستخدمت اللغة الإنجليزية كبديل ، واستفادت اللغة العربية من ذلك فائدة كبيرة فقد ترجمت إليها كتب في مختلف العلوم الحديثة وأضيف إليها المصطلحات العلمية الحديثة مما يعني قدرة العربية على المرونة وبعدها عن الجمود والتخلف .

من الشام حزجت الإرساليات الأمريكية للعمل في مصر والعراق والخليج العربي وغيرها من بلدان المغرب العربي فكانت الشام بذلك المحطة الأولى لعمل هذه الإرساليات ، ولمحاولة استكشاف المناطق التي ستعمل بها ، وعلينا أن نعي أن الإرساليات الأمريكية ما كان لها أن تمارس هذه الأنشطة لولا ضعف الدولة التي بدأت تفقد سيطرتها على مقاليد الأمور خصوصاً بعد التنظيمات .



المصادر والمراجع

أولا- الوثائق غير المنشورة .

ثانيا- الوثائق المنشورة .

ثالثا- المذكرات .

رابعا- المراجع .

خامسا- الرسائل الجامعية.

سادسا- المقالات والبحوث .

سابعا- الدوريات .



أولا : الوثائق (غير المنشورة) :

أ - الوثائق العربية :

- دار الوثائق القومية بالقاهرة ، محافظ أبحاث الشام وهي تبدأ بالمحفظة رقم (٦٥) وتنتهي بالمحافظة رقم (٩٤) وقد قمت بمسح كامل لها .

ب - الوثائق الأجنبية (غير المنشورة) :

American Board of Commissioners for Foreign missions, Miss ionary paper, No. 7 Memoir of Asaad Eshshidiak .

List of American Educational, Religious, and charitable institutions, in the Provinces of syria, Beirut and the Lebanon, May 1906. American Archives, T. 367, Role 23, Lebanon .

ثانياً : الوثائق المنشورة :

أ - الوثائق العربية :

(١) أحمد الحتة : تقرير جورج جليدون للإدارة الأمريكية عن القنصليات الأمريكية في الشرق نشر في البعثات المصرية إلى الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر.

(٢) أسد رستم : الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد علي باشا الكبير .

(٣) الأوامر والمكاتبات الصادرة من عزيز مصر محمد علي باشا ثم من ولده إبراهيم إلى وفاته ، دار المخطوطات المصرية . رقم ٢٨٦٠٩ .

(٤) بولس قرالي : فتوحات إبراهيم باشا المصري في فلسطين ولبنان وسوريا نقلاً عن تقارير أنطون كتافاكو قنصل النمسا في عكا وصيدا ، مطبعة العلم لبنان ، ١٩٣٧ .

(٥) الدستور العثماني : ترجمة نوفل أفندي نعمة الله نوفل ، المطبعة الأدبية ، بيروت ، ١٣٠١ هـ .

(٦) عبد العزيز نوار : وثائق أساسية من تاريخ لبنان ١٥١٧ : ١٩٢٠ م ، جامعة بيروت ، ١٩٧٤ .

(٧) فليب جلاد : قاموس الإدارة والقضاء ، المطبعة التجارية ، الإسكندرية ، ١٨٩٠ .

(٨) فليب وفريد الخازن : المحررات السياسية ، جونية ، لبنان ، ١٩١٠.

(٩) محمد فؤاد شكري : تقرير وليم هود جسون للإدارة الأمريكية عن القنصليات الأمريكية في الشرق ، نشر في بناء دولة مصر محمد علي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٤٨.

(١٠) الهيئة العامة للاستعلامات : ملف وثائق فلسطين ، القاهرة ، ١٩٦٩م.

(١١) ياسين سويد : فرنسا والموارنة ، تقارير ومراسلات الحملة العسكرية الفرنسية على سوريا ١٨٦٠ : ١٨٦١ ، شركة المطبوعات ، بيروت ، ١٩٩٢ .

ب - الوثائق الأجنبية المنشورة :

وهي عبارة عن رسائل وتقارير الإرسالية الأمريكية في الشام :

(1) Missionary Herald, June. 1821, Report of the Station Vol. 47, 1851.

(2) -------------, Jun. 1824, Beirut: Annual report.

(3) -------------, Dec. 1827, Extract From Mr. Goodell's Correspondence.

(4) ------------, Jan. 1828, Western Asia, Vol. 24 (1828).

(5) ------------, Jan. 1829, Western Asia : Stations, Vol. 25 (1829) .

(6) ------------, March. 1829, Journal of Messrs Fisk and King at Jerusalem.

(7) ------------, May. 1829, Special Agency to the Meaditerr anean, Vol. 25.

(8) ------------, Jan. 1830, Western Asia : Stations, Vol. 26 (1830) .

(9) ------------, Feb. 1830, Views and Proceeding in reference to the Mission, Vol. 26.

(10) ------------, Feb. 1830, Operations of the church, Missionary Society in the Mediterranean.

(11) ------------, Feb. 1830, Views and Proceeding pteference to this mission, Vol. 26, 1830.

(12) ------------, Feb. 1830, Books on Missionary Subjects designed for the young .

(13) ------------, Nov. 1830, Arrival of Messrs Bird and Whiting at Buyrout, Vol. 26.

(14) ------------, Nov. 1830, Report of the station at Beyroot, for the year 1835.

(15) ------------, Nov. 1830, Extract from a letter from Mr. Temple.

(16) ------------, Jan. 1831, Extract of a letter from Mr. king, Vol. 27 (1831).

(17) ------------, April. 1831, Pling Fisk.

(18) ------------, May. 1831, A jaint letter from Messrs Bird and Whiting.

(19) ------------, April. 1832, Extract from Journal of Mr. Whiting.

(20) ------------, Oct. 1832, Joint Communication from Messrs. Bird and Whiting, Vol. 28, 1832.

(21) ------------, Oct. 1832, Mediterranean.

(22) ------------, Dec. 1833. Printing Establishment for the Mediterranean.

(23) ------------, Dec. 1833, Printing Establishment for the Mediterranean.

(24) ------------, April. 1834, A General Letter from the missionaries.

(25) ------------, April. 1834, Syria, Vol. 30 (1834).

(26) ------------, Sep. 1834, Extracts from a communi cation of Messrs Bird, Smith and Theomson , Vol. 30, 1834 .

(27) ------------, Sep. 1834, Journal of Mr. Thomson.

(28) ------------, Feb. 1835, Journal of Mr. Thomson at Jerusalem.

(29) ------------, March. 1835, Extracts from Communication of Mr. Smith, Vol. 31, 1835.

(30) ------------, Feb. 1836, Journal of Mr. Whiting at Jerusalem.

(31) ------------, Feb. 1836, Letter from Mr. Whiting, Dated – May 1st 1835.

(32) ------------, March. 1836, Extracts from a letter of Mr. Thomson, Report of school and Viaity.

(33) ------------, March. 1836, Extract from a letter of Mr. Bird, Dated July 1835, Vol. 32, 1836 .

(34) ------------, April. 1836, Syria and the Holy Land, Quarter by Pafet, Vol. 32 (1836) .

(35) ------------, Nov. 1836, Report of the Station at Beyroot, for the year 1835, Vol. 32, 1836.

(36) ------------, Nov. 1836, Extracts from a general letter of the Missionary.

(37) ------------, July. 1837, Journal of Mr. W.M.Thomson on Mount Lebanon.

(38)------------, June. 1838, Boohs Printed for the missionary of the Board.

(39)------------, Sep. 1838, Journal of Mr. Whiting at Jerusalem.

(40)------------, Oct. 1838, Report of Station at Jerusalem for the year ending, March. 1838.

(41)------------, Nov. 1838, Report of the station at Jerusalem for the year ending. March, 1838.

(42)------------, Nov. 1838, Report of the Mission Dated Dec. 31, 1838, Vol. 35, 1839.

(43)------------, Nov. 1838, Report of the Station Beyroot for the year 1835, Vol. 36, 1838.

(44)------------, Dec. 1838, Report of the Beyroot Station for the year 1837, Vol. 34, 1838.

(45)------------, Oct. 1839, Journal of Mr. W.M. Thomson at Beyroot.

(46)------------, Nov. 1839, Report of the mission dated – Dec. 1838.

(47)------------, Sep. 1840, Annual report of the Beyroot Station, Dec. 31st, 1839.

(48)------------, July. 1841, Report of the Station Beyroot, Jan. 1st , 1841, Vol. 37, 1841.

(49)------------, July. 1841, Report of the Station at Beyroot. Jan. 1st, 1841, Vol. 37, 1841.

(50)------------, July. 1841, Report of the Station at Beyroot, Jan. 1st, 1841.

(51)------------, July. 1841, Report of the station at Bayroot.

(52)------------, Aug. 1842, Report of the Jerusalem Station on for the year 1841, Vol. 38, 1842.

(53)------------, Aug. 1842, Report of the Jerusalem Station for the year 1841.

(54) ------------, Feb. 1845, Miss Smith account of the rise of Prot estantism at Hasbeiya, Vol. 41, 1845.

(55) ------------, June. 1847, Appeal for Missionary.

(56) ------------, June. 1847, Report of the Station at Abeih.

(57) ------------, April. 1848, Report of the Abeih Station, Vol. 44, 1848.

(58) ------------, June. 1849, Report of the Station at Abeih.

(59) ------------, June. 1849, Report from the Beirut Station.

(60) ------------, Aug. 1849, Aleppo : A letter from Messrs Benton and Ford, Vol. 45, 1849.

(61) ------------, Aug. 1850, Abeih Report of the Station for 1849.

(62) ------------, Aug. 1850, Abeih Annual : Report of the Station for 1849.

(63) ------------, Aug. 1850, Abeih, Report of the Station for 1849.

(64) ------------, Jan. 1851, Letter from Mr. Whiting, July 23, 1850.

(65) ------------, Jan. 1851, Abeih : A letter from Mr. Whiting, July 23, 1850, Vol. 47, 1851.

(66) ------------, June. 1851, Report of the Abeih Station, Vol. 47, 1851.

(67) ------------, April. 1851, Report of the Abeih Station .

(68) ------------, Feb. 1852, Aleppo : Letter from Mr. Ford, Oct. 22, 1851.

(69) ------------, April. 1852, Tripoli: Station report.

(70) ------------, May. 1852, Abeih: Annual report, Vol. 48 (1852).

(71) ------------, July. 1852, Beirut: Annual report.

(72) ------------, July. 1852, Beirut, Annual report, Vol. 49, 1853.
(73) ------------, May. 1852, Abeih Annual report, Vol. 48, 1852.
(74) ------------, May. 1852, Abeih Station Report, Vol. 44, 1853.
(75) ------------, July. 1853, Sidon: Annual report.
(76) ------------, June. 1854, Beirut Annual report.
(77) ------------, April. 1854, Sidon: Annual report, Vol. 50, 1854.
(78) ------------, April. 1854, Tripoli: Annual report.
(79) ------------, May. 1854, Abeih Annual report
(80) ------------, Jun. 1854, Beirut, Annual report, Vol. 50, 1854.
(81) ------------, Sep. 1854, Papal Seuts in Syria.
(82) ------------, Oct. 1855, London Jew`s Socity.
(83) ------------, June. 1856, Bahmadun: Annual report.
(84) ------------, Jun. 1856, Beirut: Annual report.
(85) ------------, April. 1857, Report of the Abeih Station.
(86) ------------, April. 1857, Report of Abeih Station for 1856.
(87) ------------, April. 1857, Station reports. Vol. 53, 1857.
(88) ------------, May. 1857, Station Report, Vol. 53, 1857.
(89) ------------, May. 1857, Station Reports.
(90) ------------, April. 1858, Station Report, Vol. 54, 1858.
(91) ------------, April. 1858, Station Reports, Vol. 54, 1858.
(92) ------------, May. 1858, Station Report, Vol. 54, 1858.

(93) ------------, May. 1859, Station Reports, Vol. 55, 1859..

(94) ------------, May. 1859, Station report.

(95) ------------, May. 1859, Station report.

(96) ------------, Sep. 1859, A letter from Mr. Bliss, Vol. 55, 1859.

(97) ------------, June. 1860, Station Reports (Abeih and Suk El Ghurb), Vol. 56 (1860) .

(98) ------------, June. 1860, Station Report, Vol. 56, 1860.

(99) ------------, July. 1860, Letter from Mr. Jessup, Aprile 10, Vol. 56, 1860.

(100) ------------, June. 1861, Beirut : Letter from Mr. Jessup .

(101) ------------, Feb. 1861, Letter from Mr. Jessup.

(102) ------------, March. 1861, Station Reports.

(103) ------------, May. 1861, Station report (Sidon) Vol. 57 (1861).

(104) ------------, May. 1861, Station report (Tripoli) Vol. 57 (1861).

(105) ------------, July. 1861, Station Mission, Tripoli : Letter from Mr. Lyons.

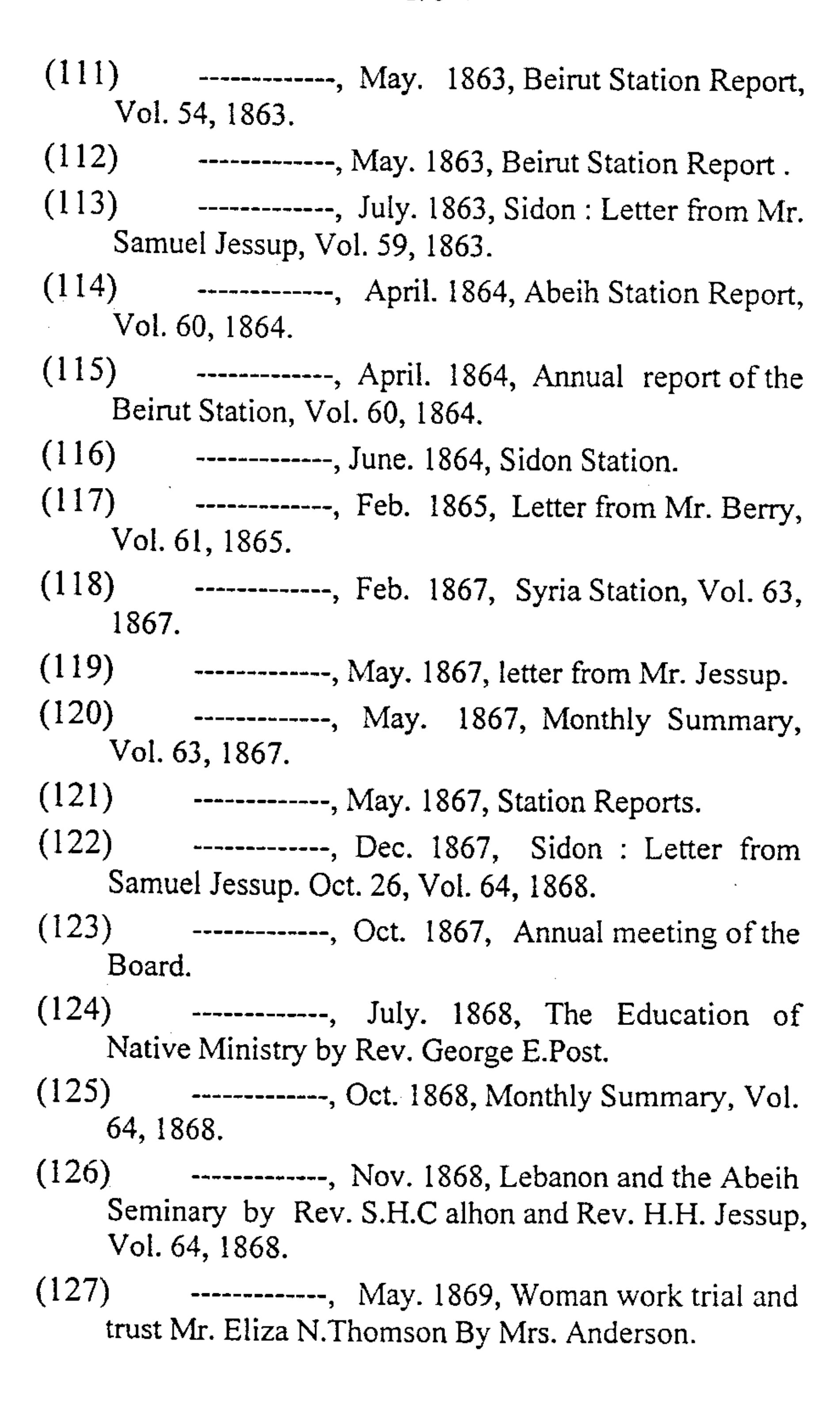
(106) ------------, April. 1862, Letter from Mr. Jessup.

(107) ------------, July. 1862, Beirut : Letter from Mr. Jessup .

(108) ------------, June. 1863, Abeih: letter from Mr.Calhon.

(109) ------------, Feb. 1863, A protestant College in Syria .

(110) ------------, May. 1863, Beirut Station Report, Vol. 59, 1863.



(111) ------------, May. 1863, Beirut Station Report, Vol. 54, 1863.

(112) ------------, May. 1863, Beirut Station Report .

(113) ------------, July. 1863, Sidon : Letter from Mr. Samuel Jessup, Vol. 59, 1863.

(114) ------------, April. 1864, Abeih Station Report, Vol. 60, 1864.

(115) ------------, April. 1864, Annual report of the Beirut Station, Vol. 60, 1864.

(116) ------------, June. 1864, Sidon Station.

(117) ------------, Feb. 1865, Letter from Mr. Berry, Vol. 61, 1865.

(118) ------------, Feb. 1867, Syria Station, Vol. 63, 1867.

(119) ------------, May. 1867, letter from Mr. Jessup.

(120) ------------, May. 1867, Monthly Summary, Vol. 63, 1867.

(121) ------------, May. 1867, Station Reports.

(122) ------------, Dec. 1867, Sidon : Letter from Samuel Jessup. Oct. 26, Vol. 64, 1868.

(123) ------------, Oct. 1867, Annual meeting of the Board.

(124) ------------, July. 1868, The Education of Native Ministry by Rev. George E.Post.

(125) ------------, Oct. 1868, Monthly Summary, Vol. 64, 1868.

(126) ------------, Nov. 1868, Lebanon and the Abeih Seminary by Rev. S.H.C alhon and Rev. H.H. Jessup, Vol. 64, 1868.

(127) ------------, May. 1869, Woman work trial and trust Mr. Eliza N.Thomson By Mrs. Anderson.

(128) ------------, March. 1849,Tripoli, Letter from Mr. Foote. Dec. 1849.

(129) ------------, March. 1869, The Beirut Protestant College.

(130) ------------, Nov. 1869, Annual meeting of the board.

ثالثاً : المذكرات :

- كرنيليوس فانيك : مذكرات كرنيليوس فانديك ، الهلال ، مجلد ١٤ ، ١٩٠٦.

- جورجي زيدان : مذكرات جورجي زيدان ، الهلال ، المجلد ٦٢ ، ١٩٥٤ .

- شاكر الخوري : مجمع المسرات ، مصر، ١٩٠٨ .

رابعاً : المراجع

(أ) المراجع العربية :

(١) إبراهيم خليل أحمد : المستشرقون والمبشرون فى العالم العربي والإسلامي ، مكتبة الوعى العربي ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

(٢) إبراهيم عبده : إعلام الصحافة العربية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٩٤ .

(٣) .... : تطور الصحافة المصرية وأثرها في النهضتين الفكرية والاجتماعية ، مطبعة التوكل ، القاهرة ، ١٩٤٤ .

(٤) ابن منظور : لسان العرب ، دار لسان العرب ، بيروت ، ١٩٧٩ .

(٥) أبو الفتوح رضوان : تاريخ مطبعة بولاق ولمحة فى تاريخ الطباعة فى بلدان الشرق الأوسط ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٥٣ .

(٦) أبو الوفا الغنيمى التفتازاني : علم الكلام وبعض مشكلاته ، القاهرة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

(٧) أحمد السعيد سليمان : تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتي من الدخيل ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

(٨) أحمد عارف الزين : تاريخ صيدا ، مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٩١٣ .

(٩) أحمد عبد الرحيم مصطفى : الولايات المتحده والمشرق العربي ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٧٨ .

(١٠) .... : أصول التاريخ العثماني ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

(١١) أحمد عبد الوهاب : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ، مكتبة وهبه ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

(١٢) أحمد طاهر حسين : دور الشاميين المهاجرين الى مصر في النهضة الأدبية الحديثة ، دار الوثبة ، دمشق ، ١٩٨٢ .

(١٣) أحمد محمد عوف : المؤتمرات الخفية ضد الاسلام والمسيحية ، الزهراء للاعلام العربي ، القاهرة ، ١٩٩٢ .

(١٤) أديب فرحات : سوريا ولبنان ، المطبعة الوطنية ، بيروت ، ١٩٢٣ .

(١٥) أسامة عانوتي : الحركة الأدبية فى بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر ، الجامعة اللبنانية ، بيروت ، ١٩٧٠م .

(١٦) إسماعيل حقي : لبنان مباحث علمية واجتماعية ، تحقيق فؤاد افرام البستاني ، الجامعة اللبنانية ، بيروت ، ١٩٧٠ .

(١٧) أسد رستم : لبنان فى عهد المتصرفيه ، دار النهار ، بيروت ، ١٩٧٣ .

(١٨) البرت حوراني : الفكر العربي فى عصر النهضة ١٩٣٩:١٧٩٨ ، ترجمة كريم عزقول ، دار النهار ، بيروت .

(١٩) الياس ديب مطر : العقود الدرية فى تاريخ المملكة السورية ، مطبعة المعارف ، بيروت ، ١٨٧٤.

(٢٠) أنور الجندي : الفكر العربي المعاصر فى معركة التغريب والتبعية الثقافية ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، (د . ت) .

(٢١) .... : الاسلام والثقافة العربية ، مطبعة الرسالة ، القاهرة، ١٩٦٧ .

(٢٢) أنيس المقدسي : الفنون الادبية واعلامها فى النهضة العربية الحديثة ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، ١٩٦٣ .

(٢٣) بطرس البستاني : كشف الحجاب فى علم الحساب ، مطبعة الاميركان ، بيروت ، ١٨٧٢ .

(٢٤) .... : قطر المحيط – جزان ، المطبعة الامريكية ، بيروت، ١٨٦٩ .

(٢٥) بوندار بفكسي : سياستان ازاء العالم العربي ، ترجمة خيري الضامن ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٧٥ .

(٢٦) تقي الدين شرف : النصيرية ، دراسة تحليلية ، بيروت، ١٩٨٣ .

(٢٧) توماس بريسون : العلاقات الدبلوماسية الامريكية مع الشرق الأوسط ١٧٨٤:١٩٧٥، دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٥ .

(٢٨) تيسير خليل الزواهرة : تاريخ الحياة الاجتماعية فى لواء دمشق ١٨٤٠:١٨٦٤، جامعة مؤته ، الأردن ، ١٩٩٥ .

(٢٩) ثروت قادس : الكتاب المقدس فى التاريخ العربي المعاصر ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٩ .

(٣٠) جلال يحيى : العالم العربي الحديث ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

(٣١) جلال يحيى ومحمد نصر مهنا : مشكلات الاقليات فى الوطن العربي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

(٣٢) جميل صليبا : الاتجاهات الفكرية فى بلاد الشام وأثرها فى الأدب الحديث ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

(٣٣) جورج أنطونيوس : يقظة العرب ، تقديم نبيه أمين فارس ترجمة ناصر الدين الأسد واحسان عباس ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧ .

(٣٤) جورج بوست : المصباح الوضاح فى صناعة الجراح ، بيروت، ١٨٧٣.

(٣٥) جورجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، مراجعة شوقي ضيف ، دار الهلال ، القاهرة ، (د.ت).

(٣٦) .... : تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر ، مكتبة الحياه ، بيروت ، (د.ت) .

(٣٧) جورج بنيان : سياحة المسيحي ، ترجمة بطرس البستاني ، المطبعة الامريكية ، بيروت ، ١٨٧٣ .
(٣٨) جون كارن : رحلة فى لبنان فى الثلث الأول من القرن التاسع عشر ، ترجمة رئيف الخوري ، دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٤٨ .
(٣٩) حافظ أبو مصلح : تاريخ الدروز ، دار الفنون ، بيروت ، ١٩٩٢ .
(٤٠) حسن أمين البعيني : دروز سورية ولبنان فى عهد الانتداب الفرنسي (١٩٢٠-١٩٤٣) ، المركز العربي للابحاث والتوثيق ، بيروت ، ١٩٩٣ .
(٤١) حسين مؤنس : الشرق الاسلامي فى العصر الحديث ، مطبعة حجازي ، القاهرة ، ١٩٨٣ .
(٤٢) حلمي النمنم : زينب فواز الرائده المجهولة ، دار النهر ، القاهرة ، ١٩٨٧ .
(٤٣) حمدي الطاهرى : سياسة الحكم فى لبنان ، القاهرة ، ١٩٧٦ .
(٤٤) حنا أبي راشد : جبل الدروز ، مطبعة زيدان ، القاهرة ، ١٩٢٥ .
(٤٥) خالد نعيم : الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الاجنبية فى مصر ، مكتبة المختار الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٨٨ .
(٤٦) خليل صابات : تاريخ الطباعة فى الشرق العربي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٨م .
(٤٧) دانيال كريسيليوس : جذور مصر الحديثة ، ترجمة وتعليق عبد الوهاب بكر ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

(٤٨) رفيق التميمي ومحمد بهجت : ولاية بيروت القسم الشمالي ، دار لحد خاطر ، بيروت ، ١٩٧٩ .

(٤٩) رودريك ماثيوز ومتى العقراوى : التربية فى الشرق الأوسط ، ترجمة أمير بقطر ، المطبعة العصرية ، القاهرة ، ١٩٤٩.

(٥٠) رياض نجيب الريس : المسيحيون والعروبة ، دار رياض الريس ، لندن ، ١٩٩١م .

(٥١) ريجينا الشريف : الصهيونية غير اليهودية جذورها فى التاريخ الغربي ، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٥ .

(٥٢) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٦٠ .

(٥٣) ستيفين هامسلي لونفريغ : سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ، ترجمة بيار عقل ، دار الحقيقة ، بيروت ، ١٩٧٨ .

(٥٤) سعد الدين ابراهيم : الملل والنحل والإعراق هموم الاقليات فى الوطن العربي ، مركز ابن خلدون ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

(٥٥) سعيد اسماعيل على : الفكر التربوي العربي الحديث ، عالم المعرفة ، الكويت ، مايو ، ١٩٨٧ .

(٥٦) سفر بن عبد الرحمن الحوالى : القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى ، مكتبة السنه ، القاهرة ، ١٤١٤هـ .

(٥٧) سليم حسن هاشي : الاسماعيليون عبر التاريخ ، بيروت ، ١٩٦٩ .

(٥٨) سليمان أبو عز الدين : ابراهيم باشا فى سورية ، المطبعة العلمية ، بيروت ، ١٩٢٩ .

(٥٩) سوسن سليم : الجذور التاريخية اللازمة اللبنانية ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

(٦٠) شاهين مكاريوس : تاريخ الإسرائيليين ، مطبعة المقتطف ، القاهرة ، ١٩٠٤ .

(٦١) الشريف عبد الله ال الفضل : تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ، مطبعة الارشاد ، اللاذقية ، ١٣٥٧ هـ .

(٦٢) شمس الدين الرفاعي : تاريخ الصحافة السورية فى العهد العثمانى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

(٦٣) الشهر ستاني : الملل والنحل ، طبعة ليبزج ، ١٩٢٣ .

(٦٤) صالح زهر الدين : تاريخ المسلمين الموحدين الدروز ، المركز العلمي للأبحاث والتوثيق ، بيروت ، ١٩٢٥ .

(٦٥) صمويل اتيجر : اليهود فى البلدان الاسلامية (١٨٥٠:١٩٥٠م) ، ترجمة جمال أحمد الرفاعي ، مراجعة رشاد الشامي ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٧ .

(٦٦) صمويل زويمر : طريق المحبين الى قلوب المسلمين ، طبع على نفقة اللجنة التبشيرية للارسالية الامريكية ، القاهرة ، (د.ت) .

(٦٧) عارف العارف : تاريخ القدس ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥١ .

(٦٨) عبد الستار فتح الله : الغزو الفكري والتيارات المعادية للاسلام ، دار الوفاء ، المنصورة ، ١٩٨٩ .

(٦٩) عبد العزيز رفاعي : أصول الوعى القومي العربي ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

(٧٠) عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٥ .
(٧١) عبد العزيز عوض : الإدارة العثمانية فى ولاية سوريا (١٩١٤:١٨٦٤) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
(٧٢) عبد العزيز سليمان نوار : تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٨م .
(٧٣) عبد الغفار محمد حسين : مبدأ مونرو ومتغيرات السياسة الامريكية من سنه ١٨٦٠ وحتى سنة ١٩٠٠ ، طنطا ، ١٩٩٢ .
(٧٤) عبد القادر بن محمد النعيمى : الدراس في تاريخ المدارس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٠م .
(٧٥) عبد الكريم رافق : العرب والعثمانيون (١٥١٦:١٩١٤)، دمشق ، ١٩٧٤ .
(٧٦) .... : بلاد الشام ومصر منذ الفتح العثماني حتى حملة نابليون بونابرت ، دمشق ، ١٩٦٨ .
(٧٧) .... : بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد الشام في العصر الحديث ، دمشق ، ١٩٨٥ .
(٧٨) عبد الكريم غرايبة : سوريا فى القرن التاسع عشر ١٨٤٠:١٨٧٦ ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٢ .
(٧٩) عبد المنعم ماجد : الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه ، الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
(٨٠) عبد الودود شلبي : أفيقوا أيها المسلمون ، الدار السعودية ، جده ، ١٩٨١.

(٨١) .... : الزحف إلي مكة ، الزهــراء للإعــلام العربــي ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

(٨٢) عدنان الخطيـــــــب : الشيخ طــاهر الجزائــري ، معــهد البحوث العربية ، القاهرة ، ١٩٧١ .

(٨٣) عزت زكـــــــي : كنــائس المشــرق ، دار الثقافــة ، القاهرة ، ١٩٩١ .

(٨٤) على أبو جريشـــــه : الاتجاهات الفكرية المعـاصرة ، دار الوفاء ، المنصورة ، ١٩٨٦.

(٨٥) على السيد علـــــى : القدس فى العصر المملوكـــي ، دار الفكر .

(٨٦) على المحافظــــــة : الحركات الفكرية فى عصر النهضة فى فلسطين والأردن ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بــيروت ، ١٩٨٧ .

(٨٧) فطين أحمد فريـــــد : حروب لبنان ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

(٨٨) فؤاد حسن حافـــــظ : تاريخ الشعب الأرمني ، القــاهرة ، ١٩٨٦ .

(٨٩) فؤاد المرسي خاطـــــر : دراسات في الأطماع الاسـتعمارية في الوطن العربي ، دلتا للطباعة ، طنطا ، (د.ت) .

(٩٠) فليب دى طــــرازي : أصدق مـ كان عن تاريخ لبنان وصفحــة من تاريخ السريان ، مطابع جــوزف سـليم ، بــيروت ، ١٩٤٨ .

(٩١) .... : خزائن الكتب العربية فى الخافقين ، وزارة التربيــة والتعليم اللبنانية ، بيروت ، (د.ت).

(٩٢) .... : تاريخ الصحافة العربية ، المطبعة الأدبية ، بــيروت ، ١٩١٣م .

(٩٣) فليب حتى وادورد جرجس وجبرائيل جبورة : تاريخ العوب ، دار غندور للطباعة ، بيروت ، ١٩٩٤/١٩ .

(٩٤) فليب فارج ويوسف كارياج : المسيحيون واليهود في التاريخ الاسلامي العربي والتركي ، ترجمة بشير السباعي ، دار سينا ، القاهرة ، ١٩٩٤ .

(٩٥) الكابيتان بورون : الدروز ، ترجمة عادل تقى الدين ، مطبعة القديس بولس ، حريصا ، لبنان ، ١٩٣٤ .

(٩٦) كارل بروكلمان : الاسلام فى القرن التاسع عشر ، ترجمة نبيه أمين فارس ، منير البعلبكى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٠ .

(٩٧) كرم شلبي : الاذاعات التنصيرية الموجهة الى المسلمين العرب ، مكتبة التراث الاسلامي ، القاهرة ، (د.ت).

(٩٨) كرنيليوس فانديك : النقش فى الحجر ، المطبعة الأدبية ، بيروت ، ١٨٨٦ .

(٩٩) .... : فى الاصول الهندسية ، بيروت ، ١٨٧٥ .

(١٠٠) .... : أصول الكيمياء ، بيروت ١٨٦٩م .

(١٠١) .... : المرأة الوضيية فى الكرة الارضية ، بيروت ، ١٨٧٠ .

(١٠٢) الكزاندر شولش : تحولات جذرية فى فلسطين ١٨٥٦-١٨٨٢م ، دراسات حول التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، ترجمة كامل جميل العسلي ، دار الهدى ، الأردن ، ١٩٩٠ .

(١٠٣) كمال الصليبي : تاريخ لبنان الحديث ، دار النهار ، بيروت ، ١٩٦٩..
(١٠٤) كمال اليازجي : الشيخ ابراهيم الحوراني في فجر النهضة الحديثة ١٨٤٤: ١٩١٦ ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩١٦م .
(١٠٥) كنيسة القديسين مارمرقس الرسوله والبابا بطرس : شهود يهوه ، القاهرة (د.ت) ودون تحديد المطبعة .
(١٠٦) لويس شيخو : بيروت تاريخها وآثارها ، مطبعة الأباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٢٥م .
(١٠٧) ليلى الصباغ : الجاليات الاوربية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين ١٦،١٧ مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٩ ،
(١٠٨) ليوولص : ابن حور ، ترجمة كرنيليوس فانديك ، المطبعة الامريكانية ، بيروت ، (د.ت) .
(١٠٩) ماجدة صلاح مخلوف : الاتحاد والترقي في الأدبيين العربي والتركي ، القاهرة ، ١٩٩٠ .
(١١٠) .... : الخلافة في خطاب أتاتودك : مركز بحوث آسيا ، الزقازيق ، ٢٠٠١ .
(١١١) مار اسطفان الدويهي : تاريخ الطائفة المارونية ، تحقيق رشيد الخوري الشرنوبي ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعية ، بيروت ، ١٨٩٠م .
(١١٢) مجهول : تاريخ تقسيم جبل لبنان وحالة الحكام وعوائدهم والمذاهب ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ١٦ تاريخ فاضل .

(١١٣) .... : مذكرات تاريخية عن حملة ابراهيم باشا على سوريا ، تحقيق أحمد غسان سباتو ، دار قتيبة ، دمشق ، (د.ت) .
(١١٤) محمد أبو زهـــــرة : محاضرات فى النصرانية ، دار الفكـــر العربي ، القاهرة ، (د.ت) .
(١١٥) محمد الانور السنهوتـــي : مذاهب الفرق الكلاميـــة ، دار الثقافـــة العربية ، القاهرة ، (د.ت) .
(١١٦) محمد البهـــــــــي : الفكر الاســـلامى وصلتـــه بالاســـتعمار الغربي ، مكتبة وهبه ، القاهرة ، ١٩٨١ .
(١١٧) محمد تقى الفقيـــــه : جبل عامل فى التاريخ ، دار الاضواء ، بيروت ، ١٩٨٦ .
(١١٨) محمد رفعت الامـــام : الارمن فى مصر فى القرن التاسع عشـــر ، دار نوبار ، القاهرة ، ١٩٩٦ .
(١١٩) محمد السمـــــــاك : القرار العربي فى الازمة اللبنانيـــة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٤ .
(١٢٠) محمد عبد الرحمن برج : محب الدين الخطيب ودوره فى الحركـــة العربية ١٩٠٦:١٩٢٠ – هـــ .م.ع ، القاهرة ١٩٩٠ .
(١٢١) محمد كامل حسيـــن : طائفة الاسماعيلية ، النهضة المصريـــة ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
(١٢٢) .... : طائفة الدروز تاريخها وعقائدها ، دار المعـــارف ، القاهرة ، ١٩٦٢.
(١٢٣) محمد كرد علـــــى : خطط الشام ، مطبعة الـــترقى ، دمشـــق ، ١٩٢٦ .
(١٢٤) محمد محمد حسيـــن : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعـاصر ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

(١٢٥) محمد الهـــــــادي : أحمد فارس الشـــدياق ١٨٠١:١٨٨٧م ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨٩ .
(١٢٦) محمود صالح منســي : حركة اليقظة العربية فى الشرق الاســيوي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٥ .
(١٢٧) مصطفى الشهابـــــي : القومية العربية تاريخها وقوامها ومرامها ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، (د.ت) .
(١٢٨) مصطفى غالـــــب : الحركات الباطنية فـــى الاســلام ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، (د.ت) .
(١٢٩) مصطفى الخالدى وعمر فروخ : التبشير والاستعمار فـــى البــلاد العربية ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٩٥٣ .
(١٣٠) معتز سيد عبـــــــــد الله : الاتجاهـــات التعصبيـــة ، عــالم المعرفة ، مايو ١٩٨٦م .
(١٣١) منير الشريـــــــــــف : المسلمون العلويـــون مـــن هـــم ، وأيـــن هم ، المطبعة العمومية ، دمشق ، ١٩٦٠م .
(١٣٢) ميخائيل مشاقـــــــــة : منتخبات من الجواب على اقـــتراح الاحباب ، تحقيق أسد رستم وصبحي ابو شـــقرا ، وزارة التربية الوطنية اللبنانية ، بيروت ، ١٩٥٥ .
(١٣٣) .... : مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان ، ملحم عبـــده وأندراوسي حنا ، القاهرة ، ١٩٠٨ .
(١٣٤) .... : الدليل الى طاعة الانجيل ، المطبعة الاميركانيـــة ، بيـــــــروت ، ١٨٨٧م . ط٣ .
(١٣٥) ميشال جحـــــــــــــا : ابراهيم اليازجي ، دار ريـاض الريس ، لنـــدن .
(١٣٦) نادر العطـــــــــــار : تاريخ ســوريا فـــي العصــور الحديثة ، دمشق ، ١٩٦٨ .

(١٣٧) ناصر الدين الاسد : الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والاردن ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

(١٣٨) نجيب العقيقي : المستشرقون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠.

(١٣٩) نجلاء أبو عز الدين : العالم العربي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، (د.ت) .

(١٤٠) نيفين عبد المنعم : الاقليات والاستقرار السياسي فى الوطن العربي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٨ .

(١٤١) نور الدين حاطوم : البعثات التبشيرية الاجنبية فى البلاد العربية ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٥٨.

(١٤٢) نوفل نعمة الله نوفل : كشف اللثام عن محيا الحكومة والاحكام فى اقليمي مصر وبر الشام ، تحقيق ميشال أبى فاضل ، جان نحول ، طرابلس ، لبنان ، ١٩٩٠ .

(١٤٣) هاملتون جب وهارولد بووين : المجتمع الاسلامى والغرب ، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

(١٤٤) هاشم دفتردار مدني ومحمد على الزغبي : الاسلام والمسيحية فى لبنان ، دار الانصاف ، بيروت ، ١٩٢٥ .

(١٤٥) هند فتال – رفيق شكري : تاريخ المجتمع العربي الحديث والمعاصر ، جروس برس ، بيروت ، ١٩٨٨ .

(١٤٦) هنرى جسب : ارز لبنان أو الكلام المختار للاولاد الصغار ، المطبعة الاميركانية ، بيروت ،

(١٤٧) ولش : اصداء التوراه ، ترجمة أسعد أفندى شدوري ، المطبعة الامريكية ، بيروت ، ١٨٩٠م .

(١٤٨) يوحنا ورتبات : دليل الصواب الى صدق الكتاب ، الجمعية البريطانية ، بيروت ، ١٨٧٦م .

(١٤٩) يعقوب صروف : اعلام المقتطف ، مطبعة المقتطف ، القاهرة .

(١٥٠) يوسف جميل نعيسه : مجتمع مدينة دمشق ١٧٧٢:١٨٤٠ ، دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٦ .

(١٥١) يوسف الحسن : البعد الديني فى السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني ، مركز دراسات الوحده العربية ، بيروت ، ١٩٩٠ .

(١٥٢) يوسف دربان : نبذه تاريخية فى أصل الطائفة المارونية ، المطبعة العلمية ، بيروت ، ١٩١٩ .

(١٥٣) يوسف الدبس : الجامع المفصل فى تاريخ الموارنه المؤصل ، المطبعة العمومية الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٠٥ .

(١٥٤) يوسف قزما خوري : الدكتور كرنيليوس فان ديك ونهضة الديار الشامية العلمية فى القرن التاسع عشر ، دار سورقيا ، بيروت (د.ت) .

(١٥٥) يوسف خطار أبو شقرا : الحركات فى لبنان فى عهد المتصرفية ، تعليق وتحقيق عارف أبو شقرا ، بيروت ، (د.ت) .

(ب) المراجع الأجنبية :

(1) Addison James : The Christian approach to the Moslem, A historical Study, New York, 1966.

(2) Azazan, Hory, The Armenian Communities in the Arabic Countries, Syria, 1993.

(3) Bayard Dodge, The American University of Beirut, Khayat`s Beirut, 1958.

(4) David Shavit, The United States in The Middle East, A Historical Dictionary, New York, 1988.

(5) George Lenczowski, United States interests in the middle East, Washington, U.S.A. 1968.

(6) Hitti, Philip, Origins of the druze People and Religion, Columbia University Press, 1928.

(7) Holt, P.M., Egypt and the Ferital Crecent, London, 1979.

(8) Houran, Albert, Minorites in the Arab World, Oxford, University Press, 1947.

(9) ...., Albert, The Ottoman Background of the Modern Middle East, Esset, 1970.

(10) Kenneh, Cragg, Christian in history in the Middle East.

(11) B.Lewis, A history of the Trusads. Vol. 1, Philadelphia, 1958.

(12) ...., The Sources for the history of the syrian the assassins speculum. Vol. XXv11, Taisah usehes, 1952.

(13) Olivier meier, Al-Mugatatafle Debat Sur le darwinisme Begrouth, 1876 – 1885, Les Dossiers Du Cedej. Cairo, 1986.

(14) Robertw Stooney, America and the Arab States, An eneasy Encounter, Center for middle Eastern studies, the University of texas, New york.

(15) Shaw, Stan ford and Ezelkural, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, Cambridge, University Press, 1977.

(16) Stephen, B.L. Penrese, It they may have life, American Universty of Beirut, Lebanon, 1970.

(17) A.L. Tibawi, American Interestsin Syria, 1800-1901, Oxford, 1960.

خامسا : الرسائل الجامعية الغير منشورة .

(١) أحمد سيد أحمد عمـــر : الطائفية وعدم الاستقرار السياسي فـــى لبنان ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كليـــة التجـــارة ، أسيوط ، ١٩٩٣ .

(٢) أحمد فريد على مصطفى : توسع مصر فى الشام وأثرة على موقف الدول من المسألة السياســية فــى عصـــر محمــد علــى ١٨٣١:١٨٤١م ، رسالة ماجستير غــير منشــورة ، آداب القاهرة .

(٣) أحمد فهد بركات الشوابكة : حركة الجامعة الاسلامية منذ النصــف الثامن من القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٠٩م ، رســالة ماجستير ، كلية البنات ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٢ .

(٤) تيسير أحمد حسين وهابية : القدس فى القرن التاسع عشـــــر ١٧٩٩ – ١٨٩٨ ، رسالة ماجستير غــير منشــورة آداب سوهاج ، ١٩٨٢ .

(٥) حسين سليمان : لبنان فى فترة الصراع الداخلى ١٧٩٠:١٧٣٥م ، رسالة ماجستير غير منشورة / آداب القاهرة ، ١٩٧٨ .

(٦) عبد العزيز عوض : متصرفية القدس فى العصر العثمانى ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، آداب عين شمس .

(٧) ماجدة صلاح مخلوف : معروضات أحمد جودت باشا ، دراسة وتحقيق وترجمة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، آداب عين شمس ، ١٩٨٣ .

(٨) محمد فؤاد محمد خليل : التبشير الامريكي فى منطقة الخليج العربي ١٩٦٢:١٨٩٠ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، آداب عين شمس ، ١٩٩٦ .

(٩) وفاء أحمد البستاوى : فكرة الاصلاح فى تذاكر أحمد جودت ، رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب عين شمس ، ١٩٩٥.

سادسا : المقالات والبحوث .

(١) أحمد رضا : المتاولة أو الشيعة فى جبل عامل ، المقتطف ، القاهرة ، مايو ١٩١٠م .

(٢) أحمد سراج الدين : الحركات التربوية وتطويرها فى سوريا ولبنان خلال القرن التاسع عشر ، مجلة الابحاث ، الجامعة الامريكية ، بيروت ، ١٩٥١ .

(٣) أحمد شوكت الشطبي : زبده ما قيل فى المئه سنه الاخيرة عن التراث العربي ، ضمن كتاب نشاط العرب العلمي فى المائة سنة ، اشراف هيئة الدراسات العربية ، الجامعة الامريكية ، بيروت ١٩٥٩ .

(٤) أحمد عزت عبد الكريم : التقسيم الاداري لسورية في العصر العثماني ، حوليات آداب عين شمس ، المجلد الاول ، القاهرة ، ١٩٥١م .

(٥) ارنست سمعان : الطوائف المسيحية فى مصر ، مجلة صديق الكاهن ، القاهرة ، أكتوبر ، ١٩٧٩ .

(٦) اسحق ابراهيم : مدارس الآحد ، المرشد ، ١٣ مايو ١٩٠٤.

(٧) اسد رستم : صفحة جديده من تاريخ الثورة الدرزية ١٨٢٤-١٨٣٨م ، مجلة المشرق ، بيروت ، المجلد ٣٥، ١٩٣٧.

(٨) .... : ادارة الشام روحها وهيكلها وآثرها فى عهد محمد على ، منشور ضمن كتاب فى ذكرى البطل ابراهيم باشا ، الجمعية التاريخية المصرية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢١ ، ١٩٩٠ .

(٩) اسكندر بك بارودى : تعليم المرأة عندنا ، الكلية ، العدد الثامن يونيو ١٩١٢.

(١٠) أنيس المقدس الخوري : الحركة الفكرية فى الدولة العباسية ، الكلية ، العدد الرابع ، فبراير ١٩١١.

(١١) برهان الدين دجانى : الجامعة الامريكية فى بيروت والوطن العربي ، مجلة الابحاث ، الجامعة الامريكية ، بيروت أذار ١٩٥٤ .

(١٢) القس بورتر : الصلاه من أجل المرسلين فى الوطن وفى الخارج ، النشرة الاسبوعية ، بيروت ، الاثنين ٩ شباط ١٨٨٥م .

(١٣) جان مرهج : علم النبات ، ضمن كتاب نشاط العربي العلمي فى مائة سنه ، الجامعة الامريكية ، بيروت ، ١٩٥٩ .

(١٤) جرجس الخوري المقدسي : التعليم قديماً وحديثاً فى سوريا ، مجلة المقتطف ، المجلد ٣١ ، سبتمبر ١٩٠٧ .

(١٥) جمال الالفي : الدروز ، مجلة المصور ، العدد ٣٠٧٥ ، القاهرة ، ١١ سبتمبر ١٩٨٣ .

(١٦) حسنين الخوري : الدين والوطن ، الجنات ، الجزء الرابع عشر تموز ، ١٨٧٠م .

(١٧) سلمى قساطلى : تعليم النساء فى دمشق ، اللطائف ، ١٥ نوفمبر ١٨٩٠ .

(١٨) سليم البستاني : الصناعة ، الجنان ، الجزء ١٢، جزيرات ١٨٧٠م.

(١٩) .... الاصلاح ، الجنان ، الجزء السابع ، نيسان ١٨٧١ .

(٢٠) .... الحكام ، الجنان ، الجزء السادس عشر ، أب ، ١٨٧٠.

(٢١) .... : حملة سياسية ، الجنان ، الجزء ١٣ / تموز ١٨٧٤.

(٢٢) .... : لماذا نحن فى تأخر ، الجنان الجزء السادس ، اذار ١٨٧٠ .

(٢٣) سليم أفندي صدفة : فى حقوق النساء ، الجنان ، الجزء ١٣، تموز ١٨٧٤م .

(٢٤) سمير مرقس : تاريخ خدمة مدارس الاحد واثرها التعليمى فى الفترة من ١٩٠٠:١٩٥٠ ، مجلة مدارس الاحد ، القاهرة ، نوفمبر وديسمبر ١٩٨٤م .

(٢٥) شاهين مكاريوس : المعارف فى سوريه ، المقتطف ، الجزء الثامن ، العام السابع اذار ١٨٨٣ .

(٢٦) .... : الجزء التاسع ، العام السابع ، نيسان ١٨٨٣ ، سياط ١٨٨٣ .

(٢٧) شفيق حجا : أزمة السنة ١٨٨٢ أدوين لويس ، ضمن كتاب العيد المئوى للجامعة الامريكية ، اشراف جبرائيل جبور ، بيروت ، ١٦٦٧ .

(٢٨) عبد الحميد سماحه : الفلك عند العرب ، ضمن كتاب نشاط العربي العلمي فى مائة عام ، الجامعة الأمريكية ، بيروت – ١٩٥٩ .

(٢٩) عبد الرحمن بك سامي : القول الحق فى بيروت ودمشق ، اللطائف ، الجزء العاشر ، السنة الخامسة ، ١٥ فبراير ١٨٩١م .

(٣٠) عبد العزيز نوار : الحرب الاهلية وأبعادها الطائفية ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، يناير ١٩٧٦ .

(٣١) .... : تطور لبنان السياسي والاجتماعى منذ أواخر القرن الثامن عشر حتى أواخر الحكم المصري ١٨٤٠م ، منشور ضمن كتاب الازمة اللبنانية ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

(٣٢) فريده حبيقا : الذوق فى اللباس والجمال ، المقتطف ، أول حزيران ، ١٨٨٢ .

(٣٣) قدري طوقان : تاريخ العلوم ، بحث منشور ضمن كتاب نشاط العرب العلمي فى مائة عام ، الجامعة الامريكية ، بيروت ، ١٩٥٩ .

(٣٤) محمد بديع شريف : اليقظة الفكرية والسياسية فى القرن التاسع عشر ، منشور ضمن كتاب دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

(٣٥) موريس كولنجت وهنرى نكر : العرس الفضي للمكتب الفرنسوى الطبي ، المشرق ، المجلد ١١، اباء ، ١٩٠٨ .

(٣٦) موسى طنوس : الالفة ، الجنات ، الجزء الخامس ، اذار ١٨٧٠م .

(٣٧) ميخائيل سليمان : فلسطين والفلسطينيون فى العقل الامريكى ، ضمن كتاب فلسطين والسياسة الامريكية من ويلسون الى كلينتون ، مركز الوحده العربية ، بيروت ، ١٩٩٦ .

(٣٨) لويس شيخو : تاريخ فن الطباعة فى المشرق ، المشرق ، العدد ١١ ، المجلد ٣ ، حزيران ، ١٩٠٠ .

(٣٩) .... : الاداب العربية فى القرن التاسع عشر ، المشرق ، المجلد ١١ ، ١٩٠٨ .

(٤٠) نبيل عبد الحميد : التبشير الامريكي فى البلاد العربية حتى عام ١٩٢٤ ، المجلة المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ، المجلد ٢٧ . عام ١٩٨١ .

(٤١) نبيه أمين فارس : أميركا والنهضة العربية الحديثة ، مجلة الابحاث ، الجامعة الامريكية ، بيروت ، سبتمبر ١٩٥٨ .

(٤٢) نعمات قساطلي : مذابح سورية ١٨٦٠ ومقدماتها الاهلية ، اللطائف ، القاهرة ، الجزء الخامس ، السنة السادسة ، ١٥ سبتمبر ١٨٩١ .

(٤٣) نعيم عطية : معالم الفكر التربوي فى البلاد العربية فى المئة سنة الاخيرة ، منشور ضمن كتاب الفكر العربي فى مائة سنه ، هيئة الدراسات العربية ، الجامعة الامريكية ، بيروت ، ١٩٦٧ .

(٤٤) نقولا زياده : أثر الجامعة فى حياة العالم العربي ، منشور ضمن كتاب شاميات ، دار رياض الريس ، لندن ، (د.ت) .

(٤٥) هيلانه بارودي : الاخلاق والعوائد ، المقتطف ، الجزء السادس ، السنة السابعة ، ١٨٨٣م .

(٤٦) يعقوب الجريديني : النصيرنية ، مجلة الجنان ، بيروت ، ١٥ تشرين الاول ١٨٧٥م .

سابعا : الدوريات .

(١) **ابابيل : جريده اسلامية كانت تصدر فى بيروت بصفة اسبوعية أصدرها حسين محي الدين الجمال .**

(٢) **الاخبار : جريدة مصرية صدرت فى القاهرة ، ١٩٠٧.**

(٣) **الاصلاح : أصدرها فى بيروت أحمد حسن طبارة ود . حليم قدورة وكانت تصدر يومياً ، وهى جريدة سياسية تجارية صناعية أدبية زراعية .**

(٤) **الاقبال : اصدرها فى بيروت عبد الباسط الانسي وهى جريده علمية – سياسية – عمرانية .**

(٥) **أنيس الجليس : وهى مجلة نسائية شهرية أصدرتها فى مصر الكسندرا ملتيادى أفيرينوه .**

(٦) ثمرات الفنـــــون : اصدرتها جمعية ثمرات الفنون الاسلامية فى بيروت .

(٧) الجامعة العثمانيـــة :

(٨) الجنـــــــــان : أصدرها بطرس البستاني فى بـــيروت عـــام ١٨١٠م .

(٩) الحسنـــــــــاء : مجلة نسائية شهرية اصدرهـــا فـــى بـــيروت جرجس نقولا باز .

(١٠) مجلة سركيــــس .

(١١) مجلة الطبيـــــب : أصدرها فى بيروت د . جورج بوست .

(١٢) فتاه لبنـــــــان : أنشأتها فى لبنان سليمة أبى راشد فى كـــانون الثاني ١٩١٤م .

(١٣) فلسطيـــــــن : كانت تصدر فى يافا مرتيـــن فـــى الاســبوع ، اصدرها عيسى داود العيني .

(١٤) الكليـــــــــة : اصدرتها الكلية الانجيلية السورية فى بيروت .

(١٥) اللطـــــــائف : أصدرها شاهين مكاريوس فى القاهرة من عـــام ١٨٨٦:١٨٩٦ .

(١٦) مدارس الاحـــد : جريدة مصرية تصدرهــــا الكنيســة القبطيــة الارثوذكسية .

(١٧) المرشـــــــــد : مجلة اصدرتها الارسالية الامريكية فى مصـــر ابتداء من عام ١٨٩٤م .

(١٨) المشـــــــرق : أصدرها فـــى بـــيروت الاب لويـــس شـــيخو اليسوعى فى اطار التنافس مع الارسالية الامريكية .

(١٩) مجلة المقتطف : أصدرها فى بيروت يعقوب صروف وفارس نمـــر ثم انتقلت للقاهرة .

(٢٠) المقطم : أصدرها فى القاهرة فارس نمر ويعقوب صروف .

(٢١) النبراس : مجلة شهرية أصدرها فى بيروت مصطفى الغلاييني عام ١٩٠٩ .

(٢٢) النشرة الاسبوعية : أصدرتها الارسالية الامريكية فى الشام .

(٢٣) الهدى : مجلة أصدرتها الإرسالية الأمريكية في القاهرة .

(٢٤) الهلال : أصدرها فى القاهرة جورجي زيدان .

(٢٥) مجلة المصور : مجلة مصرية تصدر عن دار الهلال .

الملخـــــــص

اهتمت الدراسات التاريخية بالدور السياسي والاقتصادي للولايات المتحدة الأمريكية في العالم العربي ، ولكن نفس هذه الدراسات التاريخية العربية أغفلت الدور الديني ، وهو الأساس الذي بنيت عليه نفوذها فيما بعد .

فأمريكا التي طبقت مبدأ مونرو في سياستها الخارجية وظلت حريصة على ألا تزج بنفسها في مشاكل الصراعات خارج أراضيها ، خرج من بين بنيها من أسس الإرساليات فى الدولة العثمانية والبلاد العربية جزء منها ، وبذلك فقد بدء النفوذ الأمريكي فى المشرق العربي نفوذاً دينياً قام على النشاط الأهلي .

وقسمت الدراسة إلى مدخل وتمهيد وستة فصول تناولت فى المدخل ملامح النظام الإداري في بلاد الشام وطبيعة العلاقة مع الدولة العثمانية ، وفى التمهيد تناولت الدوافع المختلفة للتبشير سواء العامل الديني والاقتصادي والحضاري والسياسي كذلك حاولت توضيح الهدف الذي من أجله كان عمل الإرسالية الأمريكية وغيرها من الإرساليات التبشيرية .

الفصل الأول بعنوان " أوضاع الطوائف الدينية فى بلاد الشام في القرن التاسع عشر " حاولت أن أوضح فيه الطوائف الموجودة في بلاد الشام من مسلمين ومسيحيين ويهود وما يندرج تحت كل طائفة منهم من طوائف أخرى ، لبيان مدى ما وصل إليه حال كل طائفة من هذه الطوائف وملائمة ظروفها المختلفة لعمل الإرسالية الأمريكية ثم أوضحت مدى العلاقة بين هذه الطوائف .

أما الفصل الثاني وهو بعنوان " تأسيس الإرسالية الأمريكية ونشاطها الديني " فقد تناولت فيه تأسيس الإرسالية فى أمريكا ، ثم المحطات التبشيرية ابتداء من محطة مالطة ثم بيروت والقدس وعبيه وصيدا ، كما تناولت الأنشطة المختلفة التي استخدمتها الإرسالية في التعليم من حيث التعليم الابتدائي ثم المناهج التي استخدمت فيها ، كما تناولت المدارس العليا بشيء من التفصيل مثل مدرسة البنات في بيروت ومدرسة عبيه ومدرسة صيدا للفنون والصناعات وغيرها من المدارس وفى نهاية الفصل أوضحت مدى تأثير التعليم على أوضاع الشام .

والفصل الثالث بعنوان " النشاط التعليمي للإرسالية الأمريكية في بلاد الشام " حيث تناولت الأنشطة المختلفة التي استخدمتها الإرسالية في التعليم من حيث التعليم الابتدائي ثم المناهج التي استخدمت فيها ، كما تناولت المدارس العليا بشيء من التفصيل مثل مدرسة البنات في بيروت ومدرسة عبية ومدرسة صيدا للفنون والصناعات وغيرها من المدارس وفي نهاية الفصل أوضحت مدى تأثير التعليم على أوضاع الشام .

وفى الفصل الرابع وهو تحت عنوان " الكلية الإنجيلية السورية " أوضحت مدى حاجة الإرسالية لكلية كما أوضحت الجهود التي بذلت في جمع التبرعات لإنشائها ، وكذلك تناولت الأقسام المختلفة للكلية ، وكذلك اللغة المستخدمة في التعليم وهى اللغة العربية وتغييرها للإنجليزية بعد ذلك كما تحدثت عن أجناس الطلاب وصحافتهم داخل الكلية .

وفى الفصل الخامس تناولت التأثير الفكري للإرسالية الأمريكية في بلاد الشام حيث تناولت الطباعة والترجمة والمؤلفات وتوزيع الكتب والصحافة والجمعيات الأدبية المختلفة ، والتي نتج عنها مجتمعة تحول فكري فى بلاد الشام .

وفى الفصل السادس والأخير والذي جاء بعنوان " موقف الإدارة من التبشير الأمريكي فى بلاد الشام " تناولت فيه موقف الإدارة المصرية أثناء حكم محمد على في الفترة من ١٨٣٢:١٨٤٠م حيث أوضحت الموقف من أهل الذمة ثم من المرتدين عن الإسلام عموماً .. أما موقف الدولة العثمانية فقد تناولته من خلال عدة نقاط تتمثل في الامتيازات الأجنبية والتنظيمات العثمانية والموقف من التعليم واعتراف الدولة بالطائفة البروتستانتية كأحد الطوائف المسيحية الموجودة فى الدولة العثمانية .

وقد اعتمدت الدراسات على المادة الأصلية من وثائق الأرشيف الأمريكي وكذلك الوثائق الموجودة فى دار الوثائق القومية بالقاهرة ، وتقارير وخطابات المبشرين الأمريكيين ، كما رجعت للصحف المعاصرة لفترة الدراسة واستقيت منها مادة علمية أفادت البحث كثيراً .

و أنهيت البحث بخاتمة تتضمن أهم ما توصل اليه الباحث من نتائج.

والله الموفق؛



Cairo, and reports and litters from American preachers, and t
popular magazines, and the press.

Finally I deal with the results of the study in conclusion.

In the fourth chapter, I deal with the "Syrian Bible Faculty" and explain the need for founding this faculty. I also explain the efforts for collecting the money which was needed for founding it. I also deal with the different sections of the faculty, and the language which was first in Arabic and thin was later changed to English. I then study the kinds of students in the faculty and its press.

In the fifth chapter, I deal with the intellectual influence of the American mission in Syria, so , I study the press , translations books , as well as literary societies , which produced comprehensive intellectual change in Syria .

In the sixth chapter, I study the attitude of the Egyptian administration towards the American mission under the region of Mohamed Ali who ruled from 1832 – 1840. I, explain the attitude towards the " Ahl Adhims " (non-Moslems), and the conversion of Muslims Islam. I also explain the attitude of the Ottoman empire towards the following points: the capitulations , " The Tanzimat " education and Protestants as the main Christian element in the Ottoman empire .

This study relied on many sources such as documents from American Archives, the National Egyptian Archives in

In the first chapter, which is entitled "The positions of the religious guilds in Syriä in the nineteenth century", I expl the role of the existing Moslem, Christian, and Jewish guilds Syria. I list the other guilds in order to explain the potion each guild, and to show that this potion was suitable for American mission. I also explain the relationship between th guilds to the mission.

The second chapter is entitled " The foundation of American mission and its religious activities " I deal with founding of the American mission in the U.S.A , and missionary stations from the first station in Malta to Beir Jerusalem , Abia, and the sidon station . I deal with the ot activities which were used, I also deal with High schools s as : the Girl's school in Beirut , the school of Abia and si for arts and industries , and other schools . at the end of chapter I explain the influence of education in the state of S

In the third chapter which is entitled " the educa activities of the missions in Syria " , I deal with the missior schools , their motheds, and the influence of this type education in Syria.

Summary

Historical studies interested in the role of the United States of America in the Arab World usually talk about the political and economic influence. However, these studies ignore the religious role, which was the base of the U.S.A in building its influence in the region.

Although the U.S.A practiced the "Monroe Doctrine" in its foreign policy and continued keeping itself away from problems outside of its borders, it nevertheless sent missionaries to the Ottoman Empire and the Arab states within it . from this we can see that the American role in the Arab East began religiously based on the civilizing activities

My study is divided into an introduction, a prologue, six chapters, and the conclusion. The introduction deals with the features of the administrative system in Syria and its relationship with the Ottoman empire.

The prologue deals with the different motives of the preaching movement such as the religious, cultural, economic and political factors. The prologue is also interested in the aim of American mission and other missions.

المحتويات





التنصير الأمريكى فى بلاد الشام

١٨٣٤ ـ ١٩١٤

❑ اهتمت الدراسات التاريخية بالدور السياسى والاقتصادى للولايات المتحدة الأمريكية فى العالم العربى ولكن نفس هذه الدراسات أهملت دورها الدينى، وهو الأساس الذى بنيت عليه نفوذها فيما بعد .

❑ فأمريكا التى طبقت مبدأ مونرو فى سياستها الخارجية وظلت حريصة على ألا تزج بنفسها فى مشاكل الصراعات خارج أراضيها ، خرج من بين بنيها من أسس الإرساليات فى الدولة العثمانية والبلاد العربية جزء منها . وبذلك فقد بدأ النفوذ الأمريكى فى المشرق العربى نفوذاً دينياً قام على النشاط الأهلى . واحتمى بالدبلوماسية البريطانية الراعى والحليف لهم .

❑ جدير بالذكر أن أول إرسالية أمريكية وصلت للعالم العربى كله كانت لفلسطين عام ١٨١٩، ثم تبعتها إرسالية أخرى لبلاد الشام عام ١٨٢٠ وإن كانت البداية الفعلية لهم كانت عام ١٨٣٤م أثناء حكم محمد على للشام بوجهه العلمانى .

❑ وفى هذا الكتاب رصد لظاهرة التبشير (التنصير) فى الشام والعالم العربى .

الناشر



د./ عبد الرازق عبد الرازق عيسى

■ دكتوراه فى التاريخ الحديث بتقدير مرتبة الشرف الأولى من آداب عين شمس ٢٠٠٢م .

■ ماجستير تاريخ حديث بتقدير ممتاز من آداب عين شمس١٩٩٥م .

■ عمل فى مركز تاريخ مصر المعاصر. ويعمل حاليًا أستاذًا مساعدًا للتاريخ الحديث فى كلية التربية لإعداد المعلمات بالمدينة المنورة .

■ **الأعمال العلمية المنشورة ما بين مؤلف ومحقق مثل :**

- تاريخ القضاء فى مصر العثمانية ١٥١٧ - ١٧٩٨ - الهيئة العامة للكتاب .
- محاضر مجلس شورى النواب - الجزء الأول- دار الكتب المصرية.
- مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس لعبد الرحمن الجبرتى .
- النزهة الذهبية فى ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية لمحمد بن أبى السرور البكرى .